

الموسوعة الإسلامية

في

تربية الأولاد

إعداد
حامد أحمد الطاهر

المجلد الأول

ضياء ستيرة



منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com

الموسوعة الإسلامية

في تربية الأولاد

تأليف

حامد أحمد الطاهر

الجزء الأول

دار الفجر للنشر

خلف الجامع الأزهر / القاهرة

تليفون ٥١٤٧١٧٩ - تليفون وفاكس ٥١٤٧٢٤٨

محمول - ٠١٢٧٤١٨٣٤٨



﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

حقوق الطبع محفوظة

لدار الفجر للتراث

* الكتاب : الموسوعة الإسلامية في تربية الأولاد ج (١)

* المؤلف : تأليف / حامد أحمد الطاهر

* سنة الطبع : الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

* الناشر : دار الفجر للتراث - القاهرة

* عدد الصفحات : ٤٣٠ صفحة

* رقم الإيداع : ٢٠٠٧ / ٩١٥٦

دار الفجر للتراث

خلف الجامع الأزهر / القاهرة

تليفون ٥١٤٧١٧٩ - تليفون وفاكس ٥١٤٧٢٤٨



محمول - ١٢٧٤١٨٣٤٨

بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله رب العالمين وحده لا شريك له، نحمده حمد الشاكرين، ونشكره شكر الحامدين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فلا يزال حلم إخراج كائن عقدي مستقيم الإيمان، فاضل الأخلاق حُلماً يراود الدعاة والعلماء والمصلحين الذين يقدرّون لأمر التربية قدره، ويعرفون منزلته، ويفتقدونه حين يغيب من المجتمعات الإسلامية التي غرقت حتى آذانها في وحل التربية الخاطئة التي أنتجت جيلاً مشوه العقيدة، منحرف الأخلاق، فاقد الهدف في حياته إلا من أمور دنياه، إلا من رحم ربي.

إن أمة الإسلام في هذا الزمان الذي نحياه تعاني جذباً من نوع خاص، إنه جذب تسبب فيه نضوب نبع القدوة والأسوة، وانحراف المسلم عن دينه وابتعاده عنه بمسافات طويلة جعلته فاقد الصلة الحميمة بالسماء والنبوة، فإذا به ضال الطريق، مشتت الأفكار، إمعة كلما نعق الناقع تبعه وتولاه، إسفنجة تمتص كل شيء من أي شيء، في أي وقت، لأنه الآن بلا هوية، ومظاهر هذا الانحراف أكثر من أن تعد وتُحصى، فالأمر أوضح من أن يتبعه أو تحاول رصده، فقد شَفَّ عن ذاته، فلم يحتاج لمن ينادي عليه فيروجه!!

ومن هنا كان لزماً على كل من ارتاد مجال الكتابة في المناهج لإسلامية السلفية أن يُفرد للحديث عن التربية أجزاءً وأجزاء تُعنى بإظهار المنهج الإسلامي الصحيح في تربية الصغار منذ اللحظة الأولى التي يفكر فيها الزوجان في الارتباط وإنجاب

الصغار، وحتى مرحلة الشباب التي ينتهي معها الدور الأكبر للوالدين في حياة ولديهما أو ابنتيهما.

وقد جاءت محاولات عديدة وكثيرة في هذا المضمار منها ما لاقى نجاحاً باهراً، ومنها ما يزاحم، ومنها ما زال يبحث عن القارئ لم يصل إليه، ومنها ما هو في طي النسيان، ومنها ما يحاول أصحابه إظهار صوتهم من خلال سطور دونوها ليعلنوا عن مذهبهم في تربية الصغار.

والحق أن من عني بالكتابة في مجال التربية جميعاً (أقصد الإسلاميين) كانوا على قلب رجلٍ واحدٍ في استخراج منهج التربية من الكتاب، والسنة، وأفعال الصحابة وآثارهم، أو كتب الفقه التي أفردت حديثاً عن اختيار الزوج والزوجة، وطبيعة العلاقة بين الولي ومن يريسه من منظور (الحقوق والواجبات) التي افترضها الشرع الحكيم على المربي ليحصل في النهاية على بغيته: مسلمٌ موحدٌ، فاضل الأخلاق، حسن السيرة، جيد السلوك.

ومنهم من أضاف كلاماً لأهل علم النفس، أو الصحة النفسية، وأقوال أساتذة التربية حتى تنوعت الكتابات داخل كل سفيرٍ من هذه الأسفار التربوية التي يحمد لأصحابها المحاولة إن لم يكن بعضهم من كبار القوم قد حاز شرف قبول الكتاب، واتساع دائرة القراء له.

والحق أنني لم أجد نفسي راضياً عن منهج نهجته في أحد كتبي قدر ما رضيت عن هذا الكتاب الذي اقتطع من عمري عامين وربما أكثر ليخرج بهذه الصورة التي أسأل الله تعالى أن تكون صورة طيبة تحمل قبولاً من الله تعالى، ثم رواجاً لدى القارئ الكريم.

وكعادة السلفين فإنهم يستمدون مادة كتبهم من الكتاب والسنة، وآثار الصحابة والتابعين وهو منهج أثبت نجاحه وانتصاره على بقية المناهج الأخرى، ولذا فقد رضيناه لنا منهجاً نتبع فيه سلفنا فلا نُعقهم ولا نخالفهم طالما الأمر كان صحيحاً، والكل يُؤخذ منه ويرد إلا المعصوم ﷺ.

ثم مزجت هذا كله بأقوال أهل الريادة في مضممار التربية؛ إذ الأحفاد أعلم بعصرهم من الأجداد، فما كان لنا أن نهدر الجهد المبذول على مدى العقود الماضية والمعاصرة، والتي جدّت فيها أمراض تربوية، وعلل إعلامية، وطواعين فكرية، شخّص هؤلاء الكرام هذه الأمراض والعلل والطواعين، وحددوا علاجها، وأجادوا الحديث عنها كثيراً، فخشيت أن أترك ما لا غنى له عنه لأحدٍ من الناس فيضيع مني قصصٌ ثمين، ويضيع على القارئ غنمٌ ما بعده غُرمٌ.

ثم خلطت بين هذا وذاك، وأضفت بعض الأمور كالاتي:

- (١) وضعت نموذجاً لتعليم الآداب والأخلاق، وعرض بعض المواقف لذلك.
- (٢) عرض بعض القصص والأناشيد المناسبة لكل سن.
- (٣) وضع إرشادات ووصايا لكل مرحلة.
- (٤) وكتبت ملحناً للأسئلة المخرجة التي يمكن أن يطرحها الصغار وكيفية الإجابة عنها.
- (٥) ثم عرضت ملحناً طبياً لما يمكن أن يصيب الصغار من أمراض، وكيفية التعامل معها حتى حضور الطبيب.
- (٦) ثم ألحقت ملحناً آخر لبعض الأمراض النفسية التي يمكن أن يتعرض لها الصغير.
- (٧) وبين هذا وذاك كنت قد عرضت بعض الأسئلة والتدريبات عقب كل قصة أو درس يمكن تعلمه ليكون درساً عملياً عميم الفائدة عظيمها، فتتحقق الاستفادة من هذا الكتاب الذي أرجو أن يكون لبنة في صلاح هذه الأمة، وإرشاداً للأباء والأمهات نحو تربية إسلامية صحيحة.

فاللهم تقبل مني، واعف عني، واغفر زلاتي برحمتك يا أرحم الراحمين.

☆☆☆

وكتبه

راجي عفو ربه ومولاه

أبو أنس الدمنهوري

حامد بن أحمد الجواهر البسيوني



الثرى والثريا

أسرار تفوق جيل الصحابة رضى الله عنهم

لا يخفى على أحد تلك الحالة المزرية التي تعيشها أمة الإسلام، ولا يخفى على أحد تلك الجروح والقروح التي تسارع نزولها بجسد الأمة وقلبها، حتى تحول حاضر الأمة إلى مجموعة من المحن والبلايا، وحتى صارت أمة الإسلام كالمعلقة لا هي متزوجة ولا هي مُطلقة، فصارت الأمة في الثرى بعد أن كانت بالثريا، وشتان ما بين الثرى والثريا.

فأما الثرى: فهو التراب: رمز الذلة والمهانة، والضياع والهلكة.

وأما الثريا: فنجم بعيد في السماء: رمز العلو والسمو، والرفعة والعزة.

وكان لزاماً علينا أن نطوف في صحراء الثرى باحثين عن أسرار السمو والعلو إلى الثريا، ونحن أعلم الناس بدائنا، فالطبيب مهما كانت مهارته في معرفة الداء، فإن المريض بمرضه أعلم، وهو يتسلى بالكلام لينسى كثيراً من الآلام التي يئن تحت وطأتها.

إن نظرة في حال أمتنا الآن، ونظرة أخرى في ماضيها: تلك إذاً كرتان، ومن بعدها ينقلب البصر إلينا خاسئاً وهو حسير من طول الأسى والحزن، فأمة الإسلام في كل عام تُفتن مرة أو مرتين، وأهلها لا يتوبون إلى الله، ولا هم يستغفرون، فترى الأمة لا تكاد تقدم رجلاً إلى الأمام حتى تعود آلاف الخطى إلى الوراء حتى صارت أمة الإسلام كالخادمة بين الأمم، تُوالي أمة لتغيظ الأخرى، كخادمة عاهرة سخرت نفسها لخدمة زوجة لتغيظ ضرتها، فأشرب المسلمون الدُّلَّ، ورضوا بالمهانة، واستحبوا الحياة على الممات، فرضوا بفتات الدنيا في إسفاف وانحطاط، ولم يجد الشرف في قلوبنا منزلاً فغادرها بعيداً، لما رأى الدُّلَّ قد عشنش في أركانها، فصرنا نحسب كل صبيحة علينا، ونتوهم كل حركة من العدو موتاً يهجم علينا.

وَلَوْ أَنَّ بَرْعُوًّا عَلَى ظَهْرِ قَمَلَةٍ
رَأَتْهُ تَمِيمٌ مِنْ بَعِيدٍ تَوَلَّتْ^(١)
ووسط الزحام تاهت عقيدة التوحيد- إلا في قلوب رحمها ربي- فهجم العدو
فظوقنا بأطواق الحديد، وراح يسومنا العذاب الشديد، وأخرجنا من زمرة السادة إلى
حظائر العبيد.

فَسَلُّوا دَجَلَةً عَمَّا دَهَاها
أَوْدَعُوها فَكَفَّاهَا مَا دَهَاها
ومن ثم غطَّنا سحاب الذلة والهوان؛ إذ تركنا طريق العزة حين ولينا ظهورنا
لمنهج الله تعالى لاهئين وراء الحضارة المادية، فإذا السُّوس منا فينا، وإنما دُعِيَ العدو
إلى فريسة فتقدما.

لقد فعلت الأمة الإسلامية ما يوجب الذل والهوان، يتضح ذلك جلياً من حديث
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ
بِأَذْنَابِ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا
إِلَى دِينِكُمْ»^(٢). والحال ناطقة بهذا لا مراء، ولو استرسل المرء مع خواطره لخشى أن
يُفْضِي به التفكير إلى اليأس فيضل، فيلتصق بالثرى، أو يُجَنَّ فيُرفع عنه القلم
فيستريح، وما كلاهما بمريح، كأن لسان الحال والمقال:

بِي مِنْكَ مَا لَوْ غَدَاً بِالشَّمْسِ مَا
طَلَعْتَ أَوْ بِالْبَرْقِ مَا وَمَضَا
وإذا كانت الحال هكذا، فوجب علينا أن نعود لنبحث عن أسباب السمو إلى
الثريا، وهو ما يتوفر في سماء القرن الأول الهجري التي نرى التطواف فيها علواً
وسمواً ورفعة لا مثيل لها.

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ النَّاسِ
قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ بَيْنَهُ، وَيَمِينُهُ
شَهَادَتُهُ»^(٣).

(١) البيت في ديوان الحماسة.

(٢) صحيح: الإسناد: أبو داود (٣٤٦٢) في البيوع، والعينة: حيلة يفعلها أعداء الله وهي الآن (حرق
البضائع).

(٣) متفق عليه: البخاري (٣٦٥١) في فضائل الصحابة، مسلم (٢١٠/٢٥٣٣ - ٢١٢) في فضائل الصحابة.

وروى عمران بن حصين رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...» الحديث^(١).

والقرن: أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة.
أو هم: من اجتمعوا في زمن نبي أو رئيس يجمعهم على ملة أو مذهب أو عمل. ويطلق أيضاً على مدة من الزمان تساوي مائة عام.

و«قرني»- كما في الحديث- هو زمن النبي ﷺ وصحابته الذي امتد إلى مائة وعشرين سنة، وآخر القرون الثلاثة: (قرن تابعي التابعين) كان إلى حدود العشرين ومائتين (٢٢٠هـ)^(٢) حيث ظهرت البدع ظهوراً فاشياً، وأطلقت المعتزلة ألسنتها، ورفعت الفلاسفة رءوسها، وامتنح أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن وتغيرت الأحوال تغيراً شديداً، ولم يزل في الأمر نقص حتى الآن^(٣). فصحابة رسول الله ﷺ خير الأمة، هم أهل الثريا تعلقوا بها وسموا إليها، فهم القدوة والأسوة من بعد رسول الله ﷺ، فلو قُدِّر للأرض أن تنطق ل قالت: إنها مذلحهاها الله وبرهاها، ومهداها وطحاها، وسوأها لم تر أمة على الحق أصدق من صحابة رسول الله ﷺ.

ووالله لولا النقل الصحيح المتواتر لقلنا: هذا خيالٌ هذا محالٌ. لكنهم جيل المصاحف، جيل المحارب، جيل السبع الطوال، جيل العقيدة فلا محال هم حقيقة لا خيال.

ولكن، وقبل عرض سيرة هؤلاء الكرام، والبحث عن أسرار تفوقهم يتساءل السائل فيقول: لماذا لم تعد الأمة تُخرج مثل جيل الصحابة في هذا الكم العجيب من رجال العقيدة؟!

وقبل الإجابة لابد أن نثبت أمرين:

الأول: أن القرآن هو القرآن لم يتغير ولم يتبدل ولم يندثر، فلا زال محفوظاً بحفظ الله تعالى له: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

(١) متفق عليه: البخاري (٣٦٥٠) في فضائل الصحابة، مسلم (٢١٤/٢٥٣٥) في فضائل الصحابة.

(٢) هو زمن المأمون الخليفة العباسي (ت ٢١٨هـ).

(٣) نقلاً عن فتح الباري (٥، ٦/٧) باختصار.

والثاني: أن سيرة رسول الله ﷺ، وسنته، وحديثه لا يزالون في حفظ يعيش لهم الجهابذة الثقات الأثبات من العلماء، فلم يغيب إلا شخص رسول الله ﷺ فقط، فهل غياب شخص النبي ﷺ هو السبب والسر في أن الأمة لم تعد تخرج جيلاً مثل جيل الصحابة؟

لو كان الأمر هكذا لما جعل الله عز وجل رسالة النبي ﷺ آخر الرسالات، ولما جعل الإسلام خاتم الأديان، وإن الله تعالى قد تكفل بحفظ الذكر، وبين أن الإسلام ودعوته باقيان إلى يوم القيامة، فغيب رسول الله ﷺ ليست السر إذن، فما السر إذن؟ هل تغير النهج الذي تربوا عليه؟ إن الجوهرة مهما مرّت عليها الأزمان هي جوهرة يرتفع ثمنها ولا ينخفض، والمسك كلما حفظه صاحبه في صرته كلما طابت رائحته وزكت، لم يتغير شيء إذن، فيعود السؤال: لماذا هم أهل الثريا؟ ونحن أهل الثرى؟ إن أسرار تفوق جيل الصحابة على غيرهم من الأجيال نجعله في عدة نقاط لعلها أن تكون نافعة ناجعة، وهي كالآتي:

أولاً: لأن جيل الصحابة قصر مصدر التلقي على القرآن والسنة لا سواهما:

فقد جعل أصحاب رسول الله ﷺ مصدر التلقي الوحيد لهم الذي يتقبلون في رياضه، وينهلون من منابعه: الكتاب والسنة لا سواهما، وقد كانت حضارة الفرس والروم مجاورتين لهما، وعلى الرغم من ذلك لم يلتفتوا إلى حضارتهما المادية ولم ينظروا في التوراة أو في الإنجيل؛ بل كان منهجهم الذي استقوا منه: كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فخلصت نفوسهم لله، واستقام عودهم على منهجه وحده.

ولم يزل النبي ﷺ يثبت ذلك المنهج في قلوبهم، ويحذرهم من كل مصدر آخر، ففي رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب- يقصد التوراة- فقرأه- أي: عمر- على النبي ﷺ؛ فغضب فقال: «أمتهوكون»^(١) فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل

(١) في النهاية قال: متهوكون: مترددون أو متحيرون.

فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى ﷺ كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني»^(١).

فكان درساً حياً للصحابة ومن بعدهم أن الإسلام أرض يهطل فيها المطر، وما سواها خراب بَلَقَ بور، لا تصلح للعيش أو الحياة، وقد بعثها ﷺ صريحة لا تقبل المزايدة أو الشك كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»^(٢).

وفي رواية أبي هريرة أيضاً أنه ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قيل: ومن أبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني دخل النار»^(٣).

وها هو المحدث الثقة ميمون بن مهران رحمه الله يطلقها: إياكم وكل هوى يُسمى بغير الإسلام.

لقد فهم الصحابة هذا فهماً جيداً فتعلقوا بالثريا، أما أهل الثرى - أفراد هذا الجيل، ونحن منهم - فقد خرجنا نبحث عن كل شيء إلا الوحي، فصرنا كالبهائم تدوس على الجواهر بأقدامها ولا تنتبه إليها لأنها من جنس ما لا يؤكل.

إن السؤال يلح هنا على الجميع: هل يخطئ الوحي؟ هل يخطئ النبي ﷺ معاذ الله أن يخطئ، فلم إذن نتركه ونذهب إلى غيره حيث الكفر البواح، والغرق في قاع بركة متنتة من جرائم الأهواء، وحيات البدع والمستحدثات، حتى صارت الحال كجيفة هدهد ميت وضعت في جورب مسافر أبصر في شدة الحر لم يمسه الماء أشهراً.

لقد التصقت الأمة بالثرى يوم بحثت عن كل منهج غير منهج الوحي: كتاباً كان أو سنة، ويا للعجب: حين يُنادى بالعودة إلى الكتاب والسنة والاتباع، فنسمع من

(١) حسن الإسناد: رواه أحمد (١٥٠٩٤) في المسند بتحسين محققه، قلت: وهو ضعيف لوجود مجالد بن سعيد الهمداني، وهو ليس بالقوي في الحديث، لكن له شاهد عند ابن أبي عاصم في السنة (٢٧/١) وعند الدارمي والبخاري.

(٢) صحيح الإسناد: الحاكم (٩٣/١) في المستدرک وصححه ووافقه الذهبي، وانظر الصحيحة (١٧٦١) للالباني.

(٣) رواه البخاري (٧٢٨٠) في الاعتصام، باب (٢) متفرداً به عن مسلم.

يقول: أنتم خياليون، تعتمدون على الماضي، تربطون أنفسكم بالموتى، ولا ندري منذ متى صار إبليس ناصحاً؟! (فضل حاضر هو حاضح في ماضي حجير . أفلا ينظر هؤلاء إلى ما نحن فيه؟ إننا لنجني العواصف بعد أن زرعنا في أرضنا الريح، ولقد ارتكبنا أكبر الخطايا يوم أن تركنا الكتاب والسنة فلم نحصد إلا كل شر!! حصدنا جيلاً يؤمن تمام الإيمان بأن المسلم خلق خلقه الأرنب لا أنياب له، ولا مخالب، وأن العدو خلق أسداً لا قدرة ولا طاقة لنا به، وجفت الصحف، ورفعت الأقلام، ولا مبدل غير الله .

وعندئذ باع المسلم دينه بعرض من الدنيا، راح يلعن الشيطان ويتبع خطواته، فآلبسنا الكفن يوم العرس، وناحت علينا النوائح ليلة الزفاف، وعزينا في مواكب الفرح، زعموا أنهم سيداونا من الفقر فعالجونا بالذل، زعموا أن سيداونا من الحمى فأصابونا بالطاعون، ومن هنا فنحن جيل الثرى، وهم جيل الثريا .

ثانياً: أن جيل الصحابة تمسك بالاتباع، وجعل من القرآن الكريم والسنة النبوية منهج تلق وتنفيذ لا منهج تحصيل ومتعة:

فحول صحابة رسول الله ﷺ أي القرآن، وكلام النبي ﷺ إلى منهج عملي؛ بل في صورة أشخاص يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، بينما جاءت الأجيال التالية لأجيال الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان فالتصق جيلنا بالثرى، بينما علا جيل الصحابة حتى جاوز الثريا .

إن القرآن - وإن لم يتغير ولم يتحرف - فهو كالسيف يعمل بغير بطل، والعين لا تعمل بغير إنسان، وقد قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأُمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجنات: ١٨) . فإما الشريعة وهدى الله تعالى، وإما أهواء الذين لا يعلمون، إما هدى الله تعالى، وإما خطوات الشيطان .

فهم صحابة رسول الله ﷺ أن القرآن لا بد له من ترجمة عملية كبرهان ودليل على صحة إيمانهم به، فإذا بهم يقرءونه، ويفهمونه، ثم يعملون به، هذا هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول - بعد وفاة رسول الله ﷺ - : «لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن

أَرِيعَ^(١)

لقد كانت هذه الآية كفيلة بقتل الصحابة رُعيًا، فكلهم كان يخشاها إذ قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣). وبمثل هذا رجع إيمان أبي بكر على إيمان الأمة، إن وضعنا في ميزان لرجح ميزانه وحده.

هذا قوله، أما فعله رضي الله عنه فإنه صادق كقوله: «لما كان رسول الله ﷺ في مرضه الذي توفي فيه جهزَّ عليه السلام جيشًا لغزو الروم على تخوم^(٢) البلقاء، وجعل اللواء لأسامة بن زيد رضي الله عنه، وكان أصغر الصحابة رضي الله عنهم في الجيش، ويتوفى النبي ﷺ تاركًا الجيش على أهبة الاستعداد، فأراد الصحابة من أبي بكر رضي الله عنه أن يعيد جيش أسامة ليتنفع به المسلمون في حرب أهل الردة، أو أن يغيره بقائد آخر يكبره سنًا، فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله الذي لا إله غيره، لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ، ولو أن الطير تخطفنا، ولو أن السباع حول المدينة، ولو لم يبق في القرى غيري، ما رددت جيشًا وجهه رسول الله ﷺ، ولا حللت لواءً عقده رسول الله ﷺ». فأرسل أبو بكر رضي الله عنه جيش أسامة، فكانت العرب تريد الردة فيقولون: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم، فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم، ورجعوا سالمين^(٣) فثبت الجميع على الإسلام بحمد الله عز وجل.

وساعة ارتد العرب، وأراد الصحابة - وفيهم عمر رضي الله عنه - من أبي بكر ألاَّ يقاتل العرب لعدم قوة المسلمين لهم إذا بأيي بكر رضي الله عنه يقول: «والله لأقاتلنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الزَّكَاةِ وَالصَّلَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَلَوْ مَنَعُونِي عَقَالَ بَعِيرٍ كَانُوا يُوَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهِ»^(٤).

(١) رواه البخاري (٣٠٩٣) في فرض الخمس، مسلم (١٧٥٩ / ٥٢ - ٥٤) في الجهاد والسير.

(٢) تخوم: حدود.

(٣) البداية والنهاية (٦/ ٦٩٧، ٦٩٨).

(٤) رواه البخاري (١٤٠٠) في الزكاة، مسلم (٢٠) في الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه.

لقد كان شعاره رضي الله عنه: لا أطيع رسول الله حياً وأعصيه ميتاً!! فقد سفينه الأمة بجرأة ومهارة، ومهد الطريق لمن بعده، إذ ذاق حلاوة الإيمان حين رضي بالله ورسوله وحكمهما، «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً»^(١).

وهذه سهلة بالدعوى واللسان، صعبة عند الاختبار والامتحان، لقد كان الصحابة يقرءون هذه الآية جيداً ويعرفون ما فيها ويعملون به: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥). ثم هم يقرءون الآية الأخرى ليعملوا بها: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الاحزاب: ٣٦). فرفعوا شعار: بِمِ أَمْرِ رَبِّنَا؟ لَا: لِمِ أَمْرِ رَبِّنَا؟ فلا تنطع ولا تعمق، ولا سؤال عن حكمة، ولا تميع لدين الله، ولا تضيق لأمره بين القيل والقال وكثرة السؤال.

تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «يَرْحَمُ اللَّهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُولَى؛ لَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يُضْرَبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ (النور: ٣١). شققن مروطهن^(٢) فاخترمن بها»^(٣). فلنعم الاستجابة لأمر الله تعالى.

وعن أبي أسيد الغفاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج من المسجد يوماً فوجد الرجال قد اختلطوا مع النساء في الطريق، فقال ﷺ للنساء: «اسْتَأْخِرْنَ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ، عَلَيْكُنَّ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ». يقول أبو أسيد رضي الله عنه: «فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ، حَتَّى إِنْ ثَوَّبَهَا لِيَتَعَلَّقَ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ»^(٤). فالمسألة بالنسبة للصحابة الكرام: نكون بالإسلام، وبغيره لا نكون.

يخرج عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يريد مسجد رسول الله ﷺ - كما عند البيهقي في الدلائل - بينما رسول الله ﷺ يخطب الصحابة، فسمع عبد الله وهو

(١) رواه مسلم (٥٦/٣٤) في الإيمان عن العباس عم رسول الله ﷺ.

(٢) مروطهن: ج (مرط) وهو الإزار، واخترمن: غطين وجوههن.

(٣) رواه البخاري (٤٧٥٨) في التفسير.

(٤) حسن الإسناد: أبو داود (٥٢٧٢) في الأدب.

خارج المسجد رسول الله ﷺ وهو يقول: «اجلسوا». فجلس عبد الله مستسلماً لأمر رسول الله ﷺ - وهو لا يعلم حكمة الأمر - حتى فرغ النبي عليه السلام من الخطبة، فلما أخبروه بخبر عبد الله قال عليه السلام: «زادك الله حرصاً على طواغية الله ورسوله ﷺ». وبلغ الانصياع لله ولرسوله ﷺ وأمرهما ذروته كما يروي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إذ قال: «بينما الناس يصلون الصُّبح في مسجد قُباء، إذ جاءَ جاءَ فقال: أنزل الله على النبي ﷺ قرآنًا أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها، فتوجَّهوا إلى الكعبة» (١). لقد تحولوا وهم في الصلاة لم يقطعوها كما تدل الروايات - فاستداروا وهم يصلون - مستجيبين لأمر الله طواغية الله عز وجل ولرسوله ﷺ.

وها هو أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه يوم أنزلت: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٢). كان أحب ماله إليه «بئرحاء»، وكانت مستقبله المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخل إليها فيشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت الآية قال أبو طلحة: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٢). وإن أحب أموالي إليَّ «بئرحاء» وإنها صدقة لله، أرجو برّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال ﷺ: «بخ، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلّت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين». فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه (٢). وهو هو أبو طلحة لما كبرت سنه وبلغ السبعين فقرأ قول الله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: ٤١). فقال لأولاده: أي بني جهزوني. قالوا: نحن نغزو عنك، قد عذرنا الله. فقال: أي بني، والله ما أرى الله إلا قد استغفرنا شيوخاً وشباناً فجهزوني.

يُشْبِهُ الرَّعْدَ إِذَا الرَّعْدُ رَجَفَ ★ يُشْبِهُ الْبَرْقَ إِذَا الْبَرْقُ خَطَفَ
لقد جهزوه فركب البحر غازياً في سبيل الله، فتوفاه الله وهو في السفينة فلم يجلدوا جزيرة لدفنه مدة سبعة أيام فما تغيّرت جثته ولا أنتنت.

(١) رواه البخاري (٤٤٨٨) في التفسير، مسلم (٥٢٦/ ١٣، ١٤) في المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) رواه البخاري (١٤٦١) في الزكاة، مسلم (٩٩٨/ ٤٢، ٤٣) في الزكاة عن أنس رضي الله عنه.

لو كان دليلاً لكان ليلة قدره ولو كان يوماً لكان يومي عيده ومن بعدهم جاء جيل التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، هذا هو الإمام مالك رحمه الله يقول: إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه. ويدخل رجل على الشافعي فيسأل عن حديث فيقول الشافعي: إنه صحيح. فقال قائل: أنقول به يا أبا عبد الله؟ فاضطرب الشافعي وقال: يا هذا، أرايتني نصرانياً؟! أرايتني خارجاً من كنيسة؟ أرايت في زناراً؟! أروي حديثاً عن رسول الله ﷺ ولا أقول به؟! ثم قال: اشهدوا أنني متى رويت حديثاً عن رسول الله ﷺ ولم أعمل به فلإن عقلي قد ذهب^(١).

بهذا عزوا و سادوا وكانوا جيل الثريا بحق، حتى جاء من يستهين بأحكام الشرع ولا يقيمها حق إقامتها فصار أفراد الجيل في الثرى متمرغين فيه متلذذين به، يقفون عند أقوال المشايخ والطوائف وما يأمر به الهوى، حتى صار المسلم إمام نفسه، وهواه قائده وسائقه، ولأن يلقى الله العبد بكل ذنب خلا الشرك خير له من أن يلقى الله تعالى وهذه حاله.

ولو أراد أفراد هذا الجيل أن يلحقوا بركب الصحابة فعليهم أن يعلموا أن طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله ﷺ تعني: كمال الانقياد والتسليم، والخضوع والانصياع، والذلة لأمر الله تعالى ونواهيه، ولو خالف المرء رأي شيخه وطائفته وهواه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر: ٧). فإن لم يجد المسلم جواباً لمسألة في الكتاب أو السنة انصرف إلى أقوال الصحابة، حيث فعل الصحابة والسلف هو الفصيل دائماً في التفرقة بين السنة والبدعة، ويرحم الله عامراً الشعبي يوم سُئل عن مسألة فقال: قال فيها عمر كذا، وقال علي فيها كذا. فقال السائل: وأنت يا أبا عمرو ما تقول؟ فقال: وما تصنع بقولي بعد أن سمعت مقالة عمر وعلي؟

إن التمسك بالسنة مع سف التراب خير من التفريط فيها ولو غمضة عين من

(١) مفتاح الجنة (٦) للسيوطي، أبو نعيم (١٠٦/٩) في الحلية، البيهقي (١٧٤/١) في مناقب الشافعي بسند صحيح إليه.

عيش في الترف والثراء، وملء البطون، وخليج صاف خير من بحر كدر.
ثالثاً: أن جيل الصحابة كان لديه التميز في معاداة الكفر وأهله، فصحَّ عندهم مفهوم الولاء والبراء:

ففهم صحابة رسول الله ﷺ أن عبودية الله تعالى لا تسمح بموالة الكفر وأهله، ولا بموالة أي عدو لله تبارك وتعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة: ٢٢).

وقد كان جيل الصحابة بحق جيل الثريا، فتميزوا في مفاصلة الكفر وأهله، فكان الرجل يسلم فيخلع عن نفسه كل ماضيه الجاهلي، يدخل بيته فيزيل كل أثر من آثار الكفر ويمحوه، فينفصل عن حياته الماضية تماماً، ويكره أن يعود إلى الكفر، فذاقوا حلاوة الإيمان، كما روى أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يَقْذِفَ فِي النَّارِ»^(١).

فدخل الصحابة في دين الله بنفوسهم وقلوبهم وعقولهم، فكانوا كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ (البقرة: ٢٠٨). فخاصموا كل ما يعادي الإسلام وأهله ويخالفه، لسان الحال والمقال:

مَنْ كَانَ مِنَّا فِإِنَّا مِنْهُ وَمَنْ شَرَّكَ رَدُّ
ليس الفستى من توارى إِنَّ الْفِستى مَنْ تَصَدَّى

لما عقد رسول الله ﷺ عقد الحديبية مع قريش وماذ أباً سفيان، فأعانت قريش بكرةً على خزاعة^(٢)، فنقضت قريش العهد، وشعر أبو سفيان بالخطر، فأراد أن يذهب إلى المدينة ليشد العقد، ويرى من يشفع له عند رسول الله ﷺ، فأراد

(١) رواه البخاري (١٦) في الإيمان، مسلم (٦٧/٤٣) في الإيمان.

(٢) بكر: قبيلة حالفت قريش، وأما خزاعة فحالفت النبي ﷺ.

الدخول على ابنته أم حبيبة رضي الله عنها زوج رسول الله ﷺ وأم المؤمنين فأراد أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ، طوت أم حبيبة عنه الفراش فقال أبو سفيان: يا بُنَيَّةُ! ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراشُ رسول الله ﷺ، وأنت مشرك نجسٌ. فقال: والله لقد أصابك بعدي شرٌّ^(١). فخرج أبو سفيان من عندها وقد علم أن الإسلام حدٌّ فاصلٌ بين حياة الكفر والإيمان، وأنه لا قرابة تجمع بين المسلمين وبعضهم إلا العقيدة وهي أكرم خصائص الروح الإنساني، فليس المسلمون أمة تتجمع على الكلاُ والمرعى كالبهائم، يحدها الراعي بسورٍ وسياج، وإنما هي أمة تجمعها آصرة العقيدة، لا تفرق بينها عوامل الأرض، والجنس، واللغة، والنسب، التي تفسد وتفرق ولا تُجمع، إلا أن تربط العقيدة بين ذلك جميعاً ولقد ضربت أم حبيبة رضي الله عنها المثل - أروع المثل - في التبرؤ من أعداء الله ولو كان والدها الذي كان على الكفر يومئذ لم يسلم، حتى أيقن الرجل بأنه: إما إيمان يجمع الكل تحت مظلته، وإما كفر يجمع قوماً ويفرق بينهم وبين حزب الله من المفلحين المؤمنين الغالبين.

وغدوج آخر ينبعث صداه دالاً على صدق مفاصلة الصحابة مع الكفر، والتمييز عنه وعن أهله، إنه ثمامة بن أثال الحنفي رضي الله عنه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بعث النبي ﷺ خيلاً قبلَ نَجْدِ فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: ثمامة ابن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: «ماذا عندك يا ثمامة؟». فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تُنعم تُنعم على شاكِر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت. فتركه حتى كان الغد ثم قال له: «ماذا عندك يا ثمامة؟». فقال: ما قلت لك: إن تُنعم تُنعم على شاكِر. فتركه حتى كان بعد الغد فقال: «ماذا عندك يا ثمامة؟». فقال: عندي ما قلت. فقال: «أطلقوا ثمامة». فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليَّ، والله ما

(١) زاد المعاد (٣/٣٩٦، ٣٩٧) لابن قيم الجوزية.

كان دين أبغض إليَّ من دينك فأصبح دينك أحب الدين إليَّ، والله ما كان بلد أبغض إليَّ من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إليَّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر^(١). وفي رواية: فاغتسل وصلى ركعتين فقال رسول الله ﷺ: «لقد حسن إسلام صاحبكم»^(٢). فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟ قال: لا والله، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتیکم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ^(٣).

لقد كان ثمامة ملكاً من ملوك اليمامة، وهي ريف مكة ومصدر القمح الوحيد لقريش، وفوق هذا وذاك كان ثمامة رجلاً إذا قال فعل، لم يكن بائع كلام يلعن الشيطان بلسانه ويطيعه بجوارحه، لكنه نفذ ما أقسم عليه: منع القمح عن أهل مكة حتى جهدت قريش وأشرف الصغار والكبار فيها على الموت جوعاً، فاضطر أهل مكة أن يكتبوا إلى رسول الله ﷺ متوسلين قائلين: إنك تأمر بصلة الرحم، وقد قطعت أرحامنا^(٣)، قتلت آباءنا بالسيف، وأبناءنا بالجوع. فرق قلب النبي ﷺ لهم، وبعث إلى ثمامة أمراً إياه أن يرسل بالقمح إلى أهل مكة، فأطاع ثمامة وامتلأ، وأرسل الميرة إلى أهل مكة بعدما أمر رسول الله ﷺ^(٤).

كان هذا حال الصحابة في مفارقة الكفر والمفاصلة مع أهله، ولذا كانوا جيل الثريا خاصموا كل صورة من صور الشرك والكفر، أما جيل الثرى: جيل الذلّة والهوان، فإنه انحرف ومال، فلا ترى قرى الجليل وبلدانهم إلا كصورة لبلاد المغضوب عليهم والضالين لا تفترق عنها إلا في بعض المظاهر والشعارات، بل تخطى الأمر ذلك إلى تقليد أعمى لكل ما هو مخالف للإسلام: لهث وراء المادة، اكتساب من غير احتساب، سهر في غير طاعة، تجارة في لهو عن ذكر الله، حياة في غفلة، شغل في ضلالة، مشاقة لأحكام الله!!

(١) صحيح الإسناد: ابن حبان (٣٢٨١) موارد.

(٢) رواه البخاري (٤٣٧٢)، مسلم (١٧٦٤).

(٣) وما فعل، وإنما هم الذين قطعوا رحمه يوم كذبوه وحاولوا قتله، وجعلوه يهاجر من أرضهم.

(٤) زاد المعاد (١١٩/٢) ومختصر سيرة رسول الله ﷺ (ص ٢٩٢، ٢٩٣) للشيخ عبد الله النجدي.

أمة لم تتميز، تعشق الفن والطرب، تصدق كل غوي وغوية، ومنذ متى والغنم تصدق ذئبها؟ لو صدقته لانتقض عليها حتى جعلها فريسة له وضحية، ولقد صدقناهم فصرنا الضحية، صرنا الفريسة!!

إن المؤمن في خلاف دائم مع أعداء الله حتى يدخلوا في ديننا، فلا صداقة ولا مولاة، فهل لمحتم طيبة من حية؟! أم هل لمستم رقة من عقرب؟! إنهم حيات وعقارب فإن أطعناهم صرنا مثلهم: ضلّال، فسّاق، سيصينا الهوان، الحزي، العار، سنخوض إلى باطن الثرى إلا إذا تمسكنا بالوحي، وعاديننا أعداء الله.

﴿ذَلِكَ بَأْسَ اللَّهِ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ (محمد: ١١). ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ (المتحنة: ١). وشتان ما بين الثرى والثريا.

رابعاً: أن جيل الصحابة عرف الميزان الصحيح، والتقويم الدقيق لمنزلة الدنيا من الآخرة:

فعلموا أن لذة الآخرة أعظم وأدوم وألها كذلك، وأن لذة الدنيا أصغر وأحقّر وألها كذلك، فتركوا أقلّ اللذتين لتحقيق أعلاهما، فلم تكن قلوبهم متأرجحة بين الدنيا والآخرة؛ لأنهم خلصوها من كل ما يحول بينها وبين الجنة.

نساء رسول الله ﷺ كنّ من البشر لهن مشاعر البشر مع فضلهن وكرامتهن وقربهن من ينابيع النبوة، لما رأين الرخاء والنعمة مما أفاء الله على رسوله ﷺ وعلى المؤمنين راجعن رسول الله ﷺ، وأردن زيادة النفقة إلا أن رسول الله ﷺ لم يستقبل هذا الأمر بالرضا، لأنه كان يريد أن تكون حياته وحياة من يتصلون به بعيدة عن ملذات الدنيا وشهواتها، بعيدة عن الحرص والشره، فاحتجب رسول الله ﷺ عن الجميع، وقال الصحابة: طلق رسول الله ﷺ نساءه، ثم نزلت آية التخيير: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً (٢٨) وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾ (الاحزاب: ٢٨، ٢٩). فحمل رسول الله ﷺ الآيتين وذهب بهما إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فخيرها- وكانت أحب نساءه إليه- ليُعَلِّمَ أن محبة الله تعالى فوق كل محبة،

فتلا الآيتين وقال: «لا تعجلني حتى تستأمري أبويك - أي: تستشيرهما-». فقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «أفيك أستأمر أبوي يا رسول الله، بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة. فما عرض على واحدة منهن إلا اختارت الله ورسوله والدار الآخرة»^(١).

هذا هو الميزان الحق: الله ورسوله والدار الآخرة. لقد علمهم رسول الله ﷺ وعلمنا أن الدنيا بقاؤها قليل، وحلالها حساب، وحرامها عقاب، وما هي عند الله إلا أهون من جناح بعوضة.

يروى جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مرَّ بالسُّوقِ، داخلًا من بعض العالية، والناس كَفَفَتَهُ^(٢)، فمرَّ بجدي أسك^(٣) ميت، فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: «أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟». فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: «أتحبُّون أنه لكم؟». قالوا: والله لو كان حيًّا كان عيًّا فيه؛ لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: «فوالله! للدُّنيا أهون على الله من هذا عليكم»^(٤).

هكذا كشف لهم ﷺ عن حقيقة الدنيا وحقارتها، وربَّاهم على الزُّهد فيها، فكانوا جبالاً شُمًّا أسادًا، كلُّ يسير وحده كامة، والله لأن توضع السكين في رقبة أحدهم وحلَّتْه فتنفذ إلى الجهة الأخرى أهون عنده من أن يقدم الدنيا على الآخرة. لم يقفوا على الأبواب، ولم يتمسحوا على الأعتاب، استعلوا بالإيمان، فأعلاهم الله حتى صاروا جيل الثريا.

ها هو يوم اليمامة، أول مواجهات المسلمين الكبرى بعد وفاة رسول الله ﷺ، حارب المسلمون يومئذ (مُسَيْلَمَةَ الكَذَّاب) الذي اجتمعت معه بنو حنيفة من المرتدين، ومعهم السلاح والعتاد، وفوق هذا وذاك احتموا وتحصنوا بأسوار حديقته العالية التي سميت بـ«حديقة الموت» التي استشهد حولها عدد كبير من الصحابة رضوان الله

(١) القصة عند البخاري (٤٧٨٥) في التفسير، مسلم (١٤٧٥ / ٢٢) في الطلاق عن أم المؤمنين عائشة.

(٢) أي بجانبه.

(٣) أسك: بغير الأذنين.

(٤) رواه مسلم (٢ / ٢٩٥٧) في الزهد والرفائق.

عليهم، ويومها كان أول الجرحى الصحابي الجليل الأنصاري المتصدق بصاع يوم تبوك (أبو عقيل الأنصاري) رضي الله عنه فقد رُمي بسهم وقع بين قلبه ومنكبسيه في غير مقتل، فأخرج السهم، لكن مكان الإصابة وهى وضعف حتى إنه لا يستطيع الوقوف على شقه الأيسر، فجروه إلى الخيمة، وحمي القتال، فكانت الجولة الأولى لعدو الله مسيلمة والمرتين وكاد المسلمون أن يتجرعوا كأس الهزيمة، فصاح معن بن عدي الأنصاري رضي الله عنه: يا للأنصار؛ الله الله، والكرة على أعدائكم.

يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «فنهض أبو عقيل يريد الوقوف، فقلت: ما تريد؟ ليس لك قتال!! أنت جريح». فقال أبو عقيل: لقد نوه المنادي باسمي يا ابن عمر. قال ابن عمر: إنما قال: يا للأنصار، ولا يعنى الجرحى. قال أبو عقيل: لقد نوه المنادي باسمي يا ابن عمر، وأنا من الأنصار؛ لا والله الذي لا إله إلا هو لأجيئنه ولو زحفاً.

إِنَّ الطُّيُورَ وَإِنْ قَصَصْتَ جَنَاحَهَا * تَسْمُو بِفَطْرَتِهَا إِلَى الطَّيْرَانِ
يقول ابن عمر رضي الله عنهما: فتحزَّم أبو عقيل، وأخذ السيف باليمنى، ثم جعل ينادي: يا للأنصار، كرة كيوم حنين، يا خيل الله اركبي، يا خيل الله اثبتي، وبالجنة أبشري. ثم تقدم رضي الله عنه الصفوف وهو مصاب، يقول ابن عمر رضي الله عنهما: فظرت إليه وقد قطعت ذراعه المصابة، وبه أربعة عشر جرحاً كلها خلصت إلى مقتل، وهو في آخر رمق وقد هزم اللهُ عدوّه، فوقفت عليه فقلت: أبا عقيل. فقال بلسان ملتاث: لييك؛ لمن العاقبة؟ قلت- يعني ابن عمر-: أبشر، قد قتل عدو الله. فرفع إصبعه إلى السماء يحمد الله، ثم لقي الله^(١).

صَامَت لَا يَطِيلُ الْكَلَامُ * وَهُوَ بِصُمْتِهِ يَرْبِي الْأُمَمَ
لقد فهم أبو عقيل رضي الله عنه أن الدنيا بأسرها قليل، وبقاؤها قليل، ونصيبه من هذا القليل قليل، فبذل روحه لله وشعاره: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (طه: ٨٤). فبذل النفس والمال وباعهما والله منه اشترى، فما ضره أن يموت، لعلمه أن الله

(١) صفة الصفوة (١/ ١٨٨، ١٨٩) لابن الجوزي - ط - دار الفجر للتراث بتحقيقنا.

سيجبر مصيئته بالجنة، فبعد هذا يا نفس جنة ورضوان وخلود، فعلام يقدم الدنيا على الآخرة؟

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يفتحون البلاد؛ لا طمعاً في الدنيا ولا في المال، وإنما لنشر دين الله، فلم يهتموا بما كانوا يرونه من الحضارة المادية، لقد ذهبوا إلى مدينة «الرقة» فرأوا خبزاً رقيقاً ظنوه في بادئ الأمر: مناديل، فأخذوه بأيديهم فوجدوه أرغفة خبز، فلم يكن أحدهم يظن أن الخبز يبلغ هذه الدرجة من الرقة، لكنهم لم يتنبهوا لذلك، ولا أعاروه اهتماماً، ذلك أن أحدهم لم يكن يشتهي ما لا يجد، فإذا ما وجده يتصدق به، ولا يعيره اهتماماً، فهزموا أعداءهم وأنفسهم وشياطينهم، فعلوا وسموا حتى بلغوا الثريا، لم يذوبوا في حضارات غيرهم، وساعتها أذعن العالم كله لهم فهم جيل يصعب تكراره.

أمّا جيل الثرى فإنه رفع الطين، وباع الدين، نفوس المسلمين الآن في طلب الدنيا، كلاب أمانى، انشغلوا بدنياهم، ونسوا أخراهم، اعتبروا الدنيا رأس المال ومنتهى الآمال، يود أحدنا لو يعمر ألف سنة، فإذا جاء الموت جاءه وهو حزين ليخرج من الدنيا كارهًا للموت، نادماً على فراق دنياء، فصار المسلمون كالمسوخ كالدمى كالعرائس ككلاب تبحث عن فتات الموائد من بقايا الخبز والطعام.

وعرف العدو فينا هذا فبعثوا فينا الراقصة التي تحرك الحجر بأنوثتها، بالقلم الذي يشيع الفاحشة، بالممثلة التي تغري بالفجور، بالراقصة التي تحرك بأنوثتها الصخور، بالمخدر الذي يقتل الحياة والقلب والبدن والدين، بالكماليات التي تثقل الحياة، فانصرفنا إلى ذلك كله ناسين ما خلقنا لأجله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

هذا ما انصرف إليه الصحابة وهذا ما انصرفنا نحن عنه، فهم جيل الثريا، ونحن جيل الثرى، وشتان ما بين الثرى والثريا.

لقد اجتمع قيصر الروم مع بطارقته - يعني قواده - بعد معركة اليرموك فقال: «ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشراً مثلكم؟ قالوا: بلى. قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن. قال: فما

بالكم تنهزمون؟! فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل، ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر، ونزني، ونركب الحرام، وننقض العهد، ونغصب، ونظلم، ونأمر بالسخط، ونهوى عما يرضي الله، ونفسد في الأرض. فقال هرقل: أنت صدقتني^(١).

لقد كانت هذه الكلمات تشخيصاً لدائهم الذي تسلل إلينا حتى سرى في أوصالنا كسرطان لا يجدي معه علاجٌ، ولا ينفع دواءٌ، ولذا فقد اهتموا بتصدير هذا الداء بكل أعراضه إلينا، فتوجهت إليهم قلوب تحكم فيها الهوى وتربع على عروشها حتى تفسى فينا الداء فصار داءً عضالاً.

وحتى ننجح في التخلص من هذا الداء علينا بأمرين:

الأول: أن نسير على ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم.

والثاني: أن نواجه أسلحة أعدائنا الفتاة لنذيقها في أيديهم بالتعفف عنها، فما يفعل المرابي في قرية لا يتعامل أهلها بالربا؟ فلنعفف عن هذه المطاعم والمشارب التنتة كلها، ونغمض العين على كتاب الله عز وجل مستمسكين بالذي أوحى إلينا، فإذا ما تأكدوا أنه لا حاجة لنا بهم، تيقنوا أن لا حاجة لهم فينا ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وكيدهم.

إن قلم القدر حين كتب قصة الكون جعل النهاية فيها والكلمة العليا لأهل الإيمان من حزب الله وأهل الثريا، فإذا أردنا الانتصار والتمكين، فلنخرج جيلاً تربي على المبادئ التي ربي النبي ﷺ عليها أصحابه دون زيادة أو نقصان، وهو ما نرجوه في الصفحات التالية التي حاولنا أن نجعل سطورها تقطر تمسكاً بالكتاب والسنة لتكون ذخراً لنا عند الله تعالى أولاً، ثم نفعاً للمسلمين في تربية صغارهم ليكونوا جيل النصر الذي نشده، وليحققوا التمكين الذي نأمل فيه لديننا وقومنا.



مرحلة ما قبل الولادة تدابير اتخاذها الإسلام لحماية الولد قبل ولادته

أولاً: تحريم الزنا:

وقد أراد الله تعالى للمسلم أن ينشأ في أجواء يكتنفها الطُّهر والعفة بعيداً عما حرمه سبحانه من إتيان الفواحش فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ (الأعراف: ٣٣).

وقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ (الأنعام: ١٥١). ومن هذه الفواحش التي أكثر الإسلام في تحريمها: الزنا حيث كان حازماً في تحريم الزنا حيث قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٣٢).

كأنما قال: إياكم ومقدمات الزنا: النظرة، اللمسة، القبلة، العناق فهو كله زنا على اختلاف درجاته. يؤيد ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيْبِهِ مِنَ الزَّانَا لَا مُحَالَاةٍ: فَالْعَيْنَانِ زَنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زَنَاهُمَا الْاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زَنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زَنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرَّجُلُ زَنَاهَا الْمَشْيُ، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيَصْدُقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يَكْذِبُهُ»^(١).

وكذا حسم النبي ﷺ مسألة الزنا هذه بتحريم كل مراحلها وخطواتها التي يباركها الشيطان فيتدرج في نصب فخ الزنا للزاني حتى يقتل المرء إيمانه بيديه إذ «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»^(٢). ولسنا بصدد الإسهاب في هذا الأمر قدر ما نريد توضيح نهى السنة بعد القرآن عن الزنا وما يترتب عليه من أضرار مادية ومعنوية للولد المسلم القادم إلى الحياة قد تؤدي به إلى الهلاك.

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول

(١) رواه البخاري (٦٢٤٣) في الاستئذان، مسلم (٢٠/٢٦٥٧) في القدر من طريق ابن عباس عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الإيمان.

الله، ائذن لي في الزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه. فقال: «ادنه». فدنا منه قريباً قال: فجلس قال: «أتحبه لأملك؟». قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم». قال: «أفتحبه لابنتك؟». قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم». قال: «أفتحبه لأختك؟». قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم». قال: «أفتحبه لعمتك؟». قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم». قال: «أفتحبه لخالتك؟». قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم». قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه». فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت آية الملاعنة قال النبي ﷺ: «أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله الجنة»^(٢).
وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ولد الزنا شر الثلاثة»^(٣). وفي رواية: «ولد الزنا شر الثلاثة إذا عمل بعمل أبيه»^(٤).

وقال بعض أهل العلم: معناه أنه شر الثلاثة أصلاً وعنصراً ونسباً ومولداً، ذلك لأنه خلق من ماء الزاني والزانية، وهو ماء خبيث وقد روي في بعض الحديث: «العرق دساس». فلا يؤمن أن يؤثر ذلك الخبث فيه ويدب في عروقه فيحمله على الشر ويدعوه إلى الخبث وقد قال سبحانه في قصة مريم: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا

(١) حسن: أخرجه أحمد (٢٥٦/٥، ٢٥٧)، وهذا سند صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح كما في التقريب (٣٧٢/٢)، (١٥٩/١)، (٣٢٠/١)، (٣٦٦/١).
(٢) حسن: أخرجه الشافعي في مسنده (٣٩٣/٢)، وأبو داود (٦٩٥/٢) (٢٢٦٣) كتاب الطلاق باب التغليظ في الانتفاء، والنسائي في اللعان (١٧٩/٦)، وابن ماجه (٩١٦/٢) (٢٧٤٣)، وابن حبان (١٣٣٥)، والحاكم (٢٢/٢) وصححه ووافقه الذهبي، والبغوي في شرح السنة (٢٧٠/٩) (٢٣٧٤)، والدارمي في السنن (١٥٣/٢).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٧٢/٤) (٣٩٦٣)، والطحاوي في المشكل (٣٩١/١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥٧/١٠)، وأحمد (٣١١/٢)، والحاكم (٢١٤/٢)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (١٠٩/٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٩٢/٣)، والأوسط (١٨٣/١).

كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿مريم: ٢٨﴾ . فقصوا بفساد الأصل على فساد الفرع .

وقد روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ (الأعراف: ١٧٩) . أنه قال : «ولد الزنا مما ذرأ لجهنم» .

وكان مالك رحمه الله لا يجيز شهادة ولد الزنا على الزنا خاصة دون غيره من الشهادات للتهمة . وحكى ابن المنذر عن أبي حنيفة رحمه الله أن من ابتاع غلاماً فوجده ابن زنا كان له أن يردّه بالعيب . وكان عمر رضي الله عنه إذا قيل له : ولد الزنا شر الثلاثة ، قال : بل هو خير الثلاثة ، ووجهه أنه لا إثم له في الذنب الذي باشره والداه فهو خير منهما لبراءته من ذنبهما^(١) .

وقال تعالى : ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ (الأعراف:

٥٨) .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «لا يدخل الجنة ولد زنية...»^(٢) . وذلك لأنه مظنة كل شر وخبث ، وهو جدير ألا يجيء منه خير أبداً لأنه مخلوق من نطفة خبيثة ، وإذا كان الجسد الذي تربى على الحرام النار أولى به فكيف بالجسد المخلوق من النطفة الحرام^(٣) .

قلت : هذا صحيح لو نهج الولد نهج والديه في الوقوع في هذا القدر وإلا ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الإسراء: ١٥) .

وعلى كل حال ف الجريمة الزنا من أبشع الجرائم التي ترتكب ضد الشرف والأخلاق والفضيلة والكرامة ، وتؤدي إلى تقويض بناء المجتمع وتفتيت الأسر واختلاط الأنساب وقطع العلاقات الزوجية وسوء تربية الأولاد بل تفضي إلى ضياع الطفل الذي هو قتل له معنى ، فإن ولد الزنا ليس له ما يربيّه والأم بمفردها لا تستطيع تربيته

(١) الخطابي في معالم السنن (٢٧٢/٤ ، ٢٧٣) بتصرف .

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٣/٢) ، والدارمي (١١٢/٢) والبخاري في التاريخ الصغير (١٢٤) ، عبد الرزاق في المصنف (٢٠٥/٢) ، وابن خزيمة في التوحيد (ص٢٣٦) ، وابن حبان (١٣٨٢) ، والطحاوي في المشكل (٣٩٥/١) ، وأبو نعيم في الحلية (٣٠٧/٣ ، ٣٠٨) .

(٣) ابن القيم في الجواب الكافي (ص١٧٢) .

والقيام بشئونهم لقصور يدها، فيشب على أسوأ الأحوال ويصير عضواً فاسداً في جسد المجتمع الإنساني ينشر الحقد والبغضاء، ويث الفساد والإجرام لأنه ثمرة الجريمة البشعة المنكرة، وهي من أخطر أمور الحياة كلها بل أشدها تعلقاً بنظامها ودوام سعادتها وهنائها، وتماسكها وترباطها، ولذلك اهتم الشارع الحكيم بهذا الحد أكبر اهتمام صوناً للحياة الأسرية من الانهيار وحفظاً للروابط مما يتهدها من بلاء وأخطار، فذكر عقاب من لا يحفظ فرجه وبينه أعظم بيان وجعله من أشد العقوبات وأفظعها، وأوجب ألا تأخذنا شفقة ولا رحمة بالجناة، وأن يشهد إقامة الحد جماعة من المؤمنين فقال تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٢).

والزنا يندس شرف الأسرة ويلحق العار بالأهل الأبرياء نساءً ورجالاً بلا ذنب، ثم الجناية على الجنين الذي قد يولد من طريق الزنا ويأتي ثمرة هذه الجريمة فيتعرض للقتل وهو الغالب وإن عاش فالضياع والفساد والعار الملازم له طول حياته واحتقار المجتمع له ونفورهم منه حتى يصبح الموت أفضل عنده من هذه الحياة فإن من لم يثبت نسبه ميت حكماً.

وإذا تصورت ما يترتب على هذه الجريمة حينما تدخل الزوجة على أولادها وأسرته زوجها مولوداً ليس منهم وتقحم عليهم شخصاً غريباً عنهم يشاركهم بلا حق في معيشتهم وشرفهم واسمهم وميراثهم وكل خواصهم وما يتبع ذلك من أضرار جسيمة لا يعلمها إلا علام الغيوب علمت فظاعة هذه الجريمة ^(١).

ولذا كان النبي ﷺ أشرف الخلق على الإطلاق لانحداره من أنقى وأطهر الخلق، فعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، لم يصني من سفاح الجاهلية شيء» ^(٢).



(١) الفقه على المذاهب الأربعة (٤١/٥) بتصرف.

(٢) أخرجه البيهقي (٧/ ١٩٠) وعبد الرزاق كما في البداية والنهاية (٢/ ٢٥٦) وقال ابن كثير: وهذا مرسل جيد، والحديث في صحيح الجامع الصغير رقم (٣٢٢٥).

قضية ذات صلة: ولد الزنا:

ولاقتران قضية الزنا بالقتل فقد ربط الله تعالى بينهما في كتابه العزيز إذ قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٣٢). ثم أتبعها بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الإسراء: ٣٣). وذلك أن أكثر الزناة أول ما يفكرون، يفكرون في قتل الجنين الذي يتحرك في أحشاء الزانية التي تريد حفظ ماء وجهها، فتلجأ إلى إخفاء جريمة بجريمة أكبر وهي: الإجهاض- قتل الجنين في بطن أمه- بقصد التخلص من الفضيحة، ويا للأسى حين تعلم أن هذه التجارة- تجارة الإجهاض- صارت من أروج التجارات بعد كثرة الزواني اللاتي يلجأن إلى أطباء لا يخافون الله ولا يخشونه بعد أن غابت شمس العقيدة، فيشترك الجميع في كبرى الجرائم بعد الإشراك بالله: قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، ويحقق هؤلاء الأطباء أموالاً طائلة، وثراءً فاحشاً لا بارك الله لهم فيه.

وهذه جريمة لا شك عندنا في ذلك؛ لأن فيها إزهاقاً للروح التي برأ الله تعالى، وقتلاً للنفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا نعرف خلافاً بين العلماء في ذلك إلا في حالات الضرورة المقدرة بمعرفة العلماء الأثبات الثقات.

• جريمة قاسية شنعاء:

وعلى الجانب الآخر ترتكب جريمة لا تختلف عن سابقتها في وحشية المرتكب وسوء طويته، إذ أن بعض الزناة يلجئون إلى إلقاء الطفل الصغير وليد اللحظة أمام دور الأيتام، أو على ضفاف الأنهار والترع، وعلى أبواب المساجد، وفوق أرصفة الشوارع العامة؛ بل وعلى أكوام القمامة!! نعم، على أكوام القمامة حيث تكثر الجردان، والكلاب، والقطط، والحيات.

وهذه قصة واقعية رواها لي أصحاب المعروف فيها، فقد كان صديق لنا يسكن في مكان تحيط به أرض فضاء، ومن العادات المسترذلة المستقبحة: إلقاء القمامة في مثل هذه الأماكن، وحدث أن زوجته في يومٍ شاتٍ لفت نظرها أن كيساً أسود من أكياس القمامة فيه حركة غير عادية؛ كما أن الكيس قد التف حوله قطط وكلاب يحاولون فتحه ونهش ما فيه، فدفعها الفضول وزوجها إلى استكشاف ما في هذا الكيس خشية

وجود حيوان أو طائر فيه، فما هي إلا لحظات حتى بهتهم المفاجأة: إنها طفلة وليدة اللحظة- لا زالت المشيمة معلقة فيها- فذهبا سريعاً إلى أقرب مستشفى بالصغيرة حتى عثرا قدراً على والددة الصغيرة التي ادعى أهلها أمام الطبيب أنها لم تكمل حملها وأن وليدها قد توفي، وبمتهى التلطف اكتشف الرجل وزوجته- صاحبها المعروف- خبيثة هذه «الزانية» التي فعلت فعلتها ثم ألقت بثمرة الفؤاد، وفلذة الكبد نهبة للقطط والكلاب والجرذان.

ويا لله: لقد توسلوا إليهما بعدم الإعلان عن اسمها خشية الفضيحة، فرضخا لهم، وسلما الصغيرة إلى قسم الشرطة الذي أودعها بدوره إحدى دور رعاية الأيتام. وأغرب مما سبق كله: أن الزانية أمها، والزاني أبها تزوجا وأنجبا ولم يتحركا حتى كتابة هذه السطور لإخراج ابنتهما من هذا السجن، وتخليصها من العار الذي سيظل ملاحقاً لها طيلة العمر. هذا ما جناه الزنا على هذه الصغيرة التي ستظل- إن لم يرق لها قلب هذين- يلاحقها العار طيلة عمرها.

وهذا آخر زنا بامرأة فولدت له من الزنا حتى حار ماذا يفعل؟ فلم يجد هذا ال... إلا أن يسجل الوليد باسم أبيه، ليصبح وكده أخاً له!! ويرث ما لا يستحق، وهكذا اختلطت الأنساب، وزورت الشهادات، وسرقت الأموال، وارتكبت جريمة الغش «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»^(١).

إذن ماذا ينبغي أن يفعل بالجنين إذا طمت هذه الطامة؟ يأتي هنا حديث الغامدية، وهو عمدة في هذه المسألة، ففي حديث بُرَيْدَةَ رضي الله عنه أنه قال بعد ذكر قصة ماعز ورجمه: «... ثم جاءت امرأة من غامد من الأزْد فقالت: يا رسول الله! طهرني. فقال: «وَيْحَكَ! ارجعي فاستغفري الله وتوبى إليه». فقالت: أراك تريد أن تُرددني كما رددت ماعز بن مالك. قال: «وما ذاك؟». قالت: إنها حبلى من الزنى. فقال: «أنت؟». قالت: نعم. فقال لها: «حتى تضعي ما في بطنك». قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت. قال: فأتى النبي ﷺ فقال: قد وضعت الغامدية.

(١) رواه مسلم (١٠١/١٦٤) في الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فقال: «إِذَا لَا تَرْجُمُهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مِنْ يَرْضِعُهُ». وفي رواية: أنها أتته بالصبي في خرقه فقال: «أذهبى فأرضعيه حتى تَفْطَمِيهِ»^(١). فجاءت بعد بالصبي في يده كسرة حتى رجمها.

قال النووي رحمه الله: وفي هذا الحديث: «أَنْ مَنْ وَجِبَ عَلَيْهَا قِصَاصٌ وَهِيَ حَامِلٌ لَا يَقْتَصُّ مِنْهَا حَتَّى تَضَعَ، وَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ، ثُمَّ لَا تُرْجَمُ الْحَامِلُ الزَّانِيَةُ وَلَا يَقْتَصُّ مِنْهَا بَعْدَ وَضْعِهَا حَتَّى تَسْقِي وَلَدَهَا اللَّبَنَ، وَيَسْتَغْنِي عَنْهَا بِلَبَنٍ غَيْرِهَا»^(٢). وفي بعض روايات هذا الحديث أنه ﷺ قال لولي الغامدية: «أَحْسِنْ إِلَيْهَا فَإِذَا وَضَعْتَ فَائْتَنِي بِهَا». وهذا الإحسان له سببان:

الأول: الخوف عليها من أقاربها أن تحملهم الغيرة، ولحوق العار بهم أن يؤذوها، فأوصى بالإحسان إليها تحذيراً لهم من ذلك.

والثاني: أمر به رحمة لها إذ قد تابت، وحرّض على الإحسان إليها لما في نفوس الناس من النفرة من مثلها، وإسماعها الكلام المؤذي ونحو ذلك فنهى عن ذلك كله^(٣).

وما يظهر لنا في الحديث أنه:

أولاً: لا يجوز الإجهاض خشية الفضيحة، وإنما للأمور معالجات أخرى كالزواج بعد التوبة، إن لم يقم الحد، وإنما يبقى الجنين حتى تضعه الأم، فإن أجهضته فهي قاتلة هي ومن شاركها في الأمر.

ثانياً: ألاّ يسيء أحدٌ إلى هذه (الحامل الزانية) إن انتشر أمرها، فلا تُعيرَ بما فعلت إلا أن تفاخر به أو تعلن به عن علم.

ثالثاً: الوليد لا ذنب له، وإنما يرعى بمعرفة الإمام المسلم، أو أولي الأمر من العلماء، والله أعلم.

(١) رواه مسلم (٢٢/١٦٩٥)، (٢٣) في الحدود.

(٢) شرح النووي على مسلم (١٩٩/٦) ط - دار الفجر للتراث.

(٣) السابق (٢٠١/٦).

رابعاً: إذا حدث قتل للجنين بالإجهاض دون ضرورة وجب دفع دية هذا الجنين. لقد بلغ الإسلام مبلغاً عظيماً، ومدى هو الأبعد والأفضل في مدى احترام الجنين الإنساني قبل مجيئه إلى الحياة، عندما تطلب المحافظة على حياته داخل وخارج رحم الأم حتى ولو كان ثمرة علاقة غير شرعية في لحظات الضعف البشري، فقد نظر الإسلام إلى الابن الشرعي نظرة موضوعية كلها رحمة وشفقة، إذ لا بد له في أن يأتي هكذا، ومن ثمَّ وجب معاملته كغيره من ثمار العلاقة الطبيعية بين الرجل والمرأة كي يأخذ حظه في الحياة المعتادة، وعلى مَنْ كان السبب في مجيئه على هذه الطريقة أن ينال جزاء خطيئته وفق ما رسمه الشرع الحكيم لذلك حداً أو تعزيراً، وأمره من قبل ومن بعد لله تعالى وحده، وهو ما طبقه ﷺ مع الغامدية.

« دية الجنين:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: «اقتلت امرأتان من هذيل، فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها، فاخصصوا إلى رسول الله ﷺ، فقضى رسول الله ﷺ أن دية جنينها غرة: عبد أو وليدة، وقضى بدية المرأة على عاقلتها، وورثها ولدها ومن معهم. فقال حمل بن النابغة الهذلي: يا رسول الله! كيف أغرم من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل؟ فمثل ذلك يُطل. فقال رسول الله ﷺ: «إنما هذا من إخوان الكهان». من أجل سجعه الذي سجع^(١). وفي رواية أخرى^(٢) عن عمر رضي الله عنه أنه استشارهم في إملاص المرأة، فقال المغيرة: «قضى النبي ﷺ بالغرة عبد أو أمة».

« دلالة الألفاظ:

الجنين: حمل المرأة ما دام في بطنها، وهو مأخوذ من الاجتنان أي: الاستتار ومنه

(١) اللفظ لمسلم في كتاب القسامة باب دية الجنين مع شرح النووي (٢٥٤/٤) حديث رقم (٣٢)، وهو في البخاري في كتاب الديات، باب جنين المرأة مع فتح الباري (٢٤٧/١٢) حديث رقم (٦٩٠٤).
(٢) اللفظ للبخاري في الموضع السابق حديث رقم (٦٩٠٥) وهو في مسلم في الموضع السابق الحديث الأخير في الباب، وفي أبي داود في كتاب الديات، باب دية الجنين السنن (١٩١/٤) حديث رقم (٤٥٧٠).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ (الأنعام: ٧٦) (١). أي: ستره. فإن خرج الجنين حيًّا فهو ولد (ذكرًا كان أو أنثى)، وإن خرج ميتًا فهو سقط.

الغرة: فسرت في الحديث بأنها: عبد أو وليدة (جارية)، قال ابن حجر: «وتطلق الغرة على الشيء النفيس آدميًا كان أو غيره، ذكرًا كان أو أنثى. وقيل: أطلق على الآدمي غرة لأنه أشرف الحيوان، فلإن محل الغرة الوجه، والوجه أشرف الأعضاء» (٢).

الاستهلال: خروج المولود صائحًا صارخًا، يقال: أهل المولود إهلالًا خرج صارخًا، وأهل المحرم رفع صوته بالتلبية عند الإحرام، وكل من رفع صوته فقد أهل (٣).

إملاص المرأة: قال أبو داود: «بلغني عن أبي عبيد إنما سمي إملاصًا لأن المرأة تزلقه قبل وقت الولادة، وكذلك كل ما زلق من اليد وغيره فقد ملص» (٤). وقد جاء في رواية المغيرة بن شعبه التي ذكر فيها استشارة عمر في إملاص المرأة زيادة: فشهد له يعني ضرب الرجل بطن امرأته، أي: أن الإملاص للمرأة يكون من ضرب بطنها وهي حامل. قال ابن حجر: «وهذا التفسير أخص» (٥). يعني مما قاله أهل اللغة، فاللفظ عندهم يشمل إزلاق الجنين قبل وقت الولادة قال الخليل: أملت المرأة والناقة إذا رمت ولدها. وجاء في بعض الروايات: طرحت جنيها، وهو بمعناه.

• إسقاط الجنين بعد نفخ الروح:

يجمع الفقهاء كافة على أن الجنين إذا نفخت فيه الروح - وذلك لا يكون إلا بعد مائة وعشرين يومًا كما جاء في حديث ابن مسعود وغيره (٦) - فإنه يحرم إسقاطه

(١) انظر مادة جَنَّ في المصباح المنير (ص ١١٢).

(٢) فتح الباري (١٢/ ٢٤٩).

(٣) انظر مادة: هَلَّ في المصباح المنير (ص ٦٣٩).

(٤) سنن النسائي (٤/ ١٩١).

(٥) فتح الباري (١٢/ ٢٥٠)، وانظر: شرح النووي على مسلم (٤/ ٢٥٦).

(٦) حديث ابن مسعود متفق عليه، وقد جاء في كتاب القدر من صحيح البخاري (١١/ ٤٧٧)،

حديث رقم (٥٦٩٤)، قال: حدثنا رسول الله ﷺ - وهو الصادق المصدوق - قال: «إِنَّ أَخْذَكُمْ يَجْمَعُ فِي بطن أمه أربعين يومًا، ثم علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر =

وإجهاضه؛ لأنه جناية على حي خلقه الله بيديه، قد تكامل خلقه، ودخل في طور الحياة الإنسانية، وهذه الحرمة تشمل الجنين الذي جاء من نكاح أو من سفاح، فيحرم بإجماع الفقهاء الاعتداء على الجنين ولو كان من زنا بعد فترة مائة وعشرين يوماً.

فإن نزل الجنين حياً ثم مات ففيه دية كاملة يدفعها الجاني، ولو كان الجاني هو أمه ولا ترث في الدية، وإن نزل ميتاً ففيه غرة كما جاء في الحديث: عبد أو وليدة، قيمتها عند جمهور الفقهاء يساوي: خمسة من الإبل، أو خمسين ديناراً، أو مثقالاً (٥، ٢١٢ جزاماً ذهبياً)، أو ستمائة درهم عند جمهور الفقهاء، وعند الحنفية خمسمائة درهم، لأن الدية عندهم عشرة آلاف كما ذكرنا من قبل، وعند الجمهور اثنا عشر ألف درهم.

وتقدير الفقهاء للغرة مبني على أساس أن تكون الغرة مساوية نصف عشر دية الرجل، أو عشر دية أمه^(١)، سواء كان السقط ذكراً أو أنثى، عمداً كانت الجناية أو خطأ لكن في العمد تغليظ الدية.

وقد ذكر ابن حجر رواية عن ابن أبي عاصم حدد فيها الغرة بعشر من الإبل،

= بأربع: برزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح»، وانظر كيف جمع ابن قيم الجوزية، وابن حجر، وابن رجب الحنبلي بين هذا الحديث الذي فصل كل مرحلة عن الأخرى مرحلة النطفة، ومرحلة العلق، ومرحلة المضغة، وبين حديث حذيفة بن أسيد الذي رواه مسلم عن النبي ﷺ: «يدخل الملك في النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ليلة فيقول: أي رب ذكراً كان أو أنثى؟ فيكتنن، ويكتب عمله وأثره وأجله وورقه، ثم تطوى الصحيفة فلا يزداد فيها ولا ينقص». وهو يبين أنها مرحلة واحدة، لقد كانت محاولة التوفيق محاولة عظيمة أعجبت بعض الأطباء المعاصرين، قال الدكتور محمد على الباز في كتابه خلق الإنسان بين الطب والقرآن (ص ٤٠٣): «ونحن نرى أن الخلق كله يجمع في الأربعين، وفيها تفصيل ما أجمل كما يقول ابن القيم... إن النطفة والعلقة والمضغة والتخليق كلها تكون في الأربعين» وانظر: صفحة ٣٨٣ - ٤٠٤، وانظر كلام ابن حجر في شرح الحديث السابق في فتح الباري، الموضع السابق.

(١) انظر في ذلك بدائع الصنائع (١٠/٤٨٢٦)، والهداية مع تكملة فتح القدير وشرح العناية (١٠/٢٩٩، ٣٠٠)، وتفسير القرطبي (ص ١٨٩٢)، وبداية المجتهد (٢/٤١٥)، والموطأ مع شرح الزرقاني: (٤/١٨٣)، والمهذب مع تكملة المجموع (١٧/٣٨٥)، ومختصر الخرق مع المغني (١٢/٥٩) مسألة رقم (١٤٧٥).

ففي حديث ابن أبي أسامة: «وفي الجنين غرة عبد أو أمة عشر من الإبل أو مائة شاة»^(١). وسكت عن الحديث، فهذا نص في أن الغرة عشر دية الرجل^(٢)، وهو ما يقوي رأي القائلين بالتسوية بين دية الرجل والمرأة. فالغرة إذن هي عشر الدية، أو بعشر من الإبل، أو بقيمتها من الذهب بالغة ما بلغت على ما فصلناه من قبل.

وليست الدية هي الواجبة فقط على الجاني إن نزل الجنين حياً بل تجب الكفارة كذلك عند جمهور الفقهاء ما عدا الحنفية، وهي عتق رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين؛ لأنه قتل نفساً لها حق الحياة، وإن نزل ميتاً فيجب الكفارة أيضاً عند الشافعية والحنابلة^(٣)، أما مالك فقد استحسّن الكفارة ولم يوجبها. قال ابن رشد: «فأما الشافعي فإنه أوجبها لأن الكفارة عنده واجبة في العمد والخطأ، وأما أبو حنيفة^(٤) فإنه غلب عليه حكم العمد، والكفارة لا تجب عنده في العمد، وأما مالك فلما كانت الكفارة لا تجب عنده في العمد وتجب في الخطأ، وكان متردداً عنده بين العمد والخطأ استحسّن فيه الكفارة ولم يوجبها»^(٥). وتعدد العقوبتان السابقتان بتعدد الأجنة.

• إسقاط الجنين قبل نفخ الروح:

ذهب قلة من العلماء إلى جواز إسقاط الجنين قبل تمام أربعة أشهر أي: قبل نفخ

(١) فتح الباري: (٢٤٩/١٢).

(٢) هذا نص يؤيد اختيار شيخنا أبي زهرة في أن الغرة عشر الدية اجتهداً منه حسبما اختار التسوية، لكنه رحمه الله لم ينص على هذا الحديث انظر العقوبة (ص ٥٧٦).

(٣) المنهاج للنووي وشرح مغني المحتاج عليه (١٠٨/٤)، ومختصر الخرقى والمغني (٧٩/١٢) مسألة رقم (١٤٧٨).

(٤) ذكر الكاساني في بدائع الصنائع (٤٨٢٧/١٠) وما بعدها: «أن الرسول ﷺ لما قضى بالغرة على الضاربة لم يذكر الكفارة، مع أن الحمال حال الحاجة إلى البيان، ولو كانت واجبة لبيّنها؛ ولأن وجوبها متعلق بالنفس، والجنين نفس من وجه دون وجه».

(٥) بداية المجتهد (٤١٦/٢، ٤١٧) لكن ذكر القرطبي في تفسيره (ص ١٨٩٣)، أنه لا خلاف بين العلماء أن الجنين إذا خرج حياً فيه الكفارة مع الدية، واختلفوا في الكفارة إذا خرج ميتاً فقال مالك: فيه الغرة والكفارة، وقال أبو حنيفة والشافعي: فيه الغرة ولا كفارة، فثبت رحمه الله الكفارة عند المالكية ضمناً في الحالة الأولى وتصريحاً في الثانية، خلافاً لما أثبت ابن رشد والمعروف عن المالكية، وكذلك قوله عن الشافعية.

الروح، زاعمين أنه لا حياة فيه، ولا حرمة في إجهاضه، وذهب آخرون إلى الكراهة لأنه في مرحلة الحياة التي تشبه الحياة النباتية^(١)، لكن جمهور الفقهاء من المذاهب الأربعة: الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، حرموا الإجهاض إذا استبان صورة الأدمية في الجنين أو بعضها، بل إن المالكية لم يشترطوا الاستبانة، واشترطوا انفصال الجنين كلية عن أمه.

ويعبر الفقهاء أحياناً عن الاستبانة هذه بالتخطيط، يقول الكاساني: «وسواء استبان خلقه أو بعضه لأنه ﷺ قضى بالغرة ولم يستفسر فدل أن الحكم لا يختلف، وإن لم يستبن شيء من خلقه فلا شيء فيه لأنه ليس بجنين إنما هو مضغة»^(٢).

ويقول الغزالي في الوجيز^(٣): «لا شيء في إجهاض المضغة والعلة قبل التخطيط على الأصح». لكنه فصل في الإحياء فقال: «وليس هذا- أي: العزل ومنع الحمل- كالإجهاض والوآد لأن ذلك جناية على موجود حاصل، فأول مراتب الوجود وضع النطفة في الرحم، فيختلط بماء المرأة، فإفسادها جناية فإن صارت علقة أو مضغة فالجناية أفحش، فإن نفخت فيه الروح واستقرت الخلقة زادت الجناية تفاحشاً، ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الانفصال»^(٤).

وهذا ابن قدامة يقول: «فإن أسقطت ما ليس فيه صورة آدمي فلا شيء فيه لأننا لا نعلم أنه جنين، وإن ألفت مضغة فشهدت بثقات من القوابل أن فيه صورة خفية فيه غرة»^(٥). ويقول النووي: «وسواء كان خلقه كامل الأعضاء أو ناقصها أو كان مضغة

(١) المرحلة النباتية كما ذكرها بعضهم هي الواقعة بين الأربعين يوماً والمائة والعشرين يوماً، وما قبل الأربعين يسمى المرحلة الخلوية أي حياة الخلية انظر في ذلك: عصمة دم الجنين المشوه للدكتور محمد الحبيب بن الخوجة (ص ٢٧٠) من مجلة المجمع الفقهي الإسلامي الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

(٢) بدائع الصنائع (ص ٤٨٢٥)، وقال الزيلعي في تبين الحقائق (٦/١٤٢): «والجنين الذي استبان بعض خلقه كالتمام في جميع ما ذكرنا من الأحكام لإطلاق ما رويناه أي الأحاديث السابقة وما في معناها.

(٣) (ص ١٥٧)، وانظر تكملة المجموع (١٧/٢٨٣).

(٤) إحياء علوم الدين (٢/٥٣).

(٥) المغني (١٢/٦٣)، وانظر الفتاوى للشيخ شتلوت (ص ٢٨٩ - ٢٩٢)، طبعة دار الشروق الطبعة الثامنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، وفتاوى شرعية للشيخ حسنين مخلوف (١/٢٥٧)، طبعة مصطفى الحلبي، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ - ١٩٥٦م.

تصور فيها خلق آدمي^(١).

أما المالكية فقد شددوا كما رأينا عند الغزالي فقال الدردير: «لا يجوز إخراج المني المتكون في الرحم ولو قبل الأربعين»^(٢). قال الدسوقي: «هذا هو المعتمد»^(٣). ويقول برشد: «قال مالك: كل ما طرحته من مضغة أو علقه مما يعلم أنه ولد»^(٤). ودليلهم أن الرسول ﷺ لم يستفصل هل استبانة خلقة أم لا. لكن الناظر في عبارة الإمام مالك التي نقلها ابن رشد يلاحظ فيها أنه قريب من رأي الجمهور وهو قوله: «مما يعلم أنه ولد»، ولا يكون ذلك إلا عند التخطيط أو الاستبانة كلها أو بعضها.

ونستطيع أن نستعين برأي الطب في هذا يقول الدكتور الطيب محمد علي البار: «إن مرحلة تكوين الأعضاء أهم مرحلة في تكوين الجنين، وتبدأ هذه الفترة في الأسبوع الرابع وتنتهي في الثامن»^(٥)، «وتكون في أوج نشاطها في الأسبوع السادس»^(٦).

وإذا كان الفقهاء قد اشترطوا الاستبانة كلها أو بعضها فإن الطب يقرر أن الاستبانة تبدأ من الأسبوع الرابع أي: في حدود ثمانية وعشرين يوماً، فإذا نزل السقط قبل ذلك وسيكون في الأغلب دون استبانة ولا تخطيط فلا غرة ولا كفارة إذن، أما بعد ذلك ففيه الأحكام السابقة، كما في الجنين الذي أجهض بعد نفخ الروح.

فيحرم إذن كل أنواع الإجهاض بعد استبانة الصورة الآدمية كلها أو بعضها، سواء كان الجنين من نكاح أو من سفاح كما قلنا، أو كان الجنين سوي الخلقة أو مشوهاً ما دام قد تشكلت أعضاؤه أو بعضها، والله الحكمة في هذا التحريم المتعلق بالمشوهين

(١) شرح النووي على مسلم (٢٥٣/٤).

(٢، ٣) الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي عليه (٢٦٦/٢ - ٢٦٧).

(٤) بداية المجتهد (٤٦٦/٢) وقال: «والأجود أن يعتبر نفخ الروح فيه» وهو خلاف الجمهور.

(٥) خلق الإنسان بين الطب والقرآن (ص ٣٩٥) الطبعة السابعة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

(٦) المصدر السابق (ص ٣٧٨)، ومن كلام الطب هذا يستدل على خطأ قول بعض الفقهاء على ما

ذكره ابن عابدين في الحاشية (٥٩٠/٦): «أنه لا يستبين خلقه إلا بعد مائة وعشرين يوماً».

وبقائهم على ما هم عليه من التشوه كأنه يكون فيهم وبهم موعظة وعبرة للناس، ويكون لهم في الآخرة الجزاء الأوفى من رب رحيم^(١).
ونهي دية الجنين بمسألتين:

الأولى: هل يجوز إجهاض الجنين بعد استبانة خلقه أو بعضها إذا ثبت من طريق موثوق به أن بقاءه بعد تحقق حياته يؤدي لا محالة إلى موت الأم؟
لقد أجاب الشيخ شلتوت رحمه الله تعالى عن هذا السؤال الذي طرحه على لسان الفقهاء بقوله: «إن الشريعة بقواعدها العامة تأمر بارتكاب أخف الضررين، فإن كان في بقاءه موت الأم، وكان لا منقذ لها سوى إسقاطه، كان إسقاطه في تلك الحالة متعيناً، ولا يضحي بها في سبيل إنقاذه لأنها أصله، وقد استقرت حياتها، ولها حظ مستقل في الحياة، ولها حقوق، وعليها حقوق، وهي بعد هذا وذاك عماد الأسرة، وليس من المعقول أن نضحي بالأم في سبيل الحياة لجنين لم تستقل حياته، ولم يحصل على شيء من الحقوق والواجبات»^(٢).

وقد تصور ابن عابدين رحمه الله تعالى من قبل سؤالاً قريباً من هذا وأجاب بقوله: «لو كان الجنين حياً، ويخشى على حياة الأم من بقاءه، فإنه لا يجوز تقطيعه؛ لأن موت الأم به موهوم، فلا يجوز قتل آدمي لأمر موهوم»^(٣).

أما رأي الطب فيما افترضه الشيخ شلتوت فهو: أنه ليس هناك مرض يلجئ إلى قتل الجنين إنقاذاً للأم إلا حالة تسمم الحمل، يقول الدكتور البار: «ولا يجوز قتله (الجنين) بحال من الأحوال إلا في الحالة التي ذكرها الشيخ شلتوت رحمه الله وهي أن بقاءه يسبب هلاك الأم، ولا أعلم أن هناك من الأمراض ما يجعل هلاك الأم محققاً إذا هي استمرت في الحمل إلا حالة واحدة هي تسمم الحمل، حتى في هذه الحالة لا يحتاج الطبيب إلى قتل الجنين بل إلى إجراء الولادة قبل الموعد المحدد، إما

(١) انظر بحث: عصمة دم الجنين المشوه (ص ٢٨٣) من مجلة المجمع الفقهي الإسلامي.

(٢) الفتاوى (ص ٢٩٠).

(٣) حاشية ابن عابدين (١/٦٠٢) كذا ذكره الدكتور الخوجة في عصمة دم الجنين المشوه وبحث عنه

في النسخة التي لدي فلم أجده.

بحقن الأم بمادة الأوكسيتوسن، أو البروستاجلاندين، أو بإجراء عملية قيصرية، وأغلب هذه الحالات تسلم ويسلم وليدها معها، ونتيجة للتقدم الطبي الهائل فإن قتل الجنين لإنقاذ الأم يصبح لغوًا لا حاجة له في أغلب الحالات المرضية»^(١).

• حكم إسقاط الجنين البالغ التشوه:

لكن ما الحكم إن أصيب الجنين نفسه بتشوه بالغ، «مثل أن تتعرض الحامل للعلاج بالأشعة بكميات كبيرة لمداواة سرطان في عنق الرحم مثلاً، أو تعاطي عقاقير السرطان، والأورام الخبيثة التي تقتل الجنين أو تحدث فيه تشوهاً بالغاً، أو أن الأم أصيبت بالحصبة الألمانية في الشهر الأول من الحمل واحتمال تشوه الجنين كبير جداً (٧٠٪)؟ في هذه الحالات جميعاً لا نرى ما يمنع من إجراء الإجهاض قبل الأربعين (٥٤ يوماً منذ آخر حيضة حاضتها المرأة)، وفي حالة السرطان وتعاطي الأشعة والعقاقير الخطيرة لا نرى ما يمنع من إسقاط الجنين أيضاً في الفترة ما بين ٤٠-١٢٠ يوماً، إذا لم يتم معرفة السرطان قبل ذلك.

أما بعد ذلك فلا يجوز إسقاط الجنين لإجماع الفقهاء على حرمة حياته إلا في حالة كون حياته خطراً على حياة أمه، فنقدم آنذاك حياتها على حياته لأنها أصله، وهذا ما أفتى به الشيخ شلتوت وجمهرة من الفقهاء المتأخرين»^(٢).

هذا ما ذكره الدكتور الطبيب السيد علي البار في مقاله، وقد نقلنا عن أخيه الدكتور محمد من قبل من كتابه (خلق الإنسان) تفصيل حالة خطورة الجنين على حياة أمه، وقد نص فيه على أن الكلام عن أن قتل الجنين لإنقاذ الأم أصبح لغوًا لا حاجة له في أغلب الحالات المرضية، وإذا كنا قد بينا من قبل أن جمهور الفقهاء قد ربطوا الأحكام المتعلقة بقتل الجنين باستئانة الخلق أو بعضه، وقد ثبت طبيًا أن

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن (ص ٤٣٩)، وقد ذيل المؤلف على هذا الكلام بأن هناك بعض الأمراض تزداد سوءاً بالحمل، ثم نقل عن بعض المصادر الطبية أن إنقاذ حياة الحامل بواسطة الإجهاض هو أمر شديد الندرة.

(٢) بحث: الجنين المشوه أسبابه وتشخيصه وأحكامه للدكتور السيد علي البار (ص ٤٧٨)، ضمن مجلة المجمع الفقهي الإسلامي العدد الرابع ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

الاستبانة تبدأ في الأسبوع الرابع وتنتهي في الثامن، فلا مانع شرعاً إذا ثبت التشوه البالغ بشهادة طبيب مسلم حذق عدل من إجراء عملية الإجهاض قبل الأربعين.

أما إسقاط الجنين لضرورة ملجئة كالتشوه البالغ في الفترة ما بين ٤٠ إلى ١٢٠ يوماً فجمهور الفقهاء يحرم ذلك، وظاهر كلامهم ولو كان هناك تشوه بالغ لكنني وجدت ابن رشد يقول: «والأجود أن يعتبر نفخ الروح فيه، أعني أن يكون تجب فيه الغرة إذا علم أن الحياة قد كانت وجدت فيه»^(١). وتردد الرملي فقال: «لا يقال في الإجهاض قبل نفخ الروح خلاف الأولى، بل محتمل للتنزيه والتحريم، ويقوى التحريم فيما قرب من زمن النفخ لأنه جريمة». لكنه يبيحه بعذر الزنى قبل نفخ الروح فيقول: «لو كانت النطفة من زنى فقد يتخيل الجواز قبل نفخ الروح»^(٢). وبناء على هذه الضرورة التي يقدرها طبيب مسلم عدل حذق في تخصصه، وعلى ما ذكره ابن رشد والرملي، ونقله ابن عابدين عن ابن وهبان من أن إباحة الإسقاط محمولة على الضرورة فإنه يجوز إسقاط الجنين في هذه الفترة ما بين ٤٠ إلى ١٢٠ يوماً.

أما بعد ذلك فيحرم بالإجماع إسقاط الجنين لأي سبب كان؛ لأن الاعتداء عليه اعتداء على آدمي معصوم الدم، إذ يمكن التأكد من حياة الجنين بسماع دقات قلبه بيسر، فإجهاضه يعد جريمة قتل، فإن نزل حياً ثم مات ففيه الدية كاملة، وإن نزل ميتاً ففيه الغرة على ما بينا من قبل، وهذا أمر لا ينتبه له كثير من الأطباء في البلاد الإسلامية إلى يومنا هذا، ولا الهيئات القضائية كما يقول الدكتور السيد البار.

المسألة الثانية: أن الطبيب إذا أخطأ فعليه الضمان قال ابن رشد: «وأجمعوا على أن الطبيب إذا أخطأ لزمته الدية... ولا خلاف أنه إذا لم يكن من أهل الطب أنه يضمن لأنه معتد»^(٣). قلت: وهذا ما ترتاح النفس إليه.

(١) بداية المجتهد (٤١٦/٢).

(٢) نهاية المحتاج للرملي (٤١٦/٨)، وانظر: عصمة دم الجنين المشوه (ص ٢٧١، ٢٧٢).

(٣) بداية المجتهد (٤١٨/٢) ومثل لخطأ الطبيب فقال: «مثل أن يقطع الحشفة في الختان، وما أشبه ذلك؛ لأنه في معنى الجاني خطأ»، وعن مالك رواية: «أنه ليس عليه شيء، وذلك عنده إذا كان من»



ثانياً: تحريم نكاح المتعة^(١) :

ونكاح المتعة يعني: «تزويج المرأة إلى أجل فإذا انقضى وقعت الفرقة»^(٢)

عن الربيع بن سمره الجهني أن أباه حدثه أنه كان مع رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً»^(٣)

وعن عروة بن الزبير أن عبد الله بن الزبير قام بمكة فقال: «إن ناساً أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يفتنون بالمتعة يُعَرِّضُ برجل فناده فقال: إنك لجلف جاف فلعمري لقد كانت المتعة تفعل على عهد إمام المتقين - يريد رسول الله ﷺ - . فقال له الزبير: فجرب بنفسك فوالله لئن فعلتها لأرجلُك بأحجارك». قال ابن شهاب: فأخبرني خالد بن المهاجر بن سيف الله بينا هو جالس عند رجل جاءه رجل فاستفتاه في المتعة فأمره بها فقال له ابن أبي عمرة الأنصاري: مهلاً. قال: ما هي؟ والله لقد فعلت في عهد إمام المتقين. قال ابن أبي عمرة: «إنها كانت رخصة في أول الإسلام لمن اضطر إليها كالميتة والدم ولحم الخنزير ثم أحكم الله الدين ونهى عنها»^(٤).

وقال علي رضي الله عنه لابن عباس رضي الله عنهما: «إن النبي ﷺ نهى عن المتعة وعن الحمر الأهلية زمن خيبر»^(٥).

= أهل الطب». نقلاً عن أستاذنا الدكتور: إسماعيل سالم عبد العال رحمه الله من كتاب تفسير النصوص وآيات القصص والديات من (ص ٣٧١ - ٣٨٠).

(١) قاله الحافظ في الفتح (٧٢/٩) وكذا في عون المعبود للعظيم آبادي (٧٢/٦)، والباركفوري في تحفة الأحوذى (٢٦٧/٤).

(٢) أخرجه مسلم في النكاح باب نكاح المتعة (١٠٢٥/٢) (٢١) (١٤٠٦)، والنسائي (١٢٦/٦) في تحريم المتعة، وابن ماجه (٦٣١/١) برقم (١٩٢٢)، والدارمي (١٤٠/٢)، وأحمد (٤٠٤/٣)، ومسند الحميدي (٨٤٦/٢، ٨٤٧)، والبغوي في شرح السنة (١٠٠/٩)، والباغندي في مسند عمر (ص ١٢)، والطبراني في الأوسط (١٧٤/١)، والطحاوي (١١٤/٢)، وابن أبي شيبه في المصنف (٤٤/٧)، والبيهقي في السنن (٢٠٣/٧).

(٣) أخرجه مسلم في النكاح باب نكاح المتعة (١٠٢٦/٢، ١٠٢٧) (١٤٠٦/٢٧).

(٤) أخرجه البخاري (٧١/٩) (٥١١٥)، ومسلم (١٠٢٧/٢) (١٤٠٧/٣٠).

(٥) قلت: ويلحق به نكاح المسيار الذي يتزوج المرأة طيلة وجوده في بلدها ثم يطلقها بعد.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إنما كانت المتعة في أول الإسلام، كان الرجل يقدم البلدة ليس له بها معرفة فيتزوج المرأة بقدر ما يرى أنه يقيم فتحفظ له متاعه وتصلح له شئته، حتى إذا نزلت الآية: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ (المؤمنون: ٦). قال ابن عباس: فكل فرج سواهما فهو حرام»^(١).

ثالثاً: تحريم نكاح الشغار:

وهو أن يتزوج هذا ولية هذا على أن يزوجه الآخر وليته أيضاً، سواء ذكراً في كل ذلك صداقاً لكل واحدة منهما أو لإحدهما دون الأخرى أو لم يذكر في شيء من ذلك صداقاً، كل ذلك سواء، يفسخ أبداً ولا نفقة فيه ولا ميراث ولا صداق ولا شيء من أحكام الزوجية ولا عدة^(٢).

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ نهى عن الشغار. زاد مسدد في حديثه: «قلت لنافع؟ ما الشغار؟ قال: ينكح ابنة الرجل وينكحه ابنته بغير صداق وينكح أخت الرجل وينكحه أخته بغير صداق»^(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا شغار في الإسلام»^(٤). وعن عبد الله بن هرمز الأعرج أن العباس بن عبد الله بن العباس أنكح عبد الرحمن بن الحكم ابنته وأنكحه عبد الرحمن ابنته، وكان جعلاً صداقاً فكتب معاوية إلى مروان يأمره بالتفريق بينهما وقال في كتابه: «هذا الشغار الذي نهى عنه رسول الله ﷺ»^(٥). والعلة في البطلان التعليق والتوقيف فكأنه يقول: لا ينعقد لك نكاح بنتي حتى ينعقد لي نكاح بنتك^(٦).

ولتأكيد قيمة الإنسان ومعناه حرمت السنة نكاح الشغار تكريماً للعلاقات الزوجية

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٩/٤) (١١٣١).

(٢) ابن حزم في المحلى (١٣١/١١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٦/٩) (٥١١٢)، ومسلم (١٠٣٥/٢) (٦١) (١٤١٦)، وأحمد (٧/٢)، والموطأ (٥٣٥/٢).

(٤) أخرجه مسلم (١٠٣٥/٢) (٦٠) (١٤١٦)، وابن ماجه (٦٠٦/١) (١٨٨٥).

(٥) أخرجه أبو داود (٥٦١/٢) (٢٠٧٥).

(٦) ذكره الحافظ في الفتح (٦٨/٩) عن القفال.

وارتفاعاً بها من مستوى العمل التجاري وتبادل المنافع وإظهاراً لقيمة الأسرة ومنزلة الزوجة، فإن الأسرة في نظر الإسلام هي الأساس الأصيل للمجتمع، وقد أقامها الله على رقي المشاعر وسمو العواطف. قال جل شأنه: ﴿هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧). وقال عز وجل: ﴿وَخَلَقْنَا مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (النساء: ١). إن كرامة الأسرة في نظر السنة لا تتفق مع مبدأ التبادل والمقايضة.

رابعاً: تحريم نكاح المحلل:

وهو ضرب من نكاح المتعة، وأصل ذلك أنه عقد عليها النكاح إلى أن يصيبها فإذا أصابها فلا نكاح له عليها^(١). وصورته: أن يطلق الرجل امرأته ثلاثاً فيتزوجها رجل آخر بشرط أن يطلقها بعد موافقته إياها لتحل لزواج الأول^(٢).

عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لعن الله المحلل والمحلل له»^(٣)

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بالتيس المستعار؟». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «هو المحلل لعن الله المحلل والمحلل له»^(٤)

وقال إبراهيم النخعي: «لا تحل إلا أن يكون نكاح رغبة فإن كانت نية أحد الثلاثة إما الزوج الأول أو الثاني أو المرأة التحليل فالنكاح باطل».

وقال سفيان الثوري: «إذا تزوجها على نية التحليل للأول ثم بدا له أن يمسخها لا يعجبني إلا أن يفارقها ويستأنف نكاحاً جديداً». وكذلك قال أحمد بن حنبل وقال مالك: «يفرق بينهما بكل حال»^(٥).

(١) الشافعي في الام (٧١/٥).

(٢) لسان العرب (ص ٩٧٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٦٢/٢) (٢٠٧٦)، والترمذي (٢٦٤/٤) (١١٢٩) في النكاح وقال: حسن صحيح، والنسائي (١٤٩/٦)، وابن ماجه (٦٢٢/١) (١٩٣٥)، والدارمي (١٥٨/٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠٨/٧)، والبغوي في شرح السنة (١٠٠/٩) (٢٢٩٣)، وأحمد (٤٤٨/١) (٤٢٨٣) شاكر، وقال: إسناده صحيح.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٦٢٣/١) (١٩٣٦)، والحاكم (١٩٩/٢)، وصححه ووافقه الذهبي، وقال ابن القيم في إغاثة اللهفان (٢٧٠/١): «رجال إسناده كلهم موثقون لم يجرح واحد منهم».

(٥) ذكره البغوي في شرح السنة (١٠١/٩)، والمباركفوري في التحفة (٢٢٦/٤).

وعن نافع قال: «جاء رجل إلى ابن عمر رضي الله عنهما فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثاً فتزوجها أخ له من غير مؤامرة منه ليحلها لأخيه. قال: لا إلا نكاح رغبة، كنا نعد هذا سفاحاً على عهد رسول الله ﷺ» (١).

والمحلل مع وقوع اللعنة عليه بالتيس المستعار مقرون، فهو يفعل ما تجلب عليه الملعنة والمقت، بلا زفاف ولا إعلان بل بالتخفي والكتمان فلا جهاز ينقل ولا فراش إلى بيت الزوج يحول ولا صواحب يهدينها إليه ولا مهر مقبوض ولا مؤخر ولا نفقة ولا كسوة تقدر ولا وليمة ولا شعار، والزوج يبذل المهر وهذا التيس يطاء بالأجر، ليظهرها بمائه النجس الحرام ويطيها بلعنة الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، فإنها لا تحل باللعنة الصريحة ولكنها تحل بالنكاح الجائز الصحيح (٢).

خامساً: تحريم نكاح الاستبضاع:

والاستبضاع: نوع من نكاح الجاهلية وذلك أن تطلب المرأة جماع الرجل لتنال منه الولد فقط، كان الرجل منهم يقول لأمته أو امرأته: أرسلني إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها فلا يمسه حتى يتبين حملها من ذلك الرجل وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد (٣).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء، فنكاح منها نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها، ونكاح آخر كان الرجل يقبل لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلني إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسه أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيها فإذا حملت ووضعت ومر ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها

(١) الحاكم (١٩٩/٢) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) قاله ابن القيم في إغاثة اللهفان (١/٢٦٨) بتصرف.

(٣) لسان العرب (ص ٢٩٧).



تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من أحببت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل، ونكاح الرابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع من جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة^(١)، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاطه^(٢) به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك، فلما بعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم^(٣).

وبهذا أيضاً يحرم كل شكل مخالف للزواج الذي شرعه الله تعالى من إيجاب وقبول، وشهود، وولي، ومهر ويندرج تحت هذا بعض الأشكال المستحدثة كالآتي:

- الزواج العرفي الذي يتم بعيداً عن الإشهار والولي، وتضيق به حقوق الزوجة ولا يكون إلا في جنح الظلام مع علم الجميع بحرمة حرمة قطعية.
- الزواج السري الذي لا يُشهر فيه الزواج إشهاراً كافياً.

- الزواج الوهمي: وهو حلال للنبي ﷺ دون غيره، بأن تهب المرأة نفسها للرجل.

- الزواج على طريقة آدم وحواء: والله **وَوَجَّ** آدم وحواء في السماء بشهود الملائكة، ومن مثل آدم وحواء، وشريعتهما قد نُسخَت، ولم يبق العمل إلا بشريعة الإسلام.

- الزواج المعروف باسم: زواج الدم، وهو زواج عبدة الشيطان وغيره من الملل غير الإسلام، يجرح الزاني إصبع الزانية أو أي مكان آخر ثم يسيل الدم فيلصق أحدهما بالآخر دمه كأنه سري في جسديهما!!

- زواج «الفريندز» ببقاء الرجل في بيت أهله، والمرأة في بيت أهلها على أن يلتقيا كل أسبوع للجماع!!

(١) القافة: جمع قائف وهو الذي يعرف شبه الولد بالوالد بالآثار الخفية. قاله الحافظ في الفتح (٩٢/٩).

(٢) التاطه: أي استلحقه به، وأصل اللوط: اللصوق. الخطابي في معالم السنن (٧٠٢/٢).

(٣) أخرجه البخاري (٨٨/٩) (٥١٢٧)، وأبو داود (٧٠٢/٢) (٧٠٣) (٢٢٧٢).

لقد حرّم الإسلام هذه الصور كلها ليحيط الوليد المسلم القادم إلى الحياة الدنيا بسياج من الطُّهر والعفاف حتى لا يجرح ذلك شعوره فيدمره من داخله، فيقتل فيه كل حسن وخير، ولا يُبقي فيه إلا كل شر.

تُرى ما هي حال اللقيط حين يعرف أن أمّه أنجبته في لحظة انحراف مزاجي؟ وما هي حال الآخر حين يتيقن أن اللحظة التي ولد فيها لحظة غاب عنها الإيمان والعفاف والخلق والشرف؟ أم ماذا إذا خرج فلم يجد أباه بجواره لأنه تنكّر له بعد زواج محرم أو غير موثق؟

ومن هنا اتخذ الإسلام كل التدابير التي تمنع حدوث القلق النفسي في الذرية، وصانها من كل أسلوب يورثها عتّاً وذلاً وضرراً نفسياً ومعنوياً ومادياً، وسبّة تلازمه وتطارده وذريته ما بقي في الحياة، ولو كانت الحياة كلاً مباحاً فوضوياً لفسدت الحياة وتعقدت الأمور.



أمور تضبط الحياة الزوجية قبل الزواج

(١) الترغيب في طلب الولد:

لقد استفاضت السنة المطهرة بالتوجيهات النبوية المباركة والحائنة على التناسل وكثرة الولد، فمنها ما رواه الحاكم وصححه في المستدرک قال ﷺ: «تزوجوا الودود الولود فإنني مكاثركم بهم الأم»^(١). وقال أيضاً: «امرأة ولود أحب إلى الله من امرأة حسناء لا تلد، إني مكاثركم بهم الأم يوم القيامة»^(٢). وقال عليه الصلاة والسلام في الولد: «الولد الصالح ريحان من رياحين الجنة»^(٣). ورتب الأجر على كثرة الولد وإن لم يعيشوا، فقال عليه الصلاة والسلام: «ما من الناس مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم»^(٤). وكذلك من رباهم وسهر عليهم حتى كبروا وكانوا صالحين، فإن أجره لا شك أكبر وأعظم. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «يا سعيد تزوج فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء»^(٥). وما ذلك إلا لطلب الولد والذرية، فقد كان لقيس بن عاصم رضي الله عنه اثنان وثلاثون ذكراً^(٦). وما ورد في السنة من الترخيص في العزل^(٧) مع الكراهية فإنه لا ينبغي أن يؤخذ من هذا الترخيص جواز استعمال حبوب منع الحمل ووسائل لعامة الناس، فإن هذا يتنافي مقصود الشارع الحكيم من حفظ النسل واستمراره^(٨).

(١) الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب النکاح، (ج ٢/ ص ١٦٢).

(٢) الهندي، كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، حديث رقم (٤٤٥٤٠)، (ج ١٦/ ص ٢٩٢، ٢٩٣).

(٣) الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (٧٢٥٤)، (ج ٤/ ص ٤٣١).

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في اولاد المسلمين (ج ٢/ ص ١٢٥).

(٥) الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب النکاح (ج ٢/ ص ١٦٠)، والحديث صحيح.

(٦) المصدر السابق، كتاب معرفة الصحابة (ج ٣/ ص ٦١١).

(٧) انظر: الرخصة في العزل: مسلم، صحيح مسلم، كتاب النکاح، باب حکم العزل، حديث رقم

(١٢٥) (ج ٢/ ص ١٠٦١).

(٨) قادري، عبد الله أحمد، الإسلام وضروریات الحياة (ص ٨٢).

كما يجب أن يفهم أن دعوى تحديد النسل بين المسلمين دعوة تبشيرية نصرانية تهدف إلى تقليص أعداد المسلمين، علماً بأن تحديد النسل بالنسبة لأهل الكنيسة يعد جريمة^(١)، فهذه إيطاليا تضع قانوناً صارماً ضد من يقوم بالدعاية لتحديد النسل، أو يقوم بعملية إسقاط للجنين بصورة متعمدة^(٢)، وذلك لعلمهم ويقينهم أن الثروة البشرية هي أكبر مصدر للاقتصاد، فالإنسان هو صاحب إمكانية العمل والتفكير والاختراع وتركيب الأغذية وإيجاد الحلول^(٣). ومن المعروف أن القوانين الغربية تحرم الإجهاض^(٤).

أما تنظيم الحمل بهدف إعطاء المولود الأول حقه من الرعاية والرضاعة فقد أجاز بعض العلماء استعمال الدواء لمنع وقوع الحمل، وإن كان الأحوط عند البعض ترك ذلك^(٥). ويجب أن يعرف أن كثرة الحمل والولادة لا تضر بالمرأة الطبيعية؛ بل تنفعها، فإن نموها الكامل وبلوغ الاتزان والكمال العقلي عندها لا يحصل إلا بعد الحمل لمرة واحدة على الأقل^(٦)، وقد تقل أن امرأة أنجبت (٣٤) مولوداً توأمين فأكثر، ولم يذكر أنها تضررت من جراء ذلك^(٧).

والشريعة جاءت بإباحة تعدد الزوجات لأسباب عديدة، ومنها طلب الذرية والاستكثار منها، كما أنها حرمت ومنعت كل ما يعوق تحقيق هذا المقصد، فمما حرّمته الرهبانية والتبتل^(٨)، وإتيان المرأة في دبرها^(٩)، وغير ذلك من

(١) شلبي، عبد الودود، أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية (ص ٥٨).

(٢) كحالة، عمر رضا، النسل والعناية به (ج ١/ ص ١١٠).

(٣) شاكر، محمود، العالم الإسلامي (المنطقة العربية) (ص ٨٠).

(٤) انظر: المودودي، أبو الأعلى، الحجاب، (ص ٨٢، ٨٣).

(٥) انظر: ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ج ٣٢/ ص ٢٧١، ٢٧٢).

(٦) كاريل، الكسيس، الإنسان ذلك المجهول (ص ١١٠).

(٧) كحالة، عمر رضا، النسل والعناية به (ج ١/ ص ٦٨).

(٨) انظر: ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب النهي عن التبتل، حديث رقم (١٨٤٩)،

(ج ١/ ص ٥٩٣).

(٩) انظر: المصدر السابق، باب النهي عن إتيان النساء في أدبارهن، حديث رقم (١٩٢٤)،

(ج ١/ ص ٦١٩).

المعوقات^(١)

(٢) قِوامة الرجل:

تختلف طبيعة المرأة عن طبيعة الرجل اختلافاً جذرياً، ولا يمكن إغفال هذا الاختلاف بحال، إذ أن خلايا جسمها تحمل طابعاً أنثوياً^(٢)، فهي مخلوقة لمهام تناسبها، كما أن الرجل مخلوق لمهام تناسبه أيضاً.

لهذا جاءت الشريعة بالتفريق بين الرجل والمرأة في المهام والأعمال، وبالتساوي بينهما في الجزاء والعقاب عند الله عز وجل الذي يقول في كتابه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (البقرة: ٢٢٨). يقول القرطبي في هذه الآية: «أي: لهن من الحقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن، وللرجال عليهن درجة، أي: منزلة»^(٣). ويقول الله تعالى أيضاً في سورة النساء: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (النساء: ٣٤). يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «الرجل قيم على المرأة، أي: هو رئيسها وكبيرها، والحاكم عليها، ومؤدبها إذا عوجت»^(٤). فقد أتى الله سبحانه وتعالى الرجل أسباب القِوامة من القوة والشجاعة، وكمال العقل والدين؛ مما يؤهله لإدارة الأسرة وحراستها والإنفاق عليها، حتى وإن استقلت المرأة مالياً فهي لا تزال فطرياً بحاجة إلى قِوامة الرجل وسيطرته، كما أن الأولاد بحاجة إلى ذلك أيضاً فإن رمز السلطة عند الطفل عادة يكون للأب أما رمز الحب والحنان عادة يكون للأم^(٥)، لهذا كان واجباً على الأم أن تركز هذا المعنى في نفوس أبنائها، لتوجد للأب المهابة في نفوسهم؛ ليحصل الائتفاع بشخصيته وسلطته في عمليتي التربية والتعليم.

ولا تعني القِوامة - كما يفهم البعض - التسلط والتجبر بغير حق؛ بل هي الرحمة

(١) لمزيد من الفائدة حول تحديد النسل، راجع كتاب «حركة تحديد النسل» لأبي الأعلى المودودي رحمه الله.

(٢) انظر: كاريل، الكسيس، الإنسان ذلك المجهول (ص ١٠٨، ١٠٩).

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج ٣/ص ١٢٣، ١٢٤).

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج ١/ص ٥٠٣).

(٥) الشراقوي، أنور محمد، انحراف الأحداث، (ص ٢٩٩).

والحنان والعطف والرعاية والإنفاق والتعليم والتربية والتوجيه والسلطة، كما أنها لا تعني الترفع عن التعاون مع الزوجة في شئون إدارة البيت ورعاية الأولاد، فإن خير الناس عليه الصلاة والسلام كان في خدمة ورعاية أهله في البيت^(١)، فلا ينبغي للرجل أن يأنف من القيام ببعض الأعمال في المنزل خاصة عند حاجة أهله إلى ذلك، على أن يكون لذلك حد معقول- لا يتجاوزه إلا عند الضرورة- فلا يصبح كأنه ربة المنزل كما تفعله بعض القبائل الشاذة^(٢).

(٣) إلزام الرجل بالنفقة:

لقد أجمع الفقهاء رحمهم الله على وجوب نفقة الرجل على أولاده الأطفال الذين لا يملكون المال^(٣)، وحدد بعضهم هذه النفقة بأنها خمس نفقات وهي: نفقة الرضاع، والحضانة، والمعيشة، والسكن الخاص بالحاضنة، والخادم عند الحاجة^(٤). ويلحق بهذا زكاة الفطر لأنها تشمل الصغير^(٥).

ويراعي الأب في إنفاقه على الأولاد الحلال من الرزق، وأن يصبر على ذلك ولا يجزع من الفقر، فإن الله هو الذي تكفل بالرزق. يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ناصحاً الأب: «ليتنق الله العبد ولا يطعمهم إلا طيباً، لبكاء الصبي بين يدي أبيه متسخطاً، يطلب منه خبزاً، أفضل من كذا وكذا، يراه الله بين يديه»^(٦).

كما ينبغي للوالد أن يراعي الحكمة في الإنفاق فلا يقتّر عليهم ولا يسرف، فإن وسع الله عليه وسع على عياله، ولم يقتّر عليهم. قال عليه الصلاة والسلام: «ليس

(١) انظر البخاري، صحيح البخاري (كتاب الأدب، باب كيف يكون الرجل في أهله (ج ٨/ص ١٧).

(٢) ينقل أن الرجال في قبيلتي أرابش وتشامبولي يقومون برعاية شؤون الأطفال كلها منذ ولادتهم، ويحبسون أنفسهم مع الأمهات كي يعانون معهن آلامهن، انظر أبو النيل، محمود السيد، علم النفس الاجتماعي (ج ٢/ص ٤٤).

(٣) العاصمي، عبد الرحمن بن محمد، حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع (ج ٤/ص ١٢٨).

(٤) الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، (ج ٧/ص ٧٠٤).

(٥) انظر: البخاري صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب صدقة الفطر على الصغير والكبير، (ج ٢،

ص ١٢٦).

(٦) أحمد، كتاب الورع، (ص ١١٩، ١٢٠).



منا من وسع الله عليه ثم قُتر على عياله^(١) . والله سبحانه وتعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده^(٢) ، كما أن إنفاقه على ولده وأهل بيته وخادمه جميعه صدقة إذا استحضر النية الصالحة لذلك^(٣) ، ولأن يترك أولاده أغنياء لديهم ما يكفيهم من المال والمسكن أفضل من أن يتصدق بماله كله ويتركهم فقراء يطلبون من الناس ويسألونهم^(٤) ، فيكون ذلك لهم ذلة وصغاراً، وربما كان سبباً في انحرافهم وحقدهم على المجتمع، فإن الفقر مع ضعف الإيمان واليقين بالله من أعظم أسباب انحراف الناس. وسيأتي تفصيل لمسألة النفقة هذه في موضعها إن شاء الله تعالى.



-
- (١) الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (٥٢٧١) (ج ٣/ص ٤١٦)، والحديث ضعيف.
- (٢) انظر: الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب اللباس، باب إظهار النعم واللباس الحسن، (ج ٥/ص ١٣٥).
- (٣) انظر: الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب التفسير (ج ٢/ص ٢٨٣)، والحديث صحيح الإسناد وخالف ذلك الذهبي.
- (٤) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكفوا الناس (ج ٤/ص ٣). وهذا كله نقلاً عن كتاب مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد للدكتور عدنان حسن صالح باحارث من (ص ٤٣ - ٤٧).

حُسْن اختيار الأم

«الحسن ضد القبح ونقيضه، وهو نعت لما حسن»^(١). «والاختيار: الاصطفاء وكذلك التخير»^(٢).

ولقد وضعت السنة المطهرة بتشريعها السامي أمام كل من الخاطب والمخطوبة جملة من القواعد والأحكام إن اهتدى الناس بهديها حققوا لأنفسهم ولأولادهم السعادة والأمن والاستقرار.

وقد جعل الله تعالى للولد على والده حقوقاً وهو صغير، كما جعل للوالد على ولده حقاً إذا كبر، يلخص ذلك قول الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إذ قال: «كما أن لوالدك عليك حقاً، كذلك لولدك عليك حق»^(٣).

ومما لا يخفى على أحد أن الجراح في أمتنا غائرة، وفي النفس قاتلة بالغة أعتت الطيب الفطن، واللبيب الذكي، وجرحٌ دون جرح، فإن جرح السيف له طيب، وجرح القلب ليس له طيب يداويه، فوجب على الفرد والأمة أن يكونوا في حالة استنفار دائم مع النفس والشيطان والعدو الذي لا زال يرمينا كل يوم بسهم من سهامه، ويدس سماً من السموم الناقعات.

وأمر الأمة اليوم صار في يد من لا يخشى الله ولا يتقه: أجهزة الإعلام، والتشقيف، والتربية والتعليم، فهم يداون مرض الأمة بمجموعة من الأمراض، يقتلون جرثومة بمليارات الجراثيم كطبيب فاشل يجرب معلوماته في مرضاه ثم يعيش على أمراضهم بعد أن زادهم مرضاً- فحاميتها حراميتها-.

والحال هي هي: كيتيم ضائع إن لم يسع على نفسه مات وهلك، فالتبعة ثقيلة، والمسئولية كبيرة، والكل على ثغرة من ثغور الإسلام، ويا عار من أتى الإسلام من قبله.

(١) لسان العرب (ص ٨٨٧).

(٢) لسان العرب (ص ١٣٠).

(٣) الأدب المفرد رقم (٩٤) للبخاري رحمه الله.

إن اختيار الرجل هنا للمرأة التي ستصير زوجاً له، وأماً لولده لن يقف عند مجرد بناء بيت وأسرة؛ لكنه سيتخطاه إلى تكوين لبنة من لبنات العقيدة، وإخراج جيل يحمل على عاتقه إصلاح الماضي والحاضر، وإعداد النفس لمواجهة الأعادي، ولذا وجب على المسلم أن يُلبس كل فعل - ولو كان اختيار المرأة - لباس العقيدة وثوبها، لتظل قضية الأمة حية في ذهن الجميع لا تنسى أبداً.

ومن أعظم حقوق الولد على والده: حسن اختيار الأم تلك الحاملة الحاضنة المرية، وذلك لأن للوراثة دوراً هاماً جداً فيما يصير إليه المولود في المستقبل، فإن بعض الدراسات أثبتت أن النباهة والامتياز تستند إلى خصائص وراثية^(١)، كما أن علماء «الجينات» يرون أن للوراثة قوة عجيبة تفرض نفسها على المولود، وهذا الاعتقاد ساق بعضهم إلى القول بأن الحصول على أفراد ممتازين لا يعود إلى التعليم؛ بل يعود إلى العمل على تحسين النسل^(٢)، فالطفل يرث من والديه بعض المميزات والسمات الجسمية وبعض الاتجاهات العقلية^(٣)، ويكاد يجمع علماء الأخلاق على أن الوراثة مع البيئة هما العاملان الأساسيان في تكوين الأخلاق^(٤)، لهذا جاءت الشريعة الإسلامية بالأمر بحسن اختيار الزوجة، ووضعت للآباء من الرجال أوصاف الزوجة الصالحة، وفيما يلي نستعرض هذه الأوصاف:

(أ) الخلق والدين:

وهذا ما حرص الإسلام عليه، فالأم ينبغي أن تكون وعاءً صالحاً لأولادها، فإذا ما أراد الرجل المسلم الزواج عليه أن يتذكر أن الأمر ليس لعبة، أو مجرد اختيار جسد ينام بجواره متمدداً، يقضي معه شهوته متى اضطرت الحاجة إلى ذلك، فالزواج وإن لم يكن في الإسلام أمراً شرعياً فإنه عقد مؤبد وليس لعبة أو ساعة يقضيها رجل وامرأة ثم يفترقان، بل للزواج تبعاته ونتائجه.

(١) المليجي، عبد المنعم وحلمي المليجي، النمو النفسي، (ص ١٠٦).

(٢) كاريل، الكسيس، الإنسان ذلك المجهول (ص ٢٨٦).

(٣) ثيرستون، ثلما جوين وكاترين مان بيرن، القدرات العقلية عند الأطفال، (ص ٨٦).

(٤) نصار، محمد عبد السلام، «الوراثة والبيئة وأثرهما في تكوين الخلق»، مجلة التربية العدد (١٩)

وهنا وجب طرح كل أساس خاطئ في اختيار المرأة التي ستكون وعاءاً لحمل الولد، ثم مربية حاضنة لولده الذي يرجو به قرة العين، وسعادة النفس، وانتصار العقيدة.

وقد ألمح القرآن إلى ضرورة الاختيار على أساس الدين، فقال الله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (النساء: ٣٤).

والقانتات: هن المطيعات للأزواج.

والحافظات للغيب: مَنْ يحفظن الأزواج في غيابهم، وفي أموالهم، وفي أنفسهن (١).

هذا إذن ما أراده الإسلام للبيوتات المسلمة: أن تصح البدايات لتصح النهايات، فإن الاختيار إذا صح، ومعه صح البناء والأساس، صمد بعد ذلك أمام كل محنة وبلية.

ويضع الإمام الغزالي رحمه الله بعض الجوانب الخلقية التي يراعيها الرجل عند اختيار الزوجة، فيقول: «يسأل عن دينها ومواظبتها على صلاتها، ومراعاتها لصيامها، وعن حياتها ونظافتها، وحسن ألفاظها وقبحها، ولزومها قعر بيتها، وبرها بوالديها، ويبحث عن خصال والدها ودينه، وحال والدتها ودينها وأعمالها» (٢).

ثم ها هي الأحاديث التي تعرضت لمسألة اختيار الزوجة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك» (٣). وفي الحديث: «من الفقه مراعاة

(١) تفسير القرطبي (٥/١٧٥).

(٢) الأدب في الدين (ص ٤٩ للغزالي).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥/٩ فتح) رقم (٥٠٩٠)، كتاب النكاح باب الإكفاء في الدين، ومسلم (١٠٨٦/٢) (٥٣) (١٤٦٦) في النكاح باب استحباب نكاح ذات الدين تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وأبو داود (٥٣٩/٢ معالم) رقم (٢٠٤٧) كتاب النكاح باب ما يؤمر به من تزويج ذات الدين تحقيق الدعاس، والنسائي (٦٨/٦) كتاب النكاح باب كراهية تزويج الزناة، وابن ماجه (٥٩٧/١) رقم (١٨٥٨) كتاب النكاح باب تزويج ذات الدين، والحاكم (١٦١/٢)، وأحمد (٤٢٨/٢).

الكفاءة في المناكح وأن الدين أولى ما اعتبر فيها»^(١) .

وفيه الحث على مصاحبة أهل الدين في كل شيء لأن صاحبهم يستفيد من أخلاقهم وبركتهم وحسن طرائقهم ويأمن المفسدة من جهتهم^(٢) . والكفاءة في الدين، وأهل الإسلام كلهم بعضهم لبعض أكفاء^(٣) .

وحضت السنة ورغبت أعظم الترغيب في الاقتران بالمرأة الصالحة ذات الدين مبينة أنها خير متاع الدنيا، وخير كنز يدخره المرء، وضمن أمور أربعة لو تحققت للمرء لأصاب خيري الدارين، وخير ما يستفاد بعد تقوى الله عز وجل وأنها من علامات السعادة للأسرة وللجيران وللمجتمع وللإنسانية جمعاء.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»^(٤) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لعمر رضي الله عنه: «ألا أخبرك بخير ما يكنزه المرء: المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته»^(٥) .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من السعادة - منها - المرأة الصالحة...»^(٦) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أربع من أعطيهن فقد أعطي

(١) الخطابي (٢/ ٥٣٩ معالم).

(٢) النووي شرح مسلم (١٠/ ٥٢).

(٣) الخطابي (٢/ ٥٤٠ - معالم) نقلاً عن مالك.

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٩٠) (٥٩) (١٤٦٧) في الرضاع باب استحباب نكاح البكر، والنسائي (٦٩/ ٦٦)، كتاب النكاح باب المرأة الصالحة، والبيهقي شرح السنة (٩/ ١٠، ١١)، كتاب النكاح باب اختيار ذات الدين، وأحمد (٢/ ١٦٨)، وأورده التبريزي في المشكاة (٢/ ٩٢٧) رقم (٣٠٨٣).

(٥) أخرجه أبو داود (٢/ ٣٠٦) (١٦٦٤)، وابن ماجه (١/ ٥٩٦) (١٨٥٧)، والحاكم (٢/ ٣٣٣)، وصححه ووافقه الذهبي، وأحمد (٢/ ٢٥١).

(٦) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (١٢٣٢)، والخطيب في التاريخ (١٢/ ٩٩)، وأحمد (١/ ١٦٨)، وأورده المنذري في الترغيب (٣/ ٦٨)، وقال: «رواه أحمد بإسناد صحيح، والطبراني والبيزار والحاكم وصححه (٢٠٦)».

خيرى الدنيا والآخرة - منها - زوجة لا تبغيه حباً في نفسها وماله»^(١)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني»^(٢)

ولهذا كان الزواج من الكتابيات غير مفضل - وإن كان مباحاً - لأن جانب الدين غير متوافر فيهن، والرسول ﷺ عندما وضع وبين مرغبات الرجال في اختيار النساء ذكر الجمال، والحسب، والمال، والدين، ثم قال: «فاظفر بذات الدين تربت يداك»^(٣) واليهوديات والنصرانيات لسن من ذوات الدين، ويحذر ابن الجوزي رحمه الله من مغبة تقديم الجمال على الدين فيقول: «وينبغي أن يكون النظر إلى باب الدين قبل النظر إلى الحسن، فإنه إذا قل الدين لم ينتفع ذو مروءة بتلك المرأة»^(٤). وفي الحقيقة فإن كل جمال يزول ويذهب، إلا جمال الدين والخلق، فإنه باقٍ في طبع المرأة الصالحة الملتزمة بدينها العاملة بآداب الشرع.

إن في اختيار الزوجة على أساس الدين عدة فوائد:

الأولى: أنه اختيار موافق لما جاء به الوحي من كتاب أو سنة.

الثانية: تجنب الأطفال كثير من الصفات والأخلاق المذمومة التي قبحها الشرع وحرّمها.

الثالثة: تعلم الولد من أمه كل خير.

الرابعة: صبغة البيت المسلم بصبغة العقيدة والشرعة.

الخامسة: إخراج جيل مسلم عقدي يعلم ما هو المراد منه، وما ينبغي عليه فعله.

السادسة: بناء البيوت على التقوى من أول يوم، ليصبح الإسلام هو الضابط والموجه لخطوات هذا البيت.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط كما في الترغيب (٧١/٣) وقال المنذري: وإسناد أحدهم جيد، والحبوب: الإثم العظيم: اللسان (ص ٣٦١).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (١/١٦١/٣)، والحاكم (١٦١/٢) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) صحيح: سبق تخريجه.

(٤) صيد الخاطر (ص ٣٦١) لابن الجوزي.

(ب) سلامة البدن والنفس:

عن زيد بن كعب بن عجرة: أن رسول الله ﷺ تزوج امرأة من بني غفار فلما دخل عليها فوضع ثوبه وقعد على الفراش أبصر بكشْحها يياضاً فانحاز عن الفراش ثم قال: «خذي عليك ثيابك». ولم يأخذ مما أتاها شيئاً^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد»^(٢).

وعن عمرو بن الشريد الثقفي قال: كان في وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه رسول الله ﷺ: «إنا قد بايعناك فارجع»^(٣).

وعن عمر رضي الله عنه قال: «أيا امرأة غُر بها رجل، بها جنون أو جذام أو برص، فلها مهرها بما أصاب منها وصدّاق الرجل على من غره»^(٤).

وقد استدلل بهذه الأحاديث على أن البرص والجنون والجذام عيوب يفسخ بها النكاح، وقد ذهب جمهور أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم إلى أنه يفسخ النكاح بالعيوب^(٥)، ويفسخ النكاح أيضاً بكل داء عضال^(٦)، ويدخل في ذلك السل والزهري والإيدز وكل ما من شأنه أن يعدي والمصابون بالأمراض النفسية الخطيرة؛ لأن الأولاد ثمرة الزواج، وربما تنتقل بعض الأمراض إلى الأولاد عن طريق العدوى أو عن طريق المحاكاة والتعاشيش.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أربع لا يجزن في البيع ولا الزواج:

(١) أخرجه أحمد (٤٩٣/٣) بسند ضعيف والكشح قيل: الخصر.

(٢) أخرجه البخاري (١٦٧/١٠) (٥٧٠٧).

(٣) أخرجه مسلم (٤) (١٧٥٢) (١٢٦) (١٢٣١).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (٥٢٦/٢)، والدارقطني في السنن (٢٢٦/٣)، والبيهقي في شرح السنة

(٢١٢/٩) برقم (٢٣٠٠)، وقال الحافظ في بلوغ المرام (ص ٢٥١) برقم (٩٤٩) ورجاله ثقات، وأورده

الشوكاني نيل الأوطار (١٧٧/٦)، وابن قدامة في الكافي (٦٣/٣).

(٥) الشوكاني في نيل الأوطار (١٧٧/٦).

(٦) أورده الشوكاني في نيل الأوطار (١٧٧/٦) نقلاً عن الزهري.

المجنونة، والمجدومة، والبرصاء، والعفلاء»^(١).

وعن علي رضي الله عنه قال: «إذا تزوج المرأة فوجد بها جنوناً أو برصاً أو جذاماً أو قرناً فدخل فهي امرأته، إن شاء أمسك وإن شاء طلق»^(٢).

وفي حديث المجدوم وما في معناه دليل على أنه يثبت للمرأة الخيار في فسخ النكاح إذا وجدت زوجاً مجذوماً أو حدث به جذام.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لا تديموا النظر إلى المجذومين»^(٣). وهل يتأتى هذا بين الزوجين؟

وإثبات العدوى في الجذام ونحوه مخصوص من عموم نفي العدوى فيكون معنى قوله: «لا عدوى»، أي: إلا من الجذام والبرص مثلاً فكأنه قال: لا يعدي شيء شيئاً إلا ما تقدم تبين لي أنه فيه العدوى»^(٤).

وقيل: إن الأمر بالفرار من المجدوم ليس من باب العدوى في شيء بل هو لأمر طبيعي وهذا انتقال الداء من جسد لجسد بواسطة الملامسة والمخالطة وشم الرائحة، ولذلك يقع في كثير من الأمراض في العادة انتقال الداء من المريض إلى الصحيح بكثرة المخالطة.

ويقول ابن قتيبة: «المجدوم تشتد رائحته حتى يسقم من أطال مجالسته ومحادثته ومضاجعته وكذا يقع كثيراً بالمرأة من الرجل وعكسه، وينزع الولد إليه، ولهذا يأمر الأطباء بترك مخالطة المجدوم لا على طريق العدوى بل على طريق التأثير بالرائحة

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢١٥/٧)، والدارقطني (٢٦٧/٣)، ومصنف عبد الرزاق (٢٤٣/٢٤٣/١٠٦٧٣)، وسعيد بن منصور في السنن (٢١٢/١)، ومصنف ابن أبي شيبة (٤٨٦/٣)، والعفلاء: العقل نبات لحم ينبت في قبل المرأة وهو (القرن) ولا يصيب المرأة إلا بعدما تلد، وهو شيء يخرج من قبل النساء، لسان العرب (٣٠١٧).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢١٥/٧)، والدارقطني في السنن (٢٦٧/٣).

(٣) أخرجه أحمد (٧٨/١)، وابن ماجه في الطب باب الجذام (١١٧٢/٢) (٣٥٤٣) وقال في الزوائد: رجال إسناد ثقات، والبيهقي في السنن الكبرى (٢١٩/٧).

(٤) أورده الحافظ في الفتح (٦٩/١٠) نقلاً عن القاضي أبي بكر الباقلاني.

لأنها تسقم من واطب اشتمامها»^(١).

والمراد بنفي العدوى أن شيئاً لا يعدي بطبعه، نفيًا لما كانت الجاهلية تعتقده أن الأمراض تعدي بطبعها من غير إضافة إلى الله، فأبطل النبي ﷺ اعتقادهم ذلك وأكل مع المجذوم ليبين لهم أن الله هو الذي يمرض ويشفي ونهاهم عن الدنو منه ليبين لهم أن هذا من الأسباب التي أجرى الله عز وجل العادة بأنها تفضي إلى مسبباتها، ففي نهيه إثبات الأسباب، وفي فعله إشارة إلى أنها لا تستقل، بل الله عز وجل هو الذي إن شاء سلبها قواها فلا تؤثر شيئاً وإن شاء أبقاها فأثرت^(٢).

(ج) الشرف والأصل والنسب:

ونقصد بالشرف: الحسب والمجد^(٣). أما الأصل: فهو ثبات الرأي والعقل^(٤).
وقد وصى النبي ﷺ بذلك كما في حديث عائشة رضي الله عنها أنه عليه السلام قد قال: «تَخَيَّرُوا لِنُطْفِكُمْ، فَاكْحُوا الْأَكْفَاءَ، وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ»^(٥). والتخير هو: أن تكون نسيئة أعني أن تكون من أهل بيت الدين والصلاح فإنها ستربي بناتها وبنيتها فإذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التأديب والتربية.

فالطفل يكتسب صفات أبويه الخلقية والجسمية والعقلية منذ الولادة، فعندما يكون انتقاء الزوج أو اختيار الزوجة على أساس الأصل والشرف والصلاح فلا شك أن الأولاد ينشأون على خير ما ينشأون من العفة والطهر والاستقامة، فعلى راغبي الزواج أن يحسنوا الاختيار إن أرادوا أن تكون لهم ذرية صالحة وسلالة طاهرة وأبناء مؤمنون وبنات مؤمنات.

وإذا كان الحديث هنا عن النسب، فإننا نقصد هنا اجتماع الدين مع النسب، فالنسب وحده ليس بكافٍ لإقامة بيت المسلم المرجو؛ بل ربما كان سبباً رئيسياً

(١) (٢، ١) الفتح (١٠/ ١٧٠).

(٣) السابق (٢١٤١).

(٤) السابق (٨٩).

(٥) حسن الإسناد: ابن ماجه (١٩٦٨) في النكاح، الدارقطني (٣/ ٢٩٩) في سننه وانظر الصحيحة

(١٠٦٧) للالباني.

وأساسياً في هدم البيوت المستقرة حينما تغتر الزوجة بهذا النسب المعتمد على آباء يحملون الخراء في بطونهم، وما هم في النهاية إلا عظم رميم يخرج منه الدود ليتغذى عليه.

للسبب والسلالة الطيبة أهمية في الإسلام فإن وراثته المولود لا يحددها أبواه المباشران فقط؛ بل هو يرث من جدوده وآبائه وجدود جدوده وهكذا^(١). فيأخذ الولد من كل طبقة من هذه الأجيال قدراً من الصفات والسمات، فالطفل مرتبط بأسلافه من الجهتين: جهة الأب، وجهة الأم، ولذا رغب النبي ﷺ في نكاح الأكفاء.

ويعود النبي ﷺ فيُرجب في أفضل الأكفاء وهن القرشيات ذوات النسب، ويصفهن بأوصاف فريدة فيقول: «خير نساء ركن الإبل صالحو نساء قریش أحناء على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يديه»^(٢). وأحناء: أي: أنهن أكثر شفقة على الأولاد، والحنانية على ولدها هي التي تقوم عليهم إذا مات الأب فلا تتزوج^(٣). وهذا النسب العريق من نساء قریش الصالحات من ناله فقد حصل له مطلوبه، وجمع الله له في أهله خيراً كثيراً.

كما يراعي الأب عند اختياره الزوجة أن تكون من غير القريبات وذلك طلباً لجودة النسل، وتكوين صلات جديدة بين الأسر داخل المجتمع، وقد سبب الزواج من القريبات ضعفاً عقلياً للمولود^(٤).

(د) مسألة السن:

لسن الزوجة دور في تحسين النسل وسلامته من العاهات الخلقية والعقلية، فإن

(١) علم النفس التربوي (٣٦، ٣٧).

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب إلى من ينكح وأي النساء خير وما يستحب أن يتخير لنتفه من غير إيجاب (ج ٧/ص ٧).

(٣) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ١٩/ص ١٥١).

(٤) بدوي، عبد الحميد صادق، الطفولة بين الاندفاع إلى الرشد وتأثير الثقافة المحلية، مجلة التربية، العدد (١٠٠/ص ٧٣).

الأطفال الذين يولدون من زوجين في ريعان الشباب يعيشون أطول من الذين يولدون من زوجين يقتربان من مرحلة الشيخوخة^(١) ، لهذا نصح رسول الله ﷺ ورغب في نكاح الأبقار؛ لكونهن في العادة صغيرات السن، وفيهن من المميزات ما لا يوجد في الكبيرات والثيرات، فقال للذي تزوج الثيب: «فهلأ بكرأ تضاحكك وتضاحكها، وتلاعبها وتلاعبك»^(٢) . وهذا اللعب والممازحة والمضاحكة في العادة يكون عند صغيرات السن لملهن إليه، ويقل عند الثيبات والكبيرات لكمال عقولهن.

وقد دلت بعض البحوث والدراسات في هذا الجانب أن نسبة الأطفال المشوهين والمعتهوين تزداد تبعاً لزيادة عمر الأم وخاصة بعد سن الـ ٤٥ سنة^(٣) . لهذا يحرص الأب على اختيار الصغيرات من الأبقار المحببات إلى النفس.

وقد تعارف الناس على أن «أبناء الشبية يتامى»، وهذه حقيقة ملموسة واقعة، ولا يكابر في المحسوس إلا محسوس، فلا يمنع من ترجيح البكر اختيار الثيب إلا لمصلحة تقتضي ذلك، والله أعلم.

(هـ) الجمال:

وهو أمر نسبي، غير أن الناس قد اتفقوا على أن النفس البشرية بفطرتها الطبيعية ميالة إلى الصورة الحسنة، والصوت الجميل، وجمال المنظر، كما أنها تنفر من ضد هذا^(٤) . ولذا فإن النبي ﷺ شرع النظر إلى المخطوبة أو من يراد التزويج بها كما جاء أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: «إني تزوجت امرأة من الأنصار. فقال له النبي ﷺ: «هل نظرت إليها فإن في عيون الأنصار شيئاً؟». قال: قد نظرت إليها»^(٥) .

وعن المغيرة بن شعبه أنه ﷺ قال له: «انظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»^(٦) .

(١) السيد، فؤاد البهي، الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، (ص ٦٥، ٦٦).

(٢) مروي عند مسلم في كتاب الرضاع حديث رقم (٥٨).

(٣) قبل السابق (ص ٦٦).

(٤) روضة المحبين لابن قيم الجوزية (ص ٣٢).

(٥) رواه مسلم (٧٤/١٤٢٤) في النكاح.

(٦) صحيح: الترمذي (١٠٨٧) في النكاح.

فيستحب للرجل أن ينظر إلى مخطوبته ليرى منها ما يدعوه ويرغبه في نكاحها، فإن عجز عن ذلك لتعصب بعض أولياء الأمور، حاول أن يراها سراً، فقد كان بعض السلف يتخبأ للمرأة التي يريد نكاحها ليرى منها ما يدعوه لنكاحها^(١)، فإن لم يتمكن من ذلك أيضاً فعن طريق الصور الفوتوغرافية يحصل عليها عن طريق بعض قريباتها سراً، فإن لم يتمكن من كل هذا وقد اكتملت لديه شروط صلاح الزوجة واستقامة أهلها اكتفى بوصف أهله لها على الدقة، وإلا صرف نظره عنها إلى غيرها من النساء في الأسر الصالحة التي تقدم السنة على الأهواء.

ولا يهمل الزوج هذا الجانب الذي فطر عليه البشر بالكلية، بل عليه التوسط في طلبه وعدم التطرف، فإن رضاه بزوجته، وسروره عند النظر إليها، ودوام رغبته فيها وميله إليها، يريح نفسه من التطلع إلى غيرها، فيكون ذلك عوناً له على غض البصر وتحصين الفرج، والرضا بما قسم الله وقدر.

لقد جمع ابن الجوزي كثيراً من النقاط السابقة في عدة عبارات فقال: «فمن أراد نجابة الولد، وقضاء الوطر فليتخير المنكوح، إن كان زوجة فليُنظر إليها، فإذا وقعت في نفسه فليتزوجها، وليُنظر في كيفية وقوعها في نفسه، فإن علامة تعلق حبها بالقلب: ألا يصرف الطرف عنها، فإذا انصرف الطرف قلق القلب بتقاضى النظرة، فهذا الغاية، ودونه مراتب على مقاديرها يكون بلوغ الأغراض، ومن قدر مناطق المرأة أو مكالمتها بما يوجب التنبيه، ثم ليرى ذلك منها، فإن الحسن في الفهم والعينين، ثم ينبغي للمتخير أن يتفرس في الأخلاق: فإنها من الخفي، وإن الصورة إذا خلت من المعنى كانت كخضراء الدمن^(٢)، فمن قدر على امرأة صالحة في الصورة والمعنى فليغمض عن عوراتها، ولتجتهد هي في مرضيه^(٣)».

(و) شرط التفرغ:

وهذه قضية هامة برزت أهميتها بعد خروج المرأة للعمل، وأفضل الأوصاف التي

(١) ابن أبي شيبة (٣٥٥/٤، ٣٥٦) في المصنف.

(٢) هي المرأة الحسنة في الميث السوء كما جاء في الحديث الضعيف.

(٣) صيد الخاطر (ص ٥٨ - ٦٠) بتصرف.

سمعناها عن النساء الموظفات أن الواحدة منهن: امرأة عاطلة، إذ تركت عملها الأساسي الذي أناطه الله تعالى بها وهو: تربية الأولاد، وخرجت للعمل بحثاً عن لقمة العيش وزيادة الدخل.

ولعلنا بهذا نغضب قطاعاً عريضاً من النساء اللواتي يجدن شهوة العمل والوظيفة أكثر مما يجدن في أنفسهن الحاجة إلى المال وزيادة الدخل، ونحن نفتي بعدم خروج المرأة للعمل إلا في نطاق ضيق يتمثل في حالات التدريس للنساء، علاج المرأة، أو نما على شاكلة هاتين الوظيفتين. فخروج المرأة للعمل يجعلها عن عمد ترتكب أكبر خطيئتين يمكن أن ترتكبهما امرأة عاقلة بعد الكفر والكبائر، وهما: أولاً: ترك تدبير البيت. ثانياً: ترك رعاية الأولاد.

والطفل في سنواته الأولى على الأقل يحتاج إلى أم متخصصة لا يشغلها شيء عن رعاية الطفولة وتنشئة الأجيال، وإن كل أمر تقوم به خلافاً لتدبير أمر البيت ورعاية أطفاله إنما يتم على حساب هؤلاء الأطفال، وعلى حساب الجيل القادم من البشرية^(١).

والمرأة تكون عاصية لله ورسوله إن هي أهملت شأن بيتها بانشغالها خارجه، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «المرأة راعية في بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»^(٢).

والخطر يكمن فيما إذا توسع الحال في عمل المرأة، وانشغالها عن الأولاد خارج البيت، وأصبح هو القاعدة في المجتمع، فإنه يخشى بعد فترة من الزمن انتشار ظاهرة «أطفال المفاتيح» التي يوجد لها الواقع الشاذ، فتصاب البلاد الإسلامية ومجتمعاتها بهذا الداء الذي فرض على أربعة ملايين طفل في الولايات المتحدة الأمريكية أن يعودوا إلى منازلهم من المدارس في آخر النهار حاملين مفاتيح البيت الخاوي من الوالدين العاملين، وهذا الإهمال ربما سبب للأطفال إحباطاً شديداً

(١) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية (٢/١٠٨).

(٢) متفق عليه: البخاري (٥٢٠٠) في النكاح، ومسلم (١٨٢٩/ ٢٠) في الإمارة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وانحراقاً في سلوكهم^(١) ، ولهذا أدركت منظمة الصحة العالمية الخطورة التي عليها أطفال العصر الحاضر في الدول التي تعمل فيها المرأة فأوصت بتفريغ الأمهات ثلاث سنوات لكل طفل جديد^(٢) ، وإن كانت الثلاث سنوات غير كافية للطفل، فإن اهتمام المنظمة به دليل ومؤشر على خطورة الموضوع وجديته وأثره الخطير على الجيل الجديد. إن كثيراً من النساء العاملات لا يقمن طيلة وقت العمل إلا باغتياب الناس، وتعطيل المصالح، ومزاحمة الرجال، ومثل هؤلاء يحرم العمل في حقهن. هذه إذن الخطوط العريضة التي سيختار الأب على أساسها وعاء أولاده، وأهمهم التي ستبقى معهم طيلة الوقت، وهي العامل الأكبر المؤثر في تربية الطفل.

وهناك أمور كثيرة يجب مراعاتها عند اختيار الزوجة، مثل الابتعاد عن غير المتدينات مع التحذير من العبارة الشهيرة: (أتزوجها ثم تلبس الحجاب)، فماذا لو لم تقبل التدين والالتزام؟ فإن الأجساد لا تتقبل كل الأدوية؛ بل يتقبل جسد ما لا يتقبله الآخر، فليقطع المسلم الشك باليقين، وليكن اختياره على أساس الدين ليصح القصد، ويصح العمل، ويطيب الأصل، وبطيه يطيب الفرع. واختيار خفيفات المهر، والعاقلة اللبية، والودود الولود^(٣).

وبقى قول الفقهاء في هذا المضممار حيث قالوا: «عند تعارض بعض صفات المرأة قدم ذات الدين مطلقاً، ثم العقل وحسن الخلق، ثم النسبية، ثم البكر، ثم الولود، ثم الجميلة، ثم ما كانت المصلحة فيه أظهر بحسب اجتهاد المتزوج»^(٤).

والله تعالى يقول: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ (النور: ٢٦). مع التزام المسلم بالاستشارة الشرعية، والاستشارة، والدعاء، وهي أمور تساعد على تيسير أسباب السداد والرشد في جميع الأمور.

(١) مختار المسلاتي: أمريكا كما رأيته (ص ١٠١، ١٠٢).

(٢) علي قاضي: الإسلام وتربية الطفل، مجلة التربية عدد (٣٨) (ص ٦٧).

(٣) انظر تحفة العروس من (ص ٢٦ إلى ص ٤٢) في اختيار الزوجة من تأليف ط دار الفجر للتراث.

(٤) نهاية المحتاج (٦/ ١٨١ / ١٨٢) للملي.

اختيار الأب

وإذا كان الإسلام قد أوجب على الرجل مراعاة الدقة الكافية في اختيار المرأة التي يريد الارتباط بها واتخاذها زوجة له، واختصاصها بأن تكون أمًا لولده، وجعل الأساس على الدين، فإن الإسلام أعطى للمرأة حق الموافقة على المتقدم لها أو رفضه دون إجبار لها على رجل بعينه.

ولذلك فإن الإسلام سوى بين الرجل والمرأة في مسألة الاختيار، وجعل الحق للمرأة أن تنظر في دين الرجل وخلقه، وجعل ذلك لوليها أيضًا، لكي يكون الزوج صالحًا صاحب دين، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكْهِنُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» (١).

وعن الحسن أنه أتاه رجل فقال: إن لي بنتًا أحبها وقد خطبها غير واحد فمن تشير علي أن أزوجه؟ قال: «زوجها رجلاً يتقي الله فإنه إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها» (٢).

لقد سوى الإسلام بين الرجل والمرأة في الاعتبار الإنسانية، وجعل الحياة بدون مشاركة بينهما مستحيلة ومن هنا جعل لها الحق في قبول ورفض من ستقترن به زوجة، والقاعدة: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ (النور: ٢٦).

ولعل المسؤولية في اختيار الزوج قد تقع أكثر على ولي الزوجة، ومن هنا فإن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت عن الزواج: «رِقٌّ؛ فليُنظر أحدكم أين يضع كرمته؟» (٣).

(١) صحيح الإسناد: الترمذي (١٠٨٥) في النكاح.

(٢) ذكره البغوي (١١/٩) في شرح السنة.

(٣) تخريج العراقي (٦٦/٢) على الإحياء.

ويقول الشعبي: «مَنْ زَوَّجَ كَرِيْمَتَهُ مِنْ فَاسِقٍ فَقَدْ قَطَعَ رَحْمَهَا».

وأولى الناس بالمرأة المسلمة هو: صاحب الدين والخلق القويم، ولو كان فقيراً مُعْدِماً لا يملك إلا آي القرآن، ففي حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: مرَّ رجل على رسول الله ﷺ فقال: «ما تقولون في هذا؟». قالوا: حريٌّ إن خطب أن يُنْكَحَ، وإن شَفَعَ أن يُشَفَّعَ، وإن قال أن يُسْمَعَ. قال: ثم سكت، فمرَّ رجلٌ من فقراء المسلمين، فقال: «ما تقولون في هذا؟». قالوا: حريٌّ إن خطب أن لا يُنْكَحَ، وإن شَفَعَ أن لا يُشَفَّعَ، وإن قال أن لا يُسْمَعَ. فقال رسول الله ﷺ: «هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا»^(١).

وقد أحسن البخاري رحمه الله إذ أورد هذا الحديث في كتاب النكاح ليقر هذا المبدأ الإسلامي: الاختيار على أساس الدين لا سواه، فإن أمة الإسلام أمة صفتها الشريعة والعقيدة وهي بدونهما سراب؛ بل عدم لا وجود لها، وأي بُعْدٍ عن هذه الشريعة وهذه العقيدة ستؤدي بالأمة إلى الهلاك حتماً، ولو كان هذا البُعد في مسألة الزواج واختيار الزوج.

والهزائم التي تحيق بالأمة من كل جانب أوله: الهزيمة النفسية الداخلية التي لا تنتج إلا عن طريق مجافة الدين: عقيدة وشريعة، فحين يتحول الزواج إلى مجرد عادة لقضاء الشهوة، وممارسة الحياة، والتوريث دون ارتباط بالعقيدة تتحول معها الحياة إلى مجرد حياة- أي حياة- ولو كانت حياة ديدان تعيش تحت الثرى على جثث الأموات، وبقياء الموائد، وفتات الجثث والأجداث.

وعندئذ يرين اليأس على القلوب، وينشأ جيلٌ مستيثس يسلم نقائصه إلى جيلٍ أشد ابتعاداً عن الأصل وافقداً للأمل، وكلما استحكمت اليأس انقطع العمل الجاد الذي تحيا به الأمم، تقتل العزائم، ويركن الناس إلى الخرافات والأساطير التي تحمل محل الدين، وتبيض وتفرخ في أفهام العامة والخاصة، وتمتد جذورها في ثرى المجتمع، وترتفع فروعها فيستظل بها الجميع فلا ترى إلا أشباه الرجال، وصور

(١) رواه البخاري (٥٠٩١) في النكاح.

العلماء، وعندئذ تصبح الحياة مجرد وساوس ورتائل يضمحل فيها العلم، ويوشك العقاب أن يعم الأمة بعد انحطاط شأن الإيمان (١).

فإذا تم اختيار الزوج على أساس الخلق والدين تأسس البيت المسلم على التقوى من أول يوم وتصبح الآداب الإسلامية والمبادئ الربانية هي الضابط والموجه لخطوات بناء هذا البيت، وستدوم الحياة طويلة ترفرف حولها السكينة التي امتن الله بها على عباده المؤمنين، وجعلها من آياته الباهرات كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الروم: ٢١).

إن نظاماً من أنظمة البشر هيهات أن يتناول إلى سمو تعاليم الإسلام التي حملت مبادئ الغرض منها تدعيم العقيدة في القلوب والنفوس، وقيام المسلم بحق العبودية المفترض عليه، مما سيحمي الأسرة من شوائب الضعف والاضطراب، وسيبعد بالزواج عن: الأب الغافل، والزوج الماجن، والزوجة المنقادة إلى السوء.



(١) انظر كلامنا في تحفة العروس (ص ٤٢ - ٥٢).

لحظة الدخول، وآداب الجماع، وما قبل الحمل

* تجنب الإسراف، ووليمة العرس:

من أروع ما وصل إليه الإسلام بعد الاختيار الصحيح للزوج والزوجة، أنه نظم دقائق الأمور في المرحلة السابقة على الزواج والميلاد، حتى عند وضع البذرة الأولى في بنيان الإنسان وهي لحظة الجماع التي تجمع بين الزوجين وقبل الإشارة إلى هذه اللحظة ينبغي أن ينبه إلى أن كثيراً من الناس تحت شعار «فرحة العمر» ينساق إلى متابعة خطوات الشيطان في مسائل الفرج والزفاف، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (البقرة: ٢٠٨).

بعد أن يتم العقد يقوم الزوج أو وليه بحجز قاعات الأفراح وصلاتها التي تعج بعد بالمدعوين من النساء والرجال ليحدث الاختلاط بصورة الرذيلة التي لا تراعى فيها الحرمات؛ بل تُجترح عيائاً بيائاً، وربما زاد الأمر تعقيداً إذا دارت الخمر أو المخدرات على رءوس الأشهاد مع وجود الموسيقى والراقصة والمغنية.

وأسوأ ما يمكن تصويره أن يزين الرجل امرأته، أو يدفع بنفسه إلى الحلاق «الكوافير» ويشترى بماله ثوباً عارياً لها ليعرضها سلعة رخيصة أمام الناظرين، ثم يدعي بعد أنه «صاحب عقيدة» أو «عقيدته سليمة» أو «أن قلبه مطمئن بالإيمان» أو أنها «فرحة العمر».

أفلا حياءُ من الله تعالى؟! !!! ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۚ﴾ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (المطففين: ٤-٦). وما أشد حسرة هؤلاء إذا وقف بهم غداً على بساط العدل يطالع أحدهم صفحات كتابه وسطور أعماله فيصيح: ﴿يَا وَيْلَتَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩).

إن من أهم أسباب النصر والتمكين ورفع البلاء عن هذه الأمة: نصرة شريعة الله تعالى، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَصَرُّوْا لِلّٰهِ يَنْصُرْكُمْ﴾ (محمد: ٧). وأجمع المفسرون

هنا على أن نصر الله تعالى هنا إنما هو: العمل بأحكام الشريعة، والإيمان بالغيب، وإقامة أحكامه^(١).

والأمة لن يصلح حالها إن فرطت في بعض الأمور وعملت ببعضها، يقول صاحب الظلال رحمه الله تعقيباً على هذه الآية الكريمة: «إن الله في نفوسهم أن تتجرد له، وألاً تشرك به شيئاً، شركاً ظاهراً أو خفياً، وألاً تستبقي فيها معه أحداً ولا شيئاً، وأن يكون الله أحب إليها من ذاتها ومن كل ما تحب وتهوى، وأن تحكمه في رغباتها، ونزواتها، وحركاتها، وسكناتها، وسرها وعلانياتها، ونشاطها كله وخلجاتها، فهذا نصر الله في ذوات النفوس.

وإن لله (تعالى) شريعة ومنهاجاً للحياة، تقوم على قواعد وموازين وقيم وتصور خاص للوجود كله وللحياة، ونصر الله يتحقق بنصرة شريعته ومنهاجه، ومحاولة تحكيمها في الحياة كلها بدون استثناء، فهذا نصر الله في واقع الحياة»^(٢).

إن ما جاء عن النبي ﷺ في مثل هذه الحال أنه أمر بالوليمة، فقال لعبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه - إذ تزوج - : «أولم ولو بشاة»^(٣).

ومن أشهر الولاتم في عهد النبي ﷺ وليمته عليه السلام على زينب بنت جحش رضي الله عنها^(٤)، ولا يشترط كون الوليمة من لحم، فقد أولم ﷺ على أم المؤمنين صفية بسويق وتمر.

• حكم الوليمة:

قد أوجبها بعض العلماء على الزوج، والأكثر على أنها غير واجبة^(٥)، لهذا لا ينبغي للزوج أن يزهد في أداء هذا السنة المباركة اقتداء بالرسول ﷺ وخروجاً من الخلاف الفقهي في وجوبها، ويستحب له اختيار شهر شوال لعقد النكاح والوليمة

(١) تفسير ابن كثير (٢٩٣/٧) معالم التنزيل (٢٨١/٧).

(٢) في ظلال القرآن (٣٢٨٨/٦) ط دار الشروق الطبعة الثالثة عشر.

(٣) رواه البخاري (٥١٤٨) في النكاح، مسلم (١٤٢٧/٧٩ - ٨٣) في النكاح عن أنس رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٥١٥٤) في النكاح.

(٥) ابن قدامة المقدسي (١٠٥/٨) في المغني.

والدخول بالزوجة، وذلك لاستحباب السيدة عائشة رضي الله عنها ذلك^(١)، على أن يراعي في وليمته وتجهيز بيته تجنب الإسراف والبذخ.

والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الاعراف: ٣١). وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «كلوا واشربوا وتصدقوا في غير سرف ولا مَخِيلَة، إن الله تعالى يُحِبُّ أن يرى أثر نعمته على عبده»^(٢).

إن من حكمة هذه الوليمة:

* إطعام الفقراء وإلا بثست هي، فبئس الطعام وبئس الوليمة يُدعى إليها الأغنياء ولا يُدعى إليها الفقراء^(٣).

* ثم دعاء الحضور للعروسين لا بقولهم: «بالرفاء والبنين»، فإنما هي من موارث الجاهلية الأولى، وإنما بدعائه ﷺ ودعاء صحابته: «اللهم بارك لهم وبارك عليهم»^(٤)، فتتحقق البركة إن شاء الله بدعاء الحضور، فلعل منهم من هو مجاب الدعوة.

• أخطاء شائعة ليلة الزفاف قد تمحق البركة:

ولأن العروس يومها تبالغ في الزينة، وتدفع هي والزوج مبالغ طائلة تخشى على هذه الزينة التي قد يكون فيها ما يستوجب اللعن وهو الطرد من رحمة الله تعالى، فقد «لعن رسول الله ﷺ الواشمة والمستوشمة، والواصلة والمستوصلة، والنامصة والمتنمصة، والواشرة والمستوشرة»^(٥).

والواشمة: التي تصنع الوشم بدق الإبرة وغرزها في الجلد، وحشوه بكحل أو نيل، فيزرق أثره أو يخضر.

والمستوشمة: التي تطلب دق الوشم لنفسها.

والواصلة: صانعة الشعر المستعار (الباروكة).

(١) رواه مسلم (١٤٢٣/٧٣) في النكاح عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح: الحاكم (١٣٥/٤) في المستدرک وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) جاء في ذلك حديث عند مسلم (١٤٣٢/١٠٩) في النكاح.

(٤) صحيح: ابن ماجه والنسائي عن علي رضي الله عنه، وانظر الإرواء (١٩٢٣).

(٥) رواه البخاري (٥٥٨٧) في اللباس، مسلم (٢١٢٤) في اللباس عن ابن عمر رضي الله عنهما.

والمستوصلة: مَنْ يُصنع لها ذلك.

والنامصة: التي تتنف شعر الحاجب وهو من أشد المحرمات، وفاعلته مستحقة للعن، لا شك عندنا في ذلك؛ لكونها غيّرت خلقه ربها إذ جاء في رواية ابن مسعود للحديث السابق كما في الصحيحين: «لعن رسول الله ﷺ: الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيّرات خلق الله».

وبعض أهل الفساد من أصحاب (فتاوى الفضائيات المشبوهة) لبس على المسلمات فيسرن لهن الهوى بقوله: إن النمص هو: إزالة شعر الحاجبين كله، أو رسم الحاجب. فهون عليهن- بل وعليهم- تزيق الحاجب والأخذ منه، وهذه فتنة عظيمة نسأل الله النجاة منها.

يقول الشيخ صالح بن فوزان حفظه الله: «ويحرم على المرأة إزالة شعر الحاجبين، أو إزالة بعضه بأي وسيلة من الوسائل، من الحلق أو التقصير أو استعمال المادة المزيلة له أو لبعضه، لأن هذا هو النمص الذي لعن النبي ﷺ مَنْ فعلته، وقد ابتلي بهذه الآفة الخطيرة التي هي كبيرة من كبائر الذنوب كثير من النساء اليوم، حتى أصبح النمص كأنه من الضرورات اليومية، ولا يجوز لها أن تطيع زوجها إذا أمرها بذلك لأنه معصية». اهـ.

وتتمة لهذه الفتوى يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «وينبغي للمرأة ألا تفعل ذلك- يعني النمص أو الحلق أو القص- إلا إذا كان الشعر كثيراً على الحواجب بحيث ينزل إلى العينين فيؤثر على النظر فلا بأس بقص أو تخفيف أو إزالة ما يؤدي من هذا الشعر دون نتف الحاجب» (١). اهـ.

فالفتوى إذن تميز القص دون التنف في حالة سقوط شعر الحاجبين على العينين بشكل مؤذٍ، وبهذا لا يجوز تسوية الحاجبين أو إزالة الشعر منهما في غير حالة المضطرة هذه- والله أعلم-.

قلت: وهذا المذهب- أن النمص أخذ شعر الحاجب فقط- هو مذهب أم المؤمنين

عائشة رضي الله عنها، ومذهب غالب أهل العلم أنه أخذ الشعر من الوجه، فاحذرن يرحمكم الله.

والمتنمصة: هي التي يفعل لها ذلك، وهذا ما يكون في بعض الرجال من المختئين أيضاً وهم ملعونون بنص حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «لعن رسول الله ﷺ المختئين من الرجال، والمترجلات من النساء»^(١).

والواشرة: التي تحدد الأسنان، وترقق أطرافها بغير حاجة.

والمستوشرة: التي تطلب فعل ذلك.

والتفلجات للحسن: اللواتي يقمن بتوسيع الفتحة المفرقة بين الأسنان بالمبرد للتخلي بذلك، وإظهار الحسن^(٢).

إن الأمر يتعدى السلعة على المرأة إلى لعنة على الأب والزوج الديوثين اللذين يسمحان لها بذلك كله، ولأن العروس قد فعلت ما فعلت من هذه الأمور فإنها في تلك الليلة لا تصلي!! وترك الصلاة، فكيف تتوضأ وهي تعلم أن ثيابها ستعيقها، أو هي عارية؟ وكيف تتوضأ والمساحيق على وجهها؟ بل ربما نسيت الصلاة في ليلتها!! فأبي بيت على مثل هذه الأسس الهاوية بأهلها إلى غضب الله يمكن أن يقوم أو يخرج ثمرة صالحة؟!

وما يقال للزوجة يقال للزوج أيضاً، وما أجمل الفرحة إذا كانت على شريعة الله تعالى، فدع عنك ما يقوله الأهالي في تلك الليلة: إذا لم تُفرحنا غضبنا منك!! فليغضب من يغضب إذا رضي الله تعالى، وعذاب الدنيا وفضوحها أهون من عذاب الآخرة وفضوحها، فطوبى للغرباء.

«تحسينات للطفل قبل إتيانه إلى الحياة (لحظة الجماع):

هذه هي اللحظة التي سما بها الإسلام من مجرد لقاء بين جسدين أو ذكر وأنثى إلى مودة ورحمة، وسكن وطاعة، يستجلب بها المؤمن الثواب ويستدره، فالقضية

(١) رواه البخاري (٥٨٨٥) و (٥٨٨٦) في اللباس.

(٢) راجع في ذلك تحفة العروس (ص ١٦٩ - ١٧٢) ط- دار الفجر للتراث.

ليست قضية نطفة يلقيها رجل في أحشاء امرأة في لحظة هيجان جنسي؛ لكنها آية من آيات الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١).

والإسلام اعترف بالغريزة الجنسية فلا كبت لها ولا استنكار ولا قذارة؛ بل متاعٌ كامل بكل ما في الفطرة من جوانب المتاع والمتعة التي يقضي بها المؤمن حاجته في جو مليء بالعفة والطهر، وطمانينة النفس التي تأمل الثواب حتى في شهوة تقضيها النفس مع ألفها الذي يسره الله تعالى.

لقد أرشد الإسلام أصحابه إلى اتباع السبيل القويم في مثل هذه اللحظات، واستحضار عظمة الخالق سبحانه، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه عليه السلام قال: «إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً أَوْ اشْتَرَى خَادِمًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا جَبَلْتُهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَمِنْ شَرِّ مَا جَبَلْتُهَا عَلَيْهِ»^(١).

فهذا استحضار لعظمة الله تعالى في مثل هذه اللحظات، ثم تأتي آداب الجماع بعد.

• آداب الجماع:

١- استحضار النية: قصد الفعل ابتغاء وجه الله وامتنالاً لأمره^(٢).

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله عليه السلام يقول: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...»^(٣).

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله عليه السلام قال: «... وَفِي بَضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ». قالوا: يا رسول الله آياتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ»^(٤).

«وفي هذا دليل أن المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقات، فالجماع يكون

(١) حسن الإسناد: أبو داود (٦١٦/٢).

(٢) الفتح (١٩/١) بتصرف.

(٣) أخرجه البخاري (١٥/١)، ومسلم (١٥١٥/٣) (١٥٥) (١٩٠٧).

(٤) أخرجه مسلم (٦٩٧/٢) (٥٢) (١٠٠٦) وأحمد (١٦٧/٥)، وأبو داود (١٢٨٥).

عبادة إذا نوى به قضاء حق الزوجة، ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر الله تعالى به، أو طلب ولد صالح أو إعفاف نفسه أو إعفاف الزوجة ومنعهما جميعاً من النظر إلى الحرام أو الفكر فيه أو الهم به أو غير ذلك من المقاصد الصالحة^(١).

وقال الله عز وجل: ﴿فَالَّذِينَ بَاسِرُونَ وَابْتَغَوْا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٧).

«فلما خفف الله عز وجل عن الأمة بإباحة الجماع ليلة الصوم إلى طلوع الفجر وكان المجامع يغلب عليه حكم الشهوة وقضاء الوطر، حتى لا يخطر بقلبه غير ذلك أرشدهم سبحانه إلى أن يطلبوا رضاه في مثل هذه اللذة، ولا يباشروها بحكم مجرد الشهوة بل يبتغوا بها ما كتب الله لهم من الأجر والولد الذي يخرج من أصلاهم يعبد الله لا يشرك به شيئاً»^(٢).

٢- التسمية: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بذكر الله وببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع»^(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «أما لو أن أحدهم يقول حين يأتي أهله: بسم الله اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، ثم قدر بينهما في ذلك أو قضي ولد لم يضره شيطان أبداً»^(٤).

«وقيل: لم يضره مشاركة أبيه في جماع أمه كما جاء عند مجاهد: أن الذي يجامع ولا يسمى يلتف الشيطان على إحليله فيجامع معه. ولعل هذا أقرب الأجوبة»^(٥).

(١) شرح النووي (٩٢/٧) على مسلم.

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود (ص ١١).

(٣) أخرجه الحافظ عبد القادر في أربعين كما في عمدة القاري (١١/١) للعيني، وأبو داود (١٧٢/٥) (٤٨٤٠)، وابن ماجه (١/٦١٠) (١٨٩٤) ولفظه: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد أقطع». وقال العيني في العمدة (١١/١) رواه ابن حبان، وأبو عوانة في صحيحيهما وقال ابن الصلاح: هذا حديث حسن بل صحيح، وأخرجه أحمد (٣٥٩/٢).

(٤) أخرجه البخاري (١٣٦/٩) (٥١٦٥) كتاب النكاح باب ما يقول الرجل إذا أتى أهله، ومسلم كتاب النكاح باب ما يستحب أن يقال عند الجماع (١٠٥٨/٢) (١١٦) (١٤٣٤)، وأبو داود (٦١٧/٢) (٢١٦١)، وابن ماجه (١/٦١٨) (١٩١٩)، وأحمد (٢١٧/١)، والدارمي في السنن (١٤٥/٢).

(٥) قاله الحافظ في الفتح (١٣٧/٩).



وفي الحديث استحباب التسمية والدعاء، والمحافظة على ذلك حتى في حالة الملاذ كالوقاع، وفيه الاعتصام بذكر الله ودعائه من الشيطان والتبرك باسمه والاستعاذة به من جميع الأسواء، وفيه إشارة إلى أن الشيطان ملازم لابن آدم لا ينطرد عنه إلا إذا ذكر الله (١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «قال إبليس: كل خلقت بينت رزقه، ففيما رزقي؟ قال: فيما لم يذكر اسمي عليه» (٢).

٣- الاستتار: عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قلت: يا رسول الله عوراتنا، ما نأتي منها وما نذر؟ قال: «احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك». قلت: يا رسول الله أرأيت إن كان القوم بعضهم في بعض؟ قال: «إن استطعت أن لا تريها أحداً، فلا تريها». قلت: يا رسول الله فإن كان أحداً خالياً؟ قال: «فإن الله أحق أن يستحي منه من الناس» (٣).

• فوائد في مسألة الجماع:

* لا داعي للاستعجال في فض البكارة من أول ليلة يدخل عليها، خاصة إذا كانت الزوجة غير مهية نفسياً لذلك، أو لخوفها على نفسها من عملية الجماع، فإن فض البكارة من أول ليلة لا يعتبر دليلاً على تمام الرجولة والفحولة؛ بل إن وطأها مغصوبة - خاصة في هذه الليلة - يترك في نفسها أثراً سيئاً، وخبرة مؤلمة ربما تلازمها طول حياتها الزوجية، فتعكر عليهما عيشهما وصفو حياتهما، وكان يكفي الزوج أن يصبر عليها، ويزيل وحشتها، ويدخل عليها السرور، حتى تمكنه من نفسها راضية مختارة، على أن لا تطول معالجته إياها لأكثر من أسبوع (٤)، فإن زادت عنه وما استطاع أن يعرف سبب الممانعة أشعر أهلها بذلك.

(١) قاله الحافظ في الفتح (١٣٧/٩).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (١٢٨/١٢)، وأبو نعيم في الحلية (١٢٦/٨)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٢٥٧/٢)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٧٠٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٦١٨/١) (١٩٢٠)، والترمذي (٥٣٠/٨) (٢٩١٩) كتاب الادب باب ما جاء

في حفظ العورة وقال: هذا حديث حسن.

(٤) هذا ما ارتضاه ابن قدامة (١٥٩/٨)، (١٦٠) في المغني.

اعلم أن طبيعة العلاقة الجنسية بين الزوجين لها علاقة مباشرة بالوراثة وعلم الأجنة، فتفيد الدراسات: «أن المعايير الخلقية التي تصاحب قضاء الناحية الجنسية بين الزوجين تنتقل إلى أولادهما... ومتى تم الإخصاب في ظروف ملائمة كان جديراً بأن يكون ذلك بشير خير لإنسان جديد»^(١). «فإذا كان الوالدان أو أحدهما فاقداً للوعي تحت تأثير مخدر أو خمر أو نحو ذلك، وحدث إخصاب بينهما في ذلك الوقت، كان المولود في الغالب ضعيفاً من الناحية العقلية، أو مصروعاً، أو مجنوناً»^(٢).

وهذا معناه أن تترفق بالزوجة إذ العلاقة الجنسية هامة ومصيرية إذ أنها يترتب عليها طبيعة المولود الجديد وكيانه، فإذا ما أحاطته هذه الأمور عناية ورعاية من (نية مستحضرة- وبسمله- ودعاء وذكر- وترفق) أخذت بكل الأسباب، وبقيت النتائج على الله تعالى لا دخل لأحد فيها- والله أعلم-.

لقد تحولت لحظة الجماع إلى لحظة طاعة، مفعة بالإيمان، لا شيطان يحضرها؛ بل بركة تكتنف بوابتها ووقتها، حتى إن الجنس لتعلو مرتبته من مجرد قضاء الوطر إلى سلوك رفيع، وقيم عالية، وأسلوب خاص بالبشر المؤمنين بعيداً عن أسلوب البهائم؛ بل هو سلوك إيماني رفيع متزن، وأيما ولد نبت في هذا الجو الإيماني لا شك أنه سيكون ولداً مباركاً طيباً.

• تنمة:

وتبقى نقطة أخرى من أهم العوامل التي تأتي بالولد الصالح- إن شاء الله- ألا وهي: طيبُ النفقة، لطيبُ الغرس ويشمر، فكل لحم نبت من سحت فالنار أولى به، جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (المؤمن: ٥١). وقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن

(١) نصار، محمد عبد الستار، الطفولة في ضوء معطيات الإسلام مجلة التربية العدد (٤١) (ص ٧١، ٧٢).

(٢) نصار، محمد عبد السلام، الوراثة والبيئة وأثرهما في تكوين الخلق، مجلة التربية العدد (١٩)



طَبَّاتٍ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة: ١٧٢). ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذّي بالحرام، فأنى يستجاب له؟^(١) . أي: كيف يستجاب له؟

والولد من كسب أبيه، فإن طابت النفقة، طاب الكسب، وإلا فهو خيث لا صلاح فيه بعد.
• الدعاء بالولد:

وبعد الدخول يستحب للمرء أن يدعو بالولد الصالح كما فعل الأنبياء عليهم السلام، فقال الله تعالى عن الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الصافات: ١٠٠).

وقال عن زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (آل عمران: ٣٨).

وقال عنه أيضاً: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالٍ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (مريم: ٥، ٦).

ويتخطى أيضاً ذلك بالدعاء لهم كما سجل القرآن ذلك: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤).

وكذا قال خليل الله إبراهيم عليه السلام وولده الذبيح إسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ (البقرة: ١٢٨).

وقوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (إبراهيم: ٤٠).

وقول المؤمن إذ بلغ أربعين سنة: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ (الأحقاف: ١٥).

والدعاء هنا على الإطلاق للذكر والأنثى، فالخيرة دائماً فيما اختاره الله عز وجل للمرء، والقدر كنز مخبوء للمسلم لا يحوي في صندوقه إلا كل خير وسعادة إن شاء الله.

أثر صلاح أو فساد الوالدين على الأولاد

• أصلح نفسك قبل أن يأتي ولدك:

ربما كان الإنسان قبل الزواج مشئت الفكر، مبثر الآمال، همه في دنياه: طعام وشراب وكساء، وأمله: شرب خمر ونساء، لكن الأمر يتغير تمامًا بعد الزواج، لأنه أقدم على بناء أسرة حالما يخرج ثمراتها من أكمامها عمًا قريب، وهنا ينبغي للمرء أن يتوقف كثيرًا مع حياته السابقة قبل أن يأتي الصغير ليجد أبًا فاسدًا، أو شبه فاسد، أو حاملًا لصفات يمكن لواحدة منهن تدمير عدة أفراد؛ بل مجتمع كامل.

وكذا وجب على المرأة أن تعيد ترتيب حياتها قبل الزواج وبعده، لتصل إلى خير حال يمكن للمؤمن الوصول إليه ليكون أبًا أو أمًا صالحة.

خطورة فساد الآباء على الأبناء:

(الأبناء يعيرون بذنوب آبائهم وأمهاتهم) على هذا درج الناس، وعلى هذا استقامت الحياة، وبه جرت المقادير، فابن الزنا يظل طيلة حياته أسيرًا لفعل أبويه، وابن اللص يُشار إليه بالأصابع أنه ولدٌ للصوص!!

إن كان صالحًا قالوا: كيف صلح وأبوه لص؟ وإن كان فاسدًا قالوا: فسد بفساد أبيه. وتظل هذه الصفات القبيحة مطاردة للولد أو للبنات طيلة حياتهما، يظهر ذلك جليًا في مواطن تجمع الصغار في المناسبات وغيرها، أو عند الزواج فيرفض الشاب لجريرة لا زال يحمل عارها، رغم أن أباه هو الذي ارتكبها!!

هذا حاله مع الناس، أمّا مع ربه فإنه ﴿وَلَا تَرَوْا زُرَّةً وَزُرَّ أُخْرَى﴾ (الأنعام: ١٦٤).

وهذه المعرة التي تظل سبةً في جبين صاحبها، وظلاً له أينما ولى وجهه كفيلاً بأن تقتل الولد نفسياً، وأن تزرع فيه:

* كراهية أبيه وأمه.

* وكراهية الناس ممن يعيرونه.



* والإحساس بالنقص الدائم أمام أصدقائه.

* والعزلة الدائمة لثلا يُعير بذلك.

* وأن ينجرف في نفس تيار أبيه وأمه.

والقاعدة تقول: إن الله تعالى رحمن رحيم، والمجتمع والناس لا يعرفون الرحمة، فإذا كان على الأب أن يختار زوجة صالحة، وعلى الأم أن تختار زوجاً صالحاً، فعليهما أن يتتبعيا عن كل سوء يفعلانه، وأن يكفيا عن كل مفسدة يرتكبانها، لثلا يظل الصغير حاملاً عارهما أينما ولّى بوجهه، مما يعني أن يحارب الوالدان شهواتهما التي لا تستغرق إلا وقتاً قليلاً بينما تجر ذلاً طويلاً يدوم ما دام الناس يتذكرونهما.

• حكاية:

ويُحكى أن أحدهم بال على نفسه في الصلاة، فصار حديث قريته، مما اضطره إلى الهروب والرحيل، وبعد ثلاثين سنة أراد العودة إلى دياره ظاناً أن أمر (بولته) قد ولّى ونسيه الناس، فما أن دخل إلى موطنه حتى سمع أمّاً تضرب صغيرها، فإذا به يسرع يأمرها بالكف عن ذلك، فقالت له: إنك لا تدري ما فعل. قال: وما فعل؟ قالت: فعل مثل من بال على نفسه منذ ثلاثين سنة في الصلاة!! فولّى عائداً حين علم أن أمره لم يُنس بعد، وهكذا سيرة كل غادر وفاجر تتحول إلى شبح يطارد الصغار، أو نقمة ومثلة ولعنة في الأبناء، وحيدة عن طريق الحق، ونزول لتلبلايا والأسقام، فاحذر، واحذري، وتوبا إلى الله تعالى، وأكثرنا من العمل الصالح.

• أثر صلاح الوالدين على الصغار:

* أثر ذلك في الدنيا: وعلى النقيض يكون صلاح الآباء والأمهات فآلاً حسناً، وخيراً وفيراً على الصغار، فالصغار يقرءون القرآن إذا رأوا آباءهم يفعلون ذلك، وكذا يصلون، ويصومون، ويسيرون على الجادة إذا ما وجدوا آباءهم كذلك.

ثم يحفظ لأبائهم الصلاح، ويحفظون هم به، والله تعالى يقول: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً﴾ (النساء: ٩).

وهذا يوضح الصلة بين الفعل والقول السديد والتقوى من جانب، وبين الذرية من جانب آخر، فالذرية تنسب إلى الصالح من آبائهم:

- فالله تعالى نسب المؤمنين إلى آبائهم فقال سبحانه: ﴿ذُرِّيَّةٌ مِّنْ حَمَلٍ مَّعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الإسراء: ٣). وَلَمْ يُحْمَلْ مَعَ نُوحٍ إِلَّا مُؤْمِنٌ.

- وعلى الرغم من فساد بني إسرائيل في الأرض إلا أن الله تعالى نسبهم إلى إسرائيل - يعقوب عليه السلام - فقال: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (البقرة: ٤٧، ومواضع أخرى). وهذا تذكير لهم للتأسي به في الخير والصلاح.

- ولما أراد بنو إسرائيل تعنيف مريم عليها السلام لظنهم سوء بها نسبوها إلى هارون عليه السلام وإلى صلاح أبيها فقالوا: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ (مريم: ٢٨).

- وبقي الله الصغار مصارع سوء ويحفظهم بصلاح آبائهم، فقد تجشم نبيي الله الكريمين موسى والخضر عليهما السلام مشقة السفر إلى أهل قرية بخيل أهلها أبوا أن يضيفوهما، لا لشيء إلا لبناء جدار اليتيمين في هذه المدينة التي على شح أهلها أنجبت صالحاً من الصالحين، فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ (الكهف: ٨٢).

فيحفظ الله مال الأيتام بصلاح الآباء والأجداد، ويبنى الجدار بيد الكليم والخضر عليهما السلام، ولا شك أنه مال حلال الذي جمعه هذا المؤمن الطيب، ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٢٧). لقد كان أحد السلف يقول لولده: «يا بني لأزيدن في الصلاة من أجلك».

ها هو الإمام البخاري رحمه الله حينما أراد الترجمة لوالده يقول: «ترك له ألف ألف درهم ليس فيهن درهم واحد فيه شبهة!!» وكانت أمه عابدة رزقت حظاً وافراً من الابتهاال إلى الله والدعاء حتى ردَّ الله بصر البخاري بدعائها^(١)، وكذا حال شيخ

الإسلام ابن تيمية الذي كان أبوه وجده وأخوه أهل علم وفضل، فطاب الثمر إذ طاب الجذر.

• أثر صلاح الوالدين على الأولاد في الآخرة:

هذا هو قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الطور: ٢١). فإذا لم يبلغ الابن بعمله منزلة أبيه ألحقه الله بأبيه دون أن يخس الأب حقه.

وقال تعالى عن دعاء الملائكة للصلحين: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (غافر: ٨). فهذا ما جناه صلاح الآباء: دعاء الملائكة، ولحوق بركب الصالحين في الآخرة.



أمور ينبغي على الأب تعلمها ليكون أباً صالحاً

يقول الدكتور عدنان حسن صالح باحارث في كتابه: مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد: «يعتمد الأب في تربية أولاده على شخصيته وأسلوبه في توجيههم، وهذه تعد من أهم الأعمال والتبعات التي يتولاها الأب، وهي مضافة إلى ما تقدم من المهام في تكوين الأسرة، ورعاية المولود الجديد.

ومن خلال هذا المبحث نستعرض أهم الجوانب والمقومات التي ينبغي أن يتحلى بها الأب في نفسه وشخصه؛ ليتمكن من التأثير على الأولاد وتوجيههم الوجهة السليمة التي تكفل لهم الاستقامة على منهج الله عز وجل:

أولاً: القدوة:

تعتبر القدوة من أهم وسائل التربية إن لم تكن هي أهمها على الإطلاق، وذلك لوجود تلك الغريزة الفطرية الملحة في كيان الإنسان التي تدفعه نحو التقليد والمحاكاة، خاصة الأطفال الصغار^(١)، فهم أكثر تأثراً بالقدوة إذ يعتقد الطفل في سنواته الأولى أن كل ما يفعله الكبار صحيح، وأن آباءهم أكمل الناس وأفضلهم، لهذا فهم يقلدونهم ويقتدون بهم^(٢).

ويبدأ التقليد عند الأطفال عادة منذ السنة الثانية تقريباً، ويبلغ التقليد غايته في سن الخامسة أو السادسة، ويستمر معتدلاً حتى الطفولة المتأخرة^(٣).

ولا شك أن هذا التقليد دليل على محبة الأولاد لآبائهم، وليس نابغاً عن خوف أو خشية؛ بل هو ميل حقيقي قد امتلك واستهوى قلوب الصغار نحو آباءهم، وهذا الاعتقاد الصحيح يخالف وينقض ما ذهب إليه «فرويد» صاحب عقدة «أوديب» من

(١) النحلوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية في البيت والمدرسة والمجتمع، (ص ٢٣١)،

(٢٣٢).

(٢) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون (ص ١٠٢).

(٣) عابدين، جمال، الطفل كيف نهذه في عاداته وميوله، مجلة رسالة المعلم، العدد (٢) (ص ٤٤).

الزعم بأن الولد يكن في نفسه بغض أبيه وكرهيته لأنه ينافسه على أمه^(١)، وهذا لا شك يعد من الافتراء الباطل واتهام فطرة الأولاد الأبرياء بالنفاق والخداع منذ حداثة أسنانهم، وقبل أن يكونوا مكلفين، وهذا النوع من الاتجاهات المنحرفة وما شابها يحذر الأب منها غاية الحذر فلا يكثر من الاطلاع عليها في الكتب المنحرفة، فضلاً عن الاعتقاد بها والعمل بموجبها، مع الحذر من بعض الكتاب الذين تبعوا فرويد في اعتقاده الباطل بشيء من التهذيب والتحسين دون تصريح، خطأ منهم أو جهلاً^(٢).

والأطفال يتعلمون بالقدوة والمثل أكثر بكثير مما يظن ويتصور الوالد، فالطفل يتأثر بنا ويقلد طريقتنا في معاملتنا، وعلاقتنا بجارنا، وحديثنا عن زملائنا في العمل، دون أن نشعر نحن غالباً بهذا الأمر، فاتجاهاتنا النفسية تصبح كلها هي نفس اتجاهاتنا النفسية^(٣)، وبناء على هذا يكون التعود على فعل الخير بالقدوة الصالحة في أول الأمر هو المنهج الصحيح للتربية الإسلامية^(٤)، إذ أن العقيدة الإسلامية لا يكفي أن تكون في قلب المسلم دون أن يكون لها واقعها العملي المترجم في السلوك الإسلامي الصحيح في جميع مجالات الحياة^(٥)، فقد ذم الله سبحانه وتعالى ومقت الذين تخالف أعمالهم أقوالهم، فقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٦) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٢، ٣). وقال عليه الصلاة والسلام: «يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أفتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتية، وأنهى عن المنكر وآتية»^(٦). وسبب

(١) انظر: فرويد، سيجموند، الذات والغرائز (ص ٦٤، ٦٥).

(٢) انظر ما كتبه معروف زريق في كتابه كيف نربي أبناءنا ونعالج مشاكلهم، (ص ١٢٢).

(٣) ويتزمان، إلياس، التربية الاجتماعية للأطفال (ص ٧٥) بتصرف.

(٤) قطب، محمد، النظرية التربوية الإسلامية بحوث ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية، (ص ١٦).

(٥) النوري، عبد الغني عبد الفتاح، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، مجلة التربية العدد

(٧٤) (ص ١١٤).

(٦) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن

المنكر ويفعله، حديث رقم (٥١) (ج ٤/ص ٢٢٩١).

هذا التحذير الشديد من مخالفة القول للعمل ما يمكن أن تسببه هذه المخالفة من ضرر نفسي فادح بالمقتدين، خاصة الأطفال الذين لا يعقلون، فالطفل الذي ينشأ وهو يظن أن والده منافق وراء في عبادته وأمور دينه، يكون أصعب الأطفال طراً في اجتذابه واستمالته إلى الدين^(١).

فالطفل في حوالي السنة السادسة من عمره تقريباً يمكن أن يحدد مدى التزام أهله بالتوجيهات التي يأمرونه بها^(٢)، فالتلقين لا يثمر مع الولد وإن استعملت معه جميع أنواع ووسائل التربية إن لم توجد القدوة الصالحة التي تكون بمثابة ترجمة عملية للمعاني المجردة^(٣)، وإن الناظر في أوضاع المجتمعات الإسلامية اليوم يجد «أن عقيدتنا وأخلاقنا وقيمنا تكاد تكون في ناحية، وحياتنا العملية في ناحية أخرى، نقيضان لا يلتقيان»^(٤) فكيف ينشأ مع هذا الوضع أطفال صالحون يرون ويشاهدون المتناقضات في حياة الأمة؟ إنهم مهما سمعوا من المربين، فإنهم لن يحملوا في داخل أنفسهم سوى الصورة التي يرونها أمامهم من أنواع وأنماط السلوك إن خيراً فخير وإن شراً فشر^(٥).

وقد تنبه السلف الصالح رضوان الله عليهم إلى هذا الأمر وأهميته، فهذا عمرو ابن عتبة ينبه معلم ولده لهذا الأمر، فيقول: «ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبیح عندهم ما تركت»^(٦). فالأطفال لا يدركون المعاني المجردة بسهولة، ولا يقتنعون بها بمجرد سماعها من المربي بل لابد من المثال الواقعي المشاهد.

وبهذا يظهر أنه لا مجال للتربية الإسلامية الصحيحة بدون القدوة الصالحة التي

(١) سبوك، بنجامين، مشكلات الآباء والأمهات، (ص ٢٢٦).

(٢) مونتاجيو، اشلي، كيف تساعد أطفالنا على تنمية قيمهم الخلقية، (ص ٣٩، ٤٠).

(٣) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية (ج ٢/ص ١٢٢). انظر أيضاً: يالجن، مقداد، التربية الأخلاقية الإسلامية (ص ٦٦) ..

(٤) التوم، بشير حاج، التربية والمجتمع (ص ١٧).

(٥) يونس، أحمد السعيد، طفلك في عامه الثامن، (ص ٦٣، ٦٤).

(٦) ابن عبد ربه، تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين، (ص ١٢٥).

تمثل الأوامر وتستجيب لها، وتزجر عن النواهي وتمتنع عنها.

ثانياً: الرحمة والحب:

يكاد يجمع التربويون على أن الحب والعطف والحنان من أهم دعائم وأساسات التربية، فإن الحب يتمثل في الحنو على الولد، وتقبيله، واحتضانه، وإظهار محبته، والعطف عليه^(١). والطفل وإن كان صغيراً ضعيف الإدراك قليل الفهم إلا أنه يعي البسمة الحانية، ويدرك الغضب، فلا يمكن أن يتعلم الطفل الرحمة والحنان والعطف إذا كان والده يقسو عليه ولا يرحمه^(٢)، فإن الآباء لا يمكن أن يربوا أولادهم بأسلوب الرهبة فقط؛ بل لا بد من الحب الفياض الغامر المتدفق من قلوب الآباء إلى أبنائهم، وهم بالتالي ينقلون هذا الحب إلى غيرهم.

وقد استفاضت السنة المطهرة بروايات عديدة تظهر أهمية هذا الجانب في التربية والتوجيه، فقد روى الحاكم في المستدرک بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا»^(٣). وكان عليه الصلاة والسلام يظهر حبه للأولاد ولا يخفيه، فيقول عن أسامة بن زيد والحسن: «اللهم إني أحبهما فأحبهما»^(٤). وفي الحديث الصحيح الذي أخرجه الترمذي عن أبي هريرة أن الأقرع بن حابس رأى النبي ﷺ وهو يقبل الحسن، فأخبر أن له عشرة من الولد لم يقبل أحداً منهم، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن يعلنها دستوراً للمربين عموماً فيقول: «إنه من لا يرحم لا يرحم»^(٥).

- (١) انظر: النحلوي، عبد الرحمن أصول التربية الإسلامية في البيت والمدرسة والمجتمع (ص ١٢٤).
الهلال، يوسف سعيد، التربية والطفل (ص ٨)، الأدب، علي محمد، منهج التربية عند الإمام علي (ص ١٥٥). عوض، محمد زكي، أطفالنا والتربية (ص ٧٨). فينكس، فيليب، فلسفة التربية (ص ٣٣٥).
(٢) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، (ج ٢/ص ١٠٦ - ١٨٦).
(٣) الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب الإيمان (ج ١/ص ٦٢).
(٤) البخاري، صحيح البخاري، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، باب مناقب الحسن والحسين (ج ٥/ص ٣٢).
(٥) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الولد، حديث رقم (١٩١١) (ج ٤/ص ٣١٨).

فاعتبر تقبيل الصبيان من مظاهر الرحمة بهم، وقد كان يُكثر من تقبيل الحسين حتى يقبله في فمه محبة ورحمة به^(١). وكان يقول عليه الصلاة والسلام: «ريحانتي حسن وحسين»^(٢). وقدم عليه مرة جماعة من الأعراب ينكرون تقبيل الصبيان، فقال لهم: «وما أملك إن كان الله نزع منكم الرحمة»^(٣). ويقول عنه أنس بن مالك: «ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ»^(٤). ويروى أنه عليه الصلاة والسلام كان يخرج لسانه للحسين يداعبه ويلطفه رحمة به^(٥).

فهذا الفعل من رسول الله ﷺ، وإظهاره للحب والحنان للأولاد، والعطف عليهم أمام أصحابه وزواره يشير إشارة واضحة جلية أنه جانب مهم في التربية، ولا بد للأب المسلم أن ينتهجه مقتدياً برسول الله ﷺ، فيفيض على أولاده من حبه وحنانه، ولا يخل عليهم بذلك، خاصة وأن هذه القضية فطرية في قلوب الآباء، فليس في إظهارها تكلف؛ بل إن التكلف في كبتها وكتمانها، فإن نزع هذه الرحمة الفطرية من قلب الأب فهو شقي متكس الفطرة، ولا ينفع أن يكون أباً، ولا ينبغي أن يتولى تربية أولاده فيحرفهم عن الجادة بقسوته وغلظته عليهم، فالطفل إن أحس ببغض والده له، بعدم إظهاره الحب والمودة، فإنه ينحرف قاصداً إزعاج والده وإتعاسه والانتقام منه، إذ أنه يعرف أن انحرافه يقلق والده ويزعجه^(٦).

ومن أعجب ما يروى عن النبي ﷺ في رحمته بالأولاد الحديث الذي ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد عن أبي ليلى قال: «كنت عند النبي ﷺ وعلى صدره أو بطنه الحسن أو الحسين عليهما السلام فبال فرأيت بوله أساريع (أي: طرائق)، فقلت إليه فقال: «دعوا ابني لا تفزعوه حتى يقضي بوله»، ثم أتبعه الماء». وفي رواية: «لا

(١) انظر: أحمد، المسند (ج ٤/ص ١٧٢).

(٢) الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (٧٢٥٣) (ج ٤/ص ٤٣١).

(٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، حديث رقم (٦٤) (ج ٤/ص ١٨٠).

(٤) المصدر السابق، حديث رقم (٦٣).

(٥) انظر: البغوي، شرح السنة، باب بر الوالدين، (ج ١٣/ص ٣٦)، وسند الحديث حسن.

(٦) ليونارد، شارلز، لماذا ينحرف الأطفال، (ص ٨٢).

تستعجلوه»^(١). فهذا نموذج تربوي فريد، وقدوة واقعية لمن أراد أن يتمثل المنهج التربوي الصحيح في مجال تربية الأولاد، والصبر عليهم ومراعاة حالهم.

ثالثاً: العدل:

جاءت الشريعة الإسلامية المباركة بالأمر بالعدل بين الأولاد والتسوية بينهم، وذلك «تفادياً من التحاسد والتحاقد بينهم، فقد يحقدون أحياناً على أبيهم نفسه، والأب مأمور بأن لا يتعاطى من الأسباب ما يشير شيطان العقوق في نفس ولده»^(٢). وجمهور علماء الأمة على استحباب العدل والتسوية بين الأولاد، وكراهة التفضيل بينهم في العطية^(٣)، وذلك استناداً لما روي عن رسول الله ﷺ في الأمر بالعدل في العطية، فقال عليه الصلاة والسلام: «اعدلوا بين أولادكم في العطية»^(٤). بل كان يذهب إلى أبعد من ذلك فيأمر بالعدل حتى في القبل عليه الصلاة والسلام^(٥)، ويقول أيضاً: «إن الله تعالى يحب أن تعدلوا بين أولادكم كما يحب أن تعدلوا بين أنفسكم»^(٦). وما جاءت هذه الأوامر والتوجيهات من رسول الله ﷺ إلا لأهمية هذه القضية في مجال التربية، ومنعاً للحدس والتباغض بين الأخوة، فقد «اتفق الباحثون على أن أشد العوامل إثارة للحدس في نفوس الأطفال هو تفضيل أخ على أخ أو أخت، أو العكس، والموازنة بين الواحد والآخر أمام عينيه أو على مسمع منه»^(٧). لهذا كان على الأب المسلم أن يتجنب أسباب التباغض والتحاسد بين أولاده، بإقامة العدل بينهم، وتوزيع محبته وحنانه عليهم، وإن كان ذلك صعباً في بعض الأحيان للغفلة أو النسيان، أو للميل الفطري إلى الابن الأصغر مثلاً، أو إلى

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب الطهارة، باب في بول الصبي والجارية (ج ١/ص ٢٨٩، ٢٩٠) ورجال الحديث ثقات.

(٢) المغربي، عبد القادر، الأخلاق والواجبات (ص ١١٣) بتصرف.

(٣) الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته (ج ٥/ص ٣٤).

(٤) البخاري، صحيح البخاري كتاب الهبة وفضلها، باب الهبة للولد، (ج ٣/ص ٢٠٦).

(٥) انظر: الإستانبولي، محمود مهدي، تحفة العروس، (ص ٢٤٧).

(٦) الدارقطني، سنن الدارقطني، كتاب البيوع، حديث رقم (١٧٣) (ج ٣/ص ٤٢).

(٧) الإستانبولي، محمود مهدي، تحفة العروس (ص ٢٤٧).

المطيع منهم، لكن لا بد للوالد أن يلاحظ ذلك من نفسه، وأن يتنبه له، فإن الأطفال يحسون ذلك ويعونه، ويدركون مظاهر التفريق في المعاملة، فلإن لم يتدارك الوالد تحسين الوضع، ورد الأمور إلى نصابها في إقامة العدل بينهم، فإن الولد المظلوم ربما نهج السلوك العدواني مع إخوانه انتقاماً لنفسه، أو ربما أثر ذلك عليه وسبب له ضعفاً في التحكم في إفرزاته^(١) إلى غير ذلك من مظاهر سوء التوافق النفسي الذي يمكن أن يصاب به الطفل المتبوذ.

رابعاً: المخالطة:

يميل الأولاد خاصة بعد الثامنة من العمر إلى الجلوس والحديث إلى آبائهم، ويحلمون بأن يكونوا على شاكلتهم، ويرغبون في السماع إلى توجيهاتهم^(٢)، وينبغي للأب المسلم أن يستغل هذه الفرصة وهذا الميل من الولد، فيوجهه التوجيه الصحيح الثمر، ولا ينبغي الانشغال عن الأولاد بالكلية بأي أمر كان، فإن رسول الله ﷺ رغم انشغاله بأمور المسلمين، والجهاد، وسياسة الدولة، لم يمنعه كل ذلك من مخالطة الأولاد- كما تقدم- فقد استفادت كتب الحديث والسير بذكر منهجه وأسلوب حياته في البيت مع الأولاد، فقد روى عنه أصحابه رضي الله تعالى عنهم أنهم شاهدوه والحسن والحسين على بطنه أو صدره وربما بال أحدهما عليه، أو ربما جلس لهم عليه الصلاة والسلام كالفرس يمتطيان ظهره الشريف، وربما صلى وهو حامل أحد الأولاد أو البنات، ويروى عنه أنه كان يقبلهم في أفواههم ويشمهم ويضمهم إليه، وربما خرج على أصحابه وهو حامل الحسن والحسين على عاتقه^(٣)، فكان عليه الصلاة والسلام مع جلالة قدره وعلو منزلته يفعل ذلك؛ ليقبلي به

(١) الهلال، يوسف سعد، التربية والطفل (ص ٣٩).

(٢) فوازو، برنار، نمو الذكاء عند الأطفال (ص ٣٣٥).

(٣) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته

(ج ٨/ ص ٨). مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز حمل الصبيان في

الصلاة، حديث رقم (٤١) (ج ١/ ص ٣٨٥). الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة

(ج ٣/ ص ١٦٦). الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب الطهارة، باب في بول الصبي والجارية

(ج ١/ ص ٢٨٩، ٢٩٠).

الناس، ولأنه يعلم أهمية هذه المخالطة في المجال التربوي للطفل.

أما مع الأطفال الكبار، فكان عليه الصلاة والسلام يمازحهم بما يعقلون ويدركون، فيقول لأحدهم: «يا ذا الأذنين»^(١)، وربما مج أحدهم في وجهه بالماء مداعبة له^(٢)، وربما قال لأحدهم: «يا أبا عمير ما فعل النغير»^(٣).

وهذا كله لم ينقص من جلالة قدره عليه الصلاة والسلام، فقد كان يعلم جيداً أن الأطفال لا يدركون الدنيا بعقولهم وأفهامهم؛ بل يدركونها بعيونهم بما يشاهدونه من الملاطفة والحب والمخالطة^(٤)، لهذا كان عليه الصلاة والسلام يأسر قلوب الصغار والكبار على حد سواء.

فلأب المسلم مدعو للاقتداء بالنبي ﷺ في هذا المجال الهام، فإن لم يتمكن من مخالطتهم دائماً خصص لذلك وقتاً معيناً في اليوم والليلة يجلس فيه مع الأولاد يتحدث إليهم، ويتبسط معهم، ويداعبهم، ويدخل عليهم السرور مستعملاً في ذلك الكلمات الجميلة، والنظرات المشفقة الحانية، والعناق والقبل، حتى وإن بلغ الطفل سن التمييز فلا مانع من ذلك في غير مشهد من الناس^(٥)، مع الاهتمام بالسنوات الأولى فإن السنوات الست الأولى من عمر الولد لها أهمية بالغة؛ بل هي الأساس الذي سوف يكون عليه الولد بعد أن يكبر، لهذا كان استغلالها وتوجيه الطفل فيها إلى الخير له دوره الهام في حياته المستقبلية^(٦)، فإن لم يتمكن الأب من الإشراف المباشر على أولاده ومشاركتهم نشاطاتهم، فإنه يمكنه أن يساعدهم في بعض الأحيان

(١) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في المزاح، حديث رقم (٥٠٠٢). (ج ٤/ص ٣٠١).

(٢) انظر: البخاري صحيح البخاري، كتاب العلم، باب متى يصح سماع الصغير (ج ١/ص ٢٩).

(٣) المصدر السابق، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي قبل أن يولد للرجل، (ج ٨/ص ٥٥).

(٤) الإستانبولي، محمود مهدي، كيف نربي أطفالنا (ص ٨٤).

(٥) لا بأس بأن يحتضن الأب أولاده الكبار على مشهد من الناس إن علم أن ذلك لا يضايقهم، فقد نقل ذلك الفعل عن الخليفة هارون الرشيد حيث احتضن الأمين والمأمون في مجلسه وبكى عندما رأى منهما نجابة وذكاء. انظر: ابن العديم، الدراري في ذكر الدراري (ص ٣٤).

(٦) عمر، المختار، أطفال اليوم وكيف نربيهم (ص ١١).

على أن يبدؤوا نشاطاً ما^(١) ، كأن يوجههم مثلاً إلى قراءة في كتاب معين ، فيبدأ معهم ثم يتركهم يكملون ، ويذهب هو لمهامه ، أو يجلب إليهم لعبة هادفة مسلية ، فيدربهم على طريقة استعمالها والاستفادة منها ويشاركهم في بعض الوقت ، ثم يتركهم يكملون لعبهم منهمكين بلبعتهم الجديدة ، ويخرج هو من بينهم دون أن يشعروا به . وبهذا يكون قد أدرك شيئاً من واجباته في هذا المجال التربوي الهام . ولكن يلاحظ في كل هذا أنه هو الأب وهو صاحب السلطة والمهابة فلا يخالط أولاده - خاصة الكبار منهم - مخالطة تزيل الكلفة بينه وبينهم ، فلا يحترمونه ولا يهابونه ، فإن حدث هذا فقد الأب وسيلة من أعظم الوسائل التربوية مع أولاده ، وهي جانب السلطة والشخصية والمهابة ، فإن من صفات المؤمن أنه «رزق حلوة ومهابة»^(٢) ، فيلاحظ الأب هذا الجانب الهام ، ويكون على جانب من التوسط دون إفراط أو تفريط .

خامساً: الحكمة في التوجيه:

جاء الأمر في الشريعة الإسلامية على التيسير والتسهيل والمقاربة ، دون التعسير والتشديد . قال الله تعالى : «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» (البقرة : ١٨٥) . وقد جاءت السنة المطهرة مبيّنة لمقاصد الشريعة من التسهيل والتيسير ، وذم التنطع والمشادة في العبادات التي هي أعظم الأعمال وأجلّها وأحبّها إلى الله عز وجل . قال عليه الصلاة والسلام : «سددوا وقاربوا ، واغدوا وروحوا ، وشيء من الدلجة ، والقصد القصد . تبلغوا»^(٣) . فالغدو هو السير أول النهار ، والدلجة هي السير في الليل ، وهذا الحديث يفيد الرفق في العبادة وترك التشدد فيها^(٤) . وفي حديث آخر ذم عليه الصلاة والسلام المنتطعين ، فقال : «هلك المنتطعون»^(٥) ، وهم : «المتعمقون الغالون المجاوزون

(١) ليونارد ، شارلز ، لماذا ينحرف الاطفال (ص ٣٤) .

(٢) ابن القيم ، جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام (ص ٩٤) .

(٣) البخاري ، صحيح البخاري ، باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة ، باب القصد والمداومة على العمل (ج ٨/ص ١٢٢) .

(٤) ابن حجر ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ٢٤/ص ٨٣) .

(٥) مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب العلم ، باب هلك المنتطعون ، حديث رقم (٧) (ج ٤/ص ٢٠٥) .

الحدود في أقوالهم وأفعالهم^(١) . يقول المربي ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى :
 «إن أحب الأعمال إلى الله ما كان على وجه السداد، والاقتصاد، واليسير، دون ما
 كان على وجه التكلف، والاجتهاد، والتعسير^(٢)» ، فإذا كان الأمر كذلك مع
 العبادات فكيف بغيرها من الأمور؟ لا شك أن غيرها أهون منها، وأحرى أن ينال
 من الرفق واللين واليسير والتسهيل أكثر مما نالته العبادة.

فمن هذا المنطلق كانت تربية الأولاد وتوجيههم بمنهج التوسط والمقاربة والسداد،
 أولى وأحرى وأكثر جدوى من التشدد والتعسير، فإن الله يحب الرفق ويجزي عليه
 جزاء كثيراً، ويبغض العنف ويكرهه، يقول عليه الصلاة والسلام: «إن الله رفيق يحب
 الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف^(٣)» ، فإن رأى الوالد الوقت المناسب
 للوعظ، اشتغل به دون إفراط أو إكثار منه، فإن كثرة المواعظ عملة، وربما ضعف
 تأثيرها، وسبب رد فعل عند الأولاد^(٤) ، كما أن كثرتها تخالف السنة والمنهج النبوي
 في الوعظ، إذ كان عليه الصلاة والسلام يتخول أصحابه بالموعظة، ولا يكثّر عليهم،
 رغم رغبتهم وحبهم لسماع مواعظه وإرشاداته^(٥) ، كما أن العقاب الكثير ضار
 بالولد، فلا بأس ببعض الأحيان من التغافل عن بعض أخطاء الطفل -خاصة العفوية
 منها- فتمر دون تعليق، أو توجيه، أو عقاب، فقد نصح الإمام الغزالي رحمه الله
 بذلك، فقال: «ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فإنه يهون عليه سماع
 الملامة، وركوب القبائح، ويسقط وقع الكلام من قلبه، وليكن الأب حافظاً هيبة
 الكلام معه فلا يوبخه إلا أحياناً^(٦)» . فإن احتاج الأب إلى التأديب والتوبيخ تجنب

(١) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج ١٦/ ص ٢٢٠).

(٢) ابن رجب، المحجة في سير الدلجة (ص ٤٦، ٤٧).

(٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، حديث رقم (٧٧)
 (ج ٤/ ص ٢٠٠٣، ٢٠٠٤).

(٤) الإستانبولي، محمود مهدي، كيف نربي أطفالنا (ص ٥٤).

(٥) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم
 كي لا ينفروا (ج ١/ ص ٢٧).

(٦) الغزالي، إحياء علوم الدين، (ج ٣/ ص ٧٠).

الاستبداد في ذلك وتوسط»^(١).

وعلى الأب المسلم أن ينهج مع ولده منهجاً قاصداً متوسطاً يحفظ فيه كرامته فلا يخذلها، ولا يكثر من التعنيف الذي يؤدي بالولد إلى عدم احترامه والجرأة عليه، وأن يمنحه شيئاً من الحرية دون إفراط أو تفريط، وعدم التشدد والصرامة في تطبيق النظام والقواعد في البيت؛ بل يمزج ذلك بشيء من المرح والمداعبة والحب، ولا بأس في إفهامه سبب الأمر الذي أمره به والحكمة منه؛ ليكون حافزاً له على فعله وتنفيذه، مع مراعاة عدم تعليق تنفيذ الأمر باقتناع الولد به، فهذا يفسده، ويجب على الأب أن يراعي فهم ولده وقدراته فلا يطالبه بمعايير الكبار، ولا يأمره بما هو خارج نطاق قدرته فهو لا يزال طفلاً صغيراً.

ويوطن الأب نفسه على الاعتدال في معاملة الطفل، فلا يدلله بإفراط، فيشعر بالتسامي على غيره، ولا يحتقره ويهيئه ويذله، فيعيش ذليلاً خاملاً، كما يلاحظ عدم الإكثار من إظهار الخوف عليه والمهابة من أقل شيء يصيبه في لعبه من أمور البيئة من حوله، فإن هذا يضره ويفسد قدراته على مجاراة البيئة المادية، كما أن إهماله وعدم الاكتراث به وبما يمكن أن يحدث له يسبب له قلقاً نفسياً^(٢).

وخلاصة القول هو التقيد بمنهج الاعتدال والتدرج والتلطف في توجيه الولد وتربيته، والأخذ بنصيحة الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى إذ يقول: «واعلم أن رياضة النفس تكون بالتلطف والتنقل من حال إلى حال، ولا ينبغي أن يؤخذ أولاً بالعنف، ولكن بالتلطف، ثم يمزج الرغبة والرهبة»^(٣).

(١) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، (ص ٣٣٥).

(٢) انظر: قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية (ج ٢/ص ١٢٣). الإستانبولي، محمود مهدي، كيف نربي أطفالنا، (ص ٢٧). عوض، محمد زكي، أطفالنا والتربية (ص ٣٥). الغبرة، نبيه، المشكلات السلوكية عند الأطفال (ص ٥٨)، سرحان، منير المرسى، في اجتماعيات التربية (ص ١٩٣). فينكس، فيليب، فلسفة التربية، (ص ٣١٩، ٨٢٦، ٨٢٧). فوستر، كونستانس، تربية الشعور بالمسؤولية عند الأطفال (ص ٦٩).

(٣) ابن الجوزي، الطب الروحاني (ص ٥٨).

سادساً: الدعاء والتضرع:

للدعاء واللجوء إلى الله عز وجل مفعول عظيم في إصلاح الأولاد، واستقامتهم على الدين، فالله سبحانه وتعالى هو مالك الملك، وأمور الخلق وأقدارهم بين يديه يصرفها كيف يشاء، فإذا كان هو سبحانه وتعالى صاحب الشأن، كان من الضروري؛ بل ومن اللازم الطلب منه ودعاؤه، والابتهاال والالتجاء إليه رجاء صلاح الذرية واستقامتها، فإنه لا يوجد شيء في الدنيا أقر وأهنأ لعين المؤمن من صلاح أهله وولده^(١)، فالدعاء أكرم شيء على الله، وهو أشرف العبادات؛ بل هو العبادة نفسها^(٢)، ومن المعروف أن دعوة الأب لولده مستجابة^(٣)، فما أفضل وأحسن أن يستغل الوالد هذه المنزلة والكرامة من الله عز وجل بأن يدعو لذريته، ويرجو من الله صلاحها وهدايتها، فيقتدي في ذلك بالأنبياء الكرام عليهم جميعاً صلاة الله وسلامه، فقد كانوا أكثر الناس دعاء والتجاء إلى الله، وطلباً منه إصلاح أولادهم، فقد سجل القرآن الكريم لبعضهم دعوات وتضرعات عظيمة، فهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام يدعو الله سبحانه وتعالى أن يجنبه وذريته عبادة الأصنام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (إبراهيم: ٣٥). وبعد أن رزقه الله تعالى الذرية الصالحة يحمده الله على ذلك، ويؤكد أن الله سميع الدعاء، فيقول كما حكى الله تعالى عنه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (إبراهيم: ٣٩). وهذا نبي الله زكريا عليه السلام يدعو طالباً الذرية الطيبة: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (آل عمران: ٣٦). وهكذا الأنبياء كلهم عليهم السلام يتضرعون إلى الله بالدعاء راغبين خائفين، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠).

(١) البغوي، معالم التنزيل (ج ٣/ ص ٣٧٩).

(٢) انظر: البخاري، الأدب المفرد، باب فضل الدعاء، حديث رقم (٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ص ٢٤١).

(٣) انظر: الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الدعوات، باب رقم (٤٨)، حديث رقم (٣٤٤٨).

(ج ٥/ ص ٥٠٢)، والحديث حسن.

لذا لا ينبغي للوالد أبداً أن يهجر الدعاء، أو أن يقصر فيه، فإنه مأمور به كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠). وقال أيضاً: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الاعراف: ٥٦). وقال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (الاعراف: ١٨٠).

وعلى الوالد أن يحذر كل الحذر من أن يدعو على أولاده بشر؛ فإن دعوته مستجابة- كما تقدم؛ فقد نقل عن عبد الله بن المبارك أن رجلاً جاء يشكو إليه عقوق ولده فسأله إن كان دعا عليه أم لا؟ فأجاب بأنه قد دعا عليه، فقال له حيثئذ: «أنت أفسدته»^(١). فعلى الوالد أن يحذر من ذلك ويستبدل الدعاء عليهم بالدعاء لهم، ولا بأس أن يجمعهم في بعض الأوقات فيدعو لهم؛ كما كان يفعل أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عند ختم القرآن الكريم^(٢).

هذا إذن ما يجب على الأب المسلم أن يتعلمه ليكون أباً صالحاً، وهي نفس الصفات التي يجب على الأم المسلمة أن تتعلمها قبل ممارسة الأبوة والأمومة عملياً.



(١) سويد، محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل (ص ٢٩٨).

(٢) انظر: الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب التفسير، باب الدعاء عند ختم القرآن (ج ٧/ص ١٧٥) رجال الحديث ثقات.

رعاية الصغير وهو في بطن أمه

ويشاء الله تعالى بعد التقاء الزوجين وإلقاء الرجل نطفته في حشا المرأة أن تستقر في رحم المرأة، فإذا بالحمل تظهر بوادره وعلامته: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّبَيِّنَ لَكُمْ وَنَقَرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الحج: ٥). وقد تكفل الله تعالى برعاية الجنين في بطن أمه وإحاطته بأوجه العناية من الحياة وإيصال الرزق، والسكن، إلا أن الإسلام أوجب بعض الواجبات على الزوج تجاه زوجته حتى لو انفصل الزوجان عن بعضهما. قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْ أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (الطلاق: ٦).

ولقد رخص الشارع الحكيم للحامل الفطر في رمضان إذا خافت على نفسها أو على ولدها أو عليهما وأثناء رضاعتها لمولودها.

عن أنس رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يتغدى فقال: «تعال أحدثك: إن الله وضع عن المسافر والحامل والمرضع الصوم وشطر الصلاة»^(١). قلت: وراوي الحديث هو: أنس بن مالك القشيري وهو غير أنس بن مالك خادم النبي ﷺ. وعنه رضي الله عنه قال: «رخص رسول الله ﷺ للحبلى التي تخاف على نفسها أن تفطر، وللمرضع التي تخاف على ولدها»^(٢).

ولقد نبه الشارع إلى ندب الدعاء للولد وهو في بطن أمه، فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ...﴾ إلى قوله: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ (آل عمران: ٣٥ - ٣٧).

ولقد منعت السنة إيذاء الولد في بطن أمه، فأجلت تنفيذ الحد على الأم ما كان في بطنها، فعن أبي نجييد عمران بن الحصين رضي الله عنهما: «أن امرأة من جهينة أتت رسول الله ﷺ وهي حبلى من الزنا فقالت: يا رسول الله أصبت حداً فأقمه

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن (٥٣٣/١) (١٦٦٧)، وابن جرير في جامع البيان (٨٢/٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٥٣٣/١) (١٦٦٨).

عليّ. فدعا نبي الله ﷺ وليها فقال: «أحسن إليها فإذا وضعت فائتني بها». ففعل فأمر بها نبي الله ﷺ فشدت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت^(١). وقال أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه: «ترك حتى تضع ما في بطنها ثم ترك حولين حتى تقطمه»^(٢).

بل إن الطفل صان الله عز وجل حقه وحفظه له حتى يخرج إلى الدنيا إن كان من أهل الإرث، فإذا مات الرجل وترك زوجة حبلى فإن المال يوقف حتى يتبين ما تضع، وأجمع أهل العلم على أن الرجل إذا مات وزوجته حبلى، أن الولد الذي في بطنها يرث ويورث إذا خرج حياً واستهل^(٣). وهنا تظهر قيمة السنة في تكريمها لنوع الإنسان بالمحافظة على نوعه وقيمته ومعناه الإنساني الرفيع.

إذن ضمن الإسلام للمرأة التي حملت بقدر الله تعالى الأثان والأثاب بمكرهه، والألّا تتسول طعامها وطعام جنينها من الناس لثلا يثقل كاهلها بما لا طاقة لها به، ولثلا تضطر تحت وطأة الضغوط الحياتية إلى مجرد التفكير في التخلص من الجنين المتحرك في أحشائها.

• الجانب النفسي للمرأة الحامل:

وهذا جانب غاية في الأهمية لا يقل عن أي جانب آخر في وجوب الاعتناء به، فالمرأة الحامل تحدث لها بعض التغييرات:

(١) فهي مثلاً تشعر بتغيرات نفسية مفاجئة فتشعر بسعادة بالغة، أو بحزن وكآبة في بعض الأوقات.

(٢) كما يتأرجح شعورها العاطفي فيستحق أن يطلق عليه لقب (تقلبات مزاجية).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنى (٣/١٣٢٤) (٢٤) (١٦٩٦)، وأبو داود (٤/٥٨٧) (٤٤٤٠)، والترمذي (٤/٧٠٧) (١٤٥٩)، والنسائي (٤/٥١)، وابن ماجه (٢/٨٥٤) (٢٥٥٥)، وأحمد (٤/٤٣)، وفي الحديث استحباب جمع أثوابها عليها وشدها بحيث لا تنكشف عورتها في تقلبها وتكرار اضطرابها. النووي في شرح مسلم (١١/٢٠٥).

(٢) معالم السنن (٤/٥٨٨).

(٣) القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥/٦٥).

(٣) كما أن الحامل تصاب ببعض التغيرات الهرمونية مما تفرزه الغدد، فيصيبها هذا كله ببعض الضيق لتغير رائحة القم، أو وجود المناخ الحار الذي يجعلها تختنق، أو للحركة التي يقوم بها الجنين في بطنها.

(٤) كما تقل رغبة المرأة في الجماع في الشهور الأولى للحمل، والتي تقدر بـ (أربعة أشهر ونصف) (١). ومن هنا تبدو حكمة التشريع الإسلامي في تعدد الزوجات لكي يتسنى للرجل الجماع بصورة طبيعية فلا يقع في الزنا الذي حرمه الله تعالى.

(٥) وتضيق الحامل بالدنيا ذرعاً عند بلوغها الشهر الثامن؛ أي: قبل الولادة بحوالي الشهر كما أشار إلى ذلك ابن قيم الجوزية رحمه الله (٢).

ويجب على الأب مراعاة الأمور السابقة كالتالي كما وضحتها الدكتور عدنان باحارث رحمه الله فقال: «لذا وجب على الأب مضاعفة صبره وجهده معها بأن يجنبها كل ما يمكن أن يسوقها إلى الانفعال والضيق؛ إذ أن الانفعالات الحادة، والتوترات العصبية والنفسية للأم يمكن أن تنتقل إلى الجنين، فقد ثبت ذلك علمياً (٣)، فإن كان الجنين يتأثر بمرض الأم وطهارتها وكل ما يجري لها، أما ما يجري للأب فإنه لا يصل إليه، فإن دوره المباشر ينتهي بالتلقيح (٤). أما الأم فيطول إلى تسعة أشهر أو أكثر. وقد أشار بعض المختصين في هذا الجانب إلى أن ما يظهر على المولود من انفعالات الخوف والشجاعة والغضب والكسل والحسد وغيرها: هو نتيجة للعوامل والانفعالات النفسية أثناء الحمل (٥)، فإذا كانت الانفعالات النفسية تضر الجنين هذا الضرر القادح فكيف إذا اقترنت بالاحتكاك الجسدي كالضرب أو اللكم، فإن هذا بلا شك أكثر تأثيراً وضرراً بالجنين والأم، لهذا كان أمر الرسول ﷺ لمن

(١) عمر كحالة (٧٦/١) في النسل والعناية.

(٢) ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود (ص ٢٠١).

(٣) رويحة، أمين ولذلك هذا الكائن المجهول، (ص ١٨).

(٤) فلسفي، محمد تقى، الطفل بين الوراثة والتربية (ص ١٠١)، وانظر أيضاً: كاريل، الكسيس، الإنسان ذلك المجهول (ص ١١٠).

(٥) توما، فيلكس، رلات الوالدين (ص ٢١).

رمت أختها فطرح جنيها أن تدفع لهم عبداً أو أمة^(١) . وهذا إذا طرح الجنين ميتاً، أما إذا طرح حياً ثم مات فإن الواجب في ذلك دية الكبير، وهي للذكر مائة بعير^(٢) ، فالشرعة حريصة على حقوق الجميع، حتى الجنين في بطن أمه، فإن حقه محفوظ مضمون. ويوجه الأب زوجته الحامل إلى الجيد من الطعام كالرطب فإنه يقوي الرحم، ويساعد على يسر الولادة، ويخفف نزيف الدم بعد الولادة^(٣) ، ويجنبها النشويات والسكريات والدهون خاصة في الأشهر الأخيرة، وذلك حفاظاً على متوسط وزن الجنين^(٤) .



- (١) انظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب القسامة، باب دية الجنين ووجوب الدية في قتل الخطأ وشبه العمد على عاقلة الجاني، حديث رقم (٣٤) (ج ٣/ص ١٣٠٩)، وقد سبق الحديث عن الإجهاض.
- (٢) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج ١١/ص ١٧٦).
- (٣) دياب، عبد الحميد وأحمد قرقوز، مع الطب في القرآن الكريم (ص ٢٨).
- (٤) حمام، سامية، سمنة الأطفال تسبب التعاسة والمرض، مجلة التربية، العدد (٧٤) (ص ١٣٩).

حقوق الصغار على الآباء عند الولادة

هذه هي اللحظة التي يتمناها كل زوج وزوجة، فبعد معاناة طالت تسعة أشهر، جاء الوقت الذي ينتظره الجميع، وهو وقت نزول الجنين من بطن أمه، ليشق بصراخه صمت الكون ليعلن عن قدوم نفس مسلمة إلى الوجود، ولأهمية هذه الساعة التي يستعد الوجود فيها لاستقبال النفس المسلمة فقد أحاطها الإسلام بالعناية ورتب لها عدة ترتيبات، وهي:

* عند تعسر الولادة: ينبغي أن يعلم أن هذه الساعة - ساعة الولادة - ساعة اضطراب، والله تعالى يقول: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ (النمل: ٦٢).

يقول القرطبي رحمه الله: «ومجيب المضطر سبحانه هو الذي ينيل سائله ما يريد، لا يقدر على ذلك غيره، وهو سبحانه الذي لا مسافة بين عبده وبينه، يسمع دعاه ولا يخفى عليه حاله، قريب بعلمه من خلقه، قريب ممن يدعوه بالإجابة، أجب من دعاه، واقترب منه حين توجه إليه يسأله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦).

ها هو المضطر في لحظات الكربة والضيق لا يجد ملجأ إلا الله تعالى يدعوه ليكشف عنه الضرر والسوء، وذلك حين تضيق الحلق، وتشتد الخنق، وتتخاذل القوى، وتتهاوى الأسناد، وينظر الإنسان حواليه فيجد نفسه مجرداً من وسائل النصر، وأسباب الخلاص، لا قوته، ولا قوة في الأرض تنجده، وكل ما كان يعده لساعة الشدة قد زاغ عنه أو تخلَّى، وكل ما كان يرجوه للكربة قد تنكر له أو ولَّى.

هنا تستيقظ الفطرة فتلجأ إلى القوة الوحيدة التي تملك الغوث والنجدة، ويتجه الإنسان إلى الله وحده ولو كان نسيه من قبل في ساعات الرخاء، فهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه، وهو وحده دون سواه يجيبه ويكشف عنه السوء، ويرده إلى الأمن والسلامة، وينجيه من الضيقة الآخذة بالخناق).

إن الملاحظ بين الناس أنهم اطمئنوا إلى الطب حتى وثقوا فيه ثقة كبرى أكبر من ثقتهم وبقينهم بالله، فما أكثر ما تسمع من الناس: إما ولادة طبيعية أو بفتح البطن، وهي المسماة بـ(القيصرية)، ونسوا أن هذا كله بقدر الله تعالى، ولا يرد القدر إلا الدعاء، فما أجمل اللجوء إلى الله تعالى.

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: هل قراءة سورة الزلزلة عند الولادة يسهل الحمل؟ وهل هناك أدعية وأذكار مشروعة تقال عند الولادة لتسهيلها؟ وهل الدعاء عند الولادة مستجاب؟ فقال رحمه الله: «كتابة سورة الزلزلة في إناء بالزعفران، وكذلك الآيات التي فيها أن الله سبحانه وتعالى يعلم ما في الأرحام، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُ﴾ (فصلت: ٤٧). وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا يَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ

بِمَقْدَارٍ﴾ (الرعد: ٨). هذه جُرِّبَتْ، ويصب في الإناء ماءً ويحرك حتى يتغير بالزعفران ثم تشربه النفساء، ويُمسح منه على بطنها أو تقرأ هذه الآيات في ماءٍ، وتُسقى إياه ويمسح به على بطنها أيضاً، أو يقرأ على نفس المرأة التي أخذها الطلق كل هذا نافع بإذن الله. أما مسألة الدعاء: دعاء المرأة التي تطلق - عند الطلق - فهذا حري بالإجابة لأنه يقع عند الاضطرار، وقد قال الله عز وجل: ﴿أَمَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ (النمل: ٦٢). وما أكثر ما يجيب الرب عز وجل الدعاء عند الكربات فيفرجها الله سبحانه وتعالى، والله أعلم^(١). إذن ألزم نفسك بالدعاء والقرب من الله تعالى فإنها ساعات لا تُعوَّض.

• تنبيه هام:

اشتهرت في الآونة الأخيرة عن كثير من الأطباء - إلا من رحم ربي - أنهم يسارعون إلى فتح بطن الحامل لتوليدها، دون الانتظار للولادة الطبيعية إن كان هناك إمكان لها، وهؤلاء يفتحون البطن للولادة (القيصرية) لأمرين:

الأول: بقصد المكسب المادي السريع؛ لأن الجراحة تكاليفها أكثر من الولادة الطبيعية.

الثاني: بقصد ما يسمونه (تنظيم الأسرة وإراحة الأم) لأن هذه الولادة تجبر الأم على الراحة فترة طويلة قبل الحمل ثانية.

هذا فضلاً عن أن تكون الحاجة إلى فتح البطن حاجة حقيقية وملحة وهذا ما لا حرج فيه، ولذا يجب اختيار طبيب مسلم اشتهر عنه الأمانة وعدم الإضرار بالمسلمين، فلا يذهب لطبيب غير مسلم، أو طبيب فاسق أو غيرهم؛ لئلا يتضرر المسلمون من جراء أفعال هؤلاء الذين لا يتقون الله تعالى.

• الرضا بقسم الله تعالى:

وقد جرت العادة في الفترة الأخيرة على ذهاب كثير من المسلمين إلى الطبيب أثناء فترة الحمل للكشف عن كون الطفل ذكراً أم أنثى، وهو ما يتواكب مع التقدم المادي الذي بفضل الله تعالى استطاع الإنسان من خلاله معرفة جنس الطفل، وإن كنا لنحبذ الانتظار إلى ساعة الولادة ليكشف ستار الغيب عن الطفل وجنسه.

ولا زال كثير من المسلمين يعيش ما كان عليه بعض أهل الجاهلية الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٨﴾ (النحل: ٥٨، ٥٩).

* كظيم: ممتلئ غيظاً لا يستطيع له تصريفاً.

* يتوارى: يتغيب ويستخفي.

* هون: هوان وذل.

* يدسه: يدفعه ويخفيه (فعل الراد).

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: «يظل أحدهم كتيباً من الهم، ساكتاً من شدة ما هو فيه من الحزن، يكره أن يراه الناس، فإن أبقاها- يعني الأنثى المولودة له- أبقاها مهانة لا يورثها ولا يعتني بها، ويفضل أولاده الذكور عليها، أو يثدها وهو أن يدفنها حية كما كانوا يصنعون في الجاهلية»^(١).

وهذا حال الكثير حين تولد له الأنثى تراه ساخطاً على قدر الله تعالى غير راضٍ

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤٠٤).

به كأنما قامت قيامته، وانتهت كل آماله في الحياة، فسدت في وجهه أبواب الأمل حين رزق بالأنثى.

لقد قال الله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يَزُوجَهُمْ ذُكْرًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ (الشورى: ٤٩، ٥٠).

هذه إذن إرادة الله؛ بل هبة الله لعباده، يعطي من يشاء الإناث، وبدأ بالإناث أولاً قبل الذكور لتطيب نفس من رزق بهن، أو يجعل العطاء والهبة ذكوراً وإناثاً، أو بقدره وحكمته سبحانه يجعل من يشاء عقيماً لا ولد له.

إن نظرة في أحوال العباد تعطي طمأنينة إلى قدر الله تعالى، ورضى به.

فنوح عليه السلام ولد له ولدٌ كافر، بينما كانت ذرية النبي ﷺ من البنات وآخرهن فاطمة رضي الله عنها التي أنجبت سيداً شاباً أهل الجنة.

وابن نوح عليه السلام كفر، بينما مريم عليها السلام صديقة وهي أم لمن لا أب له وهو عيسى عليه السلام.

ومريم وفاطمة سيدتا شباب أهل الجنة، فلا مجال للمقارنة بين الذكر والأنثى.

ولوط عليه السلام لم يذكر في القرآن له ولد؛ بل قال تعالى على لسانه: ﴿يَا قَوْمُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ (هود: ٧٨). فلم يعبه ذلك.

والولد المذكور في قصة موسى والخضر عليهما السلام قال الله تعالى عنه على لسان العبد الصالح: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (الكهف: ٨٠).

وأنبياء الله إذ دعوا بالذرية كان منهم من يقول: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الصافات: ١٠٠).

فلم يدع بالولد أو البنت، وإنما طلبها ذرية صالحة لا أهمية لكونها من الذكور أو الإناث، فإن الولد الصالح قرّة عين فيه ما في بقية الأولاد من زينة الحياة الدنيا، لكنه يفوقهم بالصلاح والبر والتقوى والهدى.

فإن كانت أنثى فهي قرّة عين لوالديها، ومن الإناث من سبق الرجال في الدنيا

والآخرة، ألا ترى إلى مريم الصديقة عليها السلام فافتت الشهداء والصالحين في المرتبة، فكم من الأبناء الذكور كانوا سبباً في تعاسة آبائهم، وكم من البنات كن سبباً في إسماعاد الآباء والأمهات، والله تعالى يقول: ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ (النساء: ١١). ويقول: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ (البقرة: ٢١٦).

• الترغيب في الإحسان إلى البنات:

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «جاءتني امرأة ومعها ابنتان لها، فسألتني فلم تجد عندي شيئاً غير ثمرة واحدة؛ فأعطيتها إياها، فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها شيئاً، ثم قامت فخرجت وابنتاها، فدخل عليَّ النبي ﷺ فحدثته حديثها، فقال النبي ﷺ: «مَنْ ابْتَلَى مِنَ الْبَنَاتِ شَيْئًا، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنْ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»^(١).

وفي رواية لمسلم عنها أيضاً قالت: «جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما ثمرة، ورفعت إلى فيها^(٢) ثمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ»^(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَالَ جَارَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ - وَضُمَ أَصَابِعُهُ -^(٤) . وعَالَ: يعني كفل ورعى وأنفق.

• شكر الله تعالى على قدره وعطائه:

وقد يرزق الإنسان بطفل فيه عاهة أو تشوه في بعض أجزاء الجسد، أو يكون

(١) صحيح: البخاري (٥٩٩٥) في الادب، مسلم (٢٦٢٩) في البر والصلة.

(٢) فيها: فيها.

(٣) صحيح: مسلم (٢٦٣٠) في البر والصلة.

(٤) صحيح: مسلم (٢٦٣١) في البر والصلة.

دميماً، وهنا يغتم بعضهم ويركبه الهم والحزن، ولا حق لأحد في الاعتراض على قضاء الله وقدره.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: ٦). وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ (الواقعة: ٥٨، ٥٩). وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ (الحشر: ٢٤). وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (الانفطار: ٦-٨).

فالخلق من أمر الله تعالى ولا حق لأحد في الاعتراض عليه، وكل خلق الله تعالى حسن، وأقدار الناس لا تحددها وجوههم وأجسامهم التي لا ينظر الله تعالى إليها وهو سبحانه ينظر إلى القلوب والأعمال لا إلى الصور والأجساد، وقد ذمَّ الله تعالى المنافقين فقال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ (المنافقون: ٤). فالرضا هو تمام الصبر، ولا خير من الصبر على أمرٍ قدره الله تعالى.

وإذ حضرت ساعة الولادة، وسمعنا صوت الوليد يشق الكون فإن له علينا حقوقاً لا بد من أدائها:

أولاً: التأذين والإقامة^(١):

عن أبي رافع رضي الله عنه قال: «رأيت النبي ﷺ أَدَنَ في أذن الحسن حين ولدته فاطمة بالصلاة رضي الله عنهما»^(٢). وكان عمر بن عبد العزيز يؤذن في اليمنى ويقيم في اليسرى إذا ولد الصبي^(٣).

(١) أصل الأذان: الإعلام والتأذين: النداء إلى الصلاة وهو الإعلام بها وبوقتها، وأصله من الأذان كأنه يلقي في آذان الناس بصوته ما يدعوهم إلى الصلاة، والإقامة التثويب والرجوع إلى الشيء لسان العرب (ص ٥٢) بتصرف.

(٢) أخرجه أحمد (٩/٦)، وأبو داود (٣٣٣/٥) (٥١٠٥)، والترمذي في الأضاحي باب الأذان في أذن المولود (١٠٧/٥) (١٥٥٣)، وقال: هذا حديث صحيح، وعبد الرزاق في المصنف رقم (٧٩٨٦)، والبيهقي (٣٠٥/٩)، والبغوي في شرح السنة (٢٧٣/١١) (٢٨٢٢).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف رقم (٧٩٨٥)، والبغوي في شرح السنة (٢٧٣/١١).

وللتأذين فوائد منها:

أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التي يدخل بها في الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا كما يلحق كلمة التوحيد عند خروجه منها، وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثره به.

هروب الشيطان من كلمات الأذان وهو كان يرصده حتى يولد فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها فيسمع الشيطان ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به.

ومستند هروب الشيطان عند التأذين ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ أَحَالَ لَهُ ضُرَاطَ حَتَّى لَا يَسْمَعَ صَوْتَهُ، فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوْسُوسٌ، فَإِذَا سَمِعَ الْإِقَامَةَ ذَهَبَ حَتَّى لَا يَسْمَعَ صَوْتَهُ، فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوْسُوسٌ»^(١).

أن تكون دعوته إلى الله وإلى دينه الإسلام وإلى عبادته سابقة على دعوة الشيطان كما كانت فطرة الله التي فطر الناس عليها سابقة على تغيير الشيطان لها ونقله عنها^(٢).

ثانياً: تعويذ المولود عند الولادة:

ذلك أن العين حق كما نبأ ﷺ كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما^(٣)، وهذه سنة جرى عليها الأنبياء والصالحون، فقال تعالى على لسان أم مريم عليهما السلام: «وَرَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِنَّ الذَّكَرَ كَأَلْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمِئْتُهَا مَرِيمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» (آل عمران: ٣٦).

إن الحسد ليس بمرض عضوي يمكن للطبيب علاجه؛ بل هو مرض من نوع خاص، فهو مرض قلبي يحتاج إلى طب القلوب لا طب الأبدان فلا ينجح معه إلا الرقية التي أقرها النبي ﷺ، ومعلوم أن الصغار هم أكثر بني الإنسان إصابة بهذا

(١) أخرجه البخاري (١٠١/٢) (٦٠٨)، ومسلم (٢٩١/١) (١٦) (٣٨٩)، وأبو داود (٣٥٥/١) (٥١٦)، وأحمد (٢١٣/٢) وقوله أحال: ذهب هارياً قاله النووي في شرح مسلم (٩٠/٤).
(٢) ابن القيم في تحفة المودود (ص ٢٦) بتصرف.
(٣) صحيح: مسلم (٢١٨٨) في الطب.

الداء الشيطاني، فترى الصغار تنحف أبدانهم، ولا يستقر في بطونهم طعام ولا شراب، وكلما رأيتهم شعرت أن أهليهم لا يطعمونهم؛ بل يأكلون طعامهم، وذلك من شدة نحافة الصغار وهزالهم.

وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «رخص النبي ﷺ لآل حزم في رقية الحية». وقال لأسماء بنت عميس^(١): «ما لي أرى أجسام بني أخي- وهم بنو جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه- ضارعة^(٢) تصيبهم الحاجة؟». قالت: لا، ولكن العين تُسرّع إليهم. قال: «أرقبهم». قالت: فعرضت عليه، فقال: «أرقبهم»^(٣).

ثالثاً: تحنيكه:

والتحنيك: أن تمضغ التمر ثم تدلكه بحنك الصبي داخل فمه^(٤). عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم^(٥).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: «ولد لي غلام فأتيت النبي ﷺ فسماه إبراهيم فحنكه بتمر ودعا له بالبركة ودفعه إلي وكان أكبر ولد أبي موسى»^(٦).

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها حملت بعبد الله بن الزبير يمكة قالت: «فخرجت وأنا متم»^(٧) فأتيت المدينة فزلت قباء فولدت بقاء ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعت في حجره، ثم دعا بتمر فمضغها ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ثم حنكه بالتمر ثم دعا له ببرك عليه وكان أول مولود ولد في الإسلام»^(٨).

(١) كانت رضي الله عنها زوجاً لجعفر بن أبي طالب ومن بعده لابي بكر ومن بعده لعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً.

(٢) ضارعة: يعني نحيفة.

(٣) صحيح: مسلم (٢١٩٨) في السلام.

(٤) ابن منظور في لسان العرب (ص ٢٨٠).

(٥) أخرجه مسلم رقم (٢١٤٧)، وأبو داود رقم (٥١٠٦)، وأحمد (٢١٢/٦)، والبيهقي رقم (٢٨٢١).

(٦) أخرجه البخاري (٥٠٠/٩) (٥٤٦٧)، ومسلم (١٦٩٠/٣) (٢٤) (٢١٤٥)، والبيهقي رقم (٢٨٢٠).

(٧) متم: أي مقاربة للولادة قاله النووي، شرح مسلم (١٢٦/١٤).

(٨) أخرجه البخاري (٥٠١/٩) (٥٤٦٩)، ومسلم (١٦٩١/٣) (٢٦) (٢١٤٦).

وينبغي عند التحنيك أن يفتح فاه حتى ينزل جوفه وأولاه التمر، فإن لم يتيسر تمر فربط، وإلا فشيء حلوا، وعسل النحل أولى من غيره، ثم ما لم تمسه نار كما في نظيره مما يفطر الصائم عليه (١). ويستحب أن يكون المحنك من الصالحين رجلاً كان أو امرأة فإن لم يكن حاضراً عند المولود حمل إليه (٢).

رابعاً: حلق الرأس:

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويحلق ويسمى» (٣).

وعن سلمان بن عامر الضبي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دماً وأميطوا عنه الأذى» (٤). وعن الحسن أنه كان يقول: «إمطة الأذى حلق الرأس» (٥).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «عق رسول الله ﷺ عن الحسن بشاة وقال: «يا فاطمة احلقي رأسه وتصدقي بزنة شعره فضة». فوزنته فكان وزنه درهماً أو بعض درهم» (٦).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «عق رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين يوم السابع وسماههما وأمر أن يماط عن رءوسهما الأذى» (٧).

(١) قاله الحافظ في الفتح (٥٠١/٩، ٥٠٢).

(٢) قاله النووي في شرح مسلم (١٢٣/١٤) بتصرف.

(٣) أخرجه أبو داود (٢٦٠/٣) (٢٨٣٨)، والترمذي (١١٣/٥) (١٥٥٩)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح، والنسائي (١٦٦/٧)، وابن ماجه (١٠٥٧/٢) (٣١٦٥) والدارمي (٨١/٢)، وأحمد (٨/٥) في المسند.

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٤/٩) (٥٤٧٢)، وأبو داود (٢٦١/٣) (٢٨٣٩)، والترمذي (١٠٦/٥) (١٥٥١)، وابن ماجه (١٠٥٦/٢) (٣١٦٤)، وعبد الرزاق رقم (٧٩٠٥٨)، والطحاوي في مشكل الآثار (٤٥٩/١)، وأحمد (١٧/٤)، والبغوي في شرح السنة (٢٦٣/١١) (٢٨٤٠).

(٥) أخرجه أبو داود (٢٦١/٣) (٢٨٤٠)، والحاكم (٢٣٨/٤) وصححه ووافقه الذهبي.

(٦) أخرجه الترمذي (١١١/٥) (١٦٥٦) وقال: حسن غريب، والحاكم (٢٣٧/٤) والحديث في صحيح الجامع الصغير رقم (٧٩٦٠).

(٧) أخرجه الحاكم (٢٣٧/٤) وصححه ووافقه الذهبي.

ولخلق الرأس والتصدق فائدتان:

١- فائدة صحيحة: لأن في إزالة شعر رأس المولود تقوية له وفتح لمسام الرأس وتقوية لحاسة البصر والشم والسمع.

٢- وفائدة اجتماعية وإنسانية: وذلك لأن التصديق بوزن شعره فضة على أهل الحاجة تحقيق لظاهرة التراحم والتكافل الاجتماعي مما يؤدي إلى تركية الطفل وتطهيره.

خامساً: اختيار اسم حسن له:

وهذا حق للصغار على الكبار نحذر كل ولي أمر استرعاه الله على الصغار أن يضعه، يقول الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله في كتابه (تسمية المولود): «فيا أيها المسلم أكرر مؤكداً، وبالحق مذكراً: إن الاسم عنوان السمي، فإذا كان الكتاب يقرأ من عنوانه، فإن المولود يعرف من اسمه في معتقده ووجهته؛ بل اعتقاد من اختار له هذا الاسم ومدى بصيرته وتصوره.

فاسم المولود وعاء له، وعنوان عليه، فهو مرتبط به، ومن خلال دلالاته يقوم المولود ووالده وحال أمته، وما هنالك من مثل وأخلاق وقيم، فهو يدل على المولود لشدة المناسبة بين الاسم والسمي، وهذا أمر قدره العزيز العليم، وألهمه نفوس العباد، وجعله في قلوبهم.

وقلّ أن يوجد لقب مثلاً إلا وهو يتناسب أو يقارب مع الملقب به، ومن المشهور في كلام الناس: «الألقاب تنزل من السماء»، فلا تكاد تجد الاسم الغليظ الشنيع إلا على مسمى يناسبه، وعكسه بعكسه، ومن المنتشر قولهم: «لكل مسمى من اسمه نصيب». اهـ.

قلت: من أجل هذا أعددت هذا الفصل الطويل عن الأسماء وأهميتها، ووجهتها الشرعية، وما يستحب منها وما يكره، ثم عرضت لمعاني الأسماء وما نهى الشرع عن التسمي به أو التلقب به، فانظر فيه ملياً.

التسمية وأحكامها

حرص الإسلام على أن تكون حياة أتباعه قطعة حية من الإيمان، فسنَّ لهم من التشريعات ما يجعل حياتهم مرتبطة ارتباطاً حقيقياً بإيمانهم دون خروج عنه، ويتدخل الإسلام في أدق تفاصيل الحياة البشرية تدخل الشارع الحكيم الذي يريد الحفاظ على نقاء الحياة وطهارتها، وربطها ربطاً وثيقاً بالعقيدة السليمة، والتوحيد الخالص، ليكون الصراط المستقيم واضحاً وضوح الشمس في رابعة النهار، فليس لأحد على الله حجة في الزيغ عنه أو الانحراف أو الميل بعيداً عنه.

ويحول الإسلام العادات الاجتماعية من مجرد عادات يتوارثها الناس، إلى عبادات يؤجر المسلم فيها على متابعتها للشرع ولسنة رسول الله ﷺ حتى ترى تشريعاً متكاملًا لا عوج فيه ولا أمتاً؛ بل محكم لا يتسرب إليه النقصان أو الانحراف، فارجع البصر فلن ترى إلا كمالاً وروعة، واكتمالاً وتاماً: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (مريم: ٦٤).

ومن العادات التي جرت عليها الحياة البشرية أن الإنسان إذا قدم إلى الحياة يشق بصراخه الكون مولوداً جديداً، اختار أبواه اسماً يعرف به، ويتميز به بين جموع الناس، وعلى هذا جرت الحياة واستقامت، فإذا بالإسلام ذي التشريع المتكامل يعنى بهذه العادة، ويهتم لها، حتى وضع من الأحكام فيها ما يشعر بأهميتها والاعتناء بها، كجزء أساسي في حياة البشر، فإن الاسم لا يزال ملتصقاً بصاحبه مدى الحياة، فيتأثر الإنسان به تأثراً إما إيجابياً وإما سلبياً، فإذا كان الاسم جميلاً انعكس ذلك على الإنسان بهجة وسعادة، وإذا كان الاسم قبيحاً انعكس عليه بؤساً وشقاءً.

وكثيراً من الصغار - قبل الكبار - يعانون من أسمائهم التي لا تحمل معاني تعجبهم، فتأثر نفسياتهم بذلك، ويتعرضون لأوقات وظروف عديدة من التؤس والتعاسة؛ لأن اسم الصغير هو أول ما يحاول النطق به، أو كتابته حسبما جرت به العادة.

من أجل هذا فقد حمل الإسلام في تشريعاته أحكاماً لهذه المسألة التي تبدو سهلة يسيرة في ظاهرها، بينما هي مؤثر قوي يتحكم في تكوين الشخصية وتصرفاتها، بل وفي نفسية المرء ومشاعره وأحاسيسه، وهذه الأحكام التي وضعها الإسلام في هذا المضمار:

(١) وقت التسمية:

وقد جاء في هذا الأمر حديثان، كلٌّ منهما يدل على أمر غير الآخر:

الحديث الأول: عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «كلُّ غلام رهينة بعقيقته، تذبح عنه يوم سابعه، ويخلق ويسمى»^(١).

وفي الحديث دلالة على أن التسمية تكون في اليوم السابع للولادة، وهو ما رجحه صاحب تحفة الأحوذى (٩٤/٥) فقال: «وفيه دليل على سنية تسمية المولود يوم السابع».

الحديث الثاني: عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه قال: «أتى بالمنذر ابن أبي أسيد إلى النبي ﷺ حين وُلِدَ، فوضعه على فخذيه - وأبو أسيد جالس - فلهمى النبي ﷺ بين يديه، فأمر أبو أسيد بابنه فاحتُمِلَ من فخذ النبي ﷺ فاستفاق النبي ﷺ فقال: «أين الصبي؟». فقال أبو أسيد: قلبناه يا رسول الله - يعني أعاده - . فقال ﷺ: «ما اسمه؟». قال: فلان. قال: «ولكن سمه المنذر». فسمَّاه يومئذ المنذر»^(٢).

وفي هذا الحديث دلالة على أن المولود يُسمَّى في أول ليلة له في هذه الحياة.

ويعضد هذا الحديث بعض الروايات الأخرى، فعن أنس رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «وُلِدَ لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم»^(٣).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «لما ولدت فاطمة الحسن، جاء النبي ﷺ فقال: «أروني ابني، ما سميتموه؟». قال: قلت: سميتته حرباً. قال: «بل

(١) صحيح: أبو داود (٢٨٣٨)، والترمذي (١٥٥٩، ١٦٦٠)، ابن ماجه (٣١٦٥)، أحمد (٢٨/٥)

في المسند.

(٢) رواه البخاري (٦١٩١)، مسلم (٢٩/٢١٤٩).

(٣) رواه مسلم (٦٢/٢٣١٥).

هو حسن». فلما ولدت الحسين جاء رسول الله ﷺ فقال: «أروني ابني، ما سميتموه؟». قال: قلت: سميت به حرباً. قال: «بل هو محسن» (١).

وفي هذا كله دليل على تسمية الولد في أول يوم من مولده، على أن في الأمر سعة، فيجوز التعريف والتسمية في اليوم الأول من ولادة الصغير، ويجوز تأخيره ثلاثة أيام، ويجوز تأخيره إلى يوم العقيقة، وهو اليوم السابع (٢).

(٢) أحب الأسماء إلى الله، وأبغضها إلى الله ورسوله والمؤمنين:

يتأثر الإنسان نفسياً بنوع الاسم الذي يُعطى له، فتتأثر رؤيته لنفسه بذلك، فلا زال صاحب الاسم الحسن يحمل اسمه دون حزن أو هم، ولا زال صاحب الاسم القبيح مصاباً بالهم والحزن.

يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله: «إن الألفاظ قوالب للمعاني، والأسماء قوالب للمسميات، وإن علاقة وارتباطاً بين الاسم والمسمى، وإن للأسماء تأثيراً على المسميات وبالعكس، فصاحب الاسم الحسن يحمله اسمه ويدفعه إلى فعل الحمود من الأفعال وذلك حياة من اسمه لما يتضمنه من المعاني الحسنة، ويلاحظ في العادة أن لسفلة الناس ولعليتهم أسماء تناسبهم وتوافق أحوالهم» (٣).

حتى قال القائل:

وقل إن أبصرت عينك ذا لقب ★ إلا ومعناه إن فكرت في لقبه

ومن هنا جاء تقسيم الأسماء إلى أسماء مستحبة، وأخرى قبيحة، والضابط هنا هو الشرع لا غيره.

أولاً: الأسماء المستحبة: يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «كان رسول الله ﷺ يتفاءل ولا يتطير، ويعجبه الاسم الحسن» (٤). واستناداً على هذا فقد كان ﷺ حريصاً على الاسم الحسن يسميه ويأمر به عليه الصلاة والسلام، فسمى بالأسماء

(١) رواه الحاكم (١٦٥/٣) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود (ص ٧٩).

(٣) تحفة المودود (ص ١٠٢)، وزاد المعاد (٢/٣٣٦).

(٤) قال الشيخ شاکر في المسند برقم (٢٣٢٨): إسناده صحيح.

المرتبطة بالتوحيد الخالص، فروى عنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «إن أحب أسمائكم إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن»^(١).

ويلتحق بهذين الاسمين ما كان مثلهما كعبد الرحيم، وعبد الملك، وعبد الصمد، وإنما كانت أحب الأسماء إلى الله؛ لأنها تضمنت ما هو وصف واجب لله، وما هو وصف للإنسان وواجب له، وهو العبودية، ثم أضيف العبد إلى الرب إضافة حقيقية، فصدت أفراد هذه الأسماء وشُرِّفت بهذا التركيب، فحصلت لها هذه الفضيلة^(٢).

وسبب آخر في الحكمة في الاختصار على هذين الاسمين: وهو أنه لم يقع في القرآن إضافة عبد إلى اسم من أسماء الله تعالى غيرهما. قال الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ (الإسراء: ١١٠). وقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ (الفرقان: ٦٣). وقال: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ (الجن: ١٩).

وكان عليه الصلاة والسلام يأمر المسلمين أن يسموا باسمه ولا يكتنوا بكنيته فقد جاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي»^(٣).

وعن جابر رضي الله عنه قال: وكَدَ لرجلٍ منا غلامٌ فسماه القاسم، فقلنا: لا تُكنِّيك أبا القاسم ولا كرامة. فأخبر النبي ﷺ فقال: «سم ابنك عبد الرحمن»^(٤).

وقد جعل العلماء هنا نهياً للنبي ﷺ عن التكني بكنيته على ثلاثة آراء:

الأول: التحريم المطلق سواء كان المسمى محمداً أم لا، وهو رأي الشافعي.

الثاني: الجواز المطلق، وهذا يختص بالنهي في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته يجوز التكني به.

(١) رواه مسلم (٢/٢١٣٢) في الآداب.

(٢) تحفة الأخوف (١٢٣/٨)، نقلاً عن القرطبي، وفتح الباري (١٠/٥٧٠).

(٣) رواه البخاري (٦١٨٨)، مسلم (٢١٣٣)، ومعلوم أن كنية رسول الله ﷺ هي أبو القاسم.

(٤) رواه البخاري (٦١٨٦)، ومسلم (٢١٣٣).

الثالث: لا يجوز التكني لمن اسمه محمد، ويجوز لغيره، واحتج أصحاب هذا الرأي بحديث: «لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي»، وحسنه ابن حجر وعزاه للترمذي وأبي داود. وأضيف رأياً رابعاً وهو: أن النهي هنا على الكراهة لا التحريم، ولو كان محرماً لأنكره الصحابة، وقد كنى علي ولده بأبي القاسم، وكذلك فعل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

وقال ابن حجر: «وفي الجملة أعدل المذاهب هو الأخير - قصد الرأي الرابع - مع غرابته»^(١). ثم عاد فقال: «لكن الأولى الأخذ بالمذهب الأول، فإنه أبرأ للذمة، وأعظم للحرمة». قلت: وهو ما نختاره إن شاء الله.

وكان ﷺ قد أشار إلى التسمي بأسماء الأنبياء والصالحين، كما روى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه فقال: لما قدمت نجران سألتوني فقالوا: إنكم تقرأون: ﴿يَا أُخْتُ هَارُونَ﴾ (مريم: ٢٨).

وموسى قبل عيسى بكذا وكذا. فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال: «إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم»^(٢).

قال النووي: «استدل به جماعة على جواز التسمية بأسماء الأنبياء عليهم السلام وأجمع عليه العلماء، وقد سمي النبي ﷺ ابنه إبراهيم، وكان في أصحابه خلألق مسمون بأسماء الأنبياء»^(٣). وقد سبق حديث: «وُلِدَ لي الليلة غلامٌ فسميته باسم أبي إبراهيم». ففيه جواز التسمي بأسماء الأنبياء.

ويفهم من الحديث السابق جواز التسمي بأسماء الصالحين، وليس أصلح في الأمة من أصحاب رسول الله ﷺ فيجوز التسمي بأسمائهم رضي الله عنهم والصالحين بعدهم من سلف الأمة رحمهم الله من التابعين وتابعيهم.

ثانياً: الأسماء المكروهة: وعن بُريدة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ لا يتطير من شيء - لا يتشاءم - وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه، فإذا أعجبه اسمه

(١) فتح الباري (١٠/٥٧٣، ٥٧٤).

(٢) رواه مسلم (٩/٢١٣٥).

(٣) النووي (٧/٣٣٣) في شرح مسلم.

فرح به، ورئي بشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمه رئي ذلك في وجهه»^(١).
وهذا جرياً منه ﷺ على قاعدة أنه كان «يعجبه الفأل الحسن»، ولذلك تقول عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان يغير الاسم القبيح»^(٢).

وتغيير الاسم باب نجيب من أبواب الدين، وهو العدول عن الاسم الذي تستقبحه العقول وتنفر منه إلى الاسم الذي هو أحسن منه، والنفوس إليه أميل. وهذا من حرصه ﷺ على الأمة وهو الرؤوف الرحيم، فأراد أن يتجنب الأسماء التي تحط من قدرهم وتمس بكرامتهم وتكدر صفو حياتهم، وتحطم معنوياتهم؛ إذ الطفل والصبي وكذلك الرجل والمرأة الذين يُستهزأ بهم من قبل أقرانهم لاسمهم المستهجن، أو لعائلتهم ذات الاسم القبيح يخسرون كثيراً من مشاعرهم الطيبة، ويسIRON دوماً إلى اضمحلال وانهيار، ويخشون معايرة الناس، وقد يورث هذا أحقاداً وضغائن وعقداً نفسية وعزلة وانطوائية لا تُحمد عقباها، ومن هنا كره النبي ﷺ أسماء، وغير أخرى إلى الأفضل.

فحرم ﷺ التسمي باسم ملك الأملاك أو شاهنشاه كما في حديث أبي هريرة: أنه ﷺ قال: «إن أُنْعِمَ اسم عند الله رجلٌ تسمى ملك الأملاك، لا مالِك إلا الله عز وجل». فقال سفيان بن عيينة: مثل شاهنشاه.

وقال أحمد بن حنبل: «سألت أبا عمرو عن أُنْعِمَ، فقال: أَوْضَع. وفي رواية: «أَغِيظَ رجل على الله يوم القيامة، وأخْبِثه وأَغِيْظَه عليه، رجلٌ كان يسمي: ملك الأملاك، لا ملك إلا الله»^(٣).

وغير ﷺ بَرَّةً إلى زينب كما روت زينب بنت أبي سلمة، وقال لها: «لا تزكوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البر منكم». فقالوا: بِمَ نسميها؟ قال: «سموها زينب»^(٤).

(١) صحيح: أبو داود (٣٩٢٠)، وصححه الألباني هناك - ط. الرياض.

(٢) صحيح: الترمذي (٢٨٢٩)، وصححه الألباني (٢٠٧، ٢٠٨) في الصحيحة.

(٣) رواه البخاري (٦٢٠٥، ٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣/٢٠، ٢١)، وفي رواية للبخاري: «أخني

الاسماء»، أي: أفحشها.

(٤) رواه مسلم (٢١٤٢/١٨، ١٩).

وكذلك جعل اسم أم المؤمنين جُويرية بعد أن كان برة، فكره أن يقال: خرج من عند برة كما روى ابن عباس رضي الله عنهما ^(١). وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ غير اسم عاصية وقال: «أنت جميلة» ^(٢).

ونهى ﷺ عن التسمي بأسماء: أفلح، ورباح، ويسار، ونافع ^(٣) كما روي عن سمرة بن جندب، وفي رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه ﷺ أراد أن ينهى عن أن يُسمى بيعلى، وببركة، وبأفلح، وبيسار، وبنافع، وبنحو ذلك، قال جابر رضي الله عنه: «ثم رأيته سكبت بعد عنها، فلم يقل شيئاً، ثم قبض رسول الله ﷺ ولم ينه عن ذلك، ثم أراد عمر أن ينهى عن ذلك ثم تركه» ^(٤).

لكن ما السبب في ذلك؟ قال سمرة بن جندب في روايته للحديث قبل السابق عن النبي ﷺ: «ولا تسمين غلامك يساراً، ولا رباحاً، ولا نجيحاً، ولا أفلح، فإنك تقول: أثم هو؟ فلا يكون فيقال: لا» ^(٥). قصد أن تقول: أثم رباح - مثلاً -؟ يعني: هل هنا رباح؟ فنقول: لا رباح! وهو ما كرهه ﷺ.

وجاء حزن جد سعيد بن المسيب رحمه الله، فقال له ﷺ: «ما اسمك؟». قال: حزن. قال: «أنت سهل». قال: لا أغير اسماً سمانيه أبي!! قال سعيد بن المسيب: «فما زالت الحزونة فينا بعد» ^(٦). وهذا لأنه ﷺ أراد تحسين الاسم من الحزن والهم، إلى اتساع التسهيل، ويبدو أن قول القائل: لكل امرئ من اسمه حظ ونصيب صحيح، فلا زال سعيد بن المسيب يشكو من شدة بقيت في آله إذ أن جده لم يقبل بما قاله النبي ﷺ ^(٧).

قلت: وهذا فيه فائدة عظيمة ألا وهي تجنب الأسماء التي لها اشتقاق من كلمات

(١) رواه البخاري (٦١٩٢)، ومسلم (١٧/٢١٤١).

(٢) رواه مسلم (١٤/٢١٣٩).

(٣) رواه مسلم (١٠/٢١٣٦).

(٤) رواه مسلم (١٣/٢١٣٨).

(٥) رواه مسلم (١٢/٢١٣٧).

(٦) رواه البخاري (٦١٩٠).

(٧) الفتح (٥٧٥/١٠).

فيها تشاؤم حتى يسلم الإنسان من مصيبة هذه التسمية وشؤمها.

وفي رواية لمالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد أن عمر رضي الله عنه قال لرجل: ما اسمك؟ قال: جمرة. قال: ابن من؟ قال: ابن شهاب. قال: ممن؟ قال: من الحرقه. قال: أين مسكنك؟ قال: بحرة النار. قال: بأيتها؟ قال: بذات لظى. قال عمر: أدرك أهلك، فقد هلكوا واحترقوا. فكان كما قال عمر رضي الله عنه^(١).

وغير النبي ﷺ اسم العصي، وعزيز، وعتلة، وشيطان، والحكم، وغراب، وحباب، وشهاب، فسماه هشامًا، وسمى حربًا: سلمًا، وسمى المضطجع: المنبعث، وأرضًا تسمى عفرة سماها: خضرة، وشعب^(٢) الضلالة سماه: شعب الهدى، وبنو الزنية سماهم: بني الرشدة، وسمى بني مغوية: بني رشدة^(٣).

وقال الخطابي: «وأما «العاصي»، فإنما غيره لمعنى العصيان، إنما سمة المؤمن الطاعة والاستسلام، و«عزیز» إنما غيره لأنه الله سبحانه، وشعار العبد الذلة والاستكانة، و«عتلة» معناها الشدة والغلظة، ومن صفة المؤمن اللين والسهولة، و«شيطان» اشتقاقه من الشطن وهو البعد من الخير، وهو اسم المارد الخبيث من الجن والإنس، و«الحكم» هو الحاكم الذي إذا حكم لم يُرد حكمه، وهو صفة لا تليق بغير الله، و«غراب» مأخوذ من الغرب وهو البعد، ثم هو صواب خبيث العقل خبيث الطعم، و«حباب» نوع من الحيات، وروي أنه اسم لشيطان^(٤)، و«الشهاب» الشعلة من النار وهي محرقة مهلكة، و«عفرة» نعت للأرض التي لا تنبت شيئًا^(٥).

وقد كره العلماء التسمي بأسماء الملائكة، فقد كره مالك رحمه الله التسمي بجبريل وإيسين، وكذلك كرهه الحارث بن مسكين^(٦). كما حرمت الأسماء التي

(١) رواه مالك في الموطأ وفيه انقطاع بين يحيى بن سعيد وعمر رضي الله عنه.

(٢) شعب: طريق بين جبلين.

(٣) رواه أبو داود (٤٩٥٦)، وقال: تركت أسانيدھا للاختصار.

(٤) قلت: وهذه رواية ضعيف، مروية عن عروة، وابن سعد، والشعبي مرسله، وغيرهم، وضعفها الألباني (٢٧٥٣) في ضعيف الجامع.

(٥) معالم السنن (٢٤٢/٥) للخطابي.

(٦) شرح مسلم (٣٣٣/٧) للنووي.

فيها تعبد لغير الله تعالى، كعبد العزى، وعبد الكعبة، وعبد الرسول، وعبد النبي، فهي محرمة بالاتفاق.

وقد ذكر ابن قيم الجوزية رحمه الله تعقيباً على قوله عليه السلام: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»، فقال: «فهذا ليس من إنشاء التسمية وابتدائها، وإنما هو من الإخبار بالاسم الذي عُرف به المسمى دون غيره».

ويكره العلماء المسمى باسم نور الدين، وشمس الدين، وما شابه ذلك^(١)، وتكره التسمية بـ«حمار»، و«كلب»، و«خنزير»، ويكره الأسماء التي يشترك فيها الذكور والإناث، فهذا يسبب حرجاً وإحباطاً للولد وتعريضه للسخرية من رفاقه كـ«ناهد»، وعصمت، وإحسان، وإيمان»، وغيرها.

ويضيف بعضهم كراهة التسمي بأسماء الهيام والغرام والميوعة كـ«هيام، وغرام، وهيفاء، وميَّادة، وغادة، وأحلام»، وهي أسماء تصيب الأمة بالميوعة، وتمحو شخصية هذه الأمة، وتحطم معنوياتها.

ويكره التشبه بأسماء الكفار، ففي الحديث: «مَنْ تشبه بقوم فهو منهم»، كما روى أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما، فلا تسمي «نانسي، أو رايجان، أو هايدي»، وغيرها من تلكم الأسماء التي لا يتسمى بها إلا الكفار، وفيها معانٍ قد تخفى على المسلمين، خاصة ما يرتبط بالشرك، وهذا باب يدخل فيه التسمي بأسماء الكفار القدامى كالقراغنة «أحمس، ورمسيس»، أو الآشوريين والبابليين، وكفار مكة، وغيرها من الأسماء التي كانت للكفار، ويكره التسمي بالنقاب القصير، والأخرس، والأطرش - الأصم - وغيرها.

(٣) سنة مهجورة:

ومن السنن المهجورة، سنة تكنية الغلام، فيقال له: «يا أبا فلان»، وقد كان ﷺ يكني الصغار، فكُنِّي أنسًا بأبي حمزة، وكُنِّي أخاه بـ«أبي عمير»، وكُنِّي عائشة رضي الله عنها بابن أخيها عبد الله بن الزبير، وكذلك كُنِّي أبا هريرة رضي الله عنه.

(١) تحفة العروس (ص ٢٣٥) للإستانبولي.

وقد وجد بين صحابة رسول الله ﷺ مَنْ تَكَنى بغير اسم ولده، كأبي بكر رضي الله عنه، وعمر وكنيته «أبو حفص»، وعلي وكنيته «أبو تراب»، وجندب بن جنادة وكنيته «أبو ذر»، وخالد بن الوليد وكنيته «أبو سليمان»، ولم يكن لأحدهم ولد بهذا الاسم.

وهذه الكنية تشعر الصغير بأنه محترم لدى أبويه ولدى الناس، وهو أمر على الاستحباب.

(٤) التسمية هل هي حق للوالد أم للأم؟

التسمية حق للأب إذا اختلف هو والأم، فقد قال الله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٥). فنسبة الولد لأبيه تجعل ذلك حقاً للوالد في الانفراد بتسمية ابنه، وكذلك ورد عنه ﷺ كما سبق تخريج الحديث أنه قال: «وَلِدَ لِي اللَّيْلَةُ غَلامٌ فَسَمَيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ».

(٥) التنازع بالألقاب:

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ (الحجرات: ١١). أي: لا تداعوا بالألقاب، وهذا جرمٌ كبير قال الله عنه: ﴿بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ (الحجرات: ١١). أي: بشئ الصفه والاسم الفسوق، كما كان أهل الجاهلية يتناعتون بعدما دخلتم في الإسلام وعقلموه (١).

وقد هدد الله تعالى وتوعد صاحب هذه الصفه المزدولة إن لم يتب فقال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات: ١١). وقال القرطبي: تنابزوا بالألقاب: أي: لقب بعضهم بعضاً، والنبز: لقب السوء، والنهي هنا عن الصفه التي بها عيب، أما إن كانت صفه غلب عليها الاستعمال كالأعمش والأعرج - من رواة الحديث - ولم يكن له فيه كسب يحزن في نفسه منه عليه فهو جائز باتفاق الأمة.

قلت: كما قيل لمسروق: مسروقاً، فقد سرق وهو صغير، ووجد فاطلق عليه الاسم، أما إن حزن من ذلك فلا يجوز؛ لأن فيه أذية، وفيه نهى.

وقد كان عليه السلام يقول للخرباق السلمي: «يا ذا اليمين» ولغيره: «يا ذا الشمالين»^(١).

وجملة القول هنا: أن اللقب إذا كان مستقبلاً يتأذى به صاحبه كان النهي عنه، أما إذا كان اللقب لا يؤثر في صاحبه فلا حرج في ذلك.

لكن ما معنى الاسم، والكنية، واللقب؟

أما الاسم: فهو ما يعرف به الشيء ويُستدل عليه، والجمع: أسماء، وأسامي، وأسام.

أما الكنية: فهو ما يجعل علماً على الشخص غير الاسم واللقب، نحو: أبو الحسن، وأم الخير، وتستعمل مع الاسم واللقب، أو بدونهما تفخيماً لشأن صاحبها أن يُذكر اسمه مجرداً، والجمع: كُنَى.

أما اللَّقَبُ: عَلمٌ يُطلق على الشخص للتعريف أو التشريف أو التحقير، مثل: أمير المؤمنين، أو الأعرج، أو غيرها من الألقاب، والجمع: ألقاب.

حديث موضوع:

اشتهر على الألسنة: «خير الأسماء ما عبَّد وحمَّد»، وقد قال العجلوني (٩٥/١) في كشف الخفا: باطل، وفي (٤٦٨/١) قال: قال النجم: لا يعرف، وقال السيوطي: لم أقف عليه، وبسند ضعيف روي: «إذا سميتم فعبدوا»، ولا أصل للحديث: «قال الله تعالى: وعزتي وجلالي لا عذبت أحداً تسمى باسمك في النار»، وهذا كله ضعيف وموضوع، والله أعلم.



(١) تفسير القرطبي (٣١٢/١٦، ٣١٣، ٣١٤)، ط. دار الحديث باختصار شديد.

أسماء تبدأ بحرف الألف والهمزة

(1) أسماء الذكور⁽¹⁾

أبي- أبي: من الإباء وهو الرفض، وكان من صحابة رسول الله ﷺ عمير مولى أبي اللحم؛ لأنه حرم اللحم على نفسه في الجاهلية.
آجر: هو الطوب الذي أدخل النار.

آدم: اسم أول الخلق من البشر، وهو نبي الله المكرم، وسمي لذلك لأنه من أديم الأرض خلُق، وقيل: هو مشتق من الأدمة وهي السمرة، وقيل: الأدمة هي البياض، ويقال: رجل آدم أي: رجل بين البياض والسمرة.
آرام: هي الظباء، والمفرد «رأم».

أسر: اسم فاعل من «أسر» أي: قبض وحبس حتى صار محبوسه «أسيراً» لديه، والأسير: سجين الحرب، والأسر: من سجنه وأسره، وتكون بمعنى أخذ للألباب، فيقال: فلان ذو كلام أسر أي: يأخذ بالعقول حتى تسمع له، أو هو الأسر غيره بقوته، وبأخلاقه وجماله.

أمر: هو الذي يأمر، وهو قائد فرقة من الجيش.

أمن: هو الواثق المطمئن.

أنس: من الأنس واليقين.

أيب: عائد، من الأوب وهي العودة والرجوع.

إباء: الرفض، والامتناع، والكبر، والشمم، وهو اسم مشترك.

إبراهيم: خليل الله وبنيه ورسوله، ومعناه بالسريانية: الأب الرحيم.

أثير: هو المفضل على غيره، المكرم، ويقال: هو بريق السيف، ويقال في

(1) لم نرد الزيادة بالتكرار، فكل اسم من هذه الأسماء إذا صح وضع تاء مربوطة بجواره صار اسم أنثى ويصح، المعنى هو هو، ولكن لأنثى فيقال: «آية» يعني رافضة.

الإذاعات: عبر الأثير، والأثير هنا حسب رأي الأقدمين: هواء رقيقٌ يملأ الفجوة بين جو الأرض والسماء، أو كما يقول علماء الطبيعيات: سائل مطاط لا وزن له، كانوا يعتبرونه الوسط الذي يساعد على نقل الكهرباء والذبذبات، وهو اسم لعالمين أخوين وهما المعروفان بـ«ابن الأثير» أحدهما: الوزير صاحب كتاب الكامل في التاريخ، والآخر: المبارك بن محمد أبو السعادات صاحب جامع الأصول، والنهاية في غريب الحديث وتوفي (٦٠٦هـ).

إحسان: وهو المعروف، وفعل الحسن، وإعطاء الحسنة، وفي حديث عمر رضي الله عنه الذي رواه مسلم برقم (٨) في الإيمان أن جبريل عليه السلام لما طلع على المسلمين في هيئة رجل مسافر، سأل النبي عليه السلام فقال: ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، فهو المرتبة العليا من مراتب الإيمان، والله يحب المحسنين، وهو اسم مشترك بين الرجال والنساء، والخير ألا يسمى به الرجل.

أحمد: اسم من أسماء رسول الله ﷺ، فقال الله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَبَشِّرِ بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف: ٦). وفي الحديث عن جبير ابن مطعم رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد...» الحديث رواه البخاري (٣٥٣٢)، مسلم (٢٣٥٤)، وأحمد: من باب التفضيل، وسمي بـ«أحمد» لأنه منقول من صفة أفعل وهي أفعل التفضيل، فإذا هو: أحمد الحامدين، وإذا كان الأنبياء كلهم حمادون فهو عليه السلام أكثرهم حمداً، وأعظمهم في صفة الحمد، وقد فعل ما يوجب الحمد فهو أحمد، وصار محموداً، ووجد وعاش وتوفي حميداً.

أحمس: من الحماسة والبسالة، وكانت قريش في الجاهلية تسمى: «الحمس» لحماستهم في دينهم، وواحداهم «أحمس»، أما القائد الفرعوني «أحمس» فهو قائد وثني حارب الهكسوس الذين كان فيهم بقية من التوحيد، ولا يجوز التسمي باسمه بالنسبة للمسلمين.

أحمش: من في ساقه حموشة، وهي دقة الساقين، وهو وصف في الحبشي الذي

سيهدم الكعبة آخر الزمان، وهو ذو السويتين.

أحنف: اسم لأشهر العرب حَلَمًا، وهو الأحنف بن قيس، وهو أفعل من الحنيف، وهو المائل عن الكفر إلى الإسلام.

أحور: مَنْ فِي عَيْنَيْهِ حَوْرٌ، والحور هو اشتداد سواد العين وبياضها، وهي صفة حسن، فيقال للظبي: أحور، لاشتداد سواد العين وبياضها واستدارة حدقته.

أحوس: هو الشجاع الجريء، وهو اسم للذئب.

أحوص: هو من ضاقت مؤخرة عينيه حتى كأنها قد خيطة بخيط.

أحوط: هو من اشتد في الأخذ بالحيلة والحذر، وكان قريبًا إلى الثقة، وهي صيغة أفعل التفضيل من «الحيلة».

أحول: من في عينيه «حَوْلٌ» وهو تحول سواد العين، أو اختلاف محوري العينين، وهو من «الحَوْل» بكسر الحاء، وهو الحَذَقُ وجودة النظر، والقدرة على التصرف في الأمور، وهو أيضًا من كثرة التحول، ومن كثرة العجائب، فهو: من في عينيه حول، وهو الأمكر، وهو أكثرهم حيلة، وهو الأكثر تحولاً.

أخرز: هو الضيق العينين.

أخصب: هو من الخصوبة وهي صلاح الأرض للإنبات والمرعى وإيراق الشجر- أي: يكون له ورق-.

أخضم: صيغة أفعل التفضيل من «الخضم» وهي الكثرة.

أخطب: الصقر، والأفضل في الخطابة، والأحمر أو الأصفر، وهو اسم لليهودي حيي بن أخطب والد أم المؤمنين صفية.

أخطل: هو المسترخي الأذنين، وهو شاعر نصراني عاش أيام الدولة الأموية، وكان ثالث الفرزدق وجريير.

أخطم: طويل الأنف.

أخنس: الأفتس، وهو أفتس الأنف مع ارتفاع أرنبته، وقيل: هو الأسد، وكان في الجاهلية شريق بن الأخنس أحد أعداء النبي ﷺ.

أخنف: هو من انضم أحد جانبي صدره أو ظهره ودخل فصار مخالفاً للآخر.

أخوص: هو من كانت إحدى عينيه أكبر من الأخرى.

أخير: اسم تفضيل من الخير.

أخيل: ذو الخال وهي الشامة، وهو اسم لطائر الشقراق، وقيل: هو المختال المتكبر.

إدريس: هو نبي الله المرفوع مكاناً علياً، وقيل: سمي كذلك لكثرة دراسته للعلم.

أدهم: من الدهمة وهي السواد، فهو أسود، وهو القيّد، وهو القديم أو الجديد من الآثار، واشتهر فرس عترة العبسي باسم الأدهم ف قيل: «أبيت فوق مرآة أدهم ملجم»، والأدهم: فرسه سمي بذلك لسواده.

أديب: هو الكاتب المنشئ، وهو المثقف، وهو المذهب المؤدب.

أذينة: هي الأذن الصغيرة.

أرتل: هو المنسق المنتظم، وهو من في لسانه لكنة وجبسة وعدم إفصاح.

أرقم: هو القلم، وهو ذكر الحية، وأثناء: الرقماء.

أركان: جمع «ركن» وهو الجانب، والزاوية، والجهة، وكانوا قديماً في الفلسفة يقولون بأن الأركان هي العناصر الأربعة: الماء، والهواء، والنار، والتراب، وهو اسم مشترك.

أرميا: اسم نبي من أنبياء بني إسرائيل.

أرنب: هو الحيوان الشهير من الثدييات.

أريب: هو الذكي اللبيب.

أريج: هي الرائحة الطيبة، وهو اسم مشترك.

أزهر: الأزهر من الرجال هو الأبيض العتيق البياض، وهو المشرق البياض، وهو أحسن البياض كأن له بريقاً ونوراً، وهو القمر، والبياض النير، وهو كل أبيض كالدرة، وهو الحسن والبهجة، وأثناء: الزهراء.

أسامة: هو اسم من أسماء الأسد.

أسعد: صيغة أفعل التفضيل من سعد وهو من السعادة.

أسلم: من أفعل التفضيل من سالم، وهو اسم غلام عمر بن الخطاب، واسم قبيلة كما في البخاري: «أسلم سالمها الله».

إسلام: هو ديننا الذي ارتضاه لنا، وبعض العلماء على كراهة التسمية به لثلاث يقال: إسلام هنا؟ فيقال: لا إسلام هنا.

إسحاق: هو نبي الله، ويقال: السحوق: النخلة الطويلة.

إسماعيل: أبو العرب، وهو الذبيح نبي الله ابن إبراهيم عليه السلام، وهو بالسريانية: اسمع يا إيل يعني اسمع يا الله.

أسمر: هو من كان في لونه سُمرة، وهو الرمح، وهو لبن الغزالة.

أسيد: تصغير أسد وهو الحيوان الشهير، واشتهر من الصحابة «أبو أسيد»، و«حذيفة بن أسيد الغفاري» رضي الله عنهما.

أشتر: هو المتقلب الجفنين أو المنشق الشفة السفلى، وهو اسم «للأشتر النخعي» أحد شيعة علي رضي الله عنه.

أشرف: أفعل التفضيل من «شرف»، وهو سيد القوم.

أشعب: هو بعيد ما بين المنكبين، وهو اسم للطفيلي الشهير «أشعب الطامع».

أشعث: هو المليء بالغبرة، تلبد شعره، وفي الحديث: «رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره».

أشقر: من كان في لونه الشقرة، وهو: اللون الذهبي والأحمر.

أشنب: هو الأبيض الأسنان رقيقهما.

أشهب: هو الأسود، وهو ذو اللون الأبيض الغالب على السواد، وهو الأمر

الصعب.

أشيم: هو من له شامة بجلده.

أصحمة: اسم حبشي للنجاشي ملك الحبشة المعاصر للنبي ﷺ، وقد توفي بعد

إسلامه وصلى عليه النبي ﷺ.

- أصهب: هو ذو الشعر الأحمر أو الأشقر، وهو الأسد، وهو اليوم البارد.
- أصيل: هو ذو الأصل الطيب، وهو الوقت من العصر إلى المغرب، وهو الشامخ
- الراسخ، وهو نقيض الوكيل، فيقال: بالأصالة عن نفسي، وبالوكالة عن غيري.
- أعشى: هو الكثير الشعر الضارب لونه إلى السواد، وكان من شعراء الجاهلية
- الأعشى، وأعشى همدان.
- أغيد: هو صاحب العنق المائل، وهو اللين الجانب، وهو النبات الناعم المشني من
- الابتلال والنداوة، والتنبيه.
- أكثم: هو ثعبان، وقيل: الواسع البطن، وهو الطريق الواسع.
- أكحل: هو ذو الكحل، وهو سواد العين الشديد خلقة، والأكحل: وريد في
- وسط الذراع، والمؤنث: كحلاء.
- أكرم: صيغة أفعال التفضيل من كرم، وهو الجود والعتاء.
- أكمل: هو الكامل التام، ولا كمال للبشر ولا تمام.
- ألهم: اسم منتشر بين أهل مصر، وهو من الإلهام أي: الإيحاء.
- إلياس: يقال: رجل أليس: أي: شجاع، وقيل: من اليأس، وهو اسم نبي الله
- إلياس.
- إليسع: اسم نبي من أنبياء الله.
- إمام: هو القائد، أو الخليفة، أو الرئيس، أو المقدم ليصلي بالمسلمين، وقيل: هو
- النهج.
- أمجد: صيغة أفعال التفضيل من المجد، وهو الشرف والعلو.
- امرؤ: رجل، أو شخص، وكان من الشعراء: امرؤ القيس.
- أمل: رجاء وتوقع، وهو اسم مشترك.
- أمير: ابن الملك، أو هو الوالي الحاكم، أو هو المشاور، أو الجار، أو القائد.
- أمين: هو صاحب الأمانة، وهو المخلص، الحافظ للود، الموثوق به.
- أنس: من الإناس والملاطفة، ومن الإبصار بالشيء، إذ أنه كقوله تعالى: ﴿إِنِّي

ءَانَسْتُ نَارًا ﴿القصص: ٢٩﴾ .

أنور: صيغة أفعل التفضيل من «نور»، وهو الأكثر نوراً، وهو الأوضح، والأحسن.

أنيس: تصغير أنس كما في صحيح مسلم، وهو الديك.

أوس: هو الذئب، والعطية، وكان قبيلتا الأنصار: الأوس والخزرج، ومن الصحابة «أوس بن أوس»، و«أوس بن ثابت» وغيرهما.

أويس: تصغير أوس وهو الذئب، وسيد التابعين كما في صحيح مسلم هو «أويس القرني».

إياب: هو الرجوع.

إياد: من التأيد، ومن التقوية، وكثرة الناس، وهو أحد جناحي الجيش، وهو الجبل العالي المنيع، وهو اسم مشترك.

إياس: من اليأس يقال: يأس، وآيس، واشتهر به «إياس الذكي».

أيسر: من اليسر وهي البركة، ومن اليمين فهو من يعمل باليمين، وهو من كان على الجهة اليمنى.

إيهاب: من الوهب والعطاء، والإعداد والتمكين.

أيوب: اسم نبي الله الصابر، وهو من ذرية نبي الله إبراهيم عليه السلام، وقيل: من الأوبة: يعني العودة إلى الله، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: سمي أيوب لأنه آب إلى الله تعالى في كل حال.



(٢) أسماء الإناث

آسية: هي طيبة مداوية، وقيل: هي الدعامة، وهو اسم امرأة فرعون المؤمنة، وهي «آسية بنت مزاحم»، و«آسيا» اسم للقارة الشهيرة وهي أكبر القارات، وهي من «الأسى» يعني الحزن، و«الآسي» الجراح، وقيل: «آسى» من المواساة، و«الأس» شجر دائم الخضرة بيضي الورق أبيض الزهر عطري، فالنسبة إليه.



آلاء: وهي النعم.

آمال: جمع «أمل» وهو الرجاء.

آمنة: المطمئنة، الواثقة، التي لا تسيء الظن بأحد، و«آمنة بنت وهب» أم رسول الله ﷺ.

آنسة: من الإيناس، ومن اليقين، وهو وصف لكل بكر ليست بزوجة.

آية: هي المعجزة، وهي الجملة من سورة القرآن، وهي المعجزة، وهي العلاقة، وهي العبرة والعظة، وهي الجملة المنفصلة.

ابتسامة: هي الضحك بدون صوت، ويقال: ابتسام أيضاً.

ابتكار: تجديد وإبداع، وهو الإتيان بالاختراع غير المعروف.

ابتهاال: رجاء ودعاء وتضرع.

إبداع: انظر قبل السابق.

إبريز: هو الذهب الخالص.

إتاد: الاتزان، والتأني.

إتاب: الحياء.

آثار: جمع «أثر» وهو ما تبقى من رسم الشيء، ويقال: هو السنة والحديث، وعند أهل الأثر هو قول الصحابي أو التابعي.

إثراء: كثرة المال والغنى.

إجلال: تكريم وإعزاز وتقدير.

احتساب: عدّ واعتبار.

احتشام: حياء، وخجل، وسلوك محمود.

احتكام: طلب الحكم، أو قبول التحكيم.

إحسان: انظره في باب الذكور.

أحلام: رؤى في النوم.

إخاء: أخوة.

إخلاص: وفاء، وزبد خالص من الشغل والعكارة، وهو خلاصة الشيء أي: زبده وأحسنه، وهو ترك الغش والخداع.

أذينة: أذن صغيرة.

أروى: جمع «أروية» وهي أنثى الوعل، حسنة المنظر، وهو اسم لعمة النبي ﷺ، واسم لأم جميل امرأة أبي لهب.

أركان: انظره في باب الذكور.

أسماء: من الوسامة وهو اسم لذات النطاقين: أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.

أزهر: تأنيثه زهراء.

أزهار: جمع «زهرة» البياض الشديد، واللون الصافي ومنه أزاهير.

إسراء: هو السير ليلاً ومنه حادثة الإسراء والمعراج.

أسرار: جمع «سر» وهو الشيء المكتوم.

إسعاد: من السعادة وهي الإعانة، وجعل الغير سعيداً.

أسمهان: اسم من مقطعين: الأول عربي وهو: اسم، والثاني: فارسي وهو: «هان» وتعني: أداة تنبيه.

إشراق: هي الإضاءة، أو طلوع الشمس وظهورها.

أشجان: أحزان، وشعب، فيقال: الحديث ذو شجون يعني ذو شعب.

أشرقت: طلعت وظهرت.

أصالة: الرسوخ والثبات، والجود والكرم.

إصلاح: عكس الفساد، وهو جعل الشيء صالحاً نافعاً، وهو الإنيان بصلاح الأعمال، وهو التوفيق بين المتنازعين وهو خير، وهو التقويم والتهذيب.

أطياف: جمع طيف، وهو خيال يأتي النائم في نومه.

اعتدال: الاستقامة، والتوسط بين حالين أحدهما سيئ والآخر فيه إفراط،



كالحرص وهو بين البخل والإسراف.

اعتماد: اتكاء، اتكال، مبلغ من المال يرصد لشيء ما.

أغاريد: غناء الطيور.

أغرودة: مفرد أغاريد، وهي غناء الطيور، وهي الترنيمة.

أغصان: هي فروع النبات.

افتخار: فخر وازدهار.

افتكار: تفكير، تذكر، أو إعمال الخاطر.

إفراج: إطلاق وانكشاف.

أفراح: جمع «فرح» وهو السرور.

أفكار: جمع «فكرة»، وهي التأمل أو إعمال الخاطر.

أفنان: جمع «فن» وهو الغصن.

إقبال: اسم مشترك، ومعناه الإتيان، أو الإتيان بالخير، أو ملازمة الشيء.

إكرام: من الإعزاز والتقدير، والتكريم والتعظيم.

إكمال: من الإتمام والكمال.

أطاف: هم الأصحاب والأهل، وهي من «اللطف» أي: من توفيق الله تعالى.

إلهام: من الإيحاء، ومن التبليغ.

ألفت: من الألفة، وقيل: هو تركي.

أمامة: من الأمومة، والإمامة، والملك، وانظر: أمية، واشتهرت أمامة بنت أبي

العاص بنت زينب بنت رسول الله ﷺ وهي زوجة علي رضي الله عنه بعد فاطمة رضي الله عنها.

امتثال: اتباع، طاعة.

أمل: اسم مشترك ومعناه الرجاء.

أميمة: تصغير أم، وهي مطرقة الحداد.

- أمانة: من الأمانة، وانظر: «أمين».
- أميرة: انظر: «أمير».
- انتصار: فوز ورجح.
- أنسام: من أنفاس الروح، وهي ريح طيبة لينة.
- انشراح: من الفرح والسرور.
- إنصاف: عدل ومجافاة للظلم.
- إنعام: إجمال وإحسان بالنعمة، وعطاء وكرم.
- أنغام: جمع «نغم» وهو حسن القراءة والترنيم.
- أنهار: جمع «النهر» وهو البحر الذي يحوي الماء العذب، وفيه معاني العطاء والكرم.
- إيثار: تفضيل الغير على النفس بالخير.
- إيلاف: من التآلف والألفة وهو الأمن والتعود والاستئناس.
- إيمان: التصديق واليقين، والاعتقاد الجازم بلا ريب ولا شك.
- إيناس: من المؤانسة والملاطفة.



أسماء تبدأ بحرف الباء

(1) أسماء الذكور

- باجد: هو من أقام مكانه فلم يتركه.
- باحور: هو القمر، وهي شدة الحر في الصيف.
- بادي: أي: ظاهر، وهو عكس الحاضر أي: هو البدوي ساكن البادية، وهو الإجابة على البديهة دون تفكير أو روية.
- باز: هو الصقر المعروف، وقيل: من فصيلته.
- باسل: هو الأسد، وهو الشجاع، وهو الشديد من الظلم والأيام.
- باسم: من البسمة، وهو الضحك بلا صوت.
- باشا: لقب تركي معناه: خادم السلطان.
- باقل: هو المخضر، وهو المخضر.
- باكر: غداً، وهو المبكر، وهو أول طلوع النهار.
- باهر: يهر من يراه بوجهه أي: يدهشه.
- باهي: من البهاء وهو الحسن، والجميل، وشديد الظرف.
- بتول: هو المتبتل المنقطع للعبادة التارك للنساء، وهو أمر يكرهه الإسلام، وهو اسم مشترك.
- بجاد: هو الكساء المخطط، وفي الصحابة «ذو البجادين عبد الله بن نعيم بن غضيف».
- بجال: هو المعظم، وهو الشيخ الجامع بين الجمال والنبيل.
- بحبح: أي: واسع، من «البجوحة» وهي أوسع الدار ووسطها.
- بحتر: هو القصير، واشتهر الشاعر العباسي بـ«البحثري».
- بحر: هو المسطح المائي الشهير الواسع المنبسط وهو اسم للملح والعذب منه، والنسبة إليه «بحراني» و«بحري» والبحر: الرجل الكريم، وغزير العلم.

بحير- بحيري: نسبة إلى «البُحَيْرَة» وهي ماء تحيط به اليابسة من كل مكان «ضد الجزيرة» والمعنى أيضاً: واسع، ولعله أن يكون تصغير بحر.
 بخاتي: جمع «بخت» وهي الإبل الخراسانية ذات السنامين.
 بختري: من البخترية وهي مشية المعجب بنفسه واشتهر في الجاهلية «أبو البختري ابن هشام».

بخيت: من «البخت» وهو الحظ، فهو محظوظ، جيد الحظ.
 بدر: اسم مشترك وهو القمر الكامل المنير، والغلام المكتمل، والسيد.
 بدري: المطر الذي يسقط قبيل الشتاء، وهو نسبة إلى بدر «انظر السابق»، وهو نسبة إلى أهل غزوة «بدر» وهي من أعظم غزوات النبي ﷺ والصحابة الذين حضروها يقال لهم: «البدريون»، ويقال: «أبو مسعود البدري»؛ لأنه كان مقيماً على بئر «بدر».
 بدوي: ساكن البادية «الصحراء».

بديع: جميل، مخلوق على صورة لا مثيل لها.
 براء: أول ليلة أو آخر ليلة في الشهر، ومن الصحابة «البراء بن عازب».
 برغش: قام من مرضه وأفاق.
 برقش: ولي هارباً، واسم طائر.
 بركة: من اليُمن، والسعادة، والنماء، والزيادة، وهو اسم مشترك.
 برهان: الحجة والدليل القاطع.
 بَسْبَسَ: أسرع في السير، ويقال: مشى بالنميمة، وهو القفر الخالي.
 بسام: كثير الابتسام.

بستاني: نسبة إلى «بستان» وهي الروضة ذات النخل التي يمكن الزراعة فيها.
 بشارة: الخبر السار المفرح.
 بشر: هي طلاقة الوجه، واللطف.

بشرى: اسم مشترك، وهي الخبر السار أو النبأ المفرح.
 بشير: ناقل البشارة، وهو المبشر على وزن فاعل.

بَعَزَق: مَفَرَّق ومَبَدَد.

بريق: لقب تركي قديم.

بكير: المفتن من الجمال.

بلال: هو الندى أو الماء، أو الفطر بالشيء، وقيل: ما يبل به الخلق، وأشهر من تسمى به «بلال بن رباح» مؤذن رسول الله ﷺ وهناك «بلال بن الحارث» رضي الله عنه.

بلبل: طائر معروف بجمال صوته، ومنه «بَلْبُول».

بُلَيْح: تصغير بلح، وقيل: البليح بفتح الباء هو نبات له زهر عطري.

بليغ: هو الفصيح ذو المنطق الحسن، والبيان الجميل.

بندر: هو مرسى السفن في الميناء، وهو البلد الكبير.

بندق: ثمر معروف، وكانوا قديمًا يطلقونه على قذائف الصيد وهي كرات رصاصية أو غير رصاصية، وهذا الاسم دالٌّ على الصغر أو قلة الحجم، وهناك الذهب البندقي المنسوب إلى البندقية - ميناء بإيطاليا -.

بهاء: البهاء: الجمال والمنظر الحسن، وهو بريق الرغوة.

بهجة: السرور، والحسن، والجمال، والنضارة، وهو اسم مشترك.

بهلول: الجامع لصفات الخير، وقيل: هو الضحَّاك.

بهنس: الأسد، وهو الثقيل الضخم.

بهور: الأسد.

بهي: ذو البهاء والجمال، وانظر باهي.

بهيج: هو المسرور، والجميل.

بوري: اسم لسلك، والبوري هو: الحصير المنسوج المعمول من القصب.

بيرم: هي آلة عند النجار تسمى «العتكة» كالحابور يوسع بها بين شقي الخشبة عند النشر، وهو الكحل المذاب، وهو «البرطيل» يعني الرشوة.

بيطار: هو معالج الدواب.

بيهس: الأسد.

(٢) أسماء الإناث

باتعة: طويلة، أو طويلة العين، أو غليظة اللحم وينطق ويكتب «بتعة».

بتول: هي العذراء من النساء التي لم تتزوج، ويقال لـ «مريم عليها السلام» أم عيسى عليه السلام: البتول.

بُثينة: امرأة جميلة حسناء، وهي الأرض السهلة اللينة، حبيبة جميل هي: بثينة.
بُخينة: انظر بخيت.

بختية: الإبل الخراسانية ذات السنامين.

بدر- بدرية: انظر الذكور، والبدرية: تامة وكاملة كالبدور.

بُدرور: جمع «بدر» وهو القمر الكامل المستدير.

بديعة- بدوية: انظر «بديع- بدوي».

براءة: السلامة من العيب، والتخلص من الدين والذنب، وهي الشهادة، أو الإجازة، ويقال: براءة الاختراع.

براقش: اسم مدينة، واسم كلبة قالوا عنها: «وعلى نفسها جنت براقش».

بركة: اليُمن، والسعادة، والنماء.

برلنتي: حجر كريم، وهو «الأماس» والبرلنتي أغلى أنواعه.

بسامة: انظر بسّام.

بسمة: ضحكة بلا صوت.

بسملة: يعني «بسم الله الرحمن الرحيم».

بسوس: ناقة لا تدر لبنًا إلا على الإيساس، كقول الحالب: «بس بس»، وهو

الراعي.

بسيسة: هي السُّويق، أو الدقيق تُلت بسمن.

بُسَيْمة: تصغير بسمة، وهو نوع من الحلويات.

بصّارة: قوية البصر، وهي النظارة.

بضة: دقيقة نضرة.

بطة: هي الطائر المائي، قصير العنق والأرجل، لحمه طري.

بغوم: ذات صوت رقيق.

بلبله: مؤنث «بلبل».

بليحاء: نبات له زهر عطري.

بليغة: انظر بليغ.

بندقة: انظر «بندق».

بنفسج: نبات عطري الرائحة، زهري، تتخذ زهوره للزينة.

بهجة: السرور، والحسن، والنضارة.

بهية: انظر «بهي».

بهيجة: انظر «بهيج».

بهيرة: السيدة الشريفة.

بُشرى: خبر مفرح، ونبا سار سعيد.

بوسي: من «البوس» وهو التقبيل «فارسي معرب»، ومن البؤس وهو الفقر أو الشدة، ومن «البوس» وهو الكثير.

بيضة: الخوذة، والجماعة، والمعظم، والحر، وحوزة الفرخ.

بيضاء: أي: منسوبة إلى الأبيض «اللون»، ومنسوبة إلى الأبيض وهو اللبن، وإلى «البياض» كما في البيض، وإلى «البيضاء» وهي القمح، وهو اسم عمة النبي ﷺ والبيضاء هي: الشمس، وهي القدر، وهي الأرض الملساء والليالي البيض: ليلة ثلاث، ورابع، وخمس عشرة من كل شهر عربي، وفيها يكون القمر بدرًا، والبيضاء: الحجة المبرهنة كما في الحديث: «تركتمكم على البيضاء».

أسماء تبدأ بحرف التاء

(1) أسماء الذكور

تاج: هو الإكليل الذي يوضع فوق الرؤوس، وهو الفخر والاعتزاز.

تامر: ذو التمر، أو مطعم التمر.

تقي: ذو التقوى والإيمان.

تمام: كمال.

تمساح: هو الحيوان البرمائي الشهير، ويعيش في المستنقعات الضحلة وهو شرس.

تَمَام: المتمم أو المكمل، واشتهر من الشعراء «أبو تَمَام».

تميم: التام الخلق الشديد، واشتهر من الصحابة تميم الداري، واشتهر من قبائل

العرب: بنو تميم.

تنوفة: الصحراء القاحلة.

تهامي: نسبة إلى جبال تهامة بالحجاز.

توبة: اسم مشترك، ومعناه الرجوع عن الذنب، والندم على فعل المعصية، ومن

الشعراء توبة الحميري.

توت: هو النبات المعروف.

توحيد: هو الإيمان بالله تعالى، وهو التجميع أيضاً.

توفيق: نجاح، وإيجاد انسجام بين رأيين مختلفين.

توكل: اسم مشترك، ومعناه الاعتماد على الله، ومعناه أيضاً قبول الوكالة.

تياح: أي: ميال في مشيته، ومن شيعة علي رضي الله عنه أبو الهيثم بن التياح.

تيسير: اسم مشترك، ومعناه تذليل وتسهيل.

تيم: العبد، وذهاب العقل، ومنهم بنو تيم الله.

تيمور: اسم فارسي معرب، وهو اسم لجزيرة شمالي غرب أستراليا وإحدى جزر

المحيط الهندي.

(٢) أسماء الإناث

تباريح: أزامير.

تبشير: أول ظهور الشيء، وهي أيضاً البشرية.

تحفة: اسم مشترك، وهي الهدية، والقطعة الفاخرة من الأثاث، وهي الطُرفة.

تحية: هي السلام، والبقاء، والسلامة من العيوب والآفات.

ترنيم: إنشاد؛ خاصة الإنشاد الديني.

ترنيمه: واحدة الترنيمة وهي الأنشودة.

تسنيم: عين في الجنة، وليس لها اشتقاق معروف قال الله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ

تَسْنِيمٍ﴾ (المطففين: ٢٧).

تغريد: تطريب في الغناء، وهو صوت الطيور والغناء.

تفاحة: الثمرة المعروفة من الفاكهة.

تقوى: اسم جامع بين الخوف والرجاء.

تقى: التقوى والإيمان.

تميمة: تعويذة لدفع الحسد وهي حرام شرعاً.

تماضر: امرأة ناعمة العيش بيضاء وطيبة، وهو اسم «الخنساء» الشاعرة «تماضر بنت

عمرو».

تمارة: من التمر، أو هي كثيرة التمر.

تهاني: جمع «تهنئة» وهي المباركة.

توبة: عودة إلى الله ورجوع إليه عن المعاصي.

توحيدة: المؤمنة بتوحيد الله، المنفردة بنفسها.

تيماء: البيداء المهلكة - أي: الصحراء - والفلاة التي لا ماء بها.

تيمورية: نسبة إلى تيمور، وانظر «تيمور» في الذكور.

أسماء تبدأ بحرف التاء

(1) أسماء الذكور

ثائب: هو الثائب إلى الله من «يثوب» وهو العائد، وهي الريح الشديدة مع بدء المطر، وهو ما يتخلف من ماء البحر عند الجزر.

ثائر: هو القائم بالثورة، وهو الغاضب، الأهوج في طلب الثأر المتمرد على النظام الحاكم.

ثابت: المقيم على أمره، المستقر، الراسخ، واشتهر من الصحابة ثابت بن قيس بن شماس خطيب رسول الله ﷺ.

ثابر: المواظب والمداوم على أمر.

ثاقب: السديد من الرأي، المضيء.

ثامر: المثمر، وقيل: اللوييء، وسمي غلام أصحاب الأخدود بـ«عبد الله بن الثامر».

ثروت: كثير العلم والفضل، وهو من الثروة وهي المال الوفير.

ثعلب: حيوان مشهور بخداعه.

ثعلبة: انظر السابق، ومن الصحابة المفترى عليهم «ثعلبة بن حاطب البصري».

ثقيف: هو الحاذق الماهر جداً، وقيل: هو الخل شديد الحموضة.

ثمالة: نفيسة الشيء، وهي الرغبة.

ثمام: عشب زهرة السنبلة.

ثمامة: مفرد ثمام.

ثمود: الكريم أو السخي، وهم قوم صالح عليه السلام.

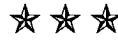
ثمين: غالٍ نفيس، أو باهظ الثمن.

ثناء: اسم مشترك، من المدح والإطراء.



ثواب: جزاء حسن وعطاء.

ثوبان: رجوع المذنب إلى الله، وهو رجوع العافية، وهو زيادة المال، وثوبان اسم مولى رسول الله ﷺ.



(٢) أسماء الإناث

ثريا: نجم بعيد في السماء، أو مجموعة من الكواكب، وهي تشكيلة مصابيح للإضاءة تعرف باسم «النجفة»، ويقال: شتان ما بين الثرى والثريا أي: بين السماء والأرض:

ثعلة: أنثى الثعلب.

ثعيلة: تصغير ثعلة.

ثوية: تصغير ثوبة- أي: الثواب والجزاء- وهو اسم جارية أبي لهب مرضعة النبي ﷺ.

ثورة: هي الطفرة، وهي الوثوب على الحاكم للإطاحة به، وهي الهيجان ورفض الظلم.



أسماء تبدأ بحرف الجيم

(1) أسماء الذكور

جائي: اسم الفاعل من «جاء» وهو الآتي القادم.

جابر: هو الذي يصلح كسور العظام، وهو الخبز، وأشهر من تسمى به من صحابة رسول الله ﷺ جابر بن عبد الله بن حرام، وجابر بن عبد الله بن رثاب.

جاحظ: من جحظت حدقة عينه - أي: برزت - وأشهر من تسمى به عدو الله المعتزلي الأديب: الجاحظ عمرو بن بحر.

جاد: هو الرزين البعيد عن الهزل والمزاح، المجتهد.

جار: المغيث، المجير.

جارم: هو الكاسب.

جاسر: من الجسارة وهي الشجاعة.

جاسم: جَسَم الشيء أي: عظم، يقال: الخطب جسيم.

جامح: هو المتمرد الذي لا يستطيع أحد الإمساك به.

جير: هو الشجاع، الملك، العلم المعروف، الكبير.

جبريل: هو روح الله الأمين المنزل بالقرآن، وهو من رؤساء الملائكة، وقد كرهت التسمية به كما سبق.

جبل: هو ما ارتفع عن الأرض وهو سيد القوم وهو العالم والغليظ.

جبلَّة: خلقة وفطرة.

جحجاح: السيد الكريم.

جحاف: كثير الأكل للثريد - وهو سيد الطعام - وكثير الضرب بالسيف.

جد: هو والد الأب، أو والد الأم، وكان من المنافقين على عهد النبي ﷺ «جد

ابن قيس».

- جدعان: مقطوع الأنف، واشتهر به في الجاهلية «عبد الله بن جدعان».
- جراح: الطبيب المعالج للجروح، وأشهر من تسمى به وكيع بن جراح شيخ من شيوخ الشافعي، وأحد أئمة السلف.
- جرموز: هو الذئب الصغير يقال للذكر منه- والبئر- البيت الصغير وقاتل الزبير بن العوام رضي الله عنه هو ابن جرموز عليه من الله ما يستحقه.
- جسور: شجاع- مقدم- طويل ضخم.
- جعجاج: أرض المعركة، الكثير الكلام، المناخ السيء.
- جعجع: الجمل اشتد هديره، والرجل كثير الكلام.
- جعد: المستدير قليل اللحم، والبخيل اللثيم، لثيم الحسب، وكنية الذئب «أبو جعدة»، وأشهر من تسمى به «الجعد بن درهم» عدو الله القاتل بالقدر.
- جعفر: النهر الممتلئ بالماء.
- جعران: هو الجُعْل، وهي حشرة سوداء من نوع الخنافس عرفها المصريون القدماء، وجعلوها توائم وحلي، وهو الأسود الدميم.
- جعفر: النهر- الناقة غزيرة اللبن وأشهر من تسمى به: الشهيد الطيار جعفر بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ.
- جعل: انظر جُعران.
- جُعيل: تصغير جُعْل.
- جلال: كثير الوقار والرزانة، كثير الخبرة.
- جلجل: الأمر العظيم- الفلاح خفيف الروح، وما يتجلجل في النفس.
- جلف: غليظ جافي، وتقال للأعراب الأجلاف.
- جليل: شيخ كبير السن.
- جمال: بهاء وحسن، وهو اسم مشترك.
- جمعة: اليوم المعلوم، ويقال له: الزهراء الحسنة بين الأيام، ومن معناه: الألفة.
- جندي: هو الواحد من العسكر، وهو العون والنصير.

- جنيد: تصغير جندي، وانظر السابق، وهو الأرض الغليظة، وأشهر من تسمى به تاج العارفين: الجنيد، كما كان يسميه ابن تيمية رحمه الله.
- جهاد: اسم مشترك معناه لغة: ما يبذله المرء من قول وعمل مما كان في وسعه. وفي الشريعة: القتال والكفاح.
- جهنم: والجهنم هو النقاد بالأمور.
- جهجاه: هو البطل ورجل يكون في آخر الزمان «الجهجاه» أحد بني قحطان- كما في حديث مسلم- يسوق الناس بعصاه.
- جهير: عالي الصوت.
- جهم: غليظ الوجه، عابس، وهو الأسد، ومن الصحابة: أبو الجهم.
- جواد: السخي الكريم، والنجيب من الخيل.
- جودت: اسم تركي معرب، مأخوذ من الجودَة والجود.
- جودة: من الكرم.
- جولان: معناه التراب الذي تجول به الريح على وجه الأرض.
- جون: الخليج الصغير.
- جوهر: حجر كريم، وهو اللب وطبيعة الشيء.
- جوهري- جواهرى: نسبة إلى الجوهر، وهو من يعمل بالجواهر.
- جيد: معطاء كريم.
- جويد- جويده: تصغير جيد.
- جياش: متحرك مضطرب.



(٢) أسماء الإناث

- جائشة: النفس والروح.
- جاذبية: هي من تجتذب الأنظار أي: تشدها إليها.



- جارة: مغیثة، مجيرة.
- جارية: فتاة صغيرة، سفينة، شمس.
- جازية: معطية، مجازية على العمل أي: محاسبة.
- جبيرة: ما يجبر به العظم المكسور، وهي عيدان جمعها «جبائر».
- جحلاء: الناقة العظيمة.
- جدعاء: مقطوعة الأذن.
- جداعة: مقطوعة الأذنين والأنف.
- جديلة: هي الضفيرة، العزيمة، الناحية، الجهة والجمع «جدائل».
- جذامة: الباقي بعد جداد الزرع.
- جذوة: حجرة ملتبهة.
- جرأة: الإقدام والشجاعة.
- جزية: خراج الأرض.
- جزيمة: قاطعة، باترة، من الجزم.
- جالا: الرحيل عن الأرض وتركها، الانكشاف، الكُحل.
- جلباء: تركي ومعناه: زهر الرمان.
- جلبهار: فارسي الأصل ومعناه: زهر الربيع.
- جماليات: تركي معناه «جمال» وانظر «جمال».
- جمانة: فارسي معرب بمعنى: اللؤلؤة الصغيرة.
- جميلة: حسنة الصورة، ذات حسن وبهاء، وهو من الأسماء التي سمي بها النبي ﷺ كما ذكرنا في أول الكتاب.
- جنة: الفردوس، الحديقة ذات الشجر والنخل.
- جنينة: تصغير جنة.
- جهاد: انظر «جهاد» في الذكور.

جهيرة: انظر جهير.

جواهر: جمع «جهر» وجوهرة.

جويرة: الفتية القوية من النساء، وهي أم المؤمنين جويرة بنت الحارث.

جيدار: طويلة العنق.

جبيرة: ماء المسافر.

جيلان: طواف واختيار وسطوع.

جيلم: القمر.

جيهان: فارسي يعني الدنيا أو العالم.





أسماء تبدأ بحرف الحاء

(1) أسماء الذكور

- حاتم: هو القاضي، واشتهر في الجاهلية بكرمه «حاتم الطائي».
- حارث: راع، وهو المكلف برعاية وحفظ الشيء، وقيل: هو من يحرق الأرض، واشتهر بهذا الاسم الحارث المحاسبي.
- حارس: راعي، أو مكلف برعاية الشيء وحفظه من الحراسة.
- حازم: ذو الحزم والهمة.
- حاشد: هو المستعد المتأهب دائماً، الجامع للناس.
- حافظ: هو الواعي، الحارس الطريق، الواضح المستقيم.
- حافي: هو من سار بلا حذاء، واشتهر به «بشر الحافي».
- حاكم: هو من يحكم بين الناس، وهو أحد درجات أئمة الحديث.
- حالم: من يعيش أسيراً لأحلام اليقظة، وهو المحلق في سماء الخيال دائماً.
- حامد: المعطر لسانه بكلمات الثناء، والاعتراف بالفضل لأصحابه، وهو الشاكر لربه، وهو المستحسن للشيء، وهو اسم مؤلف الكتاب.
- حبيب: عزيز، المحبوب الذي له مكان في القلب.
- حتاة: ما تنثر من كل شيء.
- حجاب: الستر، الحاجز، الحرز من الشيء.
- حجاج: كثير الحج، وكل قصد يسمى حجاً، وخُصّ في الشريعة بالأيام المعلومات وبالأركان المعلومة، وهو أحد أركان الإسلام.
- حجازي: نسبة إلى الحجاز، وهي الأرض الطيبة المعروفة، ونسبة إلى الحاجز، وإلى الحزام.
- حجي: المستحق الجدير.

حداد: صانع الحديد، البواب، السَّجَّان، البحر.

حُذيفة: تصغير حذفة، طائر شبيه بالأوز، المقطوع، واشتهر من الصحابة: حذيفة ابن اليمان، وحذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنهما.

حذاء: صانع الأحذية، ومن المحدثين: خالد الحذاء.

حرب: ضد السلم، الشجاع.

حربي: نسبة إلى الحرب، انظر السابق، واشتهر من المحدثين بهذا الاسم: إبراهيم الحربي.

حريري: منسوب إلى الحرير، فهو صانع أو بائع الحرير.

حزم: هو من كان ضابطاً لأمره كلها آخذاً فيها بالثقة.

حسام: هو السيف القاطع.

حسَّان: هو شديد الحسن والبهاء، واشتهر به «حسَّان بن ثابت» شاعر رسول الله ﷺ.

حسن: كل جميل فهو حسن، وكل بهي فهو حسن، وهو اسم السيد سبط رسول الله ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما.

حُسنَى: اللطف، المعاملة الحسنة، العاقبة الحسنة.

حسونة: طائر صغير حسن الصوت.

حسيب: ذو الحسب، المحاسب، الكافي، المعطي بما يكفي.

حسين: الشديد الحسن كثيره، وهو اسم سبط رسول الله ﷺ الحسين بن علي رضي الله عنهما.

حسينين: من الأسماء المثناة «مثنى: حسن».

حشمت: الحشمة وهي الحياء، الشمم والأنفة، الغضب، وقد أضاف الأتراك التاء

الآخيرة.

حصيف: ذكي، جيد الرأي.

خطاب: جامع الخطب أو بائه.

حطام: الأسد.



حظوم: هو الأسد.

حفص: الشبل من الأسود، البيت الصغير، وهي كنية عمر رضي الله عنه كناه بها رسول الله ﷺ.

حفني: منسوب إلى الحفنة، وهي ملء الكف أو الكفين من الشيء.

حقي: رجل الحق والقانون.

حكمت: اسم مشترك، وأصلها حكمة، وحرفها الأتراك إلى تاء مفتوحة، وأصلها: عدل وحلم.

حكيم: عاقل، رزين، واع، واشتهرت بالاسم «أم حكيم» الصحابية زوج عكرمة ابن أبي جهل.

حلمي: أصلها «الحلم»، وهو الوقار والرزانة، والعقل، والسماحة، والحكمة، وزاد الأتراك فيها ياءً.

حماد: كثير الحمد، ومنهم حماد الراوية.

حماس: شديد الحماس، المحاربة، المنع.

حمام: طائر معروف، ويرمز به إلى سلام، والواحدة «حمامة».

حمد: الثناء والشكر.

حمدان: كثير الحمد والثناء والشكر.

حمدي: نسبة إلى الحمد.

حمدون: هي من الصيغ المغربية في زيادة الواو والنون في آخر الصفة.

حمزة: الأسد، وهي بقلة حريفة لاذعة، وكانت كنية أنس بن مالك رضي الله عنه «أبو حمزة»، واشتهر به «حمزة بن عبد المطلب» عم رسول الله ﷺ وأسد الله ورسوله.

حمودة: انظر حماد.

حنبل: البحر، الغزو، وهناك الإمام أحمد بن حنبل وولده حنبل.

حنظل - حنظلة: الحنظل نبات مُر الثمر يشبه البطيخ الصغير وثمرته الحنظلة.

حنفي: نسبة إلى المذهب الحنفي.

حنيفة: موحدة بالله، مائلة عن الكفر، وتكنى به «أبو حنيفة» النعمان صاحب المذهب الحنفي.

حنيف: مخلص لإسلامه ثابت عليه، مائل عن الباطل المتابع للملة الحنيفية وهي ملة إبراهيم عليه السلام.

حُنين: اسم موضع، وغزوة للنبي ﷺ.

حوأس: من «حواس» بالتخفيف، ومعناها أجهزة الإنسان التي تمنحه الحس؛ كالسمع والبصر، وهم خمسة.

حوت: هو الحيوان المائي، وهو السمكة الكبيرة.

حيدر- حيدرة: الأسد.

حيي: ذو الحياء المحتشم.



(٢) أسماء الإناث

حافضة: الذاكرة، حقية الأوراق، حارسة واعية، وانظر حافظ.

حببية: هي المحبوبة، واشتهرت بالاسم «أم حبيبة» أم المؤمنين وزوج رسول الله ﷺ.

حتاة- حنة: انظر الذكور.

حسنة: ضد المعصية، وهي العطاء من عند الله، وهي الجمال.

حُسنة: مؤنث حُسن، وهو الجمال والبهاء.

حسنا: جميلة فاتنة.

حسنية: انظر حسني.

حسية: انظر حسيب.

حسينة: انظر حسين.

حصيفة: جيدة الرأي، ذات عقل وحكمة.

- حصناء: عفيفة، حصنت نفسها، وأحصنت فرجها.
- حفصة: مؤنث حفص، واشتهرت به أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب زوجة رسول الله ﷺ.
- حفيظة: موكلة بالشيء، ما ينبغي أن يحافظ عليه، غضب، فيقال: أثار حفيظتي.
- حكمت: انظره في باب الذكور.
- حكيمه: واعي، رزينة، ذات حكمة.
- حلا: طاب، لذّ، صار حلواً.
- حلاوة: اسم مشترك بمعنى جمال وحسن الطعم، اللذيذ.
- حليمة: مسامحة، رزينة، حكيمه، وهو اسم مرضعة رسول الله ﷺ «حليمة السعدية».
- حلمية: عاقلة، ومسامحة، ومتزنة.
- حمدية: انظر حمدي.
- حمسار: شجاعة.
- حميدة: محموددة السير والأخلاق، كثيرة الحمد والشكر.
- حنان: الرحمة، رقة القلب، العطف الشفقة، البركة الرزق، الوقار.
- حنيفة: موحدة بالله تعالى.
- حنين: شوق، وهو صوت الطرب، وهو شدة توقان النفس وشدة الشوق.
- حواء: هي أم البشر وزوج آدم عليه السلام، وهي من «الحوة»، السمرة وهي صفة مستحبة لدى القدماء.
- حور- حورية- حوراء: جميلة كاملة الصفات، ووعد الله المؤمنين في الجنة بـ«الحور العين» ليكن أزواجهم.
- حية: بقاء، دينار، عيش، ضد الموت.

أسماء تبدأ بحرف الخاء

(1) أسماء الذكور

خاتم: الآخر، العاقبة، نوع من الحلبي يُلبس.

خادر: الأسد.

خاشع: الراكع القانت لله.

خاطر: بالٌ وفكر، هاجس، قلب، نفس.

خالد: باق، أبدي، سرمدي.

خباء: خيمة، منزل، أغطية الأزهار وأغلفتها.

خباز: هو صانع الخبز.

خبور: الأسد.

خبوش: الأسد.

خشعم: الأسد.

خزاعة: القطعة من الشيء، وهو اسم قبيلة كانت حول البيت الحرام قبل قریش.

خزاعي: نسبة إلى خزاعة، وهو المتأخر عن أصدقائه.

حزم: القاطع البتار من السيوف، ومن الرجال هو الأريحي «الجواد».

خزام: نبات ذو رائحة طيبة.

خزرج: الريح الباردة، وهو اسم من أسماء الأسد، واسم القبيلة الثانية من قبيلتي

الأنصار، والأولى هي: الأوس.

خزعل: الضبع.

خشبة: هي واحدة الخشب، وفيه دلالة على الصلابة والقوة.

خضر - خضير: الكثير الخضرة، الغصن، الزرع، وهو اسم نبي الله العبد الصالح

سمي بذلك كما في الحديث عند البخاري، لأنه جلس على فروة فإذا بها تهتز من

ورائه خضراء.

خطّاب: كثير الخطّاب، وكثير الحديث اللبق، ومنه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه.

خطّاط: هو من يجيد الكتابة بخط حسن.

خطيب: هو المتحدث اللبق المتقدم لخطبة امرأة، واشتهر به الخطيب البغدادي.

خفاجة: كبرياء واعتزاز، وبه تسمى «ابن خفاجة» شاعر الأندلس.

خلدون: من الخلود والبقاء، البدل، وهو من زيادات المغاربة للواو والنون في الألقاب والصفات، واشتهر به المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله.

خلف: ما استخلف من الشيء.

خليفة: من يقوم مقام غيره، وهو عند المسلمين منصب سياسي ديني يجمع بين حراسة الشرع وسياسة الدنيا.

خليل: صديق، ناصح، سيف، رُمح.

خميس: جيش، يوم من أيام الأسبوع، الخميس.

خنافس: الأسد.

خوجة: لقب تركي يعني المعلم.

خورشيد: اسم تركي مركب من جزئين أوله خور: يعني مصب الماء في البحر، وشيد: اسم مكان، وقيل: إنه عربي.

خولي: القائم بأمر الناس، من يحسن رعاية الأرض والماشية.

خيّام: صانع الخيام وبائعها وساكنها.

خير: هو أفضل كل شيء، وعكسه الشر.

خيرى: منسوب إلى الخير وفيه كل الخصال الكريمة.



(٢) أسماء الإناث

خاتون: تركي معناه: السيدة عريقة الأصل.

خالدة: انظر خالد.

خديجة: مولودة قبل تمام أشهر الحمل، وهو اسم أم المؤمنين وزيرة الصدق أولى المؤمنات خديجة بنت خُوَيْلِد رضي الله عنها.

خلود: البقاء، الديمومة.

خنساء: البقرة الوحشية ذات الأنف المرتفع الأرنبية، أي: المقدمة، وهو اسم للشاعرة المشهورة برثاء أخيها صخر في الجاهلية المحتسبة أولادها إذ استشهدوا في الفتوحات، وهي «الخنساء» واسمها: تماضر بنت عمرو.

خواطر: جمع «خاطر» وهو البال، الفكر والقلب.

خُوخة: واحدة من فاكهة الخوخ.

خَوْخَة: فتحة في الجدار.

خولة: الغزالة، واشتهر به «خولة بنت ثعلبة» التي نزلت فيها آيات سورة المجادلة.

خيرية: الجودة، الأفضل.

خيزران: اسم نوع من الشجر أو الخشب، وهو اسم لأم هارون الرشيد.





أسماء تبدأ بحرف الدال

(١) أسماء الذكور

- داخل: عكس الخارج، باطن الأمر، النية.
- داود: اسم نبي الله والد سليمان عليهما السلام.
- دراز: المتمتع بنعيم الدنيا ولذاتها.
- درباس: السد، الكلب العقور.
- درويش: الزاهد العابد، الفقير الراهب.
- دُرِيد: تصغير أدرد، وهو الذي سقطت أسنانه.
- دعبل: هو بيض الضفدع، الناقة القوية، وسمي به الرافضي دعبل الخزاعي.
- دوسر: من أسماء الأسد.
- دياب: أصله ذئاب، وتحول إلى «دال» وخفضت همزته، وهو جمع «ذئب» وهو الحيوان المعروف.
- ديّار: صاحب الدار وساكنها.
- ديّاب: قاضي، محاسب.



(٢) أسماء الإناث

- دائرة: الهالة حول القمر، وهي الدائرة المنيرة حوله.
- داليا- دالية: اسم شجرة العنب، أو الكرمة.
- درداء: المرأة التي سقطت أسنانها، وهي ابنة الصحابي الجليل عويمر العجلاني، وهو «أبو الدرداء» الأنصاري رضي الله عنه.
- دُرَّة: لؤلؤة ثمينة.



دُرية: لؤلؤة ثمينة، أو منيرة مضيئة.

دعاء: ابتهال إلى الله، رجاء خير، تضرع إلى الله.

دلال: التدلل.

دليلة: مرشدة وهادية إلى الشيء، وهي الطريق الواضحة.

دنانير: جمع «دينار» وهو كلمة قديمة وأصله لاتيني.

دنيا: حياة، عكس الآخرة.

دينار: انظر «دنانير».

دنية: طاعة، اللين من المطر، قرض مؤجل.



أسماء تبدأ بحرف الذال

(1) أسماء الذكور

ذئب: الحيوان المفترس المعروف.

ذؤيب: تصغير ذئب.

ذؤابة: أعلى كل شيء والجمع «ذؤائب».

ذايد: حامي، والأصل فيها مهموز «ذائد» فسهلت الهمزة حتى صارت «ذايد» بالياء.

ذُبيان: نسبة إلى العطش والذبول.

ذرب: حدة في اللسان، حدة في السيف.

ذِكْرَى: التذكر، العبرة والتفطن للشيء، نسبة إلى الذكرى والتذكر.

ذكي: ألمعي، ذو فطنة جيدة.

ذهب: معدن ثمين.

ذهلول: الرجل السخي الكريم الجواد.

ذهليل: الغافل.

ذو النون: هو يونس عليه السلام، والنون: الحوت، فهو صاحب الحوت.

ذو النورين: عثمان بن عفان رضي الله عنه سمي بذلك لزوجته بابنة رسول الله

ﷺ رقية رضي الله عنها فلما توفيت تزوج بـ«أم كلثرم»، ولا يعرف أحد غيره أرخى سترًا على ابنتي نبي.

ذباد: من الذود، وهو الدفاع والدفع.

ذبيان: أي: ذئبان، وخففت الهمزة.

(٢) أسماء الإناث

ذكرى: التذكر، الفطنة للشيء.

ذكية: هي الفطنة، فوّاحة الرائحة الطيبة، فيقال: رائحة ذكية، وهي ما يلقي في النار ليزداد اشتعالها.

ذهبية: نسبة إلى الذهب، وهو المعدن الثمين.

☆☆☆



أسماء تبدأ بحرف الراء

(1) أسماء الذكور

- رائد: الطليعة، الرسول، الباحث عن العشب والماء.
- رائس: أول السحاب، الوالي، الرئيس.
- رائف: من الرأفة، وهو الرؤوف، شديد الرحمة، رحيم.
- رايح: ذو ربح وذو كسب.
- راتب: الأجر الذي يعطى بصفة دائمة قد رُتب للموظف، الدائم المستمر.
- راجح: رزين، دمث الأخلاق.
- راجي: هو الآمل، الراغب، وأضاف الأتراك لها الياء.
- رازي: قابل البر، ونسبة إلى الري، وينسب لها الفخر الرازي.
- راسم: الماء الجاري الذي يرسم.
- راشد: مهدي، مستقيم، بالغ الرشد.
- راضي: قابل بما يعطى له، قانع.
- راعي: هو الذي يقوم برعاية الماشية، الملاحظ، الرئيس، المسئول.
- راغد: من يعيش في رغد، أي: سعة وهناءة من العيش.
- راقي: سامي، عالي، متكور، يعمل الرقية.
- راكد: عكس جاري، أي: واقف.
- راكض: من الركض، وهو الجري.
- رامز: مشير، من أهل الشورى.
- رامي: كوكب، وهو الذي يرمي.
- رأفت: من الرحمة والعطف، وأصله «رأفة».
- راهب: المتعبد، وهو الأسد.

راوي: حامل الحديث وناقله، المتحدث بالشعر.

رباب: السحاب الأبيض، وهو اسم مغلب على الذكور.

رباح: المكسب، الخمر، وهو من الأسماء المنهي عنها.

ريبب: ملك، معاهد.

ربيع: فصل نمو النبات وازدهاره.

ربيعة: حجر تمتحن القوة برفعه، خوذة الحرب، الروضة، القربة الكبيرة لحفظ الماء، واشتهر به «ربيعة الرأي».

رجاء: اسم مشترك معناه أمل ومطلب.

رجب: شهر الله المحرم، ومعناه الحياء، التعظيم، وهو السابع بين ترتيب الأشهر الهجرية.

رحيب: واسع.

رحمي: نسبة إلى الرحمة، وهي الشفقة والخير، والعطف والنعمة.

رزق: خير، منفعة، راتب الجندي.

رزين: وقور، أصيل الرأي، ثابت ساكن.

رستم: كلمة فارسية تعني الشجاع أو البطل.

رسمي: قانوني، ما يعتد به، الياء هنا للنسبة أو هي من زيادات الأتراك.

رشاد: الرشد، الهدى، نبات معروف، الاستقامة.

رشدان: لفظ مثنى، ومعناه الهداية والاستقامة.

رشدي: أصلها رشد، وهو الاستقامة، والياء من زيادات الأتراك.

رشوان: ممتد الأغصان، خيوط النبات إذا امتدت وطالت.

رشيد: مهتد، مستقيم على طريق الحق.

رضا: اسم مشترك، معناه القناعة والقبول، وضده السخط.

رضوان: اسم الملك الذي خلقه الله ليكون خازن الجنة، وهو القبول والقناعة.

رعد: صوت السحاب عند البرق، وصوت الرعد: هزيم.

رفاعة: شدة الصوت وارتفاعه.

رفعت: هو الرفعة وعلو الشأن والشرف، والتاء من إضافات الأتراك.

رفقي: هو اللطيف، اللين، وأصلها رفق، والياء للنسبة أو هي من زيادات الأتراك.

رفيع: عال القدر والشأن، الشريف.

رقيب: الحارس، الحافظ، المنتظر، ابن العم، درجة عسكرية دون الضابط وتعني وجود ثلاثة شرائط على الكتف، ويسمى «الشاويش».

رمّاح: صانع الرماح، حامل الرمح.

رمزي: من الرمزية وهو الإيجار، الإشارة، الدلالة على شيء.

رمضان: الشهر التاسع من أشهر السنة الهجرية؛ سمي بذلك لأنه يرمض الذنوب أي: يحرقها، وسمي في الجاهلية بهذا لأنه كان يأتي قديماً في زمن الحر فاشتق من الرمضاء، وهي الرمل الحامي من حر الشمس، وبقي هذا الاسم مصاحباً له في كل زمان، وهو مأخوذ من: رمض الصائم: إذا حرّ جوفه من شدة العطش.

رومي: نسبة إلى الروم.

رياض: جمع «روضة» وهي الجنة وفيها سعادة العين والحواس.

ريحان: كل نبات طيب الرائحة، النعناع، الرزق، الرحمة.



(٢) أسماء الإناث

رائدة: الصخرة، وهي اللينة من الرياح.

رائسة- رتبة: الزعيمة الحاكمة.

رابحة: ذات ربح.

راجية: آملة، راغبة.

راضية: قانعة، موافقة، قابلة دون سخط.

راقية: عالية المقام، سامية، صانعة الرقية.

- رامية: انظر رامي.
- راوية: انظر «راوي»، وهي التي تسقي القوم أيضاً.
- رباب: السحاب الأبيض.
- رتيبة: مرتبة، دائمة، ثابتة على وتيرة واحدة.
- رجاء: أمل ومطلب، وهو اسم مشترك.
- رحاب: جمع «رحب» و«رحبة» أو هي الأرض الواسعة الفسيحة، مسيل الماء من جانبي الوادي، ساحة الدار.
- رحبة: الأرض الواسعة، ساحة الدار، الفجوة بين البيوت.
- رحمة: الرقة والإشفاق، اللطف، الغفران.
- رحيق: الصافي الخالص من الطيب والمسك، الخمر، الطيب.
- رحيل: هجرة وانتقال وسفر.
- رزان: امرأة عاقلة محتشمة عفيفة وقورة.
- رسمية: قانونية.
- رشا: ولد الغزالة، وقد تكون «رشاً» وسهلت الهمزة.
- رشادة: الصخرة.
- رشوانة: ممتدة الأغصان.
- رشيدة: عاقلة مهتدية.
- رضا: قناعة، قبول.
- رضاب: قطعة الثلج، رغوة العسل، قطعة السكر، ريق.
- رضوى: نسبة إلى جبل «رضوى» بالمدينة والمعنى: قناعة.
- رضية: محبة، راضية، ترضي غيرها.
- رغدة: هائلة العيش، صفة للحياة الناعمة.
- رفاء: الاتفاق والانسجام.

- رفيعة: عالية المقام، الشريفة.
- رفيقة: رحيمة، مرافقة، صاحبة، زوجة.
- رقية: حجاب وتعويذة، وهي ابنة رسول الله ﷺ.
- رمانة: واحدة من شجرة الرمان.
- رمزية: مذهب أدبي، إيجاز.
- رنين: التطريب من جرس ونحوه، الإصفار.
- رنا: إدامة النظر مع سكون الطرف، الطرب والحب والانشغال قلباً وبصراً.
- رناء: مُدِيم أو مديمة النظر، شجر طيب الرائحة.
- رندا- رندة: الحبة من حب الرند.
- رهام: ما لا يصاد من الطيور، العدد الكثير.
- رواء: حسن المنظر، ماء الوجه.
- روائح- روايح: الأمطار والسحب المائية، عطور.
- رومية: نسبة إلى الروم، وهي أيضاً «رومية» عاصمة الصليب.
- رويدا- رويدت: المهل، الرفق.
- ريا: الرائحة الطيبة.
- ريان: اسم مشترك، ضد العطشان، وهو الغصن الأخضر من أغصان الشجر.
- ريحانة: واحدة الريحان، ومنه ريحانة بنت شمعون سرية النبي ﷺ.
- ريم: الغزال الخالص الأبيض.
- رنيم: غناء وتطريب بتحريك الصوت.
- رهيفة: رقيقة لطيفة، مرهفة الإحساس.
- رونق: صفاء، حسن، لمعان، بريق.
- روحية: نسبة إلى الروح، وهو ما به حياة.
- ريادة: زعامة ورئاسة.



أسماء تبدأ بحرف الزاي

(1) أسماء الذكور

زائر: الضيف الذي يزور، الأسد الذي يزأر.

زابر: ناهٍ أو زاجر.

زاجر: انظر السابق.

زاخر: ملاك، كريم، فرحان، شرف عال.

زاهد: تارك للدنيا راغب بالعبادة.

زاهر: مشرق حسن الوجه.

زاهي: جميل مشرق.

زبير: شيء مكتوب، رحل ظريف، شديد قوي من الرجال.

زبيد: تصغير زبد: وهو العطاء، وهو ما يستخرج من اللبن بالمخضة.

زجال: الرامي، شاعر الزجل وهو شعر العامية، الحمام الزاجل.

زحل: كوكب هو السادس في ترتيب المجموعة الشمسية وأعظمها وأبعدها، ومعناه الذي يبعد عن العمل حسناً أو قبيحاً.

زعيم: الرئيس، السيد، الكفيل، الضامن.

زغلول: السريع الخفيف من الناس، فرخ الحمام، الطفل، نوع من البلح ينبت في

مصر.

زفر: الأسد، الشجاع، السيد، الكريم، البحر، النهر كثير الماء، القوي على حمل

«الأزفار» وهي الأحمال.

زكي: الصالح المُرَكَّى، الخير، الفاضل، الطاهر من الأخطاء والذنوب.

زلزال: الهزة الأرضية الشديدة.

زمرد: حجر كريم شديد الخضرة شفاف.

زمزم: اسم مشترك بين الرجال والنساء ونسبته إلى «زمزم» البئر المباركة، سُقياً إسماعيل عليه السلام التي ضربها جبريل عليه السلام بجناحه، ومعناها: الماء الوفير.

زئير: الأسد.

زهدي: نسبة إلى الزهد، والياء من زيادات الأتراك.

زهر: هو الأبيض المشرق، وهو زهر النبات.

زهران: انظر السابق، والألف والنون من زيادات الأتراك، وهو مشى زهير.

زهيد: كثير التعبد، البعيد عن الدنيا.

زيات: عاصر الزيت أو بائعه.

زياد: الزيادة، النمو.

زياف: الأسد، المتبختر.

زيان: الزيادة والكثرة في الزينة.

زير: هو من يحب النساء وزيارتهم ومجالستهن، الكتان، العادة.

زين: كل ما يزين ويجميل، رفعة الشأن، حسن الخصال، وهو اسم مشترك، ومنها

زين العابدين، وزين الدين، أي: جمال العابدين، وجمال الدين.

زبيد: تصغير زيد، وهو العطاء.

زكريا: نبي الله الكافل لمريم، وتنطق «زكرياء» بالمد والقصر.

زيدان: مصدر زاد أي: نما، ومشى زيد.

زيدون: الواو والنون زيادة مغربية كخلدون وحفصون، وانظر السابق، واشتهر به «ابن زيدون الشاعر».

(٢) أسماء الإناث

زائرة- زاخرة- زاهدة- زاهرة- زاهية: انظر «زائر، زاخر، زاهد، زاهر، زاهي».

زبدة: القطعة من الزبد.

زبرجدة: واحدة الزبرجد، وهو حجر كريم يشبه الزمرد ذو ألوان أجودها الأخضر المصري.

زبية: واحدة الزبيب، وهو العنب المجفف.

زبيدة: تصغير زبدة، وهي ما يستخرج من اللبن بالمخضة، والسهلة اللينة، والخلصة، والفائدة.

زرقاء: السماء، الخمر، وأشهر من تسمى به «زرقاء اليمامة».

زكية: لينة عاقلة، طاهرة مطهرة، صالحة، فاضلة، طاهرة.

زمردة: حجر كريم شديد الخضرة شفاف.

زمزم: انظره في باب الذكور.

زنبقة: واحدة الزنبق، وهو نبات له زهر جميل طيب الرائحة.

زهرة: كوكب سيار من المجموعة الشمسية، ومعناه درة، وأخوال رسول الله ﷺ «بنو زهرة».

زهرة: بيضاء مشرقة، صافية اللون.

زهور: ورود.

زهيدة: انظر زهيد.

زيفون: شجر له زهر أبيض طيب الرائحة، السريعة من النوق «جمع ناقة».

زيمة: قطع من الجمال بين الاثنين والخمسة عشر.

زينب: شجر حسن المنظر طيب الرائحة.

زينة: ما يتزين به المرء ويتحلى.

زلابية: حلوى تصنع من العجين، وتُقلى في الزيت، وتوضع بعدُ في العسل.
زليخة: متقدمة في شأنها، وينسب إلى هذا الاسم امرأة عزيز مصر التي أكرمت
مثنى يوسف عليه السلام وراودته عن نفسه.

زهراء: مشرقة الوجه، صافية اللون، نيرة، مضيئة، قمر، يوم الجمعة، وهو لقب
فاطمة بنت رسول الله ﷺ

زينات: جمع «زينة» وهو نوع من الزهر جميل، وأوراقه أنيقة.



أسماء تبدأ بحرف السين

(1) أسماء الذكور

سائح- سايح: هو الصائم، وهو الضارب في الأرض يسبح فيها.
سائد: هو السيد الغالب في السيادة، الشريف العظيم، السابق.
سائع: هنيء، سهل.

ساجي: الهادئ الساكن، الفاتر من الجفون.

ساعي: عامل مُجد، وال، رسول.

ساقى: من يسقي غيره ماءً أو شراباً.

سالم: صالح، بريء من كل عيب، معافى، خالٍ من كل آفة.

سامح: كريم، جواد، لين كثير الغفو.

سامر: ساهر الليل يتحدث إلى غيره ببراعة.

سامي: العالي الشريف.

ساهر: من لا ينام ليلاً، فيظل مستيقظاً.

سباعي: ما كان ذو سبعة أركان، المولود له سبعة أشهر، جمل عظيم تام البدن.

سبع: حيوان مفترس، ويطلق أكثر ما يطلق على الأسود.

سحاب: اسم مشترك بين الرجال والنساء، وهو الغيم.

سراج: مصباح، قنديل، فانوس، ضوء.

سرحان: الذئب، الأسد، غافل، وسط الحوض.

سرور: فرح، بهجة، أطراف الرياحين، طائر الحبور.

سعد: اليُمن والبركة، ومنه سعد الله الموفق المسعود بأمر الله.

سعدون: صيغة مغربية لـ«سعد» وقيل: تصغير سعيد وسعاد.

سعدي: منسوب إلى بني سعد، أو ياء متكلم فأقول: «سعدي أنا» أو هي ياء

الأترك الزائدة.

سعود: عشرة كواكب، يمن وبركة.

سعيد: ذو سعادة، مبتهج فرحان.

سفیان: صانع السفن، أو من هبوب الريح على وجه الأرض، أو من السفانة أي: صانع السفن.

سقيف: السقف.

سكر: اسم مشترك، والمعنى مادة بيضاء حلوة الطعم.

سلاف: أفضل الخمر، خلاصة الشيء، أول العصر.

سيلامة: براءة من العيوب والآفات.

سلطان: الملك، القدرة، التسلط، الحجة.

سلمة: اسم مشترك لنوع من الشجر ينمو في البلاد الحارة، ومنه سلمة بن الأكوع رضي الله عنه من الصحابة.

سلمان: بريء من العيوب والآفات، وأشهر من تسمى به: سلمان الفارسي.

سليم: صحيح، ملدوغ «من الأصداد»، أو خالٍ من كل آفة.

سماحة: الجود، والكرم، السهولة، لقب للعالم فيقال: سماحة الشيخ فلان.

سميح: مسامح، مصافح، كريم، جواد.

سمارة: اسم مشترك، وهو اللبن الممزوج بالماء، وهو لصاحب أو صاحبة البشرة السمراء.

سمسم: الحب المشهور الذي يستخرج منه الزيت.

سمير: المجالس في الليل، الدهر.

سمعة: صيت، ذكر، وعظ وقول جميل.

سناء: اسم مشترك، يعني الضياء والإشراق، نور القمر، الرفقة والصد.

سنابل: اسم مشترك، يعني الجزء الأعلى الذي يحتوي على الحب من القمح أو

شقة.

سنبِل: واحد السنبِل.

سند: معين، مساعد، ما يستند إليه، وثيقة.

سهل: أرض مستوية مسطحة واسعة، لطيف وديع، ومن الصحابة: سهل بن سعد رضي الله عنه.

سهم: نبلة.

سُهَيْل: اسم نجم جميل يطلع على العرب في أواخر الحر.

سويدان: من السويداء، وهي حبة القلب ومهجته.

سياب: البلح الأخضر، الفج «الطريق».

سياف: من يضرب بالسيف، الجلاد.

سيسبان: شجر جميل ينبت ويطول في الصيف، وهو حسن المنظر.

سَيِّد: مقدم، رئيس، شريف، لقب لكل رجل.

سَيْف: هو السلاح ذو حد قاطع يعلق من الكتف إلى الجانب الآخر ويضرب

باليَد، ومنه: سيف الله خالد بن الوليد، سيف الدين، سيف الإسلام، وسيف

النصر، وهي أسماء كرهها بعض العلماء كما في أول الكتاب.



(٢) أسماء الإناث

سائحة- سائدة- سائغة: انظر «سائح، سائد، سائح».

سارة: أصلها «سارة»، وهي بقية الشراب في الإناء أو أصلها «سارة» وهي المفرحة

السعيدة، وهو اسم زوجة إبراهيم عليه السلام.

ساعية- ساقية: انظر ساعي، ساقى.

سائلة: انظر سالم.

سامية: عالية، مرتفعة بأخلاقها وآدابها وأفعالها.

ساهرة: أرض الحشر، عين جارية، قمر، ينبوع، أرض بيضاء منبسطة.

سحاب: الغيم.

سَحَر: آخر الليل، قُبيل الفجر، طرف كل شيء.

سعاد: اليُمن والبركة والخير.

سعدانة: الحمامة.

سُعدى: من السعادة، وهي اليمن والبركة.

سعدية: مؤنث «سعد».

سقيفة: الشرفة، لوح السفينة، المسكوكة الرفيعة والطويلة من القصة.

سُكينة: المرأة خفيفة الروح، وهو اسم بنت الحسين سكينة رحمها الله ورضي الله عن أبيها.

سُلافة: أول ما يعصر من الخمر.

نسلسيل: اسم عين في الجنة، الماء العذب، الخمر، اللبن.

سلطانة: امرأة السلطان، ملكة، امرأة ذات قوة وقهر وحجة.

سلمة: المرأة الناعمة الأطراف.

سَلْمى وسَلْمى: سالمة ومعافة.

سُلوان: نسيان، طيبة النفس، خُرزة تتخذ للوقاية من العين وهو حرام.

سلوى: غسل، كل ما يسلي، طائر يشبه السمان وهبه الله لبني إسرائيل في أرض التيه.

سماء: هي الفلك الواسع، ضد الأرض.

سما: تخفيف سماء، ارتفع وعلا.

سماح: تساهل، إعطاء بكرم وبذل.

سَمِحة: ذات سماح، عفو، كريمة، سخية، فيها يُسر وسهولة.

سمر: سهر، حديث الليل، ضوء القمر.

سمراء: ذات لون بين البياض والسواد.

سميحة: مسامحة، كريمة، كثيرة التسامح والجلود.

سمارة: صاحبة البشرة السمراء.

سمسم: واحدة حبات السمسم.

سميرة: مسامرة في الليل ومتحدثة في مجلس السر.

سم: قوة السمع.

سمية: تصغير سامية، وهي رفيعة الشأن، وهو اسم أول شهيدة في الإسلام:

سمية بنت خباط رضي الله عنها.

سناء: نور القمر، الرفعة، العلو، ضياء وإشراق.

سنابل: انظره في باب الذكور.

سنبله: انظر السابق.

سندس: نوع من الحرير يلبسه أهل الجنة في الجنة.

سُها- سَهَى: كوكب صغير خفي الضوء.

سهاد: الأرق، السهر رغم الأنف.

سهام: النبال.

سهر: الأرق، امتناع النوم، لمعان البرق طوال الليل.

سُهير: تصغير سهر، وهو اسم نجم في السماء.

سهيلة: تصغير سهلة، بسيطة ممدودة، ومؤنث سُهَيْل.

سوسن: زهر طيب الرائحة.

سويداء: حبة القلب ومهجته.

سويدا: تخفيف سويداء.

سيادة: تسلط، شرف، رفعة.

سيدة: لقب لكل امرأة متزوجة، وهي الرئيسة، الزعيمة.

أسماء تبدأ بحرف الشين

(١) أسماء الذكور

شادي: المغني، منشد الشعر، حادي الإبل «راعيها».

شاعر: قائل الشعر، من يشعر بالآخرين.

شافع: ساع في طلب لتحقيقه، نشيط ومعين، وجاعل الوتر شفعاً أي: يزيد على الفرد واحداً ليصير زوجاً.

شافعي: نسبة إلى مذهب الإمام الشافعي، الأصل شافع وأضاف إليها الأتراك الياء.

شاكر: الذي يحمد ويشكر على النعمة.

شال: رداء يوضع على الكتفين تلبسه النساء.

شامخ: رافع الأنف كبراً وتبهاً، المرتفع، النسب الشريف.

شامي: منسوب لبلاد الشام.

شاهين: طائر جارح يشبه الصقر، عمود الميزان.

شبل: ولد الأسد.

شحرور: طائر مغرد حسن الصوت.

شداقم: الأسد.

شديد: القوي، الشجاع، الأمر.

شرارة: القطعة أو الشظية الصغيرة جداً الملتهبة المنطلقة من النار.

شرف: العزة والمجد، علو الأصل والنسب، المكان العالي.

شريف: ذو الشرف، من كان من السلالة النبوية.

شفيق: الساعي بالشفاعة.

شفيق: ذو الشفقة، الرحيم.

شمس: اسم مشترك، كوكب نهاري مضيء بذاته ويضرب به المثل في الحسن والجمال.

شمور: الألباس.

شهاب: النجم المضيء، ما ينقض من السماء كشملة وهاجة.

شهيد: القتيل من أجل الوطن أو سبيل الله، الشاهد، الأمين في شهادته.

شهير: المعروف النبيه.

شوال: الشهر العاشر من السنة القمرية.

شوان: خازن الغلال.

شورى: التشاور والاستشارة.

شيب: ولد الضيع من الذئب.

شيبان: البارد الغائم «من الأيام».

شيخ: كبير القوم، كل كبير المقام، الأستاذ المعلم الكبير السن.

شيراز: اللين الرائب، وهو اسم بلدة بإيران.

شاهد: من شاهد الشيء ورآه، من يؤدي الشهادة.

شاهر: من شهر سيفه وسله من غمده ورفع.

شتاء- شتا: أحد فصول السنة الأربعة وفيه المطر.

شحات: السائل، أصلها شحاذ وتنطق في مصر بالتاء.

شداد: كثير الشدة على العدو.

شعلان: شاعل، ملتهب، الحصان ذو البياض في الناصية.

شعيب: تصغير شعب، جيل من الناس المتجمعين بعد التفرق.

شعراوي: نسبة إلى الشعراء وهي الروضة الكثيرة الشجر.

شعبان: الشهر الثامن من السنة القمرية.

شعير: نبات عشبي، هو دون القمح في الغذاء.

شكري: ثناء وحمد، والياء ضمير المتكلم.
 شكيب: العطاء والجزاء.
 شلبي: طريف وخفيف ولطيف.
 شهريار: اسم من كلمتين: شهر يعني مدينة، يار يعني حاكم، أي: حاكم المدينة،
 والكلمة أصلها فارسي.
 شوقي: حنين وحب، نزوع النفس إلى شيء وتعلقها به.
 شوكت: أصلها شوكة بمعنى القوة والبأس، وفتح الأتراك التاء.
 شيبوب: أصلها شؤبوب، الدفعة من المطر، أول ما يظهر من الحسن، الشاب من
 الثيران والغنم.



(٢) أسماء الإناث

شادية: منشدة ومغنية ومرتمة بالشعر، حادية الإبل.
 شامية: انظر شامي.
 شجن: الغصن الملتف المشتبك، الحاجة.
 شدا: الغناء الجميل.
 شذا: قوة الرائحة الطيبة.
 شروق: بزوغ الشمس الدافئة.
 شريفة: انظر شريف.
 شطة: الحسنة القوام «من النساء»، نوع من البهارات الحريفة.
 شفاء: البرء من المرض، الدواء.
 شفاع: سعي الشفيع وأقواله.
 شفاعات: جمع شفاع.
 شمس: اسم مشترك، كوكب نهاري مضيء بذاته، ويضرب به المثل في الحسن.

شهباء: العظيمة، الكثيرة السلاح «من الفرق العسكرية» البيضاء.

شهد: العسل.

شهيرة: المعروفة، النبيهة.

شورة: خلية النحل.

شوق: الرغبة الملحة واللهفة إلى شيء وميل النفس إليه.

شفيعه: وسيطة، غافرة، صاحبة الشفاعة.

شفيقه: رحيمه، رءوفه، حنونه، محبه.

شكران: مثني شكر، الثناء والمدح.

شكرية: الحمد والثناء.

شلبية: جميلة، ظريفة، طريفة.

شهرزاد: شهر تعني مدينة، زاد تعني ابنة، والكلمة تعني ابنة المدينة، وهي من

أصل فارسي.

شوقية: الحنين. والشوق والحب.

شويكار: عالمة وعارفة بالشيء، الكلمة فارسية.

شيرين: حلوة، عذبة، محبوبة، رقيقة وجميلة، وأصلها فارسي.

شيماء: من لديها شامة في وجهها.

☆☆☆

أسماء تبدأ بحرف الصاد

(١) أسماء الذكور

- صائب: من كان على صواب.
- صائغ: صانع الحلبي من الذهب والفضة وتاجر المخدرات.
- صابر: ذو العزم الثابت في مقارعة الصعاب والرايا.
- صادح: المغني المنشد.
- صادق: نقيض كاذب، المخلص.
- صارم: الأسد، القاطع «من السيوف»، الشجاع «من الرجال».
- صافح: الغافر المسامح.
- صافي: اسم مشترك، النقي الطاهر، الراق، الجيد.
- صالح: المستقيم الخير، الخليفة الجدير، المؤهل.
- صادي: اليابس، الضامر، النازل بأرض يابسة غليظة مرتفعة.
- صباح: اسم مشترك، أول النهار.
- صباحي: نسبة إلى الصباح.
- صبح: أول النهار، الأمر الواضح.
- صبحي: نسبة إلى الصُّبح.
- صبري: أصلها الصبر، وهو الجلد وتحمل المشقة والبلاء.
- صدّام: كثير الصدم والضرب والنزاع.
- صدّيق: كثير الصدق.
- صدقي: الصدق ضد الكذب، دائم الصراحة.
- صحاح: الصحيح.
- صحن: المستوي الواسع من الأرض، القدح الكبير.

صحيـف: وجه الأرض.

صخر: الحجارة العظيمة الصلبة.

صعب: الأسد، ضد سهل.

صعيدي: أصلها صعيد الأرض، المرتفع من الأرض، والتراب، الموضع الواسع، مكان في جنوب مصر، والياء للنسجة.

صفوان: الذي لا غيم فيه، الصخرة الملساء.

صفي: الصديق المخلص، المتقي من كل شيء.

صقر: طائر من الجوارح يدرب للصيد به، عسل الزيت والتمر.

صلاح: الاستقامة، الخلو من العيوب والفساد.

صادم: الأسد، الصلب، القوي.

صليح: صالح مستقيم.

صميدة: تصغير صمدة، وهي الصخرة الراسية في الأرض في استواء وارتفاع قليل.

صفوت: أصلها صفوة، واستعملها الأتراك بالتاء المفتوحة، نخبة الشيء، والخالص النقي منه.

صوان: حجر صلب تشعل به النار.

صياد: الأسد، الصائد.

صيام: الامتناع عن الطعام والشراب.

صيلم: السيف، الأمر الشديد، الأكلة الوحيدة في اليوم.



(٢) أسماء الإناث

صابرين: جمع صابر أي: محتمل، ومتجلد، وجريء، وشجاع.

صافي: اسم مشترك، الرائق، الجيد.

صافيناز: متدلعة وذات دلال زائد، وأصلها فارسي.

صالحة: النعمة الوافية.

صباح: اسم مشترك، أول النهار.

صبحة: نومة الصباح أي: ما بين الفجر وطلوع الشمس.

صبحية: انظر صبحي.

صبرة: شدة البرد، وسط الشتاء.

صبرية: صابرة، قانعة غير شاكية.

صبيحة: وضئئة الوجه، مشرقة الوجه.

صبورة: كثيرة الصبر على البلاء.

صديقة: كثيرة الصدق.

صراح: المنى.

صفاء: التقاوة، الصحو وانعدام الغيوم.

صفوانة: التي لا شوائب فيها، الصخرة الملساء.

صفوة: أفضل الشيء وخالصه المصطفى.

صفية: النخلة الكثيرة الثمر.

صوانة: الصلب من الحجارة، شديدة، صلبة.



أسماء تبدأ بحرف الضاد

(١) أسماء الذكور

صاحي: البارز من الأمكنة، قادم في وقت الضحى.

صاحك: الذي يضحك، الحجر الأبيض في الجبل.

ضاري: الشرس، الكاسر، المدرب على القنص والصيد «من الحيوان».

ضامر: ذو خصر دقيق.

ضامن: كفيل.

ضاوي: الإنارة أو النحافة.

ضاهر: أعلى الجبل، الوادي.

ضباث: الأسد.

ضبارم: الأسد الشديد القوي، المحارب الجريء.

ضبع: حيوان مفترس من جنس السباع.

ضرار: ذو صبر على الشدائد.

ضرغام: الأسد الشجاع.

ضخم: الأسد الغضبان، الشجاع، الجسم المجتمع الخلق.

ضياء: إنارة وإشراق.

ضيف: التزيل في المنزل ورعاية غيره من الناس، وقد يضاف إليه لفظ الجلالة

فينطق: ضيف الله، أو ضيف الرحمن، وهو يطلق على حجاج بيت الله الحرام.



(٢) أسماء الإناث

ضامرة: ذات الخصر الدقيق.

ضحوة: وقت الضحى.

ضحى: النهار قبل الظهر.

أسماء تبدأ بحرف الطاء

(١) أسماء الذكور

- طائع: موافقة وراضي، المطيع.
- طائف: حارس الليل، الخادم الجيد.
- طائل: الغنى، الرفاه، الفضل، البقع.
- طارق: الآتي ليلاً، كوكب الصباح، الحادث.
- طامح: الذي يأمل في تحقيق شيء، المرتفع.
- طاهر: المطهر، النقي، النظيف، الشريف.
- طاوس: طائر ألوانه زاهية ويرمز إليه بالغرور.
- طحان: صانع أو بائع الطحين.
- طرفه: أسمر، شجرة، ملححة أو حكاية مضحكة، شيء غريب.
- طرماح: الطويل، المرتفع، العالي النسب.
- طريف: غريب ونادر، حديث المال والشرف، الحديث المستملح.
- طفيل: تصغير طفل أي: الوليد، وتصغير طفل أي: اختلاط ظلمة الليل بباقي ضوء النهار.
- طلال: الندى، الجميل، الحسن، المطر الخفيف، المعجب، الحية، اللبن.
- طلبة: السفارة البعيدة.
- طلحة: واحدة الطلح، وهو الموز، الطلع، التعجب، الجائع.
- طلعت: أصلها طلعة وفتح الأتراك التاء، الوجه، الرؤية، زهر النخل.
- طليحة: الوردة الكبيرة الناعمة.
- طماح: الكثير الطموح والتطلع.
- طويل: فارع.

طويس: تصغير طاووس.

طيبار: قائد الطائفة، الكثير الطيران.

طه: اسم من أسماء سيدنا محمد ﷺ.

طيع: طائع، راضي، قانع.



(٢) أسماء الإناث

طروب: كثيرة الطرب، جميلة الصوت.

طعمة: الغنيمة، الوليمة، كل ما يطعم.

طلا: ولد الغزالة.

طيف: الخيال الزائر في الحلم، قوس قزح وألوانه.

طاهرة: نظيفة، نقية، شريفة.



أسماء تبدأ بحرف الظاء

(١) أسماء الذكور

ظافر: فائز، غالب.

ظامي: مشتاق، عطشان.

ظريف: البليغ في كلامه: الكيس، خفيف الظل.

ظفار: إحدى قرى «حمير» في عمان الحالية.



(٢) أسماء الإناث

ظافرة: فائزة، نائلة مرادها، غالبة.

ظاهرة: واضحة، متفوقة، بارزة، ضد باطنة، جاحظة العيون.

ظريفة: حسنة الوجه، ذكية، خفيفة الروح.

ظفيرة: تصغير ظفر، الفائزة.

ظيماء: الذابلة في سمرة «من الشفاه»، الرقيقة الجفون «من العيون».

ظهيرة: الظهر، وقت انتصاف النهار.

ظواهر: أعالي الأودية، جمع ظاهرة بمعنى بادية للعين.



أسماء تبدأ بحرف العين (١) أسماء الذكور

عابد: المواظب على العبادة، الخادم.

عابل: الضخم السمين.

عادل: المنصف، مستقيم ومحق.

عابدين: اسم بصيغة الجمع، ومعناه المتعبد والمواظب على العبادة.

عاد: رجع، آيب، رجل من العرب سميت باسمه قبيلة قديمة ذكرت في القرآن.

عاذر: الذي يعذر، أثر الجرح.

عارف: الصبور، عالم داري، المعروف.

عارم: شديد، الشرس.

عاشور: اليوم العاشر من محرم، يوم استشهاد الحسين.

عاصف: الذي يعصف، الشديد «من الرياح».

عاصم: الحامي، المخلص.

عاصي: الخارج عن الطاعة.

عاضد: الناصر، المعين.

عاطف: الذي يعطف، الحاني والمشفق.

عاكف: المقيم الملائم.

عامر: الباني، الساكن، المقيم، طويل العمر، صغير الضبع.

عباس: الأسد الذي تهرب منه الأسود.

عبد: الإنسان، المملوك، نبات طيب الرائحة حريف ترعاه الماشية.

عايق: حسن الهندام والمظهر، أنيق.

عباد: مذل الشيء، كثير العبادة، كثير الطاعة لربه.

- عبدون: جمع عبد وهو الخادم، أو نبات طيب الرائحة وهذه الصيغة استخدمها العرب للتدليل على غرار بلاد الأندلس مثل زيدون وحمدون.
- عبد الأحد: عبد الواحد الذي لا شريك له، المتفرد بالوهيته.
- عبد الآخر: من كان عبداً لمن ليس بعده شيء ولا نهاية لآخرته.
- عبد الإله: من كان عبداً للإله المعبود بحق.
- عبد الأول: عبد السابق الذي ليس قبله شيء، فلا بداية لأوليته.
- عبد البارئ: عبد الله الذي يخلق الأشياء بريئة من التفاوت، قد انسجمت وتركبت في إطار يمكنها من العيش والحياة.
- عبد الباسط: من كان عبداً لمن ييسط الرزق حتى لا تبقى فاقة.
- عبد الباطن: من كان عبداً لمن لا يعلم أحد ذاته ويعلم الظاهر والباطن.
- عبد الباعث: من كان عبداً لباعث الرسل المبشرين والمنذرين ليدعوا إلى الإيمان بالله وحده، وباعث الموتى يوم الحساب.
- عبد الباقي: من كان عبداً لمن لا يناله تغير أو تبدل ولا زوال ودائم الوجود بلا انتهاء.
- عبد البديع: من كان عبداً للذي خلق كل شيء لا مثيل له في الإبداع والعظمة.
- عبد البر: من كان عبداً لكثير العطايا والإحسان ومصدر البر والحنان والعطف.
- عبد البصير: من كان عبداً لمن يبصر كل الأحوال ويدرك الأبصار، ولا تدركه الأبصار، ولا يند عن بصره شيء.
- عبد التواب: من كان عبداً لمن يتوب على من تاب إليه ويغفر الذنوب وهذا من لطفه بخلقه ورحمته بهم.
- عبد الجامع: من كان عبداً لمن يجمع شتات الحقائق والخلائق في الدنيا والآخرة.
- عبد الجبار: من كان عبداً لمن يجبر الخلق وينفذ مشيئته فيهم على ما أراد من أمره ونهيه دون اعتراض.
- عبد الحسيب: من كان عبداً لمن جمع الشرف والسيادة، هو حسبنا وكافينا

والحسيب المحاسب على أفعال العباد.

عبد الجليل: من كان عبداً لمن كملت أوصافه، صاحب العلو والعظمة والكمال.

عبد الحق: من كان عبداً لمن يتصف بالقدم والبقاء، ويتعالى عن الفناء ولا يزول ولا يحول يحق الحق ويبطل الباطل.

عبد الحكم: من كان عبداً لأعدل الحاكمين، أمر بالعدل وحكم بالسعادة لأهل الإيمان، والشقاوة لكل كافر لا معقب لحكمه.

عبد الحكيم: من كان عبداً لمن لا يقع فعله عبثاً، ولا في وحيه عوج، ولا في خلقه تفاوت.

عبد الخليم: من كان عبداً لذو الصفح والأناة الذي لا يعجل بالعقوبة مع المقدرة، فلا يستنفزه غضب، ولا يستخفه جهل جاهل، ولا عصيان عاصٍ من عباده.

عبد الحميد: من كان عبداً للذي كل أفعاله جدرة بالحمد والثناء، وهو المحمود لذاته.

عبد الحي: من كان عبداً لمن هو حي باقٍ على الدوام، متصف بالحياة الأبدية التي لا بداية لها ولا نهاية لها.

عبد الخالق: من كان عبداً لمن لا خالق غيره، يبدع الأشياء وينشئها من العدم.

عبد الخبير: من كان عبداً للعالم بما كان وما يكون، عالم الأخبار باطنها وظاهرها في السماوات والأرض.

عبد الخافض: من كان عبداً للذي يخفض من يستحق الخفض بقدرته.

عبد الرازق: من كان عبداً للمتكفل بالرزق، والقائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها رزقاً بعد رزق متصلاً متسعاً.

عبد الرافع: من كان عبداً لمن يرفع من يتولاه، ويرفع أقدار الذين يقيمون الحكم بشريعته، ويرفع كلمته لتكون هي العليا.

عبد الرحمن: من كان عبداً لذو الرحمة الواسعة الشاملة، المتعطف برحمته على جميع خلقه.

عبد الرحيم: من كان عبداً لرحيم الآخرة، ورحيم الدنيا، الذي لولا رحمته بنا لكانت حياتنا شقاء.

عبد الرشيد: من كان عبداً لمرشد الناس إلى مصالحهم في معاشهم ومعادهم.

عبد الرقيب: من كان عبداً للحفيظ الذي لا يغفل، الحاضر الذي لا يغيب.

عبد الرؤوف: من كان عبداً لمن لا يكلف العباد إلا ما استطاعوا، ويقدم الصفح على المواخذة.

عبد السلام: من كان عبداً لمن يستمد منه السلام والأمان.

عبد السميع: من كان عبداً لمن لا يغيب عن إدراكه مسموع مهما خفي. يسمع السر والنجوى، ويسمع حمد الحامدين فيجازيهم، ويسمع دعاء الداعين.

عبد الشكور: من كان عبداً لمن يدوم شكره ويعم فضله فيجازي كل صغير أو كبير بقليل من الطاعة كثيراً من النعم.

عبد الشهيد: من كان عبداً لمن لا يغيب عنه شيء، وكفى بالله شهيداً.

عبد الصبور: من كان عبداً لمن يمهل العصاة والمذنبين لكي يتوبوا إليه، ولا يتعجل بالعقوبة وكل شيء عنده بحكمة ومقدار.

عبد الصمد: من كان عبداً لمن يسأله البشر في حوائجهم.

عبد الظاهر: من كان عبداً للظاهر بلا اقتراب، الباطن بلا احتجاب، المستعلي فليس فوقه شيء.

عبد العدل: من كان عبداً لمن ينصف الناس من أنفسهم، ومن غيرهم، ولا عدل إلا هو ولا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه.

عبد العزيز: من كان عبداً لمن بلغت قوته حدّاً يستعصي على من يواجهها أن ينال منها، ومن كان عبد العزيز فهو في عزة ومنعه، ومن اعتر بالله نجا، ومن اعتر بغيره هلك.

عبد العظيم: من كان عبداً لمن لا تحيط به العقول، البالغ أقصى مراتب العظمة والهيبة والجلال والكمال، وهو المتعالي بعظمته على كل عظيم.

عبد العفو: من كان عبداً لمن يصفح عمن أساء، والعفو أحب إليه من القصاص، يعفو عن السيئات مع كمال قدرته على العقاب.

عبد العليم: من كان عبداً لمن أحاط بكل شيء علماً، عليم بجميع الأشياء، السرائر والخفيات، وعالم بما هو كائن وما يكون.

عبد العلي: من كان عبداً لمن لا يعلو إلى مقامه الرفيع أحد، وهو المستحق لدرجات المدح والثناء.

عبد الغفار: من كان عبداً لمن يغفر الذنوب، وهو كثير الغفران لعباده الذين تابوا إليه واستغفروه.

عبد الغفور: من كان عبداً لمن هو كثير الغفران والصفح ذو الرحمة الواسعة غافر الذنوب جميعاً.

عبد الغني: من كان عبداً لمن لا تنفذ خزائنه، يستغني عن الناس، ولا يستغني عنه الناس، سبحانه هو الغني ونحن الفقراء.

عبد الفتاح: من كان عبداً لمن يفتح كل مغلق بهديته، ويفتح على عباده أسرار الكون والحياة.

عبد القابض: من كان عبداً لمن يقبض الأرواح والأرزاق والقابض على السماوات والأرض والكون.

عبد القادر: من كان عبداً لمن لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

عبد القهار: من كان عبداً للقاهر فوق عباده، يقهر الطغاة ويذل الجبابرة.

عبد القدوس: من كان عبداً للمنزّه عن كل صفة تنطبق على الخلق، وهو الطاهر المنزه عن النقائص، ويعلو كل صفات الكمال الإنساني.

عبد القوي: من كان عبداً لمن لا غالب له في السماوات والأرض.

عبد القيوم: من كان عبداً للقائم بنفسه والمقيم لشئون عباده.

عبد الكبير: من كان عبداً للكبير المتعال، العظيم في صفاته كبر عن أن يتشبه به أحد من خلقه فهو الكبير حقاً.

عبد الكريم: من كان عبداً لمن هو دائم المعروف، كثير النوال، غافر الذنوب، المعطي بدون سؤال.

عبد اللطيف: من كان عبداً لمن يلفظ بعباده من حيث لا يعلمون، كاشف الضر عن عباده من حيث لا يعلمون.

عبد الله: من كان عبداً لله جل جلاله الاسم المفرد العلم لذاته القدسية الجامع لجميع الصفات الإلهية، وهو أخص أسمائه إليه قال تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (القصص: ٣٠)

عبد الحفيظ: من كان عبداً لمن يحفظ السماوات والأرض وما فيها إلى أجل مسمى عنده فيقبض الأرض ويطوي السماوات كطي السجل للكتب، وهو الذي يحفظ على الخلق أعمالهم وأقوالهم في كتاب محفوظ إلى يوم الحساب.

عبد المتكبر: من كان عبداً لصاحب العظمة والكبرياء، لا ينازعه فيهما أحد.

عبد المتين: من كان عبداً لمن لا يلحق قدرته إعياء.

عبد المجيب: من كان عبداً لمن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله، مجيب الدعاء والرجاء بمن قصده.

عبد المجيد: من كان عبداً لمن شرفت ذاته مع جمال صفاته وحسنها، فالمجد تمام الشرف.

عبد المحصي: من كان عبداً لمن لا يغيب عنه شيء وفي سجلاته إحصاء دقيق لكل شيء.

عبد المحيي: من كان عبداً لمن يحيي الأجسام بإيجاد الأرواح فيها، خالق الموت والحياة.

عبد المصور: من كان عبداً لمن صورنا في الأرحام كيفما شاء.

عبد الماجد: من كان عبداً للمغني واسع الجود والرحمة عظيم الإحسان.

عبد المالك: من كان عبداً للمالك الملك ومالك يوم الدين وكل شيء خلقه وعبد له لا شريك له.

عبد المانع: من كان عبداً لمن يحمي أوليائه، ويدفع عنهم وينصرهم، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع.

عبد المبدئ: من كان عبداً لخالق الأشياء أول مرة.

عبد المتعال: من كان عبداً للمتزعة عن أوصاف الخلق، والعلي على كل شيء بقدرته وكماله.

عبد المعز: من كان عبداً لمن يعز من يشاء، أعز أهل الإسلام، وأذل أهل الكفر.

عبد المعيد: من كان عبداً للذي يرد إلى الأشياء وجودها بعد فنائها.

عبد الغني: من كان عبداً لواهب الغنى المادي والنفسي.

عبد المقتدر: من كان عبداً لمن له القدرة على الخلق جميعاً، الذي لا يمتنع عليه شيء ولا يحتجز عنه بمنعة وقوة.

عبد المقدم: من كان عبداً لمن يرتب الأشياء والأشخاص وفق مشيئته وحكمته، يقدم من يشاء بقدرته وعلمه وحكمته.

عبد المقسط: من كان عبداً للعادل الذي ينصف المظلومين من الظالمين إنصافاً بلغ حد الكمال.

عبد المقيت: من كان عبداً للرازق المانع ما نكتفي به في صلاح أبداننا وعقولنا من قوت وغذاء.

عبد المالك: من كان عبداً لمالك الناس، بيده ملكوت السماوات والأرض، فهو مالك الملوك، وهو الملك الحق.

عبد المنتقم: من كان عبداً لمن هو بالمرصاد للمجرمين، يمهل ولا يهمل.

عبد المهيمن: من كان عبداً للرقيب المسيطر على كل شيء الحافظ له.

عبد المؤمن: من كان عبداً لمن يأمن الخلق جانبه فهو مصدر أمن وأمان.

عبد النافع: من كان عبداً للقادر على نفع من يشاء، وضر من يشاء.

عبد النور: من كان عبداً لمن يبصر بنوره ذا العماية، ويرشد بهده ذا الغواية، وهو نور السماوات والأرض.

عبد الهادي: من كان عبداً للمنقذ من الحيرة ومثبت المؤمنين على الحق.
 عبد الواحد: من كان عبداً لمنقطع القرين الذي لا شريك له ولا ند ولا ضد،
 المتفرد بالعطاء فهو واحد، وليس له كفواً أحد فهو واحد.
 عبد الواحد: من كان عبداً للذي أوجد كل شيء، ولا يحتاج لعون من خلقه فكل
 ما يريد به يكون.

عبد الوارث: من كان عبداً لمن يثول إليه الوجود، ويرث الأرض ومن عليها.
 عبد الواسع: من كان عبداً لمن تمت رحمته ومغفرته وقدرته وحكمته ووسع علمه
 كل شيء.

عبد الوالي: من كان عبداً لمن له الولاية الحققة، المالك للأشياء، المتولي لها،
 المتصرف فيها بمشيئته وحكمته.

عبد الودود: من كان عبداً للذي يتقرب إلى عبادته بالنعمة والتجاوز مع غناه
 عنهم، وهو الجاعل بين عبادته المودة والرحمة.

عبد الوكيل: من كان عبداً لمن نفوض إليه أمورنا، فيقوم بها عنا، وله القدرة على
 كفالة أرزاقنا وإنجاح سعيينا.

عبد الولي: من كان عبداً للذي يتولى أمور الكون ويقوم بها كما يقوم ولي اليتيم
 القاصر بشئونه كلها، وكفى بالله ولياً.

عبد الوهاب: من كان عبداً لمن يعطي من يشاء بغير حساب، سبحانه كثير العطاء
 والنوال، كثير المن والأفضال يعطي من غير سؤال.

عبد المذل: من كان عبداً للذي يذلّ العصاة وأعداء الدين، ومعنى المعز المذل أن
 طرفي الأمور بيده سبحانه يعز من يشاء ويذل من يشاء وهو على كل شيء قدير.

عبد المؤخر: من كان عبداً للذي يؤخر الثواب والعقاب والأجل إلى وقت معلوم
 عنده، وسبحانه عز وجل يهل ولا يهمل وكل شيء عنده بميعاد.

عبد الضخم.

عبود: كثير العبادة والطاعة، مسرع، عباد، متنسك.

عبيد: تصغير عبد، وهو الإنسان سواء حراً أم رقيقاً، الخادم.

عبدة: تصغير عبد.

عتبة: منعطف الوادي.

عتادة: التهيو والحضور.

عتريس: الغضوب، الجبار، الداهية.

عتيد: الحاضر الجسيم.

عتيق: الكريم الجيد، البازي، القديم، العبد المحرر.

عثمان: فرخ الثعبان، فرخ الحباري، الثعبان.

عجاج: الكثير الصياح، المثير.

عجام: الخفافش الضخم.

عجيب: المدهش، الغريب، ما يدعو إلى العجب.

عجيل: العجلان، المسرع.

عدلي: العدل هو الإنصاف والاستقامة، والياء إضافة من الأتراك للنسبة أو ضمير المتكلم.

عدن: جنة وعد الله بها المؤمنين، المقيم الثابت.

عدنان: الساكن المقيم.

عدني: الكريم الأخلاق.

عدوي: القوم يهرعون إليه في القتال.

عدي: جماعة القوم يعدون ويجهزون للقتال.

عدوية: اسم مشترك، نبات من النباتات الصيفية.

عديل: المثل، النظر، الند، كثير العدل.

عراف: كثير المعرفة، المنجم، الطيب عند قوامي العرب.

عربي: المنسوب إلى العرب، واحد من العرب.

عرفات: اسم الجبل الذي يقف عليه الحجاج على بعد اثني عشر ميلاً من مكة.
 عرفان: المعروف، الإحسان، الإدراك، والمفهم والمعرفة.
 عرفة: اليوم التاسع من ذي الحجة، وهو جبل قرب مكة.
 عرناس: أنف الجبل، الشعب الناتئة منه، طائر كالحمامة.
 عريان: العاري.

عز: الرفعة، خلاف الذل.

عزام: الأسد، كثير العزم.

عزم: المجد، الصبر، عقد النية على الفعل.

عزمي: الوفي بالعهد، المنسوب إلى العزم، وهو الجد.

عزوز: لفظ للتبديل والتجيب من عزّ أي: نصر، ومجد، وكثير الاعتزاز.

عساس: الذئب، الجيد الحراسة والطواف ليلاً.

عسّاف: الظالم، عادل عن الطريق وسائر على غير هدى.

عسال: من يجني العسل ويبيعه، الذئب، الرمح الذي يهتز.

عسقلان: أعلى «عسقلان الرأس».

عسل: اسم مشترك، شراب حلو الطعم يستخرج من النحل، دبس التمر يسمى بالعسل الأسود، طيب الثناء.

عصام: العهد، الكحل، جبل القربة، عروة لتعليق الوعاء.

عصفور: طائر مغرد، المالك، السيد، الكتاب.

عصمت: اسم مشترك، أصلها العصمة، السوار، المنع، واستبدل الأتراك الثاء المربوطة بالتاء المفتوحة الساكنة.

عطا: اسم مشترك، رزق، هبات، كل ما يعطى دون مقابل، أصلها عطاء خففت بحذف الهمزة.

عطا الله: الكرم والهبة من الله عز وجل.

عطار: الكثير التعطر، بائع العطور والتوابل.

عطية: مشترك، العطاء، الهبة، الرزق.

عفت: مشترك، أصلها عفة أي: طهارة ونقاء، البعد عن الرذيلة، واستعملها الأتراك بالتاء المفتوحة.

عفان: الممتنع عن كل قبيح ورديء.

عفيف: ذو عفة ونقاء، طاهر.

عقاد: صانع الخيوط والأزرار، كثير العقد.

عقبة: آخر كل شيء، التوبة، الحلاوة بعد الطعام، الليل والنهار، أثر الجمال.

عقل: ضد الحمق والجهل، قابلية إدراك حقائق الأشياء بواسطة الدماغ.

عقيد: المعاهد، المعاهد، رتبة عسكرية كبيرة.

عقيل: المعقول، العقل، سيد القوم.

عكاشة: العنكبوت أو ذكورها أو بيتها.

عكرمة: أنثى الحمام، سواد الليل.

علاء: سمو ورفعة، مجد وشرف.

علام: العالم الغزير العلم، الصقر، الحناء.

علامة: العالم الغزير العلم.

علوان: كل ما على الشيء فهو عنوان وعلوان.

علوي: العالي، المرتفع.

عماد: قائد العسكر، الأبنية الرفيعة العلية.

عمَّار: القوي الإيمان، الكثير الصوم والصلاة، الحليم الوقور في كلامه، القائم بالأمر والنهي إلى أن يموت.

عمارة: البناية الضخمة، الحي العظيم، تخيم عما رأى، القوي الإيمان.

عمدة: ما يعتمد عليه أي: يستند ويتكأ، عميد «القوم»، رئيس العسكر، رئيس

البلدة.

عمر: جمع عمرة «الإقامة بمكة في غير وقت الحج»، اسم معدول عن عامر أي: الساكن، المقيم، طويل العمر، الباقي، صغير الضبع.

عمران: البنيان، وسائل ومقومات التقدم في الحياة كالزراعة، والصناعة.

عَمَرُو: الواو تكتب ولا تلفظ، نوع من النخيل الطويل.

عمرس: القوي الشديد.

عموس: الأسد الشديد.

عميد: سيد القوم، رتبة عسكرية عالية، المضى عشقًا.

عميرة: خلية النحل.

عنان: السحاب، ما بدا من السماء وما ارتفع منها.

عنبر: مشترك، مادة تبعث برائحة شديدة عند حرقها، حوت ضخمة، مخزن الغلال.

عنيس: الأسد.

عنتر: الذباب الأزرق اللون.

عندليب: طائر مغرد جميل الصوت.

عواد: صانع العود أو العازف عليه.

عوام: السباح الماهر، الفرس السريع.

عوض: البدل، الخلف.

عوضين: مثنى عوض.

عوف: الأسد، الذئب، الديك، نبات طيب الرائحة، الضيف، والشخص الكاد على عياله.

عوني: نسبة إلى عون، وهو الإعانة والمساعدة.

عويس: جاد وكادح في الكسب الحلال لأبنائه.

عيّاث: الأسد.

عيّاد: مجتفل بالعيد وشاهده، مهنيّ بقدم العيد.



عياش: صانع العيش أو بائعه، صيغة مبالغة، من حي وعائش الرفاهية، وطويل العمر.

عيثوم: الفيل، الضيع.

عيد: الموسم، احتفال بالفرح.

عيس: الإبل البيض على صفرة أو سواد خفيف.

عيسى: اسم المسيح عليه السلام.

عيسوي: المنسوب إلى عيسى عليه السلام.



(٢) أسماء الإناث

عابدة: خادمة ربها وطائفة له.

عارفة: العطية، العالة، الدارية.

عبدة: الأنفة، القوة.

عبلاء: الأبيض من الصخور، الضخمة.

عبلة: تامة الخلق، ثمينة، ممتلئة الجسم.

عبير: أخلاط «من الطيب والزعفران، والروائح والعطور».

عتاب: لوأم كثير اللوم والعتاب، من لا يعاب الشيء.

عتيقة: الجميلة، الكريمة، القديمة.

عجبية: المعجزة، الغريبة.

عدالة: الإنصاف والاستقامة.

عدلية: انظر عدلي.

عدن: جنة وعد الله بها المؤمنين.

عدوية: مشترك، نبات من النباتات الصيفية.

عديلة: نظيرة، قيمة، كثيرة العدل.

عربية: لغة العرب، الخيل الأصيلة.

عزة: بنت الغزالة.

عزيزة: المكرمة الشريفة القوية الغالبة النادرة المنيعة.

عزيمة: الإرادة والصبر، الرقية، ما عزم الإنسان عليه.

عسل: مشترك، شراب حلو الطعم يستخرج من النحل.

عصفورة: مؤنث عصفور، طائر مغرد جميل المنظر.

عصماء: منيعة حصينة.

عصمت أصلها عصمة أي: الكمال، السوار، المنع، وهو اسم مشترك.

عطا: مشترك، رزق، هبة.

عطية: مشترك، العطاء، الهبة، الرزق.

عطيات: جمع عطية، كل ما يعطى بدون مقابل.

عظيمة: كبيرة، ذات سيادة وسمو وعظمة.

عفاف: الامتناع عن كل منكر فعلاً وقولاً.

عفت: مشترك، أصلها عفة أي: طهارة.

عفراء: بيضاء، نوع من الظباء، الليلة الثالثة عشر من الشهر القمري.

عفيفة: ذات عفة ونقاء وطهارة.

عقيلة: كريمة، محجوبة، الزوجة المخلصة، الدرة.

علا: الرفعة، الشرف.

علوية: مرتفعة، شريفة.

غلباء: المكان العالي المشرف المطل، رأس الجبل، السماء.

عليّة: كثرة العلو والارتفاع في الشرف والحب والأهل.

عنان: مشترك، السحاب.

عنايات: جمع عناية أي: اهتمام.

- عنبر: مشترك، مادة تبعث رائحة شذية بعد حرقها، حوت ضخم.
- عهد: الذمة، الميثاق، الوفاء، الضمان، الوصية، الزمان، القسم.
- عوضية: مؤنث عوض.
- عواطف: شفقة، حنان، رحمة.
- عيدانة: النخلة الطويلة.
- عيطل: الطويلة العنق في حسن.
- عين: عضو الإبصار للإنسان والحيوان، ينبوع ماء يجري من الأرض.
- عيناء: الواسعة العين، الكلمة الطيبة، الأرض الخضراء.
- عيون: جمع عين.



أسماء تبدأ بحرف الغين

(1) أسماء الذكور

- غازي: الذي يغزو ويقاقل ويحارب، طالب، قاصد.
- غافر: الذي يغفر ويسامح.
- غافل: اللاهي الساهي.
- غالب: الذي يغلب، المنتصر، القاهر، الفائز.
- غالي: المرتفع السعر، عزيز، ذو قدر وقيمة.
- غاوي: الضال، المنقاد إلى هواه.
- غراب: طائر أسود اللون يضرب به المثل في البكور والسواد والحذر.
- غربة: الابتعاد عن الوطن والعشيرة.
- غريب: العجيب، غير المألوف.
- غسان: ريعان الشباب قوته، أعماق القلب.
- غضبان: المنفعل غضباً وغيظاً.
- غضنفر: الأسد، الغليظ الجثة.
- غطارف: السيد السخي الكريم، ومثله الغطراف والقطاريف.
- غطاس: الغواص.
- غفران: مشترك، المسامحة والعفو.
- غلاب: كثير الانتصار والغلبة.
- غنام: الكثير الغنائم، راعي الغنم.
- غندور: الشاب الجميل، الحسن الشباب.
- غنيم: تصغير غنم وغنم المكسب، الفوز بالأشياء في حالة الحرب.
- غواث: المعونة والنجدة.

غول: المارد، السعلاة.

غياث: ما يغاث به كالنجدة والمطر والعطية.

سوار: شديد الدخول إلى غور الأشياء عمقها بحثًا ودرسًا، بطل شجاع مقدام.

غيث: الإغاثة، المطر والعشب الذي ينبت به، السحاب.

غيلان: عظيم وسمين.



(٢) أسماء الإناث

غادة: المرأة الناعمة اللينة، الشجرة الغضة.

غالية: أخلاط الطيب، ذات قيمة وقدر كبير.

غاية: الهدف، النهاية، المدى.

غدير: بقايا السيل، النهر.

غرام: حب شديد، ولوع، عذاب في الحب.

غزالة: الظبية، ريم الشمس عند طلوعها.

غصون. جمع غصن، وهو فرع الشجرة.

غفران: مشترك، المسامحة والعفو.

غيمة: ما يؤخذ من المحاريين قسرًا.

غيداء: الناعمة واللينة.



أسماء تبدأ بحرف الفاء

(١) أسماء الذكور

- فؤاد: القلب، العقل.
- فائز: المنتصر، الناجح، وتسهل الهمزة إلى ياء «فايز».
- فائق: الجدد، الممتاز على غيره، وتسهل الهمزة إلى ياء «فايق».
- فاخر: الجيد الذي يفخر أي: يعتز.
- فادي: منقذ غيره بفدية إما بمال أو بنفسه.
- فارس: راكب أو صاحب الفرس، الأسد، العالم الحاذق.
- فاروق: الذي يفرق بين الحق والباطل.
- فاضل: ذو الفضل، الفائض عن الحاجة.
- فتحي: فاتح ومنتصر، والأصل فتح، وأضيفت الياء للنسبة.
- فتوح: أول مطرة في الربيع.
- فخر: الفضل والعظمة.
- فخري: الفخر هو التباهي، والياء للمتكلم.
- فداء: مشترك، المال المعطى عوض المقتدى.
- فدوكس: الأسد، الرجل الشديد.
- فراج: مزيل للهم ومفرج الكرب، باعث الفرج.
- فرج: الانفراج، انكشاف الغم.
- فرح: السرور، حفلة الزفاف، وهو اسم مشترك.
- فرحان: ذو الفرح، مسرور وسعيد.
- فرزدق: قطع العجين، الرغيف الذي يسقط في التنور.
- فرعون: لقب ملك مصر قديماً، الجبار العاتي المتكبر.

فرناسي: الأسد، القوي الشجاع.
 فرهود: شبل الأسد، ولد الوعل أو الشاة.
 فريد: الذي لا نظير له، الواحد المنفرد.
 فصيح: ذو الفصاحة، الحليّب الذي نزعت رغوته وبقي خالصاً.
 فضل: الإحسان، الزيادة، البقية.
 فضيل: الفاضل، المحسن.
 فطين: حاذق، ذكي، عاقل.
 فكري: منسوب إلى الفكر، هو تردد الخاطر في طلب المعاني.
 فلاح: الحراث، الزارع، الملاح.
 فهد: حيوان من الضواري صغير الرأس سريع الجري بحجم النمر.
 فهمي: الفهم، الإدراك والفتنة والذكاء والياء للنسبة.
 فهيم: صاحب الفهم، فطين ذكي، رزين.
 فواز: كثير الانتصار، كثير الفوز.
 فوزي: الفوز هو النجاح، الظفر، والياء للنسبة.
 فياض: الكثير العطاء، كريم، وهاب، جواد.
 فيروز: حجر كريم أزرق يميل للخضرة.
 فيصل: الحاكم، القاضي، ما يفصل بين الأمور، الحاسم الذي يفصل بين الحق والباطل.



(٢) أسماء الإناث

فائدة: الزيادة، النفع، الربح من المال المدخر، وتستخدم الياء بدل الهمزة «فايدة».
 فائزة: المنتصرة، الناجحة، وتسهل الهمزة بالياء «فايزة».
 فائق: الذي يفتن أي: يعجب، المستحيل.

فادية: منقذة غيرها بفدية.

فاطمة: الناقة التي فطم ولدها عنها، مانعة نفسها عن الصغائر والشهوات.

فتون: الإعجاب والجذب والاستحالة.

فتحية: مؤنث فتحي، والنسبة إلى الفتح والنصر والخيرات.

فتنة: جمال وحسن بهاء وجاذبية.

فجر: ضوء الصباح الباكر قبل الشروق.

فداء: مشترك، المال المعطى عوض المفدي.

فرح: السرور، حفلة الزفاف، اسم مشترك.

فرحانة: ذات الفرح مسرورة سعيدة.

فرحة: المسرة، البهجة، البشرى السعيدة.

فردوس: الجنة، البستان، خضرة الأعشاب.

فريال: التي جاءت بأمر عجيب وغريب ومحير.

فريدة: الواحدة المنفردة التي لا نظير لها.

فضة: الأبيض، الثمين، الصخر المنشور بعضه فوق بعضه.

فطيمة: المفصولة من الرضاع لبلوغها سن الفطام.

فضيلة: المزية، لقب الشيخ، درجة عالية ورفيعة في الفضل والحسن والخلق.

فطينة: حاذقة، فهيمة، ذكية، عاقلة.

فكرة: رأي، خاطر يخطر في البال، إعمال النظر في شيء.

فكرية: مؤنث فكري.

فكيفة: تصغير فاكهة أو فكه وأفكاهة، معناها مزاح وضحك وانبساط نفس.

فلقلة: واحدة الفلفل، وشجرة الفلفل نوعان أسود وأبيض، وهو حريف الطعم

وله رائحة عطرية مميزة.

فلة: زهرة الياسمين، وهو نبات مشهور له زهرة تشبه زهرة الياسمين زكي الرائحة

ونقي البياض.

فهيمة: فطينة ذكية، كثيرة الفهم.

فؤادة: مؤنث فؤاد، وهو القلب، العقل.

فوزية: مؤنث فوزي وفوز، وهي النصر، والظفر، والربح، والعطر.

فيروز: مشترك، حجر كريم أزرق يميل إلى الخضرة.

فبقي: الصحراء الواسعة، المكان المستوي.



أسماء تبدأ بحرف القاف

(1) أسماء الذكور

قائد: من يقود فريقًا من الجنود.

قابس: طالب النار.

قابل: قادم، متهيئ للقبول.

قابوس: الرجل الجميل الوجه الحسن اللون.

قابيل: ابن آدم عليه السلام وأخو هابيل.

قادري: نسبة إلى قادر.

قارون: نعام، واسم رجل يضرب به المثل في الغنى كان عبرانيًا، وناصب سيدنا

موسى عليه السلام العدا، ووردت قصته في القرآن الكريم.

قاسط: عادل، منصف، مقسط بالعدل.

قاسم: مجزئ، مجري القسمة.

قاصد: هادف، مريد، طالب الشخص أو الشيء، السهل القريب.

قاضي: الحاكم الشرعي.

قتادة: واحدة القتاد وهو شجر صلب له شوك كالإبرة.

قتيبة: سريع الغضب، شديده.

قحافة: كل ما يجرف من الإناء وغيره.

قحطان: ضارب ضربًا شديدًا ومبرحًا، المصاب بالقحط.

قذري: الشأن والقوة، والياء للنسبة، المتكلم مؤمن بالقدر وبقضاء الله.

قرطبي: السيف.

قرنفل: مشترك، ثمر حريف وهو من أفضل الأدوية للأسنان، زهر بستاني أحمر

أو أصفر طيب الرائحة.

قراز: الثعبان الضخم.

قشعم: الأسد.

قضاة: الفهد.

قطب: قائد ورئيس وزعيم.

قمر: كوكب سماوي منير في الليل، ويضرب به المثل في الجمال.

قمطير: الرجل الشديد العبوس.

قنديل: المصباح الزيتي ذو الفتيلة.

قيس: القوة والشدة.

قيصر: لقب كل ملك من ملوك الرومان والروس وملوك بيزنطة.



(٢) أسماء الإناث

قدرية: مؤمنة بالقدر، ويقضاء الله.

قرنفل: مشترك، زهر بستانى أحمر اللون أو أصفر، رائحته طيبة، ثمرة حريف.

قسمت: أصلها قسمة، وفتح الأتراك التاء، الحسن الوجه.

قسيمة: الوجه الجميل، السوق.

قشدة: الزبدة الرقيقة وتلفظ بالعامية قشطة.

قضيمة: الفضة.

قطر الندى: عود البخور، ما قطر وسال من البلل والجود والكرم.

قمر: كوكب سماوي منير في الليل، ويضرب به المثل في الحسن.

قمراء: مقمرة ومضيتة.

قنبر: طائر.

قيروان: القافلة، معظم الكتبية، الجماعة من الخيل.



أسماء تبدأ بحرف الكاف

(1) أسماء الذكور

- كاتب: عالم، من كان عمله وصناعته الكتابة.
- كاثم: الغليظ.
- كارم: مفاخر بالكرم، كثير الجود والكرم، ضد لئيم.
- كاسب: فائز وناجح، من الكسب.
- كاسر: الجوارح من الطير.
- كاشف: من الإظهار، الوضوح.
- كاظم: كاتم غيظه، الصابر، الممسك ما في نفسه من غضب.
- كافل: ضامن، عائل «يعول غيره» قائم بأمر اليتيم.
- كافور: مادة عطرية تستخرج من شجر الكافور.
- كامل: تام، مكتمل الخلق، غير ناقص، تام الأجزاء والصفات.
- كامي: الساتر نفسه بالدروع، كاتم الأسرار.
- كرامة: مشترك، الشرف وعزة النفس.
- كرم: الجود، السخاء، الصفح.
- كروان: مشترك، طائر حسن الصوت طويل المنقار والرجلين.
- كريم: سخي، جواد، معطاء، من أسماء الله الحسنى.
- كساب: الكثير الكسب. كعب: الشرف والمجد.
- كفاح: مشترك، نضال أو صراع من أجل الهدف.
- كلاب: مصدر كالبته مكالبة وكلاباً، الجريء الذي يخاصم الناس.
- كمال: تمام الشيء، صاحب المناقب الحسنة، ضد نقص.
- كلف: عاشق مغرم ولهان.

كمون: نوع من النبات له حب يستعمل تابلاً، ويستعمل كدواء أيضاً.
كميل: كامل.

كناري: طائر جميل الصوت، له ريش ملون جميل أصفر يميل إلى الأخضر.
كنانة: مشترك، جعبة السهام.

كنان: ضام جناحيه بلا انقضا، مائل للغروب، خاضع، من يطمع الناس في كرمه.
كياد: كثير الكيد.

كيس: فطن، حسن الفهم والأدب.



(٢) أسماء الإناث

كاريمان: صاحبة جود وكرم، والكلمة تركية.

كاملة: قامة في أخلاقها وخلقها.

كاميليا: شجرة دائمة الخضرة أوراقها لماعة وأزهارها كبيرة وردية أو حمراء.

كرامة: مشترك، طائر جميل مغرد طويل المتقار والساقين.

كريمة: سخية، جوادة، معطاءة.

كفاح: مشترك، نضال وصراع من أجل هدف.

كفاية: التي تكفي عن سواها.

كلثوم: الممتلئة الخدين لحماً، الحرير الناعم، ومنه أم كلثوم، وهو اسم بنت رسول الله ﷺ.

كنانة: مشترك، جعبة السهام.

كوثر: الشراب العذب، نهر في الجنة، السيد الكريم السخي، الخير العظيم.

كوفة: الرملة الحمراء المستديرة.

كواكب: نجوم في السماء، السيوف، المياه.

كوكب: النجم، السيف، الجبل.

كيسوم: الندية الكثيرة النبات من الرياض.



أسماء تبدأ بحرف اللام

(١) أسماء الذكور

لائث: الأسد.

لابد: من أسماء الأسد.

لييب: عاقل، ملازم للأمر، لا تفتر عزيمته عنه.

ليبد: مقيم بالمكان، يلبده لا يفارقه.

لظفي: أصل الكلمة لطف: الرفق، الرقة، الظرف، الحنان والياء للنسبة.

لعوس: الذئب.

لقاء: مشترك، ملاقة، اجتماع، مقابلة، استقبال ومصادفة ورؤية.

لقمان: الطريق الواضح، مسكت الخصم، اسم لقمان الحكيم الذي اشتهر بالحكمة.

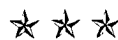
لماح: اللماح، البراق.

لهب: لسان النار، الغبار المرتفع.

لواء: العلم، الراية، مقاطعة يحكمها محافظ، عدد معلوم من الجند، رتبة عسكرية.

لؤي: تصغير لأي أي: الشدة، بطاء وصعوبة، القوي المتين أو تصغير لواء أي: العلم.

لوطي: نسبة إلى اللواط أي: الالتصاق بالشيء، منسوب إلى نبي الله لوط، وسمي لوطاً لأن عمه إبراهيم الخليل كان شديد الحب له والالتصاق والتعلق به.



(٢) أسماء الإناث

لآلي: جمع لؤلؤة.

لاحظة: اسم يطلق على العين التي تلحظ الأشياء.

لبيلة: قلب الشيء.

لبنى: شجرة تفرز سائلاً يشبه اللبن، وقد يتبخر به.

لبؤة: اسم أنثى الأسد.

لبية: عاقلة وكيسة، خيرة، بصيرة بعواقب الأمور.

لحن: الصياغة للأصوات على أنغام الموسيقى، وفي اللغة هو القول وفحواه.

لجئ: الفضة.

لطافة: الرقة، الإحسان، الحنان، الدماثة.

لطيفة: مؤنث لطيف.

لقاء: مشترك، ملاقة، اجتماع، استقبال.

لقيا: اللقاء والاجتماع.

لمى: ذات سمرة مستحبة في شفيتها.

لمسة: الخفة، الرقة.

لمحة: النظرة السريعة.

لميس: المرأة الناعمة الملمس اللينة.

لمياء: النخيلة، اللطيفة، السمراء.

لواخط: جمع لاحظة أي: العين التي تلحظ.

لوزة: واحدة اللوز، وهي شجرة مثمرة وثمرها جميل الطعم يوضع فوق الحلويات.

لؤلؤة: درة ثمينة تنشأ في الصدف البحري وسميت لؤلؤة لأنها تلمع وتتألأ.

ليساء: حسنة الخلق.

ليلى: صفة لليلة شديدة السواد.

ليلة: الليل.

ليالي: جمع ليلة.

لينة: النخلة الصغيرة التي تكون بجانب النخلة الكبيرة.

أسماء تبدأ بحرف الميم (1) أسماء الذكور

ماجد: ذو المجد، الحسن الخلق، الكثير والجيد.

ماضي: الأسد، السيف القاطع، نافذ، سابق.

مازن: مضيء الوجه، المسرع في طلب الحاجة، بيض النمل.

ماهر: الحاذق، اللبق، المتقن لصناعته، الذكي، الفاهم.

مأمون: الموثوق به، المؤمن الذي لا يخاف منه.

مؤيد: الذي يؤيد، المقوي.

مبارك: فيه بركة ونفع، مدعو له بالبركة، مرضي عليه، ممنوح من الله التشريف والكرامة.

مبروك: مبارك، فيه خير وبركة.

متوكل: مسلم أمره إلى الله، جاعل نفسه وكيلاً، معتمد على غيره وموكله في أمر يخصه.

متولي: قائم بالأمر، متسلم زمام الأمور، حاكم.

مجالح: الأسد.

مجالد: ذو شدة وصبر، ضارب بالسيف، مقاتل بشدة وبأس، شجاع، ذو جلد.

مجاهد: المقاتل دفاعاً عن دين الحق، محتمل الجهد في المقاتلة، باذل طاقة وجهد للوصول إلى هدف نبيل يسعى إليه، ماضٍ في الجهاد في سبيل الله.

مجد: مشترك، العزة والرفعة والشرف، أرض مرتفعة.

مجدي: المجد هو العزة والرفعة والشرف، والياء للنسبة.

مجداد: كثير الإتيان بالجيد، كثير الكرم والسخاء، مفضل.

مجير: مغيث ومنقذ، معين لمن يستجير به، حامي جاره من كل اعتداء.

- محب: ودود عاشق، مريد، من يحب غيره، ميال إلى الشيء.
- محجوب: مخبأ، ممنوع، محتجب.
- محرم: الشهر الأول من السنة القمرية، من له حرمة وذمة.
- محروس: محفوظ، عائش زمناً طويلاً، محمي، مصان.
- محسن: جاعل الشيء حسناً، فعال إحسان، حب بر.
- محفوظ: مصان، محمي، مرعي.
- محمد: الذي كثرت خصاله الحميدة المشكورة المرضي عنها، اسم نبينا محمد ﷺ.
- محمود: مدوح السيرة، مشكور، ذو خصال وصفات يحمدها الناس.
- مختار: المنتخب، المصطفى، مجتبي، متقى من بين أصحاب الفضائل والمكارم.
- مخزوم: منظوم كالآلي، المتعارض.
- مخلص: صادق في عهده ووعد، ضد خائن، وفي.
- مداح: كثير المدح لغيره والثناء عليه، مفتخر بما ليس عنده.
- مدحت: أصل الكلمة مدحة أي: ما يمدح به، المدح هو الثناء، وغير الأتراك التاء إلى مفتوحة.
- مدثر: الملتف بالثوب، متلفع بالذئار، وأصل الكلمة متدثر وأدغمت التاء في الدال.
- مرتجى: رجاء وأمل، مؤمل، مأمول، موضع.
- مرتضى: مرضي عنه، مقبول برضا الناس عن أفعاله وأخلاقه.
- مرجان: صغار اللؤلؤ، عروق حمر تنبت في البحر كأصبع الكف.
- مرداس: الرأس، شيء صلب عريض يدك به.
- مرزوق: ذو رزق وافر، من أصابه رزق الله، الحسن الحظ.
- مراد: مطلب، مقصود، المحبوب.
- مرسال: الرسول، السهم الصغير، الناقة السهلة السير، مبلغ الرسالة وحاملها.
- مرسى: راس، مرسخ، مثبت.

- مرضي: مختار ومقتنع به فهو مرضي عنه، من نال رضا معاشريه ومعارفه.
- مرشد: الهادي الواعظ، دليل البواخر والسفن.
- مرعي: محمي، مصان، محروس.
- مروان: حجارة النار السمر التي يقتدح بها، نبات عطري، ضرب من الصوان.
- مستعين: متوكل على الله، طالب العون والمعونة.
- مستور: مغطي، عفيف، قانع.
- مسرور: ذو فرح وسرور، مبتهج وسعيد.
- مسعد: سعيد ومسعود، وصاحب حظ ومكسب.
- مسعود: ميمون، من أسعده الله وأكرمه.
- مشعل: سراج، مصباح، كل ما يشعل ليستضاء به.
- مشكور: ممدوح، مثني عليه، محمود على طيب عمله.
- مشهور: ذو شهرة وذائع الصيت.
- مشير: رتبة كبيرة جداً في الجيش تعادل «مارشال»، مقدم النصيحة لمن استشاره.
- مصباح: السراج، القنديل.
- مصدق: صادق الحديث، من يصدق الناس ولا يظن بهم الكذب.
- مصطفى: المختار، المنتخب، المجتبي، من ألقاب النبي ﷺ.
- مصعب: المسود، المؤمر من الرجال، الفحل، الفرس الصعب الركوب.
- مطاوع: منقاد، موافق، غير مخالف.
- مطر: ماء السحاب الذي يهطل من الغيوم.
- مطيع: منقاد، موافق، غير مخالف.
- مظفر: الذي لا يحاول من أمرٍ إلا وظفر به، منتصر.
- مظلوم: المهذور حقه، المغلوب على أمره.
- مظهر: مكان الظهور، ما يبدو أو يظهر.

- معاذ: منقذ، مطلوب، مخلص.
- معتز: مفتخر، ومفاخر بعزه ومجده وشرفه.
- معتصم: ممتنع عن المعصية، متعلق و متمسك، متحصن عائذ بالله.
- معتدل: متزن، موزون، مستقيم.
- معتضد: متعاون، مساند، مناصر.
- معتمد: الذي يعتمد ويتوكل على الله.
- معتمر: الذي يؤدي العمرة في بيت الله الحرام.
- معاوية: صغير الثعلب.
- معروف: مشهور، المعلوم، الإحسان، الرزق، الخير، ذائع الصيت.
- معزوز: قوي، شديد، محصن ومكرم.
- معمر: الطويل العمر، المعمور، جاعل الشيء عامراً.
- مغازي: كثير الهجوم والغزو على الأعداء.
- مغاوري: أصلها مغاور.
- مقاتل: كثير الغارات.
- مغيث: منجد، مخلص، معين.
- مفتاح: بداية الشيء، مسهل الأمور، كثير الفتح.
- مكرم: كريم، جواد، سخي.
- مكي: مهلك الشيء، المنسوب إلى مكة التي قيل في تسميتها إنها تمك الذنوب، أي: تنقصها وتمحوها.
- ملاح: البحار، النوتي، الطيار المستول عن قيادة الطائرة.
- ملاك: الملك، أحد الأرواح السماوية، مجموع موظفي الدائرة.
- ملحم: كثير لحم الجسم، مطعم اللحم.
- مليح: ظريف، بهيج، حسن المنظر جميل.

- ممتاز: متفوق، مميز عن غيره في أخلاقه وعمله.
- مدح: ذو أيدٍ بيضاء يستحق عليها المدح.
- منار: مشترك، موضع النور، العلم، الإشارة المنصوبة في الطريق للاهتمام بها.
- مناضل: مجاهد، مكافح، مدافع، مبارز، في رمي السهام.
- منجد: مغيث، منقذ، معين، مساعد.
- مستاف: المرتضى، جبل عالي المرتقى.
- منان: اسم مبالغة من مَنْ أَي: كثير المن والإحسان.
- منسي: مسهو عنه، مغمور، غير معروف.
- منتصر: منصور، ظافر، غالب، منقذ، مساعد، مغيث.
- منعم: العائش في نعمة وترف، الثري، الغني.
- منصور: منتصر، غالب، ظافر.
- منيب: موكل وكيلاً عنه، ونائباً عنه، مطر غزير، ربيع حسن.
- منير: مضيء، حسن اللون، مشرق بنور جماله.
- مهاب: ذو مهابة ووقار يخافه الناس ويحترمونه.
- مهدي: من هداه الله إلى الحق، من ظهر له الطريق المستقيم فسار عليه.
- مهنأ: أصلها مهنأ وحذفت الهمزة للتسهيل.
- مهند: السيف المصنوع من حديد الهند، وهو شديد الانحناء.
- مهندس: العالم المشتغل بعلوم الهندسة.
- مهران: قائد الفرس، والكلمة فارسية.
- مهيّب: صائح، زاجر، مفزع، موقر، يهابه الناس.
- موسى: نسبة إلى نبي الله موسى، والاسم باللغة العبرية معناه المخلص؛ لانهم انتشلوه من الماء.
- مياس: الأسد، الذهب، التمايل في مشيته.

ميسور: السهل، ما يسر، مهين وجاهز.

ميلاد: وقت الولادة.

ميمون: مبارك، ذو يمن وبركة.

مينا: المرفأ، الميناء، اسم أحد ملوك الفراعنة القدماء.



(٢) أسماء الإناث

ماجدة: ذات مجد وشرف، الجيدة في كل شيء، كاملة في خصال الخلق والخير.

مآثر: جمع مآثرة وهي الفضيلة، الأفعال الحسنة.

مارية: المرأة البيضاء البراقة، القطة الملساء، وهي طائر صغير في حجم الحمامة، وهو أيضاً اسم السيدة مارية القبطية زوج رسول الله ﷺ وأم إبراهيم ولده.

ماهينور: نور القمر، والاسم فارسي.

مبروكة: فيها خير ونفع، وبركة ومباركة.

مجد: مشترك، العزة والرفعة والشرف، أرض مرتفعة.

مجيدة: ذات مجد وعزة شريفة.

محاسن: جمع حسن، أي: جمال وبهاء.

محسنة: فاعلة إحسان وبر، جاعلة الشيء حسناً.

محمودة: مشكورة ومدوحة، ومرضي عنها، ذات صفات يحمدها الناس.

مخلصة: وافية، صادقة في وعدها.

مديحة: مدوحة ومشكورة على حسن أفعالها.

مرام: المطلب، المقصد، الهدف، المراد.

مرجانة: واحدة المرجان، حبة اللؤلؤ.

مرزوقة: ذات رزق كبير وحظ وافر.

مرمر: نوع من الرخام الشديد الصلابة والصفاء.

مروة: أصل الكلمة مروة، وقلبت الهمزة واو وأدغمت في الواو الأولى ومعناها نخوة، شجاعة.

مريم: كلمة سريانية تعني مرتفعة، لا شيء فيها من مرارة البحر، المريم من النساء التي تحسن حديث الرجال ولا تفجر، وهو اسم العذراء.

مزهر: متفتح الأزهار، أصبح له زهر، مضيء، لامع.

مسعدة: ميمونة، سعيدة، صاحبة حظ.

مسعودة: من أسعدها الله وأكرمها، دائمة وكثيرة السعادة.

مشكورة: مثنى عليها، محموددة على طيب فعلها وحسن قولها.

مشهورة: ذات شهرة وذائعة الصيت، معروفة وظاهرة بين الناس.

مشيرة: معرفة، مقدمة النصيحة لمن استشارها، جميلة.

مطبعة: موافقة، غير مخالفة، منقادة غير مكرهة.

معزوزة: قوية، محصنة، شديدة، مكرمة.

معالي: جمع معلاة، كسب الشرف والعز والرفعة.

مليحة: ظريفة، بهيجة، حسنة المنظر والمظهر.

مددوحة: مثنى عليها، مشكورة من غيرها على أعمالها.

منار: مشترك، موضع النور، العلم، الإشارة الضوئية المنصوبة في الطريق.

منة: الإحسان، الإنعام، القوة، هبة وعطية ومنحة من الله.

منى: جمع منية وهي المراد والمطلوب، ما يتمناه المرء.

منية: وكيلة، مطر غزير.

منيرة: مضيئة، مزهرة وموضحة ومشرقة.

مها: الثغر النقي الأبيض، البقرات الوحشية، شمس، غزال، بالورة.

مهجة: روح، دم القلب، مهجة كل شيء أحسنه.

مهدية: هي التي هداها الله إلى الحق والطريق المستقيم.

ميار: جامع الميرة «الطعام الذي يدخره الإنسان».

ميرفت: أصلها مروة وحرفت الواو إلى فاء مثلثة وحولت التاء المربوطة إلى تاء مفتوحة في اللغة التركية، ومعناها حجر صوان أبيض.

ميس: شجر عظيم يشبه الجوز، نوع من الزبيب.

ميسان: الرزينة من النساء، النعسان.

ميسرة: الهولة، الغنى.

ميسون: رزينة، مياسة، حسنة الوجه، مختالة، والكلمة تركية من مقطعين «مي»

أي: الحمرة و«سون» أي: مثل ومعناها «مثل الحمرة».

ميمونة: مباركة وطيبة، ذات يمن، اسم آخر زوجات رسول الله ﷺ.



أسماء تبدأ بحرف النون

(١) أسماء الذكور

ناجح: ظافر، منتصر، فائز، رابح، الشديد السريع في المشي.

ناجي: من كتبت له النجاة من شر أو مصيبة أو ابتلاء.

نادر: القليل الوجود في علمه وأخلاقه وصفاته الحميدة.

نادي: مجلس القوم، مبتل بالندى، جواد كريم.

ناشد: الطالب، الراغب، المعروف.

ناصح: الخالص من كل شيء، الخياط، نقي، مقدم النصيحة، واعظ.

ناصر: الذي ينصر غيره، معين، مساند، مجرى الماء في الواد.

ناصر: الذي ينصف غيره، القاسم نصفين، عادل، الخادم.

ناظم: مؤلف، قائل الشعر، مرتب، منظم.

نامق: محسن ومزين.

نايف: سام، مرتفع، مشرف، شاهر.

نبل: الذكاء والنجابة، كمال الجسم، الفضل.

نبوي: المنسوب إلى النبي ﷺ.

نبهان: فطن، ذكي، ذو نباهة.

نبيل: الشريف، الجسيم، الجيد، الفاضل، فواصل طيب.

نبيه: فطن، ذكي، ذو نباهة، متوقد الذهن.

نجاتي: أصل الكلمة نجاة والياء للنسبة، فوزي وخلاصي، ظفري.

نجاح: مشترك، الظفر بالمطلوب، الفوز، النصر.

نحاشي: مثير الصيد للصيد، ملك الحبشة قديماً.

نجدة: مشترك، الشجاعة والاستهانة بالموت، البأس والقوة، القتال.

نجف: التل، مكان مستطيل في بطن الوادي أو الأرض لا يعلوه الماء.

نجيب: الكريم الأصل، الفاضل، النبيل.

نخلة: مشترك، شجرة التمر المعروفة، والنخل مشتق من انتقاء الشيء، واختباره لأنه أشرف كل ذي ساق.

نداء: مشترك، دعاء، صياح، صوت مجرد، دعوة.

نديم: المنادم، الرفيق المصاحب، الجالس على الشراب.

نزار: قليل، نادر، قلة الخير.

نزيه: العفيف، طاهر من كل عيب.

نسيم: الريح اللينة، الروح، الصلابة.

نشأت: أصلها نشأة، النشو ما ارتفع من النبات ولم يغلظ بعد أو نشأة الدنيا، واستعملها الأتراك بالتاء المفتوحة.

نصار: الشديد النصر، كثير المساعدة والإعانة.

نصحي: أصل الكلمة نصح، وعظ وإرشاد والياء للنسبة.

نصر: الفوز، المساعدة، النجاح، التفوق، الإعانة، المطر.

نصرت: النصر هو الفوز، وهي في الأصل نصرة، واستخدمها الأتراك بالتاء المفتوحة.

نصري: هو الفوز والياء للنسبة.

نصير: محارب متطوع لا ينتمي إلى الجيش النظامي، معين على النصر.

نضال: الدفاع، الكفاح، المغالبة في رمي السهام.

نظام: إطاعة القوانين، سلك اللؤلؤ، السلطة وطريقة الحكم.

نظمي: النظم هو التأليف، التنسيق، ويغلب إطلاقه على الكلام المنظوم والياء للنسبة.

نظير: مثل، المساوي.

نظيم: المنظوم من الشعر، مرتبة، أنيق، مؤلف.

- نعامة: مشترك، طائر كبير قصير الجناحين لا يستطيع الطيران.
- نعسان: الناعس، النائم.
- نعمان: لقب ملوك الحيرة، اسم من أسماء الدم ولذلك سميت الوردة شديدة الاحمرار بشقائق النعمان.
- نعيم: طيب العيش، ورغد، السكون والدعة والمال.
- نقيب: سيد القوم ورئيسهم، رتبة عسكرية متوسطة في مصر توضع على كتف صاحبها «ثلاث نجوم».
- نَمِر - نَمْر: الحيوان المفترس المعروف.
- نمير: الذكي الطيب من الماء ومن الحسب.
- نهاد: اسم مشترك يعني المكان العالي المرتفع.
- نهر: اسم مشترك وهو الماء العذب الجاري.
- نوار: اسم مشترك يعني شديد النور، ضوء ساطع.
- نواس: متحرك، ذئب.
- نور: اسم مشترك يعني الضوء.
- نورس: طائر مائي أبيض متوسط الحجم.
- نوح: كثير النوح وشديد البكاء وهو اسم نبي الله أول رسول إلى أهل الأرض.
- نواف: علو وارتفاع وسمو في القدر، طول، بهاء، حسن، شاهر.
- نوفل: البحر، السخي، الكريم، كثير العطاء، الشاب الجميل.
- نياف: انظر نواف.
- نير: مضيء، واضح، مشرق.
- نيروز: كلمة فارسية تعني اليوم الجديد، وهو أول يوم من أيام السنة الشمسية عند الفرس «إيران حاليًا»، ويوافق الحادي والعشرين من مارس في السنة الميلادية ويحرم الاحتفال به؛ لأنه من أعياد المشركين والكفار.

(٢) أسماء الإناث

نادرة: قليلة الوجود، الطريفة، الطرفة من الكلام.

نادية: ندية يبللها الندى، ناضرة، ناحية، النخلة البعيدة عن الماء.

ناردين: نبات طيب الرائحة.

ناريمان: اسم مركب من كلمتين «نار» وهي بالفارسية «رمان» وتعني مثل «الرمان».

نازل: بالتركية تعني ناعمة رقيقة، طاعنة بالنيزك، وهو الرمح القصير.

نازين: فارسية تعني ذات دلال وميول وتبخر.

نافعة: ما ينتفع به، التي تنفع، مفيدة.

ناهد: الأسد، ذات النهدين البارزين من النساء، المرتفع الشريف.

نبوية: نسبة إلى النبي ﷺ وهي المنبئة بالأخبار قبل وقوعها تخمينًا.

نبيلة: شريفة، وذات نجاحة، حسية نسبية.

نبهية: ذات فطنة وذكاء، واعية، ذات نباهة، فاهمة، متوقدة الذهن.

نجاة: الخلاص، الغصن، ما ارتفع من الأرض والظفر والفوز.

نجدة: شجاعة، استهانة بالموت، قتال، مدد.

نجف: تل، مكان مستطيل في بطن الوادي لا يعلوه الماء.

نجفة: ثريا، مجموعة من المصابيح الكهربائية منسقة الوضع باهرة.

نجلاء: ذات عينين واسعتين.

نجوى: مناجاة الكلام سرًا، محادثة الشخص نفسه.

نجوان: ناجية وخالصة من الشر والأذى.

نجيبة: انظر نجيب في الذكور.

نجية: هاجس، موضع السر، من التناجي.

ندى: الطل، المطر الخفيف، الكرم، الجود، العشب، المدى، الغاية، الثرى.
نداء: دعاء وصياح، دعاء، صوت مجرد.

ندرة: قطعة من الذهب أو فضة توجد في المعادن قليلة الوجود، نادرة.
نرجس: نبات من الرياحين له زهر أبيض مستدير وعلى ورق طويل مثل الكراث، وبجماله تشبه العيون الجميلة وأصل الكلمة فارسية «نركس».
نزاهة: العفة والبعد عن الشر والسوء.

نزيهة: انظر نزيه في الذكور.
نسرين: ورد أبيض ذو رائحة عطرية قوية، والأصل فارسي.
نسمة: هبة الريح وحركتها الخفيفة.
نشوى: أول السكر، الرائحة، فرحة، بهجة، حب الشيء والعودة إليه مرة بعد مرة.

نصرة: العون، المساعدة، الإغاثة، التأيد.
نصيرة: انظر «نصير» في الذكور.
نضال: انظر «نضال» في الذكور.
نظيرة- نظيمة: انظر «نظير- نظيم» في الذكور.
نعمان: جمع «نعمة» وهي الرزق والإحسان، المرة، المال.
نعمت: هي «نعمة» وجعلها الأتراك بالتاء المفتوحة.
نعمة: انظر قبل السابق.
نعناع: واحدة النعناع، وهو نبات يزرع في الأرض الرطبة، ويستخدم كمشروب طيب تطرد به الغازات.

نعيمة: متمتعة بالنعيم وهدوء البال.
نغم: التطريب في الغناء، حسن الصوت، جرس الكلمة.
نغمة: واحدة النغم.
نفيسة: غالية، ثمينة، كثيرة المال، مرغوب فيها.

نقيية: انظر «نقيب».

نهاد: انظر الذكور.

نهي: عقل، لب.

نهل: جمع «ناهل، ناهلة» وهو الذهاب أو الذهاب إلى المنهل للشرب. والنهل هو أول الشرب، وبالفارسية تعني شجرة حديثة النمو.

نهاية: آخر الشيء.

نهلة: مرتوية وريانة من الشرب ضد عطشانة.

نودار: جمع «نادرة» وهي قليلة الوجود الفصيحة، الجيدة.

نوار: المرأة العفيفة التي تفر من الشك والتهمة ومن الفعل.

نوارة: زهر النبات، زهرة القطن.

نواعم: جمع «ناعمة» وهي المرأة اللينة.

نوال عطاء، نصيب، صواب.

نوجة زوبعة من الرياح.

نور الهدى ضوء الرشاد والهداية.

نور الزماد ضوء العصر.

نوبرة تصغير النار.

نيرة انظر «نير».

نيفين فارسية بمعنى جديد أو جبل.

سيفانا كلمة هندية تدل على كفر بواح فمعناها التناسخ للروح بمعنى انتقالها من جسد إلى آخر، والتخلص من الشرور والعلو والارتفاع في المكان.

أسماء تبدأ بحرف الهاء

(١) أسماء الذكور

هادي: من يهدي الناس، وهو المرشد، الدليل، المتقدم، العنق، الأسد.
هارون: أخو موسى عليه السلام وقد وصفه موسى عليه السلام بأنه أفصح منه لساناً، وكان وديعاً صبوراً.

هاشم: الجبل الرخو، الحلاب الماهر، الذي يهشم «يكسر» وهو أحد أجداد النبي ﷺ سُمي بذلك لأنه كان أول من هشم الثريد لأهل مكة.

هانئ- هاني: بالهمزة والتخفيف، السعيد، الخادم.

هبة الله: اسم مشترك يعني نعمة الله وعطيته.

هجام: الشجاع، الأسد، الكثير الهجوم على الناس.

هيجان: البيعين الكرام من الإبل، الخيار المتقش، الكريم الحسيب من الرجال والنساء.

هجرس: الثعلب، ولد الثعلب، الدُّب.

هداية: إرشاد، بيان، دلالة.

هراس: الأسد شديد الكسر والأكل، بائع الهريسة وصانعها.

هرماس: ولد النمر.

هريرة: مشترك بين الرجال والنساء، وهي الهرة، أي: القطعة الصغيرة، وأشهر من تسمى به «أبو هريرة» رضي الله عنه.

هشام: الجود، الكرم.

هلال: أول مراحل القمر، الغلام الجميل، المطر، الحية، ذكر الحيات.

همام: من أصدق الأسماء كما أخبر ﷺ وهو المنفذ لما هم به وأراد.

هند: اسم مشترك، وهو اسم البلاد المشهورة «الهند»، واسم لأحد زوجات النبي

ﷺ وهي: هند بنت زاذ الراكب أم سلمة رضي الله عنها وبه تسمى ابن أم المؤمنين خديجة الصحابي «هند بن أبي هالة» وهو خال الحسن والحسين رضي الله عنهما أحد الوصّافين الذين أجادوا وصف النبي ﷺ.

هندي: المنسوب إلى الهند، وهو أيضاً من أسماء السيوف المنسوبة إلى الهنود.

هيثم: ابن الصقر، ابن النسر، الرملة الحمراء.

هندم: الأسد، الصلب الشديد.

هيكل: موضع عند اليهود والنصارى، البناء المرتفع، الفخم من كل شيء، المرتفع.

هيمن: محب شديد الحب، الشديد العطش، السائر على غير هدى.



(٢) أسماء الإناث

هاجر: الفاتكة الممتازة، ترك الوطن والانتقال، وهو اسم المصرية «هاجر» امرأة خليل الله، أم ابنه إسماعيل جد العرب، وأبو النبي ﷺ الأكبر.

هادية: العصا، العنق، الصخرة الناتئة البارزة من الماء أو المرشدة.

هالة: الدارة المحيطة بالقمر «حلقته» ودائرة من الضوء تحيط بكوكب سماوي.

هانم: السيدة العاقلة الرزينة، وهو لقب تركي.

هانية: مسرورة سعيدة وأصلها: هائلة.

هبة: منحة بلا عوض، عطية بلا رد.

هدى: رشاد، استقامة، نهار، طاعة، طريقة، بيان.

هدايات: اسم للدليل على الهداية، وهو جمع لها.

هدية: ما يهدى للحرّم من نعم، وكل ما يهدى عموماً للتعبير عن الحب والعرفان والتقدير.

هدير: صوت شديد كأنه رعد أو نهر.

هديل: صوت الحمام، فرخ الحمام، رجل كثير الشعر.

هديم: النبات الباقي من العام الآخر.

همسة: صوت خفي.

هنادي: بمعنى «هند» وهو اسم لمائة من الإبل.

هناء: سعادة، سرور، غبطة.

هند: انظره في الذكور.

هندية: نسبة إلى الهند.

هنية: سعيدة، هائلة، مسرورة، لذية.

هويدا- هويدى: تصغير هوادة وهي الليل والرفق والنعومة، وما يرجى به الصلاح بين القوم.

هياتم: أشجار الحمضيات.

هيام: التراب الناعم الجاف.

هيام «بضم الهاء»: الجنون وشدة الحب.

هيفاء: ضامرة «نحيلة» البطن.

هيماء: الصخرة الواسعة التي لا ماء فيها.



أسماء تبدأ بحرف الواو

(١) أسماء الذكور

- وائل: الراجع إلى الله، المسرع، الملتجئ، الشد به.
- وئام: مشترك، ومعناه الموافقة في العشرة والود وغيرهما.
- وائق: مطمئن، متأكد، ذو ثقة، ثابت وقوي.
- الوائق بالله: المطمئن بالله.
- واعر: صعب.
- واعظ: مرشد إلى الدين.
- واصل: بالغ المكان، منته إلى غايته، واصل للرحم، رابط ما انقطع، تابع، متوالي.
- واعي: مدرك، متيقظ.
- وجيد: ما استوى من الأرض، موجود.
- وجيه: سيد القوم، ذو الواجهة، رئيس الناس.
- وحيد: منفرد بنفسه، لا مثيل له، بعيد عن غيره، من لا أخ له.
- وديد: محب، كثير التودد، متمني الخير.
- وديع: هادئ ساكن، مطمئن، ذو دعة وراحة، عهد.
- وردان: مثني ورد زهر الشجر، دوية تشبه الخنفساء.
- ورقة: كريم من الناس، ورقة شجر أو كتابة.
- وسام: اسم مشترك، يعني نيشان التكريم، قلادة، سمة، علاقة.
- وسيم: الجميل من الرجال، بشوش، أنيق، مهندم.
- وصفي: ناعت الشيء ومحليه، وقد تكون الياء للمتكلم بمعنى يعني.
- وصيف: غلام بلغ أوان الخدمة وأحسنها، غلام دون المراهق، خادم.

وضّاح: جميل الوجه، أبيض اللون بسام الوجه، النهار.
ولفائي: الأصل «وفاء» والياء للنسب والمعنى مخلص أو هو «أمانتي» فالياء هنا للمتكلم.

ورفيق: الرفيق، الموفق الناجح.
وقاص: الشبكة تصيد الطيور، كاسر الأعناق.
ولاء: مشترك يعني المحبة، الصداقة، الموالاة، القرب، الانتماء.
وليد: مولود وقت الوضع.
ونيس: أنيس، سمير، مجالس، رفيق.
وهاس: الأسد.
وهبة: عطية، هبة، منحة بلا عوض.
وهبي: أصلها «وهبة» وقد تكون الياء للمتكلم بمعنى وهبني منحي.
وهران: خائف.



(٢) أسماء الإناث

ونام: محبة موافقة في العشرة والود.
وجدان: النفس وقواها الباطنة.
وجيدة: انظر وجيد، وهي الأرض المستوية.
وجيهة: ذات وجهة وجاه.
وحيدة: انظر وحيد.
وداد: حب ومودة، مَنْ تَوَدُّ غيرها ويودها من حولها.
وديدة: انظر وديد.
وديمة: انظر وديع ومعناها الأمانة، وما أودع ليحفظ.
وردة: زهرة، واحدة الورد.



وزة: الأوزة: طير يشبه البط مع أنه أكبر منه والرقبة أطول.

وسام: انظر باب الذكور.

وسيلة: طريقة، منزلة عند ذوي السلطان، درجة، ما يتقرب به وهي منزلة في

الجنة لرسول الله ﷺ.

وسيمة: جميلة الوجه، مزينة.

وصال: اجتماع الأحباب لتبادل الحب.

وصيفة: خادمة الملكة، بالغة دون المراهقة.

وطنية: مخلصه لوطنها.

وعود: جمع «وعد» وهو العهد.

وفاء: إخلاص، محافظة على العهد والوعد.

وفية: مخلصه، توفي بالحق، تعطي الحق وتأخذ به.

ولاء: انظره في باب الذكور.

وهيبة: موهوبة.



أسماء تبدأ بحرف الياء

(1) أسماء الذكور

ياسر: السهل، الجزائر، لين، وهو اسم للصحابي الجليل الشهيد أبو عمار وزوج سمية، وهو كبير «آل ياسر» الشهداء الثلاثة: الأب، والأم، والولد رضي الله عنهم وأرضاهم.

ياسين «يس»: حرفان مقطعان من حروف القرآن ولا علاقة لهما باسم النبي ﷺ كما يقول بعض الحمقى.

يافع: سامي، عالي، اقترب من البلوغ من الفتان.

ياقوت: حجر كريم معروف.

يامن: من أهل اليمن.

يسار: اسم مشترك يعني السهولة، الغنى، ضد اليمين، وهو الشمال.

يسر: السهولة، الثراء.

يسري: السائر في الليل.

يزيد: مضاع بمعنى الزيادة، النماء، والكثرة.

يعبوب: النهر شديد الجريان، الجدول كثير الماء، السماء.

يعسوب: ذكر النحل، رئيس القوم.

يعفور: الغزال، ولد البقر الوحشية، قسم من الليل، اسم حمار النبي ﷺ.

يعقوب: ذكر الجمل، وهو النبي الجليل ابن إسحاق بن إبراهيم وأبو يوسف عليهم

السلام.

يقطان: صاحب، حذر، متيقظ واع، ضد نائم، متنبه.

يمام: حمام بري.

يمان: أبو حذيفة رضي الله عنه وهو نسبة إلى اليمن واليمانية، وإلى اليمين.

يحيى: يعيش «اسم نبي الله يحيى».

يهماذ: أرض واسعة.

يوسف: من الأسف، والحسن، والجمال، وهو النبي الجليل.

يونس: من الأنس، وهو اسم نبي الله صاحب الحوت «ذي النون» عليه السلام.

☆☆☆

(٢) أسماء الإناث

ياسمين: زهر أبيض طيب الرائحة.

يسرا- يسرى: جهة اليسار، خلاف اليمين، سهلة.

يسرية: ذات يسار وسهولة وغنى.

يماة: واحدة اليمام، وهي الحمامة البرية.

يُمْنى: ضد اليسرى، مبروكة، جهة اليمين.

☆☆☆

سادساً: العقيقة:

وأصل العقيقة الشعر الذي يكون على رأس الصبي حين يولد وإنما سميت تلك الشاة التي تذبح في تلك الحال عقيقة لأنه يحلق عنه ذلك الشعر عند الذبح^(١).

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن العقيقة فقال: «لا أحب العقوق، من ولد له منكم مولود فأحب أن ينسك عنه فليفعل عن الغلام شاتان وعن الجارية شاة»^(٢).

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الغلام مرتين

(١) لسان العرب (ص ٤٤٤-٣٠).

(٢) أخرجه أحمد (٤/١١) (٦٧١٣) وقال: إسناده صحيح، وعبد الرزاق في المصنف رقم (٧٩٦١)، وأبو داود (٣/٢٦٢) (٢٨٤٢)، والنسائي (٧/١٦٢، ١٦٣)، والحاكم (٤/٢٣٨)، وصححه ووافقه الذهبي.

بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويحلق رأسه ويسمى»^(١).

وقد تكلم الناس في معنى قوله: «مرتحن بعقيقته»، وأجود ما قالوا: أن معناه إن مات طفلاً ولم يعق عنه لم يشفع في والديه، ويروى عن قتادة أيضاً: أنه يحرم شفاعتهم^(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «يعني عن الغلام مكافأتان وعن الجارية شاة». قالت عائشة: «فعم رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين شاتين شاتين يوم السابع وأمر أن يماط عن رأسه الأذى قال: «اذبحوا على اسمه وقولوا: بسم الله الله أكبر، منك ولك، هذه عقيقة فلان». قالت: «وكانوا في الجاهلية تؤخذ قطنة فتجعل في دم العقيقة ثم توضع على رأسه فأمر رسول الله ﷺ أن يجعل موضع الدم خلوقاً»^(٣).

والعقيقة تشبه العتق عن المولود فإنه رهين بعقيقته، فالعقيقة تفكه وتعتقه وكان الأولى أن يعق عن الذكر بشاتين وعن الأنثى بشاة، كما أن عتق الأنثيين يقوم مقام عتق الذكر^(٤).

كما جاء عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما امرئ مسلم أعتق امرأً مسلماً كان فكاكه من النار يجزي كل عضو منه عضواً منه، وأيما امرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار يجزي كل عضو منهما عضواً منه، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة كانت فكاكها من النار يجزي كل عضو منها عضواً منها»^(٥).

وسئل أبو عبد الله: الرجل يولد له وليس عنده ما يعق، أحب إليك أن يستقرض ويعق عنه أم يؤخر ذلك حتى يوسر؟ قال: أشد ما سمعت في العقيقة حديث الحسن

(١) أحمد (٧/٥)، وأبو داود (٣/٢٦٠) (٢٨٣٨)، والترمذي (١١٣/٥) (١٥٥٩) وقال حديث حسن صحيح والنسائي (١٦٦/٧)، والحاكم (٤/٢٣٧) وصححه ووافقه الذهبي، وسبق تخريجه رقم (٤٥).

(٢) أورده البغوي في شرح السنة (١١/٢٦٨) نقلاً عن الإمام أحمد وقاتدة بتصرف.

(٣) أخرجه أبو يعلى والبزار كما في مجمع الزوائد (٤/٥٨) وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح خلا شيخ أبي يعلى إسحاق فإني لم أعرفه.

(٤) ابن القيم في زاد المعاد (٢/٣٣١).

(٥) أخرجه أبو داود (٤/٢٧٥) (٣٩٦٧)، والترمذي (٥/١٤٤، ١٤٥) (١٥٨١)، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٢/٨٤٣) (٢٥٢٢).

عن سمرة عن النبي ﷺ: «كل غلام رهينة بعقيقته»، وإنني لأرجو إن استقرض أن يجعل الله الخلف لأنه أحيأ سنة من سنن رسول الله ﷺ واتبع ما جاء عنه.

وهذا لأنه سنة ونسيكة مشروعة بسبب تجدد نعمة الله على الوالدين وفيها سر بدیع موروث عن فداء إسماعيل بالكبش الذي ذبح عنه وفداه الله به، فصار سنة في أولاده بعده، أن يفدي أحدهم عند ولادته بذبح يذبح عنه، ولا يستنكر أن يكون هذا حرز له من الشيطان بعد ولادته، كما كان ذكر الله عند وضعه في الرحم حرزاً له من ضرر الشيطان، ولهذا قال: من يترك أبواه العقيقة عنه إلا وهو في تخييط من الشيطان، وأسرار الشر أعظم من هذا.

ولهذا كان الصواب أن الذكر والأنثى يشتركان في مشروعية العقيقة وإن تفاضلا في قدرها^(١)، وسئل أبو عبد الله عن العقيقة أحب إليك أو يدفع ثمنها للمساكين؟ قال: العقيقة. فكان الذبح في موضعه أفضل من الصدقة بثمنه، ولو زاد من الهدايا والأضاحي، فإن نفس الذبح وإراقة الدم مقصودة، فإنه عبادة مقرونة كما قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ (الكوثر: ٢). وقال: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢). ففي كل ملة صلاة ونسيكة لا يقوم غيرها مقامها ولهذا لو تصدق عن دم القران بأضعاف القيمة لم يقم مقامه وكذلك الأضحية.

وقد جعل الله سبحانه النسيكة عن الولد سبباً لفك رهانه من الشيطان الذي يعلق به من حين خروجه إلى الدنيا، وطعن في خاصرته، فكانت العقيقة فداءً وتخلصاً له من حبس الشيطان له وسجنه ومنعه له من سعيه في مصالح آخرته التي إليها معاده، فكانه محبوس لذبح الشيطان له بالسكين التي أعدها لاتباعه وأوليائه وأقسم لربه أنه ليستأصلن ذرية آدم إلا قليلاً، فهو بالمرصاد للمولود من حين يخرج إلى الدنيا، فحين يخرج يتدره عدوه ويضمه إليه ويحرص على أن يجعله في قبضته وتحت أسرته ومن جملة أوليائه وحزبه فهو أحرص شيء على هذا وأكثر المولود من أقطاعه وجنده كما قال تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ (الإسراء: ٦٤). وقال: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ

(١) تحفة المودود بأحكام المولود (ص ٥١).

عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ» (سبا: ٢٠). فكان المولود بصدد هذا الارتهان، فشرع الله سبحانه للوالدين أن يفكاه رهانه بذبح يكون فداءه، فإذا لم يذبح عنه بقي مرتهناً به، فلهذا قال عليه الصلاة والسلام: «الغلام مرتهن بعقيقته فأريقوا عنه الدم وأميطوا عنه الأذى». فأمر بإراقة الدم عنه الذي يخلص به من الارتهان. فلما أمرنا بإزالة الأذى الظاهر عنه، وإراقة الدم الذي يزيل الأذى الباطن بارتهانه علم أن ذلك تخلص للمولود من الأذى الباطن والظاهر^(١).

ومن فوائد العقيقة:

- ١- التقرب إلى الله عن المولود بها وذكر اسمه في أول لحظات حياته حتى يبارك الله فيه ويطيبه ويجعله من الذين يذلون الغالي والنفيس لله رب العالمين.
- ٢- أنها فدية له من المصائب والآفات كما فدى الله إسماعيل بذبح عظيم.
- ٣- أنها طريق لبر الوالدين وشفاعة المولود لهما.
- ٤- تقوية روابط الألفة والمحبة بين أبناء المجتمع في الاجتماع على موائد الطعام ابتهاجاً بقدم المولود الجديد.
- ٥- إرساء قواعد التكافل الاجتماعي والتي يتحيز الإسلام في كل مناسبة ليدعمها ويمحو ظواهر الفقر والحرمان والفاقة.
- ٦- إحياء سنة رسول الله ﷺ.

سابعاً: الختان:

الختان: موضع الختن من الذكر وموضع القطع من نواة الجارية وتسمى الدعوة لذلك ختانا.

والمستحق في الرجال قطع القلفة وهي الجلدة التي تغطي الحشفة حتى لا يبقى من الجلدة شيء متدل^(٢). وختان المرأة قطع جلدة تكون في أعلى فرجها فوق مدخل

(١) تحفة المودود بأحكام المولود (ص ٥٨، ٥٩).

(٢) أورده المباركفوري في التحفة (٨/٣٤)، والحافظ في الفتح (١٠/٣٥٢، ٣٥٣) نقلاً عن إمام الحرمين.

الذكر كالنواة أو كعرف الديك، والواجب قطع الجلد المستعيلة منه دون استئصاله^(١).
فعلى الرجل أن يقطع جميع الجلد التي تغطي الحشفة حتى ينكشف جميع الحشفة وفي المرأة يجب قطع أدنى جزء من الجلد التي في أعلى الفرج^(٢).
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خمس من الفطرة... منها: الختان»^(٣). وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء»^(٤).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأم عطية: «إذا خففت فأشمي ولا تنهكي، فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب إلى البعل»^(٥). وأشمي: أي: اتركي الموضع أشم، والأشم: المرتفع^(٦).

وعن أم المهاجر قالت: «سبيت وجواري من الروم فعرض علينا عثمان الإسلام فلم يسلم منا غيري وغير أخرى فقال: اخفضوهما وطهروهما. فكنت أخدم عثمان»^(٧).

ومن فوائد الختان:

١- أن فيه مزيد الطهارة والنظافة، فإن القلفة من المستقذرات عند العرب، وقد كثر ذم الأقف في أشعار الجاهلية، وكان للختان عندهم قدر، وأقر الإسلام ذلك.

(١) أورده المباركفوري في التحفة (٣٤/٨)، والحافظ في الفتح (٣٥٢/١٠، ٣٥٣) نقلاً عن الماوردي.

(٢) قاله النووي في شرح مسلم (١٤٨/٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٧/١٠)، ومسلم في الطهارة باب خصال الفطرة (٢٢١/١) (٤٩) (٢٥٧)، وأبو داود (٤٦/١) (٥٤)، والترمذي (٣٣/٨) (٢٩٠٥)، والنسائي (١٤/١)، وابن ماجه (١٠٧/١) (٢٩٢).

(٤) أخرجه أحمد (٧٥/٥)، والبيهقي (٣٢٥/٨)، وأورده الحافظ في التلخيص (٧٢/٤) عن أحمد وابن أبي حاتم في العلل (٢٤٧/٢)، وشرح السنة (١١٠/٢).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٢١/٥) (٥٢٧١)، والدولابي (١٢٢/٢)، والخطيب في التاريخ (٣٢٧/٥)، والطبراني في الأوسط كما في المجمع (١٧٢/٥) وقال الهيثمي: وإسناده صحيح حسن.

(٦) ابن القيم في تحفة المودود (ص ١٥٠).

(٧) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ٣٦٢) رقم (١٢٤٥، ١٢٤٩).



٢- ويتخلص المرء من المفززات الدهنية والسيلائي الشحمي المقرز للنفس ومن خطر انحباس الحشفة أثناء التمدد.

زاد على ذلك أنه استجابة فعلية للفترة فعسى الله أن ينفعه بالفترة التي فطر الناس عليها، وبالحنيفية السمحة التي شرعها الله سبحانه على لسان أينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

والمقصود أن صبغة الله هي الحنيفية التي صبغت القلوب بمعرفته ومحبته والإخلاص له في عبادته وحده لا شريك له وصبغت الأبدان بخصال الفترة من الختان وغيره فظهرت فترة الله على قلوب الحنفاء وأبدانهم.

ثامناً: إثبات نسبه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت آية الملاعنة قال النبي ﷺ: «أيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضحه على رءوس الأولين والآخرين»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل من بني فزارة إلى النبي ﷺ فقال: إن امرأتي ولدت غلاماً أسود. وهو يريد الانتفاء منه، فقال: «هل لك من إبل؟». قال: نعم. قال: «ما ألوانها؟». قال: حمر. قال: «هل فيها من أورك؟». قال: فيها زودٌ وُرُق. قال: «فما ذاك تُرى؟». قال: لعله أن يكون نزعها عرق. قال: «فلعل هذا أن يكون نزعها عرق». قال: فلم يرخص له في الانتفاء منه. وفي رواية: قال أبو هريرة: فمن أجله قضى رسول الله ﷺ هذا: «لا يجوز لرجل أن ينتفي من ولد ولد على فراشه إلا أن يزعم أنه رأى فاحشة»^(٢).

(١) أخرجه الشافعي في مسنده (٣٩٣/٢)، وأبو داود (٦٩٥/٢) (٢٢٦٣) في كتاب الطلاق باب التغليظ في الانتفاء، والنسائي (١٧٩/٦)، وابن ماجه (٩١٦/٢) (٢٧٤٣)، وابن حبان رقم (١٣٣٥)، والحاكم (٢٠٢/٢)، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في شرح السنة (٢٧٠/٩) (٢٣٧٤).

(٢) أخرجه البخاري في الطلاق باب إذا عُرِضَ بنفي الولد (٣٥١/٩) (٥٣٠٥)، ومسلم في اللعان (١١٣٧/٢) (١٤٩٩/١٩)، وأبو داود (٦٩٤/٢) (٢٢٦٠)، والنسائي في الطلاق باب التغليظ في الانتفاء من الولد (١٧٨/٦)، واللفظ له والرواية الأخرى أيضاً له وقوله: أورك هو الذي فيه سواد ليس بصف (النووي)، وأحمد (٢٣٤/٢).

وعن صفية بنت أبي عبيد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «ما بال رجال يطأون ولائدهم ثم يدعونهن يخرجن؟ لا تأتيني وليدة يعترف سيدها أن قد ألم بها إلا ألحقت به ولدها فأرسلوهن بعد أو أمسكوهن»^(١).

ولقد ألغى الإسلام التبني وأمر بنسبة الأولاد إلى آبائهم الأصليين، فإن لم يعلم لهم آباء فهم إخوان لنا في الدين، قال سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ (الأحزاب: ٥).

وفي قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٣٣). مسائل، منها: أن الولد إنما يلتحق بالوالد لكونه مولوداً على فراشه على ما قال ﷺ: «الولد للفراش»^(٢). فكأنه قال: ولدت المرأة الولد للرجل وعلى فراشه وجب عليه رعاية مصالحه، فهذا تنبيه على أن سبب النسب واللاحاق مجرد هذا القدر^(٣).

وهذا الحق من أعظم ما أثبتته السنة للطفل بعد انفصاله من أمه فمن حق الولد على أبيه إثبات نسبه منه لأنه ثمرة الزواج الشرعي بين أبيه.

تاسعاً: الدعاء للمولود وشكر الوهاب:

عن معاوية بن قرة أنه لما ولد له إياس قال: «دعوت نفرًا من أصحاب النبي ﷺ فأطعمتهم فدعوا فقلت: إنكم قد دعوتم فبارك الله لكم فيما دعوتم وإني إن أدعو بدعاء فأمنوا. قال: فدعوت له بدعاء كثير في دينه وعقله وكذا قال: فإني لا أعرف فيه دعاء يومئذ»^(٤).

وعن كثير بن عبيد قال: «كانت عائشة رضي الله عنها إذا ولد فيهم مولود- يعني أهلها- لا تسأل غلاماً ولا جارية تقول: خلق سيئاً؟ فإذا قيل: نعم، قالت: الحمد

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٧٤٣/٢)، في الأقضية والبغوي في شرح السنة (٢٧٩/٩) (٢٣٧٩).
(٢) أخرجه البخاري (١٨٤/١٣) (٧١٨٢)، ومسلم في الرضاع باب الولد للفراش وتوفي الشبهات (١٠٨٠/٢) (١٤٥٧/٣٦)، ومالك في الموطأ (٧٣٩/٢)، وأبو داود (٧٠٣/٢) (٢٢٧٣)، والترمذي (٣٢١/٤) (١١٦٩)، والنسائي (١٨٠/٦) (١٨١)، وابن ماجه (٦٤٦/١) (٢٠٠٤)، والدارمي (١٥٢/٢)، وأحمد (٥٩/١).

(٣) الفخر الرازي في التفسير (١٢٨/٦).

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (١٢٥٥) باب الدعاء في الولادة.

الله رب العالمين^(١).

عاشراً: تجنب البدع والمنكرات التي تحدث عند استقبال المولود:

* ينبغي للوالد بعد الولادة أن ينبه النساء عنده بأن يتجنبن التعبير عن فرحتهن برفع الأصوات، والزغردة، والغناء، والرقص وغير ذلك من الأمور غير اللائقة بهذا المقام، ويأمرهن بالذكر والشكر لله على نعمته، ورزقه بالمولود الجديد وسلامة المرأة^(٢).

* وعلى الوالد أن يراعي تطبيق السنة في العقيقة، ويشرف بنفسه على ذلك، وأن يجنب المولود الجديد البدع المحدثه في هذا المجال مثل تلطيخ رأس المولود بدم العقيقة كما كان يفعل في الجاهلية؛ بل يستعاض عن ذلك بالزعفران^(٣).

* كما ينبغي له أن يحترس عما أحدثه بعض الناس في ليلة السابع من وضع المصحف ورغيف ومسك عند رأس المولود، فإن هذا لم يرد فيه دليل بل هو من البدع المحدثه^(٤)، فالسنة أولى بالاتباع، فليأن وجد الوالد بعض العنت من أهله وأقربائه، فإن سلامة المولود وحفظه من المحدثات والبدع أنفع له من إرضاء الناس.

* كما ينبغي عليه أن يحترس من إقامة حفل للختان لجمع الناس أو إنفاق الأموال^(٥).

* ومن هذه البدع نذكر هذه الأمور لكي يتعد عنها المسلمون:

١- الاعتقاد بأن اسم النبي ﷺ حرس للأطفال: فيقول البعض: اسم النبي حارسه وصايته، اعتقاداً منهم بأن اسمه ﷺ يحرس الصغار ويدفع عنهم الحسد، وهو اعتقاد فاسد، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ (الاعراف: ١٨٨). فكيف يحفظ اسمه ﷺ الصغار إذن؟!

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (١٢٥٦) (٢/٦٥٤) فضل الله الصمد.

(٢) المدخل (٢٨٦/٣)، (٢٨٧) لابن الحاج.

(٣) تحفة الودود (ص ٤٩، ٥٠).

(٤) ابن الحاج (٣/٢٩٠) في المدخل.

(٥) منكرات الأفراح (ص ٨٣) للإستانبولي.

٢- تسمية الأولاد بأسماء خاطئة لم يرد بها الكتاب ولا السنة:

فيسميه: عبد الموجود، وهو خطأ لأن الموجود ليس من أسماء الله تعالى، والصواب: عبد الواحد.

ويسميه: عبد العال، والصحيح: عبد المتعال.

ويسميه: عبد الستار، والصحيح: عبد الستير.

ويسميه: عبد العاطي، والصحيح: عبد المعطي.

ويسميه: عبد الرسول أو عبد النبي، والصحيح: عبد رب الرسول أو عبد رب النبي.

٣- الاعتقاد في أن اللحم والسّمك يقطعان اللبن إذا دخل بهما على النفساء: وكذا يعتقدون في أن من حلق رأسه لا يدخل على النفساء التي وضعت حتى لا يقطع اللبن وتسمى عند أهل مصر: المكبوسة!! ويفكون (كبستها)!! عن طريق إحضار ما يستخدمه الحلاق من آلات ومعدات فتُغسل في الماء ثم تغتسل بها المكبوسة!! ولا حول ولا قوة إلا بالله، كيف تشفي أمواس الحلاقة وآلات الحلاق مرضاً وتُدّر اللبن؟! قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بَصْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بَخِيرًا فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنعام: ١٧).

وقد تقول بعض النساء الجاهلات الحمقاوات: لكن هذا أمرٌ مجرب، ونحن رأيناه وورثناه عن أمهاتنا. فنقول لهن: اسمعن إلى هذا الحديث: عن زينب امرأة عبد الله ابن مسعود رضي الله عنهما قالت: «كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق كراهية أن يهجم منّا على أمر يكرهه. قالت: وإنه جاء ذات يوم فتحنح وعندي عجوز ترقيني من الحمرة، فأدخلتها تحت السرير. قالت: فدخل فجلس إلى جانبي، فرأى في عنقي خيطاً فقال: ما هذا الخيط؟ قالت: قلت: خيطٌ رُقِيَ لي فيه. فأخذه فقطعه ثم قال: إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقي والتمايم والتولة شرك». قالت: قلت له: لم تقول هذا، وقد كانت عيني تقذف، فكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقئها، فكان إذا رقاها سكنت؟ فقال: إنما ذاك من الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقاها- يعني

اليهودي- كف عنها- أي: الشيطان- وإنما كان يكفيك أن تقولي كما قال النبي ﷺ: «أذهب البأس رب الناس، أشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاءك، شفاء لا يغادر سقماً»^(١)

قلت: وإنما يتصرف الشيطان في هذه اللحظات باعتقاد النساء الخاطيء بأن اللحم والسمك وحلاقة الشعر تؤدي إلى انقطاع اللبن استدلالاً بكلام ابن مسعود رضي الله عنه، فإن جاءوا بعدة الحلاق تصرف، فكان ذلك نصراً له على من يفترض أنهم يدينون لله بالتوحيد الخالص.

إن أمة تعتقد في (عدة الحلاق) بالنفع والضرر بينها وبين التمكين والنصر آلاف السنوات الضوئية إن لم تعد عن هذا الاعتقاد الفاسد المنحرف.



(١) حسن: حسنه العلامة شاکر في المسند (٣٨١/١) برقم (٣٦١٥).

آداب، وحقوق، ووصايا مرحلة ما بعد الولادة إلى سن ثلاث سنوات حقوق الصغير على أبويه بعد ولادته

ومرحلة ما بعد الولادة امتدادٌ لحياة الإنسان في هذا الوجود، فالصغير بعد أن كان جنيناً في بطن أمه صار وليداً، وهو الآن رضيعٌ ينظر إليه الجميع فيسرون بلامحه الصغيرة التي تبعث البهجة في قلوب الأبوين، وكلما تبسم ابتسامته البريئة كلما شعر الجميع بأن الدنيا من حولهم تبسم لهم.

إن الحياة يصبح لها أفضل طعم بعد قدوم الصغير إلى الدنيا، فيشعر الآباء والأمهات بأن بضعة منهم تجاوزهم، وأن الأسرة تكبر يوماً بعد يوم بعد قدوم الآتي الجديد ببراءة الصغار المشعة من عينيه، فتمتلئ القلوب سعادة، وتتوجه المقاصد والأهداف نحو إسعاد هذا الصغير، وتوفير السعادة له في حياته الحارة والمستقبلية، وكم من الآباء أصابه التغير نحو الأفضل بعد أن صار أباً، ولا ينقطع هذا الشعور بالسعادة الغامرة؛ لكنه يزداد يوماً بعد يوم، وحياة الصغار متجددة، فكل يوم من أيامهم بلون جديد من الابتسامات، وفتح العين، أو البكاء، أو الحالة الصحية المتقلبة التي تتأرجح بين الصحة والضعف، فترى المشاعر يختلط فيها الحب بالخوف، والسعادة بالقلق، ويا للصغير الآتي إلى دنيانا غير الكثير، فالحمد لله على هذه النعمة التي أنعم الله بها علينا.

وينبغي ألا يطغى شعورنا بالسعادة على بقية الأمور التي يجب مراعاتها مما افترضه الله سبحانه للصغار من حقوق واجبة على الآباء والأمهات، وهو ما سنحاول أن نعرضه بيسط في الصفحات القادمة، ولكن وقبل التعرض للتفصيلات، هذه نصيحة مجملة:

اعلم أن الصبي أمانة عند والديه، وقلبه جوهرة ساذجة، وهي قابلة لكل نقش، فإن عود الخير نشأ عليه وشاركه أبواه ومؤدبه في ثوابه، وإن عود الشر نشأ عليه،

وكان الوزر في عتق وليه فينبغي أن يصونه ويؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء، ولا يعود التمتع ولا يحبب إليه أسباب الزينة وأسباب الرفاهية، فيضيع عمره في طلبها إذا كبر، بل ينبغي أن يراقبه من أول عمره فلا يستعمل في رضاعه وحضائته إلا امرأة صالحة متدبنة تأكل الحلال، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه.

وينبغي أن يعلمه آداب الأكل ويعوده أكل الخبز وحده في بعض الأوقات لثلاث ياليف الإدام فيراه كالحتم، ويقبح عنده كثرة الأكل، ويحبب إليه الثياب البيض دون الملونة، ويمنعه من مخالطة الصبيان الذين عودوا التمتع، ثم يشغله في المكتب بتعليم القرآن والحديث وأحاديث الأخيار، ليغرس في قلبه حب الصالحين، ويكرم على الخلق الجميل والفعل المحمود، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال تغوغل عنه، ولا يكشف فإن عاد عوتب سراً، ولا يكثر عليه العتاب؛ لأن ذلك يهون عليه سماع الملامة، ويعود المشي والحركة والرياضة لثلاث يغلب عليه الكسل، ويمنع أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه أبواه أو بمطعمه أو ملبسه، ويعود التواضع والإكرام لمن يعاشره، ويعود ألا يبصق في مجلسه ولا يتمخط، ولا يضع رجلاً على رجل، ويمنع من كثرة الكلام، ويعود ألا يتكلم إلا جواباً، وأن يحسن الاستماع إذا تكلم غيره ممن هو أكبر منه، ويحسن أن يفسح له بعد خروجه من المكتب في لعب جميل ليستريح به من تعب التأديب كما قيل: «روح القلوب تعي الذكر»^(١).

لقد جمعت هذه النصيحة الشاملة ما ينبغي على الآباء والأمهات فعله من بعد ولادة الصغير وحتى بلوغه سنًا يستطيع من خلالها تمييز بعض الأمور، فهي نصيحة جامعة نافعة.



(١) مختصر منهاج القاصدين (ص ١٥٩ - ١٦٢) لابن قدامة المقدسي، بتصرف.

(١) الرضاعة والتغذية والحضانة

الحضانة: مصدر الحاضنة وهي التي تربي الطفل، والموكلة بالصبي تحفظه وتربيته^(١). والرضاع: مص الرضيع من ثدي الأمية في مدة الرضاع^(٢).

ويندب أن تقوم الأم بحضانة ورضاعة طفلها لأن تربية الطفل بلبن الأم أصلح له من سائر الألبان من حيث إن شفقة الأم عليه أتم من شفقة غيرها. قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ (البقرة: ٢٣٣)^(٣). وقال جمهور المفسرين: إن هذين الحولين لكل ولد. وروي عن ابن عباس أنه قال: «هي في الولد يمكث في البطن ستة أشهر فإن مكث سبعة أشهر فرضاعه ثلاثة وعشرون شهراً فإن مكث تسعة أشهر فرضاعه أحد وعشرون شهراً لقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ (الاحقاف: ١٥). وعلى هذا تتداخل مدة الحمل ومدة الرضاع ويأخذ الواحد من الآخر^(٤).

وقرر القرآن الكريم هنا حقيقة فائدة الرضاع من حليب الأم المعقم والذي هو أصح غذاء من كل أنواع الحليب الصناعي والعادي، وفائدته الغذائية والنفسية ثابتة ومهمة للأم ومفيدة لأعضائها التناسلية، وتقلل من الاستعداد للحمل المبكر طول مدة الرضاعة حتى تستعيد الأم صحتها وتخزن في جسمها من المواد اللازمة للحمل مما كشفه الطب حديثاً.

ومن الغريب أنه في الوقت الذي انتشر استعمال اللبن المجفف في مجتمعنا كدلالة على الرقي والتطور تنادي أرقى مستشفيات العالم بأهمية العودة إلى حليب الأم في الرضاعة وتؤكد على ضرورته في أسابيع وشهور الوليد الأولى حيث يكون الطفل صغيراً محتاجاً في غذائه إلى أمه من أجل تأمين جسمه وحياته العاطفية

(١) اللسان (ص ٩١١) بتصرف.

(٢) الجرجاني في التعريفات (ص ١١١).

(٣) الرازي في تفسيره (١٢٦/٦) بتصرف.

(٤) القرطبي في الجامع لأحكام القرآن الكريم (٣/١٦٣).

ولحمائيه من الأمراض^(١).

• الحلال الطيب، وإياك وهؤلاء النسوة:

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ: «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله قد أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾ (المؤمنون: ٥١). وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (البقرة: ١٧٢). ثم ذكر: «الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا ربُّ يا ربُّ، ومطعمه حرامٌ، ومشربه حرامٌ، وملبسه حرامٌ، وغذّي بالحرام، فأني يستجاب لذلك»^(٢).

وهذا واضح في سير الناس وأحوالهم، فعادة كل لحم نبت من سحت قبل أن تأكله النار، لا ترى صاحبه إلا خوّاناً أثيماً، شيطاناً مريداً، مفتاحاً للشر مغلقاً للخير.

وأشكال المال الحرام كثيرة: كسرقة الأموال، والرشوة، والتطفيف في الميزان، وفوائد البنوك وأموال الربا، وأموال النصب والاحتيال، وأموال المهن المحرمة كـ(الكوافير، وطبيب الإجهاض، وتجارة الدخان والمخدرات والخمور) وكل هذه الأموال الخبيثة التي لا تؤدي إلا إلى الخيث.

وقد أكد هذا الكلام الإمام الغزالي في إحيائه معللاً سبب اختيار المرضعة الصالحة فيقول: «إن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع عليه نشوء الصبي انعجنت طيبته من الخيث، فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث»^(٣).

كما ننبه على أن الأم قد لا ترضع فيحدث أن يأتي الناس بمن ترضع فاحذر هاتيك: (البغي، المجنونة) لأن اللبن يعدي كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
وهناك ملاحظة أخرى وهي ما يعرف باسم: مجاملات الرضاع!!

(١) هامش الطب النبوي (ص ٣٧) بتصرف.

(٢) صحيح: مسلم (١٠١٥) في الزكاة.

(٣) الغزالي (٦٩/٣) في إحياء علوم الدين.

ففي بعض الأوقات تتطوع أخت الوالدة أو جارتها أو إحدى قريباتها بإرضاع الصغير، ثم يمر الحدث مروراً عابراً، وبعد أن يكبر الصغير يتزوج بابنة مرضعته، والذي حدث أن الكل نسي أو تناسى حادثة الرضاع، وبعد الزواج والإنجاب لا يطيق النساء صبراً فتعلن أن الزوجين أخوان من الرضاع وتحدث المشكلة الكبرى التي تنتهي عادة بالتفريق بين الزوجين!!

ومنذ البداية إما أن تمنع المرأة أحداً من إرضاع صغيرها لأن الله تعالى لا يستحي من الحق، أو أن تعلم كم من الرضعات أرضعته صديقتها أو أختها حتى لا تحدث الأزمات التي قد تطيح بكيان أسرة كاملة فتذهب بها أدراج الرياح، وتخرب البيوت العامة.

« السنة المطهرة، والصحابة رضي الله عنهم، والرضاع:

١- النهي عن الغيلة: عن عائشة رضي الله عنها عن جذامة الأسدية أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لقد هممت أن أنهي عن الغيلة^(١) حتى ذكرت أن الروم وفارس يفعلون ذلك فلا يضر أولادهم»^(٢). وسبب همه ﷺ بالنهي عنها أنه يخاف منه ضرر الولد الرضيع، قالوا: والأطباء يقولون: إن ذلك اللبن داء، والعرب تكرهه وتتقيه. وفي الحديث جواز الغيلة فإنه ﷺ لم ينه عنها وبين سبب ترك النهي^(٣).

٢- إقرار حق الصغار في الرضاع: وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «قدمت رفقة من التجار فتزلوا المصلى، فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: هل لك أن نحرسهم الليلة من السرقة؟ فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه: اتق الله وأحسني إلى صبيك. ثم عاد مكانه

(١) الغيلة: قال مالك: أن يجامع امرأته وهي مرضع، وقال ابن السكيت: هو أن ترضع المرأة وهي حامل (أورده النووي في شرح مسلم) (١٦/١٠).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٦٠٧/٢، ٦٠٨)، ومسلم في النكاح باب جواز الغيلة وهي وطء المرضع وكراهة العزل (١٠٦٦/٢) (١٤٤٢/١٤٠)، وأبو داود (٢١١/٤) (٣٣٨٢)، والترمذي (٢٤٩/٦) (٢١٥٩)، والنسائي (١٠٧٦)، وابن ماجه (٦٤٨/١) (٢٠١١)، والدارمي (١٤٧/٢)، وأحمد (٣٣٤/٦، ٣٦١).

(٣) قاله النووي في شرح مسلم (١٦/١٠).

فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها ذلك ثم عاد إلى مكانه، فلما كان من آخر الليل سمع بكاءه فقال: ويحك، إني لأراك أم سوء، وإني أرى ابنك لا يقر منذ الليلة. قالت: يا عبد الله قد أبرمتني هذه الليلة، إني أربعه عن الفطام فيأبى علي. قال: ولم؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للفطيم. قال: وكم له؟ قالت: كذا وكذا شهراً. قال لها: ويحك، لا تعجليه. فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء فلما سلم قال: يا بؤساً لعمر كم قتل من أولاد المسلمين. ثم أمر منادياً فنادى ألا تُعجلوا صبيانكم عن الفطام فإننا نفرض لكل مولود في الإسلام. وكتب بذلك إلى الآفاق أن يفرض لكل مولود في الإسلام^(١).

هكذا فهمها عمر بلا طب ولا علم نفس، فعلم أن الرضاع حق للصغير، وأحد ما يؤثر عليه عند الكبر.

٣- تحديد مدة الرضاع: وهذا التحديد الدقيق لفترة الرضاعة المثلى وتأكيد الآيات القرآنية عليه لم ينتسب تقريره كحقيقة علمية إلا من خلال الأبحاث الطبية الحديثة بعدما ثبتت العلاقة بين تمام الرضاعة وكفاءة الجهاز المناعي والقدرة على مقاومة الأمراض حيث أثبت الطب الحديث أن كفاءة الجهاز المناعي لا تصبح في أمثل صورة إلا عند عامين أما قبل ذلك فيكون الرضيع في حاجة إلى مناعة مكتسبة في صورة أجسام مضادة تنتقل في لبن الأم إلى الطفل عبر الرضاعة^(٢).



(١) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي (ص ٨٤، ٨٥).

(٢) الإعجاز الطبي في القرآن: بحث إتمام الرضاعة بجهاز المناعة، وينحوه عند الهيثمي (٧/٦) في المجمع وعزاء للطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح.

تغذية الطفل

متى تبدأ؟ وما هو شكلها الأمثل؟

تغذية الطفل شيء هام وضروري، ويجب على كل أم أن تفهم وتعرف كل ما يتعلق بتغذية طفلها ابتداءً من اليوم الأول لولادته حتى نهاية عامه الأول. والتغذية كما هو معروف تشمل الرضاعة الطبيعية أولاً، ثم الرضاعة الصناعية، وأخيراً ما يتناوله الطفل من أنواع التغذية الأخرى والتي تتفق مع حالته الصحية وحالة نموه، وكل هذه الأمور تتم تحت إشراف واستشارة الطبيب المعالج، وذلك حرصاً على سلامة طفلك. والآن تعالي معنا لنلقي الضوء على ما يتعلق بتغذية طفلك في عامه الأول من رضاعة طبيعية وصناعية وغيرها.

من اللحظة الأولى لولادة الطفل يبدأ التفكير في نوع الغذاء الذي يمكن تقديمه للمولود، هل الرضاعة الطبيعية هي المناسبة؟ أم أن الرضاعة الصناعية هي المناسبة؟ وهل يمكن الاستعانة بأنواع أخرى من التغذية كلما دعت الأمور لذلك؟ وتساؤلات أخرى كبيرة تدور في رأس الأم أو الأب. ولنبداً الآن بالكلام عن الرضاعة الطبيعية:

الرضاعة الطبيعية:

المقصود بها إرضاع المولود من لبن الأم عن طريق حلمة ثدي الأم بالتبادل. ولبن الأم هو الذي يطلق عليه الرضاعة الطبيعية، ولونه قريب من اللون الأبيض ويحتوي على كل الفيتامينات فيما عدا فيتامين (د) الذي يمكن تعويضه بتعريض الطفل للشمس كل يوم لمدة ربع ساعة، ولبن الأم يفضل في تغذية الطفل عن أي لبن آخر، ذلك علاوة على أن احتواءه على كل الفيتامينات أيضاً يشكل مناعة كاملة للطفل ضد أي من الأمراض المعروفة بالإضافة إلى أنه سهل الهضم ولا يسبب عسراً للهضم، لكل هذه الأسباب نحن نفضل لبن الأم لإرضاع صغيرها. وهنا يجب على الأم ألا تفكر في الاستعانة باللبن الصناعي طالما أن لبن الأم كافٍ لإرضاع صغيرها ويمكن ملاحظة ذلك عن طريق رغبة الإشباع التي يتجلى بها طفلها كلما طلب الرضاعة.

لكن: متى تلجأ الأم إلى استعمال اللبن الصناعي لإرضاع طفلها؟

في البداية لا بد أن نقول إن اللبن الصناعي يشبه لبن الأم إلى حد كبير، ويحتوي على معظم الفيتامينات لكنه لا يتساوى مع اللبن الطبيعي في كونه سهل الهضم، وإن كنا نفضل استعمال لبن الأم في الرضاعة إلا أنه ولأسباب معينة يُنصح للأم باستعمال اللبن الصناعي في تغذية طفلها، وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: في حالة مرض الأم بمرض عضال، كأمراض الصدر أو السل والدرن الرئوي أو القلب، هنا تعاني الأم من نقص شديد في كمية اللبن الطبيعي، يضطرها إلى استعمال اللبن الصناعي في تغذية طفلها.

ثانياً: إذا أصيبت الأم بخراج في صدرها يمنعها من إرضاع طفلها خوفاً على سلامته الصحية، هنا أيضاً تتجه الأم إلى إرضاع طفلها باللبن الصناعي حين شفائها. **ثالثاً:** قد تكون حلمة الثدي غير ظاهرة بحيث تكون صعبة للطفل ليرضع منها، هنا يجب على الأم أن تستعمل اللبن الصناعي في إرضاع طفلها.

رابعاً: قد يكون الطفل المولود به تشوه خفي أو ظاهر في منطقة الفم بحيث يمنعه عن الرضاعة من ثدي أمه هنا ننصح الأم بضرورة إرضاع طفلها اللبن الصناعي.

خامساً: قد يكون لبن الأم غير كافٍ للطفل، ويمكن أن تحس الأم بذلك إذا صرخ طفلها وإذا تمادى في الصراخ عند كل رضاعة، في هذه الأحوال ننصح بضرورة استعمال اللبن الصناعي في تغذية الأطفال بدلاً من اللبن الطبيعي (لبن الأم) حين علاج السبب أو زواله.

هل هناك اختلاف واضح بين اللبن الطبيعي واللبن الصناعي؟

أولاً: اللبن الطبيعي سهل الهضم عن اللبن الصناعي.

ثانياً: كل منهما يحتوي على نسبة معقولة من الفيتامينات.

ثالثاً: الطفل يشعر بالحنان أكثر عندما يرضع من لبن الأم.

كيف يمكن اختيار النوع المناسب للطفل من الألبان الصناعية؟

لبن الصناعي أنواع كثيرة، منها الخفيف والدسم والذي يحتوي على بروتينات،

وكل نوع من هذه الأنواع يمكن وصفه للطفل حسب حالته الصحية ودرجة نموه، والطبيب هو الذي يصف النوع الخاص بكل طفل حسب حالته الصحية.

إذا أردنا أن نضع جدولاً للطفل من اليوم الأول وحتى نهاية العام ونضمن فيه وجبات غذائية كاملة كيف يمكن وضع هذا الجدول بحيث يسهل تنفيذه؟

في الشهر الأول: تكون عدد الرضاعات ٧ رضاعات وتؤخذ الرضعة كل ثلاث ساعات سواء كانت الرضعة من لبن الأم أو اللبن الصناعي أم من الاثنين معاً كما في حالة نقص لبن الأم الطبيعي.

في الشهر الثاني: ٧ رضاعات كل ٣ ساعات رضعة واحدة يضاف إليها ملعقة صغيرة من عصير الفواكه إذا كان الوقت شتاءً؛ لأن معدة الطفل في الشتاء تكون أفضل من معدته في الصيف.

في الشهر الثالث: ٦ رضاعات كل ثلاث ساعات رضعة واحدة بالإضافة إلى إعطائه ملعقة من المهلبية مع كل رضعة.

في الشهر الرابع: ٦ رضاعات يضاف إليها ملعقة من الزبادي مع كل رضعة بشرط أن يصنع الزبادي في البيت لتوافر الشروط الصحية والنظافة الكاملة عند تناول الطفل حرصاً على سلامة الطفل وصحته، ويتناول الطفل مع ذلك رضعة من السيرلاك أو السوبرامين ويحبذ إعطاؤه شربة خضار أو شربة فراخ أو شربة كبدة الفراخ.

في الشهر الخامس: يستمر الطفل في تعاطي الرضعات الستة كل ٣ ساعات فضلاً عن جرعات من السوبرامين أو السيرلاك أو تناول كمية من الفول المدمس المصفى.

في الشهر السادس والسابع والثامن: يستمر الطفل على نفس النظام مع إعطائه صفار البيضة أولاً لمدة أسبوع ثم بالتدريج إعطاؤه بيضة كاملة كل يوم.

الشهر التاسع والعاشر: الرضاعات كما هي مع تناول شربة الخضار أو شربة الفراخ بالإضافة إلى تناول المهلبية والزبادي حسب مزاج الطفل.

الشهر الحادي عشر والثاني عشر: يمكن للطفل أن يجلس مع والديه على المائدة ويأكل معهما دون خوف أو قلق على أن يتناول صنف المأكولات الخفيفة السهلة الهضم.

جدول لنظام الرضاعة

الوزن بالكيلو	المكاييل	الماء بالسنتيمتر
٣	١ ١/٢ ٢ ١/٤ ١	٧٥
٤	١ ١/٢ ٣ ١	١٠٠
٥	٢ ٤ ٢	١٢٠
٦	٢ ١/٢ ٥ ٢	١٥٠
٧	٢ ٦ ٣	١٨٠
٨	٢ ١/٢ ٧ ٣	٢١٠
٩	٢ ٨ ٤	٢٤٠
١٠	٢ ١/٢ ٩ ٤	٢٧٠



الفاكهة ودورها في التغذية

وهل صحيح أن معظم أمراض الصيف بسبب الفاكهة؟

ينصح المتخصصون الأمهات بترك أطفالهن يتناولون الكميات التي يريدونها مما يشتهون، فالفاكهة مفيدة للجسم ومرطبة في فصل الصيف لأنها تحتوي على نسبة كبيرة من العصير تتراوح ما بين ٧٥ و ٩٥ في المائة من حجم الثمرة كما تحتوي الفاكهة المرطبة مثل الكمثرى والبرتقال والخوخ على نسبة كبيرة من السكريات التي توجد بأشكال مختلفة تسهل عملية الهضم والتخلص من الفضلات وتتراوح نسبة السكر من ١ إلى ١٥ في المائة من حجم الثمرة كل حسب نوعها أي أنها تمثل ما بين ٤٠ و ٦٠ سعراً حرارياً في كل ١٠٠ غرام وهي نسبة معقولة جداً لا تكفي لإعطاء الطفل الإحساس بالشبع. أما بالنسبة للبروتينات فإذا كانت نسبتها قليلة نسبياً لأنها لا تزيد على ٢ في المائة فإن هذا لا يكفي بل على العكس فإنه يسمح بإدراج الفاكهة

ضمن قائمة الأغذية الصالحة للرجيم خاصة بالنسبة لمرضى الكلى .

كما تحتوي الفاكهة على نسبة كبيرة من الفيتامينات يأتي في مقدمتها فيتامين (ج) الذي يتوفر أيضاً في الخضراوات ولكنه في الفاكهة يكون محفوظاً بطريقة أفضل بالإضافة إلى أن معظم أنواع الفاكهة يمكن تناولها طازجة على عكس الخضراوات مما يساعد على احتفاظها بفائدتها من الفيتامينات، خاصة وأنه من المعروف أن الطهي يقتل فيتامين (ج) .

ويكثر فيتامين (ج) في معظم أنواع الفاكهة خاصة البرتقال واليوسفي والجريب فروت والليمون والفراولة والكمثرى والتفاح والعب، وهو متوفر أيضاً في عصائر الفواكه ولكن بالنسبة للعصير المحفوظ في علب فيفضل أن لا يخزن لفترة طويلة حتى لا يقضي على فيتامين (ج) .

محتويات الفاكهة:

تحتوي الفاكهة أيضاً على نسبة كبيرة من الأملاح المعدنية وأهمها البوتاسيوم والكالسيوم والحديد، والمعروف أن الكالسيوم الموجود في منتجات الألبان يمكن أن يستبدل في الصيف بالفاكهة والعصير لأن منتجات الألبان تكون دسمة وغير مفضلة في الصيف .

وقد وجد الخبراء أن الأطفال يكثرون من تناول الفاكهة في فصل الصيف بكميات تكاد تكفي حاجتهم منها، فالمفروض أن يتناول الطفل حوالي ٨ غرامات فاكهة في الوجبة الغذائية الواحدة وهو أمر نادراً ما يحدث .

وتساءل بعض الأمهات عن قشر الفاكهة وهل هو مفيد للطفل أم يفضل تقشير الفاكهة قبل تقديمها له؟ يقول المتخصصون: إن قشرة الفاكهة ليست مزودة بصفات غذائية خاصة، ولا يعرفون بالضبط كمية الفيتامينات التي تحتوي عليها بالمقارنة بالثمرة نفسها، ولكن من المعروف أنها تحتوي على نسبة كبيرة من السليولوز وألياف لا يهضمها الجسم بسهولة ولكنها تساعد على التخلص من الفضلات ومن هنا فهي مهمة وضرورية للجسم .

القطام وما هو شكله الأمثل؟

فإن قرب قطام المولود أخذ بالتدرج دون العجلة فإن العجلة تضره، ويكون ذلك عند اعتدال الجو بين البرد والحر^(١)، ولا يهتم بكثرة بكائه وطلبه للرضاعة إذا رأى الوالد قطامه؛ لأن البكاء فيه منفعة له، فيقوي الأعصاب، ويوسع مجاري النفس، وينفع الدماغ، إلى جانب فوائد أخرى ذكرها الأطباء^(٢)، فيستمر في قطامه بالتدرج مراعيًا نفسيته، ومحبيًا إليه أنواع الأطعمة الأخرى.

واحدروا الآتي عند القطام:

* فالصغير يتأثر في مراحل عمره كالشباب وما بعدها بطريقة القطام، وبعض النساء يقمن بأمر لا يطيقها جبل كوضع (الصبر) وهو أحد نباتات العطارة التي لا يطيق مراتها أحدٌ كبير أو صغير.

* أو تذهب الأم بصغيرها لأنها فتتركه بعيداً عنها مدة طويلة فيؤثر ذلك على العلاقة بينها وبينه.

* كما أن بعض الأمهات يؤخرن القطام إلى سن متقدمة فيشب كسولاً متخاذلاً.

* وبعضهن تحرم الصغير من الطعام فترة طويلة وهذا كله خطأ.

إن الشدة في القطام تورث عنفاً وقسوة، كما أن تركه والتمادي فيه يؤثر سلباً في نفسية الصغير ليشب متواكلاً لا يعتمد عليه والأولى هو التدرج والإعداد لمرحلة القطام قبل حدوثه ببضعة أشهر ليسهل الأمر، ولنحافظ على صغارنا من مرضي: التواكل والقسوة.

وهذا برنامج وضعه الأطباء ليكون القطام سليماً ومناسباً:

(١) تحفة المودود (ص ١٦٨).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٤٠).

نظام الفطام

[لا تضاعف أكلات جديدة أثناء شهور الصيف أو التسنين أو المرض]

[لا تضاعف أكلات جديدة أثناء شهور الصيف أو التسنين أو المرض]

تحذير نبوي!!

عن أم قيس بنت محصن أنها أتت رسول الله ﷺ بابتها لها لم يبلغ أن يأكل الطعام، وقد أعلقت عليه من العذرة قالت: فقال رسول الله ﷺ: «علام تذرُن أولادك بهذا الإعلاق؟ عليكم بالعود الهندي؛ فإن فيه سبعة أشفية منها ذات الجنب...» الحديث (١).

شرح الحديث:

أعلقت: الإعلاق هو: معالجة عذرة الصبي، وهي الوجع أو الألم أو الورم الذي يكون في حلقة، تدفعه الأم بالضغط عليه بأصابعها، وقيل: قرحة تخرج في الخرم الذي بين الأنف والحنك تعرض للصبيان، فتعتمد المرأة إلى خرقه فتفتلها فتلاً شديداً وتدخلها في أنفه، فتطعن ذلك الموضع فينفجر منه دم أسود، وربما أقرحه، وذلك الطعن يسمى: الذغر، يقال: ذغرت المرأة الصبي؛ إذا غمزت حلقة من العذرة (٢). وتذغرن: تضغطن باليد على مكان الألم.

العود الهندي: الكُسْب البحري وهو عود يُجعل في البخور والدواء.

ذات الجنب: السل، ذبول الجسم، أو قرحة في البطن (٣).

والحديث هنا يحمل تحذيراً من النبي ﷺ للأباء والأمهات بعدم تعذيب الصغار بأساليب طبية قاسية في وجود البديل الذي يتوافر فيه الرفق، فكيف بمن تعمل على فطام الصغير بوسائل تشبه وسائل تعذيب الجواسيس والخونة؟!

إن الصغار على قدر صغر عقولهم، على قدر ما يؤثر فيهم ما يلقيه في هذه السن المبكرة حتى إنه - كما أثبت علماء النفس - يظل الأثر ملازماً للصغير عمره كله، فإذا ما ذهب إلى طبيب نفسي للعلاج كان أول سؤال للطبيب: هل تتذكر كيف فُطمت؟! وهذا دليل قوي على مصاحبة أثر الفطام (سلبياً أو إيجابياً) للمرأة طيلة حياته، فليكن بالرفق فإن الرفق ما كان في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه.

(١) صحيح البخاري (٥٦٩٢)، مسلم (٢٢١٤) في السلام والرواية له.

(٢) من النهاية لابن الأثير.

(٣) فتح الباري (١٠/١٤٨، ١٤٩)، وشرح النووي على مسلم.

(٢) تجنب قتل الصغير

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ (الأنعام: ١٥١). أي: من خوف الفقر. وقد صرح بذكر الخوف في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ (الإسراء: ٣١). والمراد منه النهي عن الواد؛ إذ كانوا يدفنون البنات أحياء بعضهم للغيرة وبعضهم خوف الفقر وهو السبب الغالب فيمن تعالى فساد هذه العلة بقوله: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (الأنعام: ١٥١). لأنه تعالى إذا كان متكفلاً برزق الوالد والولد فكما وجب على الوالدين تبقيّة النفس والاتكال في رزقها على الله فكذلك القول في حال الولد^(١).

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم...»^(٢)

وعن عبد الله رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك». قلت: إن ذلك لعظيم. قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك...»^(٣)

هذا إذن هو السبب الرئيسي والأساسي في قتل الأولاد كما ذكره القرآن الكريم، وكما وضحه النبي ﷺ أنه: خشية الفقر والعيلة، وإن كان زماننا لا يخلو من أشكال كثيرة وهيئات عديدة للقتل، فإهمال الأم لولدها لانشغالها بالزينة قتلٌ، وإهمال الأم لولدها فترة طويلة بسبب خروجها للعمل قتل للصغير، وهجران الأب لبيته وكفه عن الإنفاق للانشغال بملذاته قتل للصغار، وتصاعد الخلافات الزوجية بين الرجل والمرأة قتل للصغار، وإلقاء الصغار بين يدي المربيات الأجنبية قتل للصغار.

وأذكر أنني عاشرت مشكلة كان لها أكبر الأثر في تشديدي تجاه الزواج بالمرأة

(١) تفسير الفخر الرازي (٢٤٥/١٣).

(٢) صحيح: البخاري (١٨) في الإيمان، مسلم (٤١/١٧٠٩) في الإمارة.

(٣) صحيح: البخاري (٧٥٢٠)، مسلم (٨٦/١٤١) في الإيمان.

العاملة، فقد حدث أن أحد أصدقائي تزوج بطبيبة أسنان، ثم أنجبت توأماً (ولداً وبنثاً) وكانت الكارثة!! كان قد تزوجها وهي في السنة الأخيرة من دراستها فلم يتم الحمل الأول قبل التوأم بسبب خروجها المتكرر وعدم استطاعتها التغيب عن دراستها، ثم تخرجت بعد الإنجاب وكانت مضطرة للعمل فترتين، وللسفر إلى بلد مجاورة كل يوم، وبدأت مظاهر الإهمال تبدو واضحة على الصغار، فالتوأم أصابهما بعض البثور والحبوب لنقص الكالسيوم!! كما أن الأم الطيبة كانت تأتي لتجلس أمام التلفاز أو لتأدية بعض واجباتها الزوجية على مضض ثم تنام ويكي صغارها حتى يَبُح الصوت منهم، وحتى يعلو برازهم وبولهم فوق الغطاء!! وكم من مرة صبحا الجيران وهي جثة هامدة من فرط التعب!! وحتى الاستيقاظ مبكراً من أجل العناية بصغارها قبل سفرها اليومي كانت تهمله، وبهذا اشتعلت النيران في العش الهادئ بأفراخه، ولن أسمى هذا إلا بـ (القتل إهمالاً).

فهذه صورة متكررة من البلاء على هيئات عدة في بيوتات مختلفة فليحذر الذين يقعون فيها.

إن البهائم والطيور على الرغم من تسخيرها لا تلقي بصغارها بعيداً عن حظائرها أو أوكارها وأعشاشها بل تعمل الأمهات من البهائم والطيور والسباع على الدفاع عن صغارها وجلب الطعام لها ولو كلفها ذلك عمرها، فكيف تتخلى الأم صاحبة العقل والإدراك عن صغارها فتقتلهم صغاراً بقتل الرحمة والشفقة في قلبها تجاه هؤلاء الصغار.



(٣) الإنفاق على الصغير

النفقة عليه:

عن ثوبان بن بجدد مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله»^(١). قال أبو قلابة: وبدأ بالعيال ثم قال: «وأي رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عيال صغار يعفهم أو ينفعهم الله به ويغنيهم»^(٢)

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله هل لي في بني أبي سلمة أنفق عليهم ولست بتاركتهم هكذا وهكذا إنما هم بني؟ فقال: نعم، لك فيهم أجر ما أنفقت عليهم»^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول...»^(٤).

وعن وهب بن جابر قال: أتى رجل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إني أريد أن أقيم هذا الشهر هاهنا عند بيت المقدس. فقال: أتركت لأهلك ما يقوتهم؟ قال: لا. قال: فارجع فاترك لهم ما يقوتهم فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت»^(٥).

ومن أجل الولد حضت السنة على الإنفاق على أمه حتى تكتمل رعايتها له فضررها يتعدى إلى الولد، فعن أبي مسعود البصري رضي الله عنه عن النبي ﷺ

(١) أخرجه مسلم في الزكاة باب فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم (٢/٦٩٢) (٣٨/٩٩٤)، والترمذي (٦/١٠٠) (٣٢٢/٢)، وابن ماجه (٢/٩٢٢) (٢٧٦٠)، وأحمد (٢/٤٧٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢/٦٩٢) (٣٨/٩٩٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣/٣٨٥) (١٤٦٧)، ومسلم في الزكاة باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد (٢/٦٩٥) (٤٧/١٠٠١)، والبخاري في شرح السنة (٦/١٨٥) (١٦٧٩).

(٤) أخرجه البخاري رقم (١٤٢٧)، ومسلم (١٠٣٤).

(٥) أخرجه مسلم (٩٩٦)، وأحمد (٢/١٦٠).

قال: «إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة»^(١)

وعن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة، وما أطعمت زوجك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة»^(٢).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «تقول المرأة: إما أن تطعمني وإما أن تطلقني. ويقول العبد: أطعمني واستعملني. ويقول الابن: أطعمني، إلى من تدعني؟»^(٣).

وما قيل في الرضاع من مال طيب، يقال هنا أيضاً، فإن كل ما نبت من سحت مصيره وماله النار، وكثير من الآباء يغفل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٣٣). فكأنما ختم على قلوبهم، أحد الآباء طيلة اليوم لا تراه إلا جالساً على المقهى ينفق ماله على ما يعرف بـ (المزاج والكيف)، وبالنهار تراه ممدداً على سريريه كأنه أشل!!

وبعض الآباء لا شيء في أذهانهم فلا يتكلف مشقة البحث عن العمل حتى!! وآخر سلك طريق المخدرات والخمور وهذا طريق الهلاك بعينه.

وهناك من تزوج بأخرى تاركاً أبناءه وزوجته ليتلذذ بالأخرى على الفرش، ولا يفهم هنا أننا ضد الزواج بأخرى، بل ضد تفضيل واحدة على الثانية.

وهناك من اتخذ رفيقة يأوي إليها وتأوي إليه فضاع المال والعرض.

وهناك من يأمر الزوجة أن تخرج للعمل ويلزمها بإعطائه مالا لينفق منه.

وهذه أخرى توفي زوجها فتركها أولياء الزوج بلا نفقة حتى اضطرت إلى بيع عرضها، ونفسها، أو التسول، وكفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت.

(١) أخرجه البخاري (٤٣٧/٩) (٥٣٥١)، مسلم في الزكاة (٦٩٥/٢) (١٠٠٢/٤٨)، والنسائي (٣٥٣/١)، والطيالسي (ص ٨٦).

(٢) أخرجه أحمد (١٣١/٤)، وقال الهيثمي في المجمع (١١٩/٤): رواه أحمد ورجاله ثقات، وأيضاً قال المنذري في الترغيب (٨٠/٣) رواه أحمد بإسناد جيد والبيهقي في السنن الكبرى (١٧٩/٤)، والحلية لأبي نعيم (٣٠٩/٩).

(٣) أخرجه البخاري (٤١٠/٩) (٥٣٥٥) موقوفاً، وأحمد (١٦٢/١٣)، ١٦٣ شاكراً رقم (٧٤٢٣).

يقول ابن قدامة المقدسي رحمه الله: «كفالة الطفل وحضائه واجبة؛ لأنه يهلك بتركه، فيجب حفظه عن الهلاك، كما يجب الإنفاق عليه وإنجاؤه من المهالك»^(١).



(٤) مداواة الصغير إذا مرض

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الداء والدواء فتداؤوا ولا تداؤوا بحرام»^(٢). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً»^(٣).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل لم ينزل داءً إلا وأنزل له شفاء، علمه من علمه وجهله من جهله»^(٤).

وعن رجل من الأنصار قال: عاد رسول الله ﷺ رجلاً به جرح فقال رسول الله ﷺ: «ادع له طبيب بني فلان». قال: فدعوه فجاءه فقالوا: يا رسول الله ويغني الدواء شيئاً؟ فقال: «سبحان الله وهل أنزل الله تبارك وتعالى من داء في الأرض إلا جعل له شفاءً؟!»^(٥).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل النبي ﷺ فسمع صوت صبي يبكي فقال: «ما لصبيكم هذا يبكي؟ فهلا استرقيتم له من العين؟»^(٦).

(١) المغني (٢٣٧/٨) لابن قدامة المقدسي.

(٢) أخرجه الطبراني كما في المجمع (٨٦/٥)، وقال الهيثمي رجاله ثقات، والدولابي في الكنى (٣٨/٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٤١/١٠) (٥٦٧٨)، وابن ماجه (١١٣٨/٢) (٣٤٣٩)، والبغوي في شرح السنة (١٣٨/١٢) (٣٢٢٥).

(٤) أخرجه أحمد (٣٧٧/١)، وابن ماجه (١١٣٨/٢) (٣٤٣٨)، وصححه البوصيري في الزوائد والحاكم (٣٩٩/٤) وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني كما في المجمع (٨٤/٥) وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني ورجال الطبراني ثقات.

(٥) أخرجه أحمد (٣٧١/٥)، وأورده الهيثمي في المجمع (٨٤/٥) وقال: رواه أحمد ورجال رجال

الصحيح.

(٦) أخرجه أحمد (٧٢/٦).

وفي الأحاديث الأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل كما لا ينافية دفع داء الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله تعالى مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا وأن تعطيلها يقدر في نفس التوكل كما يقدر في الأمر والحكمة، ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى في التوكل، فإن تركها عجزًا ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه ودفع ما يضره في دينه ودنياه (١).



(٥) وقاية الصغار من الأذى

والأذى ينقسم إلى قسمين: أذى معنوي وهو الناتج عن الحسد أو المس، والأذى المادي الناتج عن المرض العضوي والذي تظهر أعراضه وتجب مداواته.

(١) الحفاظ على الصغير من الأذى المعنوي:

وهذا يكون بأمرين:

الأول: الرقية الشرعية: ومنها: قراءة سورة الإخلاص والمعوذات (٢).

ومنها: قراءة آية الكرسي.

ومنها: حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يُعوذُ الحسن والحسين، ويقول: «إن أباكما - يعني إبراهيم عليه السلام - كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة» (٣).

وكلمات الله: كلامه سبحانه كله.

والشيطان: يدخل تحته شياطين الإنس والجن.

وهامة: واحدة الهوام ذوات السموم.

(١) من كلام ابن قيم الجوزية (١٥/٤) في زاد المعاد.

(٢) صحيح: البخاري (٦٢/٩)، مسلم (١٨٣/١٤) من حديث عائشة.

(٣) صحيح: البخاري (٣٣٧١) في أحاديث الأنبياء.

عين لامة: كل داءٍ وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل^(١).

ومنها قوله ﷺ: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»

ومنها قوله ﷺ: «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم»^(٢). وقد سبق تعويد أم مريم لابنتها عند الولادة. ومنها قراءة سورة البقرة.

الثاني: حبس الصغار عند جنح الليل: أي: عند دخول الليل.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان جنح الليل فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم»^(٣). وفي رواية: «فإن للجن انتشاراً وخطفة»^(٤)
وجنح الليل: إقبال الليل بعد غروب الشمس، فينبغي حبس الصغار في هذه الساعة حتى لا يصاب الصغير بسوء.

(٢) الحفاظ على الصغار من الضرر المادي:

نقصد بذلك وقايتهم من الأمراض التي يمكن أن يتعرضوا لها بسبب إهمالهم وتضييعهم.

١- تنظيف الصغار: قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣١، ٣٢). وخاطب الله تعالى نبيه ﷺ فقال: ﴿وَيَايَكَ فَطَهِّرْ﴾ (المدثر: ٤).

وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «إن الله جميل يحب الجمال»^(٥). فالمحافظة على الصغار نظافة ووقاية من الشرع الذي جاء لحفظ

(١) فتح الباري (٦/ ٤١٠) لابن حجر رحمه الله.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود.

(٣) صحيح: البخاري (٣٣٠٤)، مسلم (٩٧/٢٠١٢) في الأشربة.

(٤) صحيح: أحمد (٣/ ٣٨٨).

(٥) صحيح: مسلم (٩١) في الإيمان.

النسل والعقل والنفس والدين والمال.

يقول الشنيطي رحمه الله: «حفظ النفس وحاصله في ثلاثة معانٍ وهي: إقامة أصله بشرعية التناسل، وحفظ بقائه بعد خروجه من العدم إلى الوجود من جهة المأكّل والمشرب وذلك ما يحفظه من الداخل، والملبس والسكن وذلك ما يحفظه من خارج، وحفظ ما يتغذى به أن يكون مما لا يضر أو يقتل أو يفسد»^(١).

وقد حرم الله تعالى إضاعة الأموال والأولاد، ومن صور تضييع الصغار أن تراهم مهملين متسخي الجسد والملبس قد سال اللعاب منه، أو لصقت بولته أو عذرتة بجسده وملابسه، مما سيسارع بتجمع الحشرات حوله، ودخول الجراثيم إلى جسده.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أراد النبي ﷺ أن ينحي مخاط أسامة - يعني ابن زيد - قالت عائشة: حتى أكون أنا الذي أفعل. قال: «يا عائشة أحبيه فإنني أحبه»^(٢). وفي رواية أخرى: عثر أسامة بعثة الباب فشج في وجهه، فقال لي رسول الله ﷺ: «أميطي عنه الأذى». فقذرتة، فجعل يمص الدم ويمجّه^(٣) عن وجهه ويقول: «لو كان أسامة جارية لكسوته وحلبته حتى أنفق»^(٤).

فهذه صورة من صور حفاظه ﷺ على الصغار ونظافتهم حتى لا يكون أحدهم عرضة للمرض، إضافة إلى أن الصغير ببراءته لا يعي النظافة من غيرها، فإذا شب على وجود الوسخ والقذر دون إماطته عنه فقد أهدينا للمجتمع نفساً خبيثة، ومعلوم أثر القذارة المادية على القذارة المعنوية، فقلّ أن تجد رجلاً متسخ الملابس مهمل النظافة بإرادته إلا وهو يحب الخبائث الأخرى من كل ما حرمه الله تعالى.

(٢) حفظ الصغار من حرارة الشمس:

عن فاطمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أتاها يوماً فقال: «أين ابناي؟». فقالت: ذهب بهما علي. فتوجه رسول الله ﷺ فوجدهما يلعبان في مشربة وبين

(١) الموافقات (٤/٢٧، ٢٨) للشنيطي بإيجاز.

(٢) حسن: الترمذي (٣٨١٨) في المناقب.

(٣) يلفظه.

(٤) صحيح: أحمد (٦/١٣٩) في المسند.

أيديهما فضل من تمر فقال: «يا علي ألا تقلب ابني قبل الحر»^(١)

(٣) تغطية أواني الطعام وإغلاق الأبواب:

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «غطوا الإناء، وأوكروا السقاء، وأغلقوا الأبواب وأطفئوا السراج فإن الشيطان لا يحل سقاء ولا يفتح باباً ولا يكشف إناءً، فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرض على إنائه عوداً ويذكر اسم الله فليفعل، فإن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيتهم»^(٢). وفي رواية: «فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء»^(٣) ومن فوائد الحديث:

الأولى: صيانتة من الشيطان. والثانية: صيانتة من الوباء الذي ينزل في ليلة من السنة. والثالثة: صيانتة من النجاسة. والمقدرات. والرابعة: صيانتة من الحشرات والهوام فربما وقع شيء منها فيه فشربه وهو غافل أو في الليل فيتضرر به^(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت فأة فأخذت تجر الفتيلة، فذهبت الجارية تزجرها فقال نبي الله ﷺ: «دعيها». فجاءت بها فالتقتها بين يدي رسول الله ﷺ على الخمرة^(٥) التي كان عليها قاعداً فأحرقت منها مثل موضع الدرهم فقال ﷺ: «إذا نتم فأطفئوا سرجكم فإن الشيطان يدل مثل هذه على هذا فيحرقكم»^(٦).

(١) رواه الحاكم (١٦٥/٣) في المستدرک وقال: رجالهم كلهم أشرف ثقات، والمشرية: ما يشرب منه.
(٢) أخرجه مسلم في الأشربة باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق الأبواب وذكر اسم الله عليها وإطفاء السراج والنار عند النوم وكف الصبيان بعد المغرب (١٥٩٤/٣) (٢٠١٢/٩٦)، وابن ماجه (١١٢٩/٢) (٣٤١٠)، وأحمد (٣٥٥/٣)، وقوله أوكروا: أي شددوا رءوسها بالكواء وهو الخيط الذي تشد به القرية ونحوها وتضرم: تحرق سريعاً - النووي في شرح مسلم بتصرف (١٨٣/١٣). والفويسقة: الفأرة، لسان العرب (٣٤١٤).

(٣) أخرجه مسلم في الأشربة (١٥٩٦/٣) (٢٠٢٤/٩٩) والوباء: مرض عام يفضي إلى الموت غالباً - النووي.

(٤) شرح مسلم بتصرف (١٨٣/١٣).

(٥) الخمرة: حصير صغير لسان العرب (ص ١٢٦١).

(٦) أخرجه أبو داود (٤٠٨/٥) (٥٢٤٧)، وابن حبان برقم (١٩٩٧)، والحاكم (٢٨٤/٤)، وصححه ووافقه الذهبي وأورده التبريزي في المشكاة برقم (٤٣٠٣).

(٤) تعويده على الغسل والنظافة:

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام؛ يغسل رأسه وجسده»^(١)

(٥) تعويد الصغير على الطيب:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من عرض عليه طيب فلا يردّه، فإنه طيب الريح خفيف الحمل»^(٢)

ومن فوائد الطيب أنه ينفع الدماغ والقلب وسائر الأعضاء الباطنية ويسر النفس ويسط الروح، زد على ذلك أن الملائكة تحبه، والشياطين تنفر عنه، وأحب شيء إلى الشياطين الرائحة المنتنة الكريهة، فالأرواح الطيبة تحب الرائحة الطيبة، والأرواح الخبيثة تحب الرائحة الخبيثة، وكل روح تميل إلى ما يناسبها^(٣).

هذا بالإضافة إلى الأخذ بالأسباب التي يسرها الله تعالى الآن بالطب والدواء كالتطعيمات واللقاحات والأمصال الواقية من الأمراض، فإهمالها من الجناية على الولد، وفي الحديث عن طارق المحاربي رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «لا تجني أمّ على ولد - مرتين»^(٤)

فإذا ما سبق القدر ومرض الصغير فعليك بأمرين:

- الإلحاح على الله في الدعاء.

- الأخذ بالأسباب ومداواته كما سبق.

وسوف يكون في آخر الكتاب إن شاء الله ملحق طبي كامل عن كيفية الوقاية والعناية والمداواة للصغار.



(١) رواه البخاري (٨٨٩) في الجمعة، مسلم (٩/٨٤٩) في الجمعة.

(٢) صحيح: مسلم (٢٠/٢٢٥٣) في الألفاظ من الأدب.

(٣) زاد المعاد (٢٧٨/٤) وما بعدها بتصرف.

(٤) صحيح: ابن ماجه (٢٦٧٠) وقال البوصيري: رجاله ثقات وإسناده صحيح.

(٦) حضانة الصغير

الحضانة لغة: من حضن أي: ضم الشيء إلى نفسه. فيقال: حضن الطائر بيضه: ضمه إلى نفسه تحت جناحه، وكذلك المرأة إذا حضنت ولدها. والحاضن والحاضنة: الموكلان بالصبي يحفظانه ويربانه^(١).

وقيل: الحاضن بكسر الحاء: هو ما دون الإبط إلى الكشح والصدر، أو العضدان وما بينهما، وجانب الشيء أو ناحيته^(٢).
والحضانة شرعاً هي: حفظ من لا يستقل بأمره وتربيته ووقايته عملاً يهلكه أو يضره^(٣).

والحضانة حق للأم إذ لها الحق في حضانة ولدها إن أراد الأب انتزاعه منها، والدليل على ذلك حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن امرأة قالت: يا رسول الله إن ابني كان بطني له وعاءً، وثديي له سقاءً، وحجري له حواءً، وإن أباه طلقني وأراد أن ينزعه مني. فقال لها رسول الله ﷺ: «أنت أحقُّ به ما لم تنكحي»^(٤).
وقد جعل الشرع الحضانة للأم أولاً:

- * لأن طبيعتها تؤهلها لذلك كالرضاع من الثدي، والحنان الذي يفوق الرجال.
 - * ولتفرغ المرأة وانشغال الرجل بطلب المعاش والأرزاق.
 - * هذا مستقر في الفطر السليمة جميعاً فأقره الإسلام.
- وحكم الحضانة: أنه واجب؛ لأن في تركه إهلاك للصغير. وعلى هذا يترتب التالي:
- (١) عدم إجبار الحاضنة على الحضانة إذا لم تتعين عليها؛ لأن الحضانة حقها، ولا ضرر على الصغير لوجود غيرها من المحارم.

(١) لسان العرب (١٢٣/١٣) لابن منظور.

(٢) سبل السلام (٣/٣١٥) ط - دار الفجر للتراث.

(٣) السابق نفسه.

(٤) حسن: أبو داود (٢٢٧٦) في الطلاق، أحمد (١٨٢/٢) في المسند وحسنه الألباني.

- (٢) وإنما تجبر في عدم وجود غيرها لحضانة الصغير.
- (٣) لا يصح للأب انتزاع الصغير من أمه إلا لمسوغ شرعي (كزنا الأم وسوء أخلاقها، أو مرضها مرضاً مُعدياً، أو ثبوت خيانتها أو ردتها) وغير هذه الأعذار.
- (٤) وكما قلنا: الأم هي الأحق بالحضانة إن لم يكن قد تزوجت.
- ولكن: هل يمكن للأم أن تحضن الصغير وهي متزوجة؟
- نعم هذا حق لأن أم سلمة رضي الله عنها كانت حاضنة لأولاد أبي سلمة بعد وفاته في بيت النبي ﷺ، ولأن أم سليم حضنت أنس بن مالك رضي الله عنه وهي متزوجة من أبي طلحة رضي الله عنه^(١).
- لكن: إذا كانت الأم مهملة تريد إغاطة الأب بإهمال ولده لم يجز لها حق الرضاعة، بل يسقط عنها.
- شروط الحضانة:

- (١، ٢) العقل والبلوغ، وعند انتفاء العقل يسقط الحق لقولهم: «إذا ذهب ما وهب سقط ما وجب». وغير العاقل يحتاج إلى رعاية وحضانة.
- (٣) الإسلام، فإذا اختلف الدين، فكانت الأم كافرة والوالد مسلماً فلا حضانة لها على صغيره؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (النساء: ١٤١). واستقر التشريع الإسلامي على أن الولد مع المسلم من الأبوين.
- (٤) القدرة على التربية، فهناك مريضة أو كفيفة لا تستطيع حضانة فيسقط حقها.
- (٥) عدم نكاح المرأة، وقد تحدثنا في هذا.
- (٦) العدالة وعدم الفسق كالمجاهرة بالمنكر أو احتراف مهنة الزنا والرقص.
- (٧) الحرية^(٢).

من الأحق بالحضانة بعد الأم؟

هذه القضية محل خلاف بين العلماء، والسبب في ذلك عدم وجود النص

(١) سبل السلام (٣/٣١٦) ط - دار الفجر.

(٢) هذه الشروط السبعة انظرها في صحيح فقه السنة (٣/٤١٩)، وسبل السلام (٣/٣٣٠).

الصريح في هذه المسألة، وهذه هي ترتيبات الحضانة كما ذكرها ابن قدامة^(١):

(١) عند المالكية: الأم، ثم الجدة للأم، ثم الخالة، ثم الجدة للأب وإن علت، ثم الأخت، ثم العمّة، ثم ابنة الأخ، ثم للوصي، ثم للأفضل من العصبية.

(٢) عند الأحناف: الأم، ثم أم الأم، ثم أم الأب، ثم الأخوات، ثم الخالات، ثم بنات الأخت، ثم بنات الأخ، ثم العمات، ثم العصباء بترتيب الإرث.

(٣) وعند الشافعية: الأم، ثم أم الأم، ثم أم الأب، ثم الأخوات، ثم الخالات، ثم بنات الأخ وبنات الأخت، ثم العمات، ثم لكل ذي محرم وارث من العصباء على ترتيب الإرث. قلت: وهذا فيه موافقة للأحناف.

(٤) وقال الحنابلة: الأم، ثم أم الأم، ثم أم الأب، ثم الجد، ثم أمهاته، ثم الأخت لأبوين، ثم الأخت لأم، ثم لأب، ثم خاله للأبوين، ثم لأم، ثم لأب، ثم عمّة، ثم خالة أم، ثم خالة أب، ثم عمته، ثم بنت أخ، ثم بنت عم أب، ثم باقي العصبية الأقرب فالأقرب.

ولكن: كما ترى قدمت النساء، ثم الخالات تحديداً لقوله ﷺ: «الخالة بمنزلة الأم»^(٢). وذلك في معرض نزاع علي وجعفر في ابنة حمزة، وكانت خالة ابنة حمزة تحت جعفر، ففضى النبي ﷺ له بها.

ماذا يحدث بعد انتهاء مدة الحضانة؟

يحدث أمرٌ من اثنين عند التنازع في الصبي:

الأول: اللجوء إلى القاضي للتحديد.

الثاني: التخيير بين الأب والأم، ودليل هذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن زوجي يريد أن يذهب بابني وقد سقاني من بئر أبي عتبة. فقال ﷺ: «استهما^(٣) عليه». فقال زوجها: من

(١) المغني (٣٢٩/١٠) وما بعدها.

(٢) صحيح: البخاري (٤٢٥١) عن البراء رضي الله عنه.

(٣) استهما: اقترعا - أي: أجريا القرعة.

يحقني^(١) في ولدي؟! فقال النبي ﷺ: «هذا أبوك، وهذه أمك، فخذ بيد أيهما شئت». فآخذ بيد أمه، فانطلقت به^(٢).

وهذا الحديث الترجيح فيه التخيير مع أنه ﷺ بدأ بالقرعة، لكن فعل الصحابة وما جرى عليه العمل بعد ذلك التخيير، اختصم إلى عمر رضي الله عنه في صبي، فقال: هو مع أمه حتى يُعرب عنه لسانه فيختار^(٣).

أمّا بالنسبة للصغيرة: فإنها تبقى مع أحد الأبوين، وإن كان الشافعي قد رجَّح تخييرها.

تنبيه: جرت القوانين الحديثة على أن الحضانة حق ملزم للأم قبل بلوغ الصغار، ولها الحق في العودة عن تنازلها وهذا موافق للشرع بإذن الله.

وبعد: فقد تعمدت الحديث هنا عن الحضانة، إذ أن في عصرنا يبرز من المشاكل ما يجعل الصغار ضحايا لخلافات الآباء والأمهات، فإن وقوع الخلاف والشقاق بين الأبوين يجعلهما يتجهان إلى الصغير لتصفية الحسابات بعد عجز أحدهما عن أخذ حقه من الآخر، فيعمد الأب إلى إهمال الصغار وإلقائهم للأم، التي بدافع الكبرياء والعناد تفعل نفس الشيء، ولا تبقى إلا أنات الصغار ترن في الأذان كسياط تلهب القلوب قبل الظهور، بينما الكبار قد رأوا الانتقام في شخص الصغار، وقد أعيت الحماقة من يداويها.



(١) يحاقني: يخاصمني.

(٢) صحيح: أبو داود (٢٢٧٧)، في الطلاق، الترمذي (١٣٥٧) في الأحكام.

(٣) صحيح: عبد الرزاق (٢٦٠٦) في المصنف، وسبل السلام (٣/٣١٦).

(٧) ملاعبة الصغار والإحسان إليهم ورحمتهم

صور من حياة النبي ﷺ مع الصغار:

لا شك أن براءة الصغار الناطقة في عيونهم تجبر المرء على مداعبة هذه القلوب الصغيرة التي لا تعرف معروفاً ولا تنكر منكراً؛ بل تبسم للحياة ابتسامة رقيقة شفافة من وراء ستر الطفولة، وإذا كان النبي ﷺ رحمة للعالمين كما ذكر الله تعالى في حقه إذ قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧). فهو ﷺ أرحم الناس بالعيال، وهو القائل عن نفسه: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهِدَةٌ»^(١). لقد كان ﷺ ينظر إلى الصغار نظرة الفطرة السليمة إليهم:

- فالصغار أعجز الناس عن العمل.

- وأعجزهم عن تحمل الضرب والأذى.

- وهم قرة العين وسوداء القلب.

ولطالما نقلت كتب الحديث والسير عنه ﷺ أنه كان كثير المداعبة للصغار بمازحهم في هيئة لا تنقص من قدره عليه السلام، ويحملهم على عاتقه، ويباردهم بابتسامته ﷺ، ويهدي إليهم.

وهذا توجيه نبوي يعلمنا فيه ﷺ كيف يتعامل مع الصغار البراء، فالصغير كلما قسوت عليه كلما كانت ردة فعله قوية، وإن لم تحنْ عليه سيُشعر نحوك بالبغض والكراهية، وسينحرف حتماً، ويتعمد إزعاجك وإدخال التعاسة بذل السعادة إلى قلبك حين يتصرف تصرفات مزعجة منحرفة لمعرفته أن هذه التصرفات تقلق والديه، وهذه حقائق لا تقبل المزايدة أبداً.

فالصغير مثلاً إذا ضربته عقاباً له على كسره إناءً، سيعود ليكسر آخر بعد فترة، ولو أهملته وتركت مداعبته وملاطفته حاول جذب انتباهك ولو بضربك أو كسر شيء هام.

(١) صحيح: الحاكم عن أبي هريرة كما في صحيح الجامع (٢٣٤٥).

ولا حجة لأحد في إهمال مداعبة الصغار بدافع العمل والانشغال الذي يجعل فجوة كبيرة بين الأبناء وآبائهم، والأمهات والأبناء، خاصة حين تكون المرأة من النساء العاملات المتفانيات في عملهن، أو النساء المتفانيات المخلصات في الاهتمام بأنفسهن على حساب الصغار، ومن هنا وجب مداعبة الصغار وملاعبتهم وإدخال السرور عليهم كما كان النبي ﷺ وصحابته يفعلون.

• النبي ﷺ أرحم الناس بالعيال:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ». قال: كان إبراهيم مسترضعاً له في عوالي المدينة فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت... فيأخذه فيقبله ثم يرجع...»^(١).

وفي الحديث بيان كريم خلقه ﷺ ورحمته للعيال والضعفاء، وفيه جواز الاسترضاع وفيه فضيلة رحمة العيال والأطفال وتقبلهم^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل معه صبي فجعل يضمه إليه فقال النبي ﷺ: «أترحمه؟». قال: نعم. قال: «فالله أرحم بك منك به وهو أرحم الراحمين»^(٣).

• النبي ﷺ والوصية بالبنات في مجتمع كان يشعر بالعار عند ولادة الأنثى:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل فلم تجد عندي شيئاً غير تمر فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرته فقال: «من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له ستراً من النار»^(٤).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك (١٨٠/٨) (٦٣) (٢٣١٦)، وأحمد (١١٢/٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٤٦٧/١) (٣٧٦).

(٢) قاله النووي في شرح مسلم (٧٦/١٥).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤٦٧/١) (٣٧٧).

(٤) صحيح: وقد سبق.

• ويعطي الصغار باكورة الثمر:

عن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أتى بباكورة الثمرة وضعها على عينيه ثم على شفتيه ثم يعطيه من يكون عنده من الصبيان»^(١).
• ويمسح على رأس الصغار:

وعنه رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يزور الأنصار فيسلم على صبيانهم ويمسح على رؤوسهم ويدعو لهم»^(٢).

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً قال: أما أنا فمسح خدي قال: فوجدت ليدته برداً أو ريحاً كأنما أخرجها من جؤنة عطار»^(٣).

وفي مسحه ﷺ الصبيان بيان حسن خلقه ورحمته للأطفال وملاطفتهم.
• ويقبل الصغار ويوصي بذلك:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً. فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يرحم لا يرحم»^(٤).
• ويتجوز في الصلاة رحمة بالصغار:

وعن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إني لأقوم إلى الصلاة أريد أن

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب باب فضل الإحسان إلى البنات (٢٠٢٧/٤) (١٤٨) (٢٦٣٠)، أخرجه الترمذي في السنن (٤١٩/٩) (٣٥١٩)، وقال: حديث حسن صحيح وفي نوادر الأصول (٥٤٩/١) الأصل السادس والستون، والدارمي (١٠٧/٢)، والطبراني في الكبير والصغير كما في المجمع (٣٩/٥)، وقال الهيثمي: رجاله الصغير رجال الصحيح.

(٢) أخرجه ابن حبان رقم (٢١٤٥)، وأبو نعيم في الحلية (٢٩١/٦)، والخطيب (٣٩٨/٨).

(٣) أخرجه مسلم في الفضائل باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه (١٨١٤/٤) (٢٣٢٩/٨٠) والصلاة الأولى: يعني الظهر، والولدان: الصبيان واحدهم وليد والجؤنة: هي الصف الذي فيه متاع العطار وهي سليلة مستديرة مغشاة آدمى: النووي شرح مسلم (٨٥/١٥).

(٤) صحيح: البخاري (٥٩٩٧) مسلم (٢٣١٨/٦٥).

أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجاوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه»^(١).

• ويلاعبهم بمناداتهم بأسمائهم مصغرة:

ففي حديث أنس رضي الله عنه أنه ﷺ كان يلعب زينب بنت أم سلمة، ويقول: «يا زُوَيْب، يا زُوَيْب- مراراً»^(٢).

ويلعب الصغار ويلطفهم ﷺ ويحملهم على عاتقه حتى في الصلاة:

عن يعلى بن مرة رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ ودعينا إلى طعام فإذا حسين يلعب في الطريق فأسرع النبي ﷺ أمام القوم ثم بسط يديه فجعل الغلام يفر هاهنا وهاهنا ويضاحكه النبي ﷺ حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى في رأسه ثم اعتنقه ثم قال النبي ﷺ: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، الحسين سبط من الأسباط»^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى إلينا فقال له رجل: يا رسول الله إنك تحبهما. فقال: «نعم من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني»^(٤).

وعن عبد الله بن شداد بن الهاد عن أبيه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشي، الظهر أو العصر وهو حامل أحد ابنيه الحسن أو الحسين فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه عند قدمه اليمنى فسجد رسول الله ﷺ سجدة أطالها. قال أبي: فرفعت رأسي من بين الناس فإذا رسول الله ﷺ ساجد وإذا الغلام راكب على ظهره فعدت فسجدت فلما انصرف رسول الله ﷺ قال الناس: يا رسول الله لقد

(١) صحيح: البخاري (٧٠٧).

(٢) صحيح: انظر الصحيحة (٢١٤١) للالباني.

(٣) أخرجه أحمد (١٧٢/٤)، وابن ماجه في المقدمة (٥١/١)، وقال البوصيري: إسناده حسن ورجاله ثقات والبخاري في الأدب المفرد (٤٥٩/١) (٣٤٦)، والسيوطي: الجماعة والقبيلة فراجعون إلى أصل واحد. القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٦٣٣/١).

(٤) أخرجه أحمد (٤٤٠/٢)، والحاكم (١٦٦/٣)، وصححه ووافقه الذهبي وابن ماجه في المقدمة (٥١/١) (١٤٣) الشطر الأخير منه وقال في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها، أفشيء أمرت به أو كان يوحى إليك؟ قال: «كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»^(١)

• مداعبته ﷺ لأم خالد^(٢) الصغيرة:

وها هي طفلة صغيرة يداعبها رسول الله ﷺ، أخرج البخاري^(٣) من حديث أم خالد بنت خالد رضي الله عنها قالت: أتني النبي ﷺ بشباب فيها خميسة^(٤) سوداء صغيرة، فقال: «مَنْ تَرَوْنَ أَنْ نَكْسُو هَذِهِ؟». فسكت القوم قال: «ائتوني بأم خالد». فأتني بها تُحْمَلُ فَأَخَذَ الْخَمِيصَةَ بِيَدِهِ فَالْبَسَهَا وَقَالَ: «أَبْلِي وَأَخْلَقِي». وكان فيها عِلْمٌ أَخْضَرُ أَوْ أَصْفَرُ فَقَالَ: «يَا أُمَّ خَالِدٍ، هَذَا سَنَاءٌ». وسناه بالحبشية، وعند البخاري: والسنا بلسان الحبشة: الحسن.

• النبي ﷺ يمج الماء في وجه صبي يمازحه:

فها هو صبي آخر يمج النبي ﷺ الماء في وجهه، أخرج البخاري^(٥) من حديث محمود بن الربيع رضي الله عنه قال: «عقلت من النبي ﷺ مجةً مجها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دُلُوٍّ». والمج: هو إرسال الماء من الفم، وقيل: لا يسمى مجاً إلا إن كان على بُعد، قاله الحافظ ابن حجر^(٦)، وزاد: وفعله النبي ﷺ مع محمود إما مداعبة معه، أو ليبارك عليه بها كما كان ذلك من شأنه مع أولاد الصحابة.

• النبي ﷺ يرحم الصغار ولو كانوا من طريق غير شرعي:

وعن بريدة رضي الله عنه قال: جاء ماعز بن مالك إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول

(١) أخرجه أحمد (٤٩٤/٣)، والنسائي في التطبيق (٨٢)، والحاكم (١٦٥/٣، ١٦٦)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) هذه كنيته وكانت من مهاجرة الحبشة.

(٣) البخاري (٥٨٢٣).

(٤) الخميسة ثوب من صوف أو حرير مُعَلَّم.

(٥) البخاري (حديث ٧٧).

(٦) الفتح (١/١٧٢).

الله طهرني... الحديث وفيه قال: ثم جاءته امرأة من غامد من الأزد فقالت: يا رسول الله طهرني. فقال: «وَيْحَكَ! أَرْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ». فقالت: أراك تريد أن تردني كما رددت ماعز بن مالك. قال: «وما ذاك؟». قالت: إنها حبلى من الزنا. فقال: «أنت؟». قالت: نعم. فقال لها: «حتى تضعي ما في بطنك». قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت. قال: فأتى النبي ﷺ فقال: قد وضعت الغامدية. فقال: «إِذَا لَا تَرْجُمُهَا وَنَدْعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يَرْضَعُهُ». فقام رجل من الأنصار فقال: إِلَيَّ رَضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ. قال: فرجماها.

وفي رواية أخرى عند مسلم: فجاءت الغامدية فقالت: يا رسول الله! إني قد زנית فطهرني. وإنه ردّها، فلما كان الغد قالت: يا رسول الله لِمَ تَرُدُّنِي؟ لعلك أن تردني كما رددت ماعزًا، فوالله إني لحبلى. قال: «إِمَّا لَا فَاذْهَبِي حَتَّى تَلِدِي». لما ولدت أته بالصبي في خرقه قالت: هذا قد ولدته. قال: «اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ». فلما فطمته أته بالصبي في يده كسرة خبز فقالت: هذا يا نبي الله قد فطمته، وقد أكل الطعام. فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها^(١).

«وَيَدْعُو ﷺ لِلصَّغَارِ وَيَبْرِكُ عَلَيْهِمْ:

: من حديث السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابن أختي وجعٌ. فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، ثم توضأ فشربت من وضوئه ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه - يعني خاتم النبوة - مثل زُرِّ الحجلة^(٢) - أي: كبيضة الحمامة.

«ملاعبته ﷺ أبا عمير ابن أم سليم رضي الله عنها:

وعن أنس رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقًا وكان لي أخ يقال له أبو عمير - قال: أحسبه فطيماً - وكان إذا جاء قال: «يا أبا عمير ما فعل النُّغَيْر؟». نغر كان يلعب به، فرجما حضر الصلاة وهي في بيتنا فيأمر بالبساط الذي

(١) صحيح: مسلم (١٦٩٥) في الحدود.

(٢) البخاري (حديث ٥٦٧٠)، ومسلم (حديث ٢٣٤٥).

تحت فيكنس وينضح ثم يقوم ونقوم خلفه فيصلي بنا» (١).

فوائد من حديث أبي عمير والنغير:

(١) جواز تكنية الصبي؛ لقول النبي ﷺ: «يا أبا عمير». وقد بوب لذلك البخاري باب الكنية للصبي.

(٣) جواز الممازحة وتكرير المزح وإنها إباحة سنة لا رخصة، وأن ممازحة الصبي الذي لم يُميز جائز، وتكرير رواية المزوح معه.

(٣) التلطف بالصدق صغيراً كان أو كبيراً والسؤال عن حاله وتأنيس الصبيان والتسرية عنهم.

(٤) جواز لعب الصغير بالطير، وجواز ترك الأبوين ولدهما الصغير يلعب بما أبيح له اللعب به، وجواز إنفاق المال فيما يظلم به الصغير من المباحات، وجواز إمساك الطير في القفص ما دام يطعمه ويسقيه.

(٥) مخاطبة الأطفال على قدر عقولهم (٢).

• أبو بكر رضي الله عنه والحسن بن علي رضي الله عنهما:

من حديث عقبة بن الحارث قال: «رأيت أبا بكر رضي الله عنه وحمل الحسن وهو يقول: بأبي شبيه بالنبي، ليس شبيهاً بعلي. وعلي يضحك» (٣).

• عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورحمته بالصغار:

وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بكتابة عهد لرجل قد ولاه فبينما الكاتب يكتب جاء صبي فجلس في حجر عمر فلاطفه فقال الرجل: يا أمير المؤمنين لي عشرة أولاد مثله ما دفا أحد منهم مني. قال عمر: فما ذنبي إن كان الله عز وجل نزع الرحمة من قلبك؟ وإنما يرحم الله من عباده الرحماء. ثم قال: مزق الكتاب فإنه

(١) صحيح: البخاري (٦٢٠٣) في الأدب، مسلم (٣٠ / ٢١٥٠) في الآداب والنغير: تصغير النفر، وهو طائر صغير.

(٢) الفتح (٥٨٣/١٠)، وشرح السنة (٣٤٧/١٢) للبغوي.

(٣) صحيح: البخاري (٣٧٥٠).

إذا لم يرحم أولاده فكيف يرحم الرعية^(١).
* ابن عمر والصغار:

وعن أبي عقبة قال: «مررت مع ابن عمر مرةً بالطريق، فمرَّ بغلْمَةٍ من الحبش، فرآهم يلعبون فأخرج درهمين فأعطاهم»^(٢).

إن النبي ﷺ قد نبّه على الحنان والعطف ومداعبة الصغار حين امتدح في نساء قريش حنوهن على الصغار ورحمتهم بهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خير نساء ركن الإبل صالح نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده»^(٣).

* النبي ﷺ وبول الصغار:

ويبقى أنه حتى في حالة تبول الصغير على ملابس الكبير وجسده وهي حالة ينزعج لها الكثير، إذا به ﷺ يتسم ويتعامل مع الأمر بسهولة ويسر، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيبرك^(٤) عليهم ويحنكهم، فأُتي بصبي فبال عليه فدعا بماء، فأتبعه بوله ولم يغسله»^(٥).

وعن أم قيس بنت مخضن أخت عكاشة بن محصن رضي الله عنهما أنها أتت رسول الله ﷺ بابتن لها لم يأكل الطعام فوضعت في حجره، فبال، قالت: فلم يزد على أن نضح بالماء^(٦).

قلت: والرش يكفي كما قال النووي في حالة عدم أكل الصغير فإذا أكل وجب الغسل بلا خلاف.

وفي حديث أم مكرز الخزاعية قالت: «أُتي النبي ﷺ بغلام فبال عليه، فأمر به

(١) مناقب عمر (ص ١٠٤، ١٠٥) لابن الجوزي.

(٢) البخاري (١٢٩٨) في الأدب المفرد.

(٣) صحيح: البخاري (٥٠٨٢)، مسلم (٢٠٢/٢٥٢٧).

(٤) يبرك: يدعو بالبركة.

(٥) رواه البخاري (٢٢٢)، مسلم (١٠١/٢٨٦).

(٦) رواه البخاري (٢٢٣)، مسلم (١٠٢/٢٨٧).

فَنُصِّحْ، وَأُتِي بِجَارِيَةٍ فَبَالَتَ عَلَيْهِ فَأَمَرَ بِهِ فَعُغِّلَ»^(١).

فلستَ أول من تبول الصغار عليه ولن تكون آخرهم، وإذا كان هذا قد حدث للنبي ﷺ فهل تأبى أنت أن يحدث لك مثله؟ فلا تتزعج؛ إنما هي براءة الصغار، وإنما العيب على من يبولون في الشوارع بجوار الطرقات!!

وعند المصريين تعليق طريف فإذا ما تبول الصغير على الرجل قالوا: سوف تُكسى إن شاء الله، فأبشر خيراً.

إن دستورنا في هذه المسألة حديثه ﷺ عن أبي هريرة وفيه: «من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا»^(٢).



(٨) العدل بين الأولاد دون تفرقة بينهم

والعدل من صفات المؤمنين التي أمر الله تعالى بها، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء: ٥٨). وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ (النحل: ٩٠).

وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «إِنَّ الْمَقْسُطِينَ عَلَىٰ مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عِزٍّ وَجَلٍّ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، هُمُ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُّوا»^(٣).

قال النووي رحمه الله: «إن هذا الفضل إنما هو لمن عدل فيما تقلده من خلافة أو إمارة أو قضاء أو حسبة أو نظر على يتيم أو صدقة أو وقف، وفيما يلزمه من حقوق أهله وعياله ونحو ذلك والله أعلم»^(٤).

(١) صحيح: صحيح ابن ماجه (٣٠٣).

(٢) صحيح: انظر صحيح الادب المفرد حديث (٢٧١).

(٣) صحيح: مسلم (١٨٢٧) في الإمارة.

(٤) النووي (٤٢٦/٦) على شرح مسلم.

إن الله تعالى قال: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات: ٩). والعدل والقسط واحدٌ، يقول ابن منظور رحمه الله: «العدل: ما قام في النفوس أنه مستقيم وهو ضد الجور. والعدل: هو الذي لا يميل به الهوى فيجوز في الحكم، وهو الحكم بالحق»^(١).

ويقول الجرجاني رحمه الله: «العدل في الشريعة هو الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور دينه»^(٢).

ولأن الأب راعٍ في بيته وهو مسئول عن رعيته، وكذلك الأم، فهما مطالبان بالعدل بين الصغار وبعضهم البعض، حتى لا يتولد في نفوس الصغار الشعور بالفرقة بين الذكر والأنثى، أو الصغير والكبير، أو صاحب الوجه الجميل والأقل جمالاً.

يقول الدكتور بدير محمد بدير: «تحرص السنة المطهرة على ألا يولد في حس الطفل شعور بالاضطهاد والظلم، فيدمر في نفسه القاعدة التي تنبني عليها في المستقبل القيم العليا والمبادئ، لأنه يجد في أقرب الناس إليه والصقهم به - وهما الوالدان - نموذجاً سيئاً، فكيف يتعلم هو العدل، وكيف يتعلم بقية القيم والمبادئ التي يقوم عليها الإسلام؟! من أجل ذلك يوصي الرسول ﷺ بالعدل بين الإخوة، لأن شعور أي واحد منهم بوقوع الظلم عليه من والديه يفسد كيانه. والجو المنزلي المليء بالمحبة والعطف والهدوء يجعل الطفل في الغالب مطمئناً على نفسه، يبدو عليه الاستقرار والثبات، بعكس المنزل المضطرب المشحون بالمنازعات بين الآباء والأمهات، فإنه يؤدي إلى فقدان الطفل لنفسه لفقدانه اطمئنانه إلى الجو المنزلي، ولهذا رغبت السنة في التزام العدل في كل شيء»^(٣).

صور من تجافي بعض الآباء عن العدل إلى الظلم بين الأولاد:

(١) تفضيل الولد على البنت، بتدليله وحمله وشراء ما يلزمه، وتقليل ذلك

(١) لسان العرب لابن منظور (٢٨٣٨).

(٢) التعريفات (ص ١٤٧).

(٣) منهج السنة النبوية في تربية الإنسان (ص ٧٢).

بالنسبة للبنات أو إهمالها كلية.

(٢) تفضيل الولد المشابه لأبيه في شكله وصفاته على غيره.

(٣) اختصاص أحد الأبناء المتقاربين في السن بالحضانة والتدليل وإهمال ما سواه.

(٤) عقاب واحد دون الآخرين مع أن الكل أذنب.

(٥) أو عقاب الجميع لأن واحداً أذنب.

(٦) اختصاص أحد الأولاد بخير من ابتسامة وبشر، أو مال وحلوى دون الآخرين.

(٧) حب الأم لولد أو بنت، وحب الأب لآخر لخلاف بينهما، ولقرب الصغير

من أحد والديه. وصور الظلم أكثر لكن هذه بعضها.

• ملاحظة:

على أن الاهتمام بالصغير من الأبناء أمرٌ اعتاده الناس، لأن الصغير أعجز من غيره من إخوته، فيحاط بالرعاية والملاحظة، فلذا ما غار الإخوة الآخرون وجب تنبيههم أن كل صغير فعل به هكذا كما فعل بهم هم في نفس المرحلة.

ويبدو أن هذا المرض (غيرة الأطفال) مرض مستأصل في النفس البشرية، قال تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام: ﴿إِذْ قَالُوا لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف: ٨). وقد كان يوسف يومها - بإجماع المفسرين - صغيراً لا يعي شيئاً مما يدور حوله، فيجب التفطن لمعالجة هذه النقطة عن طريق ذكر ما كان الآباء والأمهات يفعلونه مع الإخوة وهم صغار، مع إفاضة الحنان عليهم أيضاً.

وقد يتنبه الأب أو الأم إلى موهبة في الصغير تجعله يفوق إخوته، كما تنبه يعقوب عليه السلام إلى أن أول مبشرات النبوة: الرؤيا الصالحة التي رآها يوسف عليه السلام فخصه ببعض العناية وهنا يضطر الوالد إلى اختصاص الموهوب من أبنائهم بعناية تفوق الآخرين مما يثير نائرة الحقد ويهيئ ثورة عارمة من بقية الإخوة، ومثل هذا أيضاً يجب التفطن إليه ومعالجته مبكراً عن طريق:

- التردد إلى بقية الصغار وتشجيعهم على استخراج مكنون مواهبهم.

- إجراء مسابقات بين الصغار في الصوت أو حفظ القرآن أو المسائل الهندسية

التي يكون فيها التفوق الملحوظ لأحد الأبناء على الآخرين.

- الإغراء والترغيب عن طريق المكافآت والتشجيع لاستخراج مواهب أخرى.

- الثناء على موهبة الصغير بصورة لا تجرح الآخرين.

- طلب معونة الآخرين في الاهتمام بالصغير الموهوب، فإذا كان حافظاً للقرآن طلبنا من الآخرين مراجعة القرآن له أو مساعدته في الحفظ ليكون الجميع شركاء في النجاح بدلاً من تدخل الشيطان لإفساد العلاقة بين الإخوة وبعضهم البعض.

• احذر فهذا مراد الشيطان:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «إن الشيطان يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه في الناس، فأقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة، يجيء أحدهم فيقول: ما زلتُ بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا. فيقول إبليس: لا والله ما صنعت شيئاً. ويجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله. قال: فيُقربه ويدنيه ويلتزمه ويقول: نعم أنت»^(١). وتُتَنقَطُ: «نعم أنت». بفتح النون بمعنى: نعم أنت ذاك الذي تستحق الإكرام. وبكسر النون: أي نعم منك^(٢).

هذا إذن ما يستغيه الشيطان ويريده: التفرقة بين المتألفين كالأخوة من دم، أو الإخوة المتحابين في الله. وقد نبّه الله تعالى على ذلك في معرض ذكر السحر في القرآن إذ قال سبحانه: «مَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ» (البقرة: ١٠٢). فالسحر يتوصل به إلى التفرقة بين الناس، وهذا هو مراد إبليس، ولذا وجب طرده بالاستعاذة بالله منه، ثم باتقاء ما يجعله نشطاً وهو الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم من العروق. فتفتت الفرصة على الشيطان بالعدل بين الصغير حتى لا يتسلل إلى قلوبهم فيملؤها حقداً كما ملأ قلوب إخوة يوسف على أخيه حقداً حتى كادوا أن يقتلوه، ثم جاءوا بحلٍّ هو بالنسبة لهم أقل من القتل لكنه لا يقل عن القتل جرماً فأبعدوه عن أبيه، فانتبه قبل أن يدهمك الشيطان بمكره ووسوسته.

(١) صحيح: مسلم (٢٨١٣) في صفات المنافقين.

(٢) البداية والنهاية (٨٥/١) لابن كثير رحمه الله.

* صور من العدل بين الأولاد في السنة المطهرة:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: «أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ». فأتى رسول الله ﷺ فقال: «إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله قال: «أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟». قال: لا. قال: «فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم». قال: فرجع فرد عطيته»^(١). وفي رواية: «أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء؟». قال: بلى. قال: «فلا إذا»^(٢). وفي رواية: «لا تشهدين على جور»^(٣).

وفي الحديث أنه ينبغي أن يسوي بين أولاده في الهبة، ويهب لكل واحد منهم مثل الآخر ولا يفضل، ويسوي بين الذكر والأنثى^(٤). وفي رواية: «اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أولادكم»^(٥).

وينبغي التزام العدالة مع الأولاد حتى في إكرامهم والإقبال عليهم والبشاشة في وجوههم، ولا فرق في ذلك بين الذكر والأنثى.

فعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً كان جالساً مع النبي ﷺ فجاء بني له فقبله وأجلسه في حجره ثم جاءت بنته فأخذها فأجلسها إلى جنبه فقال النبي ﷺ: «فما عدلت بينهما»^(٦).

(١) أخرجه البخاري في الهبة (٢٥٠/٥) (٢٥٨٧)، ومسلم في الهبة باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة (١٢٤١/٣) (١٣) (١٦٢٣)، وأبو داود في البيوع (٨١١/٣) (٣٥٤٢)، والترمذي في الأحكام باب النحل والتسوية بين الولد، والنسائي في النحل رقم (٣٧١١)، وابن ماجه في الهبات باب الرجل ينحل ولده رقم (٢٣٧٥)، وأحمد (٢٦٩/٤، ٢٧٠).

(٢) أخرجه مسلم في الهبات (١٢٤٤/٣) (١٧) (١٦٢٣).

(٣) نفسه (١٢٤٣/٣) (١٦) (١٦٢٣)، وفي رواية لابي داود: «إن لهم عليك من الحق أن تعدل بينهم كما أن لك عليهم من الحق أن يبروك»، أبو داود في البيوع (٨١٢/٣) (٣٥٤٢).

(٤) قاله النووي في شرح مسلم (٦٦/١١).

(٥) أخرجه أبو داود في البيوع (٨١٥/٣) (٣٥٤٤)، من حديث النعمان بن بشير، والنسائي في النحل رقم (٣٧١٧)، وأحمد (٢٧٥/٤)، والبخاري في التاريخ (٧٣/١/٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٧٧/٦)، وعزاه ابن القيم في تحفة المودود (ص ٧٥) لابن حبان في صحيحه.

(٦) عزاه ابن القيم في تحفة المودود بأحكام المولود (ص ١٧٩) إلى البيهقي.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له أنثى فلم يندمها ولم يهونها ولم يؤثر ولده عليها- قال: يعني الذكور- أدخله الله الجنة»^(١).

مثال للعدل بين الصغار؛ لتلافي نمو الأحقاد بينهم:

* ربما كان الصغير حافظاً للقرآن أو لاحظ الأبوان وجود ملكة الحفظ فيه، فيُشرك الإخوة في هذا الأمر، خاصة إن كان الصغير حسن الصوت بالقراءة:

- فأحد إخوته يذهب به إلى المُحفظ.

- والآخر يعود به.

- ويطلب من الصغير تلاوة القرآن بمحضر من إخوته.

- ثم يطلب رأي الإخوة في أخيه.

- ثم يحفز الأب أولاده ليحفظوا القرآن كأخيه، ويرغبهم بالمكافآت المجزية، والتزهات والرحلات.

* وربما كان أحد الإخوة يمتلك ناصية الكتابة:

- فيطلب الأب منه كتابة مقال.

- ثم يقرأ الكاتب مقاله بمحضر من إخوته.

- ويطلب من أحدهم تصحيح الأخطاء، وإبداء الملاحظات حول الموضوع وحول طريقة الإلقاء.

- وقد يجد الأب أن أحد أبنائه يكتب والآخر يجيد الإلقاء فيعمل على تقوية هذا بذاك.

- وبالطبع سيكون هناك طفل لا يفهم هذا كله، لكن يُشركه الأب عن طريق المداعبات والملاطفات.

- وفي كل الأحوال يجازي الجميع في هذه الأُمسية بجائزة كالحلوى أو الهدايا أو المشروب أو الطعام، أو ما يروق له بحسب الضوابط الشرعية.

(١) حسن: حسنة العلامة شاکر برقم (١٩٥٧) في المسند.

(٩) آداب يجب مراعاتها مع الصغار

(١) عدم تشويه رأس الصغار بالقزع:

والقزع هو حلق رأس الصبي وترك بعض المواقع متفرقة غير محلولة تشبيهاً بقزع السحاب^(١) - السحاب المتفرق في السماء -.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ نهى عن القزع، فقال عبيد الله - أحد رواة الحديث وهو عبيد الله بن حفص - : قلت: وما القزع؟ فأشار: إذا حلق الصبي وترك هاهنا شعرة، وهاهنا، وهاهنا، فأشار لنا إلى ناصيته وجانبي رأسه^(٢).

وقال العلماء: نهى عن القزع لهذه العلة:

(١) لأنه زي الشيطان.

(٢) وقيل: زي اليهود.

(٣) وقيل: يشوه الخلقة^(٣).

ونحن نقول: إن القزع هو ما يشبه الآن القصات الحديثة التي ابتكرها المخشون والشذاذ في أوروبا وأمريكا وأطلقوا عليها أسماء * ك (الكابوريا - الكاريه - الإنجليزي) وفيها - أي: في هذه القصات - دلالة على اتجاهات معينة في الغرب وبلاد الكفر، كالإشارة إلى الشذوذ، أو الانتماء إلى فكر شركي معين، أو الميوعة والانحلال.

وقد صحَّ في الحديث عند أبي داود بالسند عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «مَنْ تشبه بقوم فهو منهم»!! وقد يعارض البعض قائلين: وهل يعي الصغار من هذا شيئاً؟! إنكم تضيقون علينا، وتحجرون الواسع، إنهم مجرد صغار!!

(١) النهاية (٥٩/٤) في غريب الحديث والاثار لابن الأثير الجزري رحمه الله.

(٢) صحيح: البخاري (٥٩٢) في اللباس، مسلم (٢١٢٠) في اللباس والزينة.

(٣) فتح الباري (٣٦٥/١٠) لابن حجر.

وأقول: إن القضية لم تعد مجرد قضية صغار أو كبار، إنها قضية: نكون أو لا نكون. نكون بإسلامنا، ولا نكون بغيره، والطامحون إلى دخول الجنة، الطامعون في ذلك ينبغي عليهم تلمس خطوات النبي ﷺ والسير عليها، وعدم الفرحة بالتشبه بالكفار الذين أعلنوا صراحة حرب الإسلام، والصبي إن لم يكن مكلفاً فإنه مستعد للتكليف، فكيف إذا كبر وشب وهو يرى نفسه في زي الكفرة والمشركين، فلا تضيق أنت الواسع على نفسك، فإنك لن تزرع شعيراً لتجني قمحاً، وإنما تضع حبات القمح لتجني قمحاً، وكذب من دلك على طريق التشبه بالكفار في ملبسهم وزيهم.

وهذه صورة من حياة النبي ﷺ في إشرافه على حلاقة الصغار بنفسه:

عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ رأى صبياً قد حلق بعض شعر رأسه، وترك بعضه، فنهاهم عن ذلك وقال: «احلقوه كله أو اتركوه كله»^(١)

فهذا هو فعله ﷺ مع الصغار مجرد الصغار، مع الصغار الذين لا يعون شيئاً بزعم بعضنا، فهل يقال: ضيق رسول الله ﷺ علينا؟ هل يقال: حجر علينا الواسع؟ معاذ الله أن نقول على رسول الله ﷺ ما ليس فيه، المسألة ليست إلا مجرد هوى في النفس لا أكثر ولا أقل، إن أمتنا الآن مهزومة مادياً ومعنوياً، والأمة المهزومة تابعة للمتصرة من الأمم تراها خيراً منها وأفضل فتميل إلى تقليدها ومحاكاتها، وهو ما يحدث في بلادنا وديارنا، فقد افْتُتْنَا بالكفر وأهله افتتائاً لا سلامة فيه لموحد من الوقوع في شكل من أشكال موالاة الكفر وأهله خاصة التشبه ولو في المظهر بحلقات الرأس والملابس وغيرها من الأمور التي جنح المسلمون إلى تقليد الغرب فيها.

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتهم - يعني بعد وفاة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه - ثم أتاهم فقال: «لا تبكوا على أخي بعد اليوم». ثم قال: «ادعوا لي الحلاق». فأمره فحلق رءوسنا^(٢).

والفائدة من الحديث هنا أنه لا بد من الإشراف المباشر على حلاقة الصغير حتى لا يترك نهبة لبعض الحلاقين، ممن لا يتقون الله عز وجل، حتى إن أحدهم ليحفر اسم

(١) صحيح: أبو داود (٣٦٦٣) في الترجل.

(٢) صحيح: وقد سبق.

الصغير على رأسه بالموسى حتى شوه خلق الله وغيره وأعاد الطفل البريء إلى أهله بعد أن جعله كشيطان رجيم!!

(٧) عدم اللباس الصغير حريراً، أو سقيه مسكراً، أو تعويده على المعصية:

وقد سبق اتفاق الأمة على أن الصغير لا تكليف عليه حتى يحتلم - يبلغ مبلغ الرجال - وفي الحديث عن علي وعمر رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَ: عَنْ الْمَجْنُونِ الْمَغْلُوبِ حَتَّى يَبْرَأَ، وَعَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنْ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ»^(١). ولكن الصغير عنده الاستعداد لكي يتعلم ويتشرب ما يحدث أمامه من أفعال وصفات، والقاعدة عند الصغار: أن كل ما يفعله الكبار صحيح.

وصحيح أيضاً أن الصغير لا يدري حرمة الحرير من حله كذلك الذهب، لكن الخمر وغيرها من المحرمات إنما حرمها الله تعالى على الكبار والصغار جميعاً، ولذلك قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: «والحذر كل الحذر من تمكينه - أي: الصغير - من تناول ما يزيل من عقله مُسكر وغيره، أو عِشْرَةٌ من يخشى فسادَه، أو كلامه، أو الأخذ في يده، فإن ذلك الهلاك كله، ومتى سَهِّلَ عليه ذلك فقد استسهل الدِّيَاثَةَ، ولا يدخل الجنة دِيُوثٌ، فما أفسد الأبناء مثل تَغَفُّلِ الآبَاءِ وإهمالهم، واستسهالهم شَرَّ النار بين الشيايب، فأكثر الآباء يعتمدون مع أولادهم أعظم ما يعتمد العدو الشديد العداوة مع عدوه وهم لا يشعرون، فكم من والدٍ حَرَّمَ ولده خير الدنيا والآخرة، وعرضه لهلاك الدنيا والآخرة، وكل هذا عواقب تفريط الآباء في حقوق الله، وإضاعتهم لها، وإعراضهم عما أوجب الله عليهم من العلم النافع والعمل الصالح، فحرَّمَهُم الانتفاع بأولادهم، وحرَمَ الأولاد خيرهم ونفعهم لهم، وهو من عقوبة الآباء.

وينبغي على الأب أن يجنب ابنه لبس الحرير، فإنه مفسد له، ومُخْتَلِطٌ لطبيعته، كما يُخْتَلِطُ اللواط، وشرب الخمر، والسرقة، والكذب، وقد قال النبي ﷺ: «حُرْمُ الحرير والذهب على ذكور أمتي، وأحلٌ لإنائهم»^(٢). والصبي وإن لم يكن مكلفاً، فوليه

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والحاكم، وانظر صحيح الجامع (٣٥١٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (١٧٢٠) في اللباس.

مكلف لا يحلُّ له تمكينه من المحرم، فإنه يعتاده، ويعسر فطامه عنه، وهذا أصح قولي العلماء.

واحتجَّ من لم يره حراماً عليه بأنه غير مكلف، فلم يحرم لبسه للحرير كالدابة، وهذا من أفسد القياس، فإن الصبي وإن لم يكن مكلفاً، فإنه مستعد للتكليف، ولهذا لا يمكن من الصلاة بغير وضوء، ولا من الصلاة عُرْيَانًا ونَجَسًا، ولا من شرب الخمر والقمار واللواط^(١).

إننا نعيش في زماننا أموراً عجيبة، فالأب لا يجد حرجاً من إلباس الصغار من الصبية ذهباً رغم علمه بالحرمة، وقد يلبسه الكبار أيضاً، ولا يجد الآباء حرجاً في التدخين أمام صغارهم؛ بل ووضع السيجارة داخل أفواه الصغار!!

ولقد رأيت بعيني رأسي من يفعل ذلك في قريب لي، وقدر الله أن عاش هذا القريب وهو الآن من كبار المدخنين والمدمنين رغم مداومته على الصلاة!! ولا شك عندي أن من وضع السيجارة في فمه لأول مرة يتحمل هذه المسؤولية كاملة.

وحكى لي والدي أن صديقاً له وضع سيجارة في فم ولده ابن ثلاث سنين آنذاك، فإذا بجدة الطفل تزغرد فرحاً بذلك، وعاش هذا الصبي وهو الآن من أشهر تجار المخدرات ومدمنيها في بلدتنا، يتمناه كل أب وكل أم فاشلة!!

إن الصغير بطبعه يميل إلى تقليد الكبار، فلا شيء يُفعل إلا وتراه مقلداً له؛ فالأب المدخن يقلده ولده في ذلك، والأم المتعريّة أمام الصغار تفعل ابنتها كذلك، والأم حين تترين أمام صغيرتها تفعل الصغيرة فعلها لاعتقادها أنه أمر صحيح.

إن القضية إذن ليست قضية تقليد فقط، لكننا نريد أن نغرس في صغارنا منذ نعومة الأظافر تقوى الله، والحفاظ على شروط وواجبات العبادات، على استيفاء هذه الشروط، مع التأكيد على اجتناب المحرمات والمنهيات التي إن شبَّ الصغير على انتهاكها ومقارفتها كان من الصعب أن يقطع عنها، أو أن يتركها وينتهي عنها.

(١) تحفة المودود (ص ١٩٥، ١٩٦)، ولنا تعليق على اللواط، فلا يصح نسبته إلى لوط عليه السلام، وإنما يقال: قُوطي، أو إتيان الذكران.

ولعلماء الطب كلام في مسألة الذهب والحرير للرجال فهم يشبتون أن لبس الذهب والحرير يزيدان من إفراز هرمونات الأنوثة عند الرجال، كما أن التدخين يعني وجود نسبة نيكوتين في دماء الصغار، مما يعرف باسم (المدخن السلبي) الذي يمتص ما يخرج من فم المدخن من (قرف)!!

والحق أنني أتوجه إلى المدخنين بسؤالين:

الأول: ماذا لو عرض الدخان على حمار أو قرد أو كلب؟ سيرفضه قطعاً، فانظر كيف صرت عبداً لهذه العادة السيئة التي جعلتك أخس قدراً من الحمار وأحطاً!!
والسؤال الثاني: لماذا تكون مرهف الحس، رقيق المشاعر، ثم تنسى ذلك كله عند التدخين ولا تشعر بغيرك؟

إن ضحية التدخين هم الذين لا يدخنون عادة، وأولهم الصغار الذين لا يتورع الكبار عن نفث دخانهم بجوارهم دون رحمة بهؤلاء الصغار أو شفقة.
لا شك أن حجم الكارثة يزيد بإخراج مدخن جديد إلى المجتمع، والحقيقة أن الحل يكمن في الإقلاع عن التدخين قبل إغلاق المصانع أو الشركات التي تقوم على تجارة وتصنيع التدخين.

وقد أفتى الدكتور/ نصر فريد واصل^(١) بحرمة التدخين في أحد أجراً الفتاوى التي لا نشك بأن عزله من منصبه كان بسببها ويسبب فتاوى مماثلة لها.

(ج) الحذر من آفات الكلام أمام الصغار، والنطق بكلمة التوحيد:

وهذا أمر بالغ الخطورة، فاللسان هو الأداة المعبرة عن بيئة الشخص، وهو المعبر عما يدور بداخله ولذا كان الإسلام صريحاً في هذه المسألة، فالنبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(٢).

وقال الأسود بن أصرم المحاربي: «فلا تقل بلسانك إلاّ معروفاً، ولا تبسط يدك إلاّ إلى خير»^(٣). فالمسألة هنا محسومة لصالح التحدث بطيب الكلام لا خبيثه،

(١) كان حفظه الله مفتياً للديار المصرية.

(٢) صحيح: البخاري (٦٠١٨) في الأدب، مسلم (٤٧) في الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) حسن: الهيثمي (٣٠٣/١٠) في المجمع وحسنه وعزاه للطبراني.

وهذا موجه لعموم الأمة، وتبدو خطورة اللسان إذ أن الكبار من فرط تعودهم على بعض الألفاظ القبيحة أو اللعن أو السب أو التصريح بأسماء بعض الأعضاء الجنسية، أو التغني ببعض الأغاني، كل هذا يجعل الطفل أول ما ينطق ينطق بهذه المحرمات!! خاصة أن بعض المجتمعات استمرت الشتائم حتى صارت عنواناً على التهريج والمداعبة، فمثلاً يشتهر في بعض قرى مصر قولهم: «يحرق أمك» أو «يخرب بيتك» أو «يا ابن الكلب»، وأسوأ من ذلك أن يقال عنها: شتائم دارجة!!

والصغير كالأرض تزرع فيها كل الثمار، فلن ينطق إلا بما يسمع، خاصة أنه مخلوق بأذنين لا واحدة لكي يسمع، وليس للأذن قُفْل فالمسئولية واقعة على الكبار لا على الصغار. يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «افتحوا على صبيانكم أول كلمة لا إله إلا الله، ولقنوههم عند الموت لا إله إلا الله»^(١).

إن الصغير يردد الأذان حين يسمعه دون وعيٍ لكلماته حتى ولو كان غير مسلم، فيحاكي صوت المؤذن، وربما قرأ القرآن دون دراية لأنه مقلد بطبعه، وهذه فطرة الله التي فطر الناس عليها، فإذا ما تبدل الحال وكان السب، والشتيمة، واللعن، والأغاني هي ما يسمعه الصغير فسوف يردد ما يسمع دون دراية أيضاً، خاصة أن أغاني هذا الزمان خرجت من إطار المحرمات والمنهيات إلى إطار التحدث عن زنا المحارم، وعن الدعوة الصريحة إلى الشذوذ!!

هذه كلمة نشرتها جريدة الأهرام بعددها الأسبوعي الصادر يوم الجمعة ٢٠ من جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ- الخامس من أغسطس (آب) ٢٠٠٥- السنة (١٣٠) العدد (٤٣٣٤١)، وكتبها الأستاذ/ أشرف عبد المنعم أحد النقاد الفنيين ينقد فيها أغنية لممثل كوميدى- حفظه الله!!- يتحدث فيها عن السفاهة التي وصلت إليها مستويات الأغاني في العالم العربي والإسلامي:



(١) تحفة الأحوذى (٤/٤٦)، وقد روي مرفوعاً بسند ضعيف جداً عند البيهقي (٦/٣٩٨) في الشعب ولا يصح مرفوعاً والله أعلم.

بأي حق يغنيننا هذا الرجل و«خالته»!!

أبويا عـايـز يـتـجـجـوزني
شـبـكـني (بـكـني) وهايجـهـزني
آه يالهوي، ياخرابي، يافضحتي، يادهوتي
قـولـولي أرفض أنا ولا أقـبـل؟
أبويا أصله مالوش مستقبـل!!
ولو وافـقـت أتجـوز أبويا
يا خوفي يطمع فيـا أخويا!!
إيه مالك فيه حاجة يا أبـله؟
أبدًا ده أنا كان عندي مقـابـلة
مـاتـيـالـه يا بت إنتي (يا هبلـة)
أنا جاهزة وسـخـنـت الطبلـة
ارقـصـوا يا نسـوان (يا مكبـوتـه)
والنبي ما لينا غير بـغـضـينا
خدنا إيه م الرجالـة غير حلاقة الدقن؟!
بالصلـاة ع النبي نحن النسـوة
هانقـاطـع الرجـالـة بالمـرة
سيـبـونا عـشان (مُـزـة) ما تسـوى!!
شـايـفـين الـديـن
وياريت عـاجـبـين
وزعـيق وخناق يـقـلب بـطـلاق
عـاـوزـيني أبـقى ضـرتـك يامـه!!

بهذا النص الغنائي المسف يخرج علينا «الكوميديان...» مرتدياً زي «خالته» في الفضائيات الغنائية بين الحين والآخر ليعطي لنا عينة من محتويات فيلمه «يا أنا يا خالتي» من ناحية، وليقدم لنا دون أن يدري نموذجاً صارخاً لمستوى الانهيار الثقافي والأخلاقي والتربوي الذي يمكن أن تقودنا إليه الأغنيات حين نتركها مرتعاً للعابثين والمهرجين من ناحية أخرى!!

وقبل أن نسطر كلمة واحدة حول عناصر هذه الأغنية المسفة بحق، دعونا نفوت على صانعيها الفرصة (الشهيرة) للدفاع عن أنفسهم والتي سيركنون إليها حتماً ألا وهي: إن الأغنية تخدم دراما الفيلم، وإنها تدور في إطار كوميدي وليست أغنية منفصلة، وبالتالي فإن في فصلها عن سياقها الدرامي للحكم عليها ظلماً لها ولصانعيها!!

وهنا نقول: إن الحقيقة التي لا يدركها هؤلاء هي: أولاً: أن الناس لم تر هذا الفيلم أصلاً باستثناء شريحة قليلة (جداً)، ومن ثم فإنه لن يتسنى لـ ٩٩٪ من جموع المشاهدين في المنازل أن يدركوا تلك (الأبعاد الدرامية العميقة) التي تبرر وجود هذا الإسفاف في أعماق بيوتنا. ثانياً: أنه يتحتم على من يريد أن يحتمي بدراما الفيلم لتبرير هذا الإسفاف ألا يفضل هو عناصره عن بعضها من البداية، إذ أن عرض أحد هذه العناصر بشكل منفصل يحتم الحكم عليها بصورة منفصلة. ثالثاً- وهو الأهم:- أننا إذا اعتبرنا أن الإناء ينضح بما فيه فإنه من السهل علينا جداً أن نتوقع دون جهد يذكر أي نوع رديء من الدراما تلك التي تحدث وجود مثل هذا الإسفاف الصارخ في سياقها، الأمر الذي يحول دون إقبالنا على مشاهدة هذه الدراما أساساً!

فبعيداً عن الإسفاف اللفظي الواضح وضوح النهار في سياق تلك الأغنية دعونا نستعرض مدى عبقرية انحطاط فكرة الأغنية أصلاً، فبعد أن عبدت أغنياتنا عموماً الطريق مشكورة نحو علاقة «الخادمة برب الأسرة» ثم «علاقة المرأة بالحصان» ها نحن اليوم من خلال هذه الأغنية نفتح الأبواب أمام العقول الناشئة كي تتنفس (نسائم) زنا المحارم: «أبويّا عايز (يتجوزني)»!! ولم يكتف (شاعرنا العميق) بالطرح فحسب وإنما راح يطرح شكل الصراع الفكري إزاءها مستغنياً بأصحاب الخبرة والمشورة: «قولولي

أرفض أنا ولا أقبل؟» وهو ما رأى أن وراءه سبباً جوهرياً يحول دون الموافقة عليه: «أبويا أصله (مالوش مستقبل)!! ثم إذا بشاعرنا (العميق) يبحث تبعات قبول الفتاة لعرض الأب فيما لم يجد فيه سوى مشكلة (وحيدة): «ولو وافقت أتجوز أبويا، يا خوفي (يطمع فيا أخويا)!!» ونعم العائلة فعلاً!! فمن المؤكد أن أخوها شاب (من دورها) قادر على الاضطلاع بمتطلبات (العلاقة الزوجية بأخته) بما لا يمكن أن نقارنه بالأب (الذي من المؤكد أنه يكبرها بسنوات)، ومن ثم فالأخ أولى بالشفعة!!

ثم تنتقل الأغنية بعد ذلك إلى نقطة تحول جديدة رأى (الشاعر) أن علاقة النساء بالرجال عموماً يجب أن تبلغها حلاً لجميع المشاكل: «ارقصوا يا نسوان (يا مكبوتة)» وما تحمله هذه العبارة من دعوة مدوية للتمرد والعصيان!! ثم يستكمل: «(والنبي) ما لينا غير بعضينا، خدنا إيه م الرجاله غير حلاقة الدقن؟!»، والكلمات هنا وإن اكتفت بما نهلت منه من معين (زنا المحارم) إذ بها تنطلق بنا إلى معين أكثر انحطاطاً ألا وهو الدعوة من بعيد، وربما دون قصد، للسحاق، بمعنى العلاقة المثلية بين المرأة والمرأة، والأغنية وإن لم تشر إلى ذلك صراحة إلا أنها أمدت هذا المعنى ضمناً بعد ذلك: «(بالصلاة ع النبي) نحن النسوة، (هانقاطع) الرجالة (بالمره)!!» فإذا نحن ربطنا بين دعوة النساء (المكبوتة) إلى الرقص، وبين مبدأ مقاطعة (الرجاله بالمره)، إذ بالمعنى يتضح جلياً لأولي الألباب خاصة إذا ما ربطنا الأمر برمته بحكاية (حلاقة الدقن) تلك التي تشير ضمناً إلى (خيبة) الرجال عموماً، والحدق يفهم!!

ناهيك طبعاً عن مجازاة الأغنية بطولها لألفاظ السوقه والدهماء من أمثال: يالهوي، يادهوتي، ياهبله، يانسوان، مزة (بتشديد الزاي)، وما إلى ذلك من ألفاظ ساقطة يتعرض للنشء حين تداولها للعقاب في البيوت (المحترمة)!! هذا فضلاً عن إقحام ذكر النبي ﷺ والصلاة عليه في سياق لا يصح ولا يليق أن ندرج ذكره فيه.

وكم كان تساؤل صاحبنا (عميقاً حقاً) في الجزء الارتجالي بمستهل الأغنية: هو أنا لو خلفت يا نوء، الواد يبقى ابني وأخويا؟ يالّه أهو (ضل بابا) ولا ضل حيطه!! ولا أعرف كيف جرؤ هؤلاء على إهانة المجتمع بأسره بهذا الشكل؟! وكيف نرتضي لأنفسنا هذه الإهانة حتى تاريخه!!

وليستجمع هؤلاء المهرجون جميع المعاني الساقطة في عبارة واحدة في الختام حتى يتسنى لمن لم يفهم أن يفهم: «عايزني أبقي ضرتك يامه» ونعم السخافة والسوقية وانعدام الشعور بالمسؤولية، وسلاماً على الرقابة على المصنفات الفنية ونقابة المهن الموسيقية!! وسلاماً على من نجحوا في تحويل الفن بمعناه الجميل إلى أكبر خطيئة!!.

هذا رأي ناقد فني، فكيف بالرأي الشرعي في مثل هذه الأغاني التي صارت تنتشر بين الصغار فتسري بينهم سري النار في القش، فيتلاعب الشيطان بعقولهم تلاعب الأفعال بالأسماء.

وكم من فخر كان مصدره أن الصغير يؤدي أغنية كاملة دون تلثم منه، وأن الصغيرة إن لم تكن تغني فهي تحيد الرقص!! وكثيراً ما يكون التندر بكلام الصغير حين ينطق أول كلماته مغنياً أغنية لفلان أو فلانة، ولا عجب في ذلك، فكما قيل:

كل إناء ينضح بما فيه، وكيف يستقيم ظل والعود أعوج؟
إذن ما هو الحل؟

الحل هو تعويد أذن الصغير على التلاوة للقرآن، وعلى كلمة التوحيد ليشب رجلاً قد علم قدرها ووزنها، وغير المسلمين يحرسون على زرع العقائد الباطلة في الصغار فإذا ما شبوا لم يحملوا همهم لأنهم قد غرسوا فيهم ما أرادوا.

يقول جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه: «كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة- أي: غلمان اشتد بأسنا وقوينا- فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فإزددنا به إيماناً»^(١). وسوف يكون لنا وقفة مع هذا الأثر تارة أخرى إن شاء الله تعالى.

فإذا ما شبَّ الصغير على ذلك ضمنا له حياة طيبة في ظل العقيدة وإلا فالدمار علينا، إضافة إلى ذلك يحذر من أمر الطفل بهذه الأفعال:

(١) البصق على أبيه أو على أمه.

(٢) ضرب الكبار أو ازدراؤهم.

(٣) العتب بأعضائه الجنسية على سبيل التنكيت والمزاح.

(٤) مناداة الكبار بما لا يحبون من أسماء وألقاب.

(د) تجنب الدعاء على الصغار:

والحياة تطحن برحاما الكثير ممن تضيق أخلاقهم ونفوسهم حتى كأنما ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، والصغار لا يعون مما يلقيه الكبار من هموم المعيشة وعنت الحياة ومشقتها شيئاً، فهم أبرياء يلعبون ويلهون، حتى إن الشرع رحم هذه البراءة فجعلهم خارج نطاق التكليف، وكذا فإن القوانين الوضعية تضع الصغار خارج نطاق المحاسبة.

ولكن قد يحدث أن يكون الصغير محباً للعب، والكبير - كالوالد أو الوالدة - في حالة مزرية من الضيق بسبب ما يواجهه من مشكلات في الحياة، فينطلق اللسان داعياً على الصغار، وهنا ودون أن يشعر الوالدان يفسدان الصغير بهذا الدعاء عليه، وإنما ينبغي على الوالدين الدعاء للولد، لا الدعاء عليه، ليكون الدعاء سبباً في الاستقامة والاعتدال، لا سبباً في التردّي والانحلال والفساد. وقد جاء في الحديث: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن... - وذكر منها دعوة الوالد-»^(١).

قال سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (إبراهيم: ٤٠). ودعا لنفسه ولولده إسماعيل ولذريته فقال: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ (البقرة: ١٢٨). وقال تعالى: ﴿هَٰذَا لَكَ دُعَاؤُكَ زَكْرِيَّا رَبُّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (آل عمران: ٣٨). فلما وهب الله عز وجل له يحيى عليه السلام قال: ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (مريم: ٦).

فقد تكون الدعوة الصالحة منحة من الوالد أو الوالدة لولدهما، وضدها الدعوة الطالحة التي تفسد الأبناء، خاصة أن الملائكة تؤمن على الدعاء بأمر الله تعالى.

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله

ساعة يُسأل فيها عطاءً فيستجيب لكم»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات لا شك في إجابتهن- منها- دعوة الوالد على ولده»^(٢).

وعن طارق المحاربي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجني أم على ولد، لا تجني أم على ولد»^(٣). وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فشكا إليه بعض ولده فقال: هل دعوت عليه؟ قال: نعم. قال: أنت أفسدته^(٤).
(هـ) لا تكذب على الصغار:

وهذه واحدة من أبواب الشر التي تُفتح علينا دون دراية منا، فالأم والأب يقومان بـ «رشوة وهمية» للصغار ليطيعوهم، فإذا لم يحصل الصغير على هذه الرشوة الوهمية كان أول ما يزرع في نفسه أن أبواه مخادعان كذابان.

وفي حديث عبد الله بن عامر قال: دعيت أمي؛ ورسول الله ﷺ قاعدٌ في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك. فقال ﷺ: «ما أردت أن تُعطيه؟». قالت: أعطيه تمرًا. فقال لها: «أما إنك لو لم تعطيه شيئاً كُتِبَ عليك كذبة»^(٥). قال أبو الطيب في شرح الحديث: «وفي الحديث أن ما يتفوه به الناس للأطفال عند البكاء مثلاً بكلمات هزلاً أو كذباً بإعطاء شيء أو تخوف من شيء حرام داخل في الكذب»^(٦).

إن كذبنا الآن يجري كالشلالات، فالصغار أصيبوا بـ «تخمة كذبية»، فأمنّا

(١) أخرجه مسلم مختصراً (٢/٦٣٤) (٧/٩٢٠)، وأبو داود في الصلاة باب النهي عن أن يدعو الإنسان على أهله وماله (٢/١٨٥) (١٥٣٢)، والترمذي (٢/٨٤٠) وقال المنذري: رواه ابن خزيمة في صحيحه.

(٢) أخرجه الترمذي (٦/٣١) (١٩٧٠)، وأحمد (٤/١٥٤)، والبخاري في شرح السنة (٥/١٩٥) (١٣٩٤)، وابن حبان في صحيحه (٦/٢٤٠)، والطيالسي (٢٥١٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢/٨٩٠) (٢٦٧٠)، وقال البوصيري: إسناده صحيح ورجاله ثقات، وابن حبان في صحيحه (١٦٨٣)، والحاكم (٢/٦١١، ٦١٢)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) أبو حامد في الإحياء (٢/٢١٧).

(٥) صحيح: أبو داود (٤٣٣٩) في الأدب.

(٦) عون المعبود (١٣/٢٢٨).

الغولة، وأبو غرارة، وأبو رجل مسلوخة، والعفريت، والكلب الأسود، أكاذيب اصطنعناها للتخويف، حتى إن الكبار الآن أوشكوا- أو هم بالفعل- صدقوا أكاذيبهم التي أطلقت وهم صغار ولماذا أتورط في أكذوبة لأمر صغير بالخير؟ لماذا أقول: إن لم تغسل يدك سوف تخنقك الشمامة أو الغولة؟

ولماذا أكلف نفسي ما لا أطيق فأقول: لو نمت أخذتك إلى الحديقة؟ وأنا أعلم أنني لن أذهب، فيفقد الصغير ثقته تماماً فيّ وفي العالم كله. إن الصغار لا شك يراقبون كلماتنا وتصرفاتنا، فإذا ما أحسوا بفارق بينهما كان الوبال والدمار علينا.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا وإياكم والكذب فإن الكذب لا يصلح بالجد ولا بالهزل، ألا ولا يعد الرجل صبيه ثم لا يفي له»^(١). وعن سعد بن عبيد الله المخزومي قال: «أمرني عبد الملك بن مروان أن أعلم بنيه الصدق كما أعلمهم القرآن»^(٢).

إن البداية لا بد أن تكون حسنة لتكون الخاتمة حسنة، والطفل يتعلم الكذب ممن حوله؛ لأنه يولد مفطوراً على الحق، وسوف نرى كيف يعلم الكبار صغارهم الكذب قريباً.

إذن عليّ فعل الآتي:

فمثلاً: ليكن عندي في البيت ما يحبه الصغير من حلوى دون أن يعرف مكانها، وليكن في جيبى منها واحدة، فإذا أردته أن يأتي إليّ، قلت: تعال وأعطيك واحدة من الحلوى. فإذا جاء أعطيتها إياه.

وإذا أردته أن ينام قلت له: نَمْ وسوف أعطيك في الصباح قطعة حلوى. فإذا نام وأصبح الصبح أعطيته إياها، فعلمته الوفاء بالعهد، وعلمته الصدق، وأبعدته عن الكذب تماماً، وعلمته كيف يثق بي وبما أقوله له.

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٦) في المقدمة.

(٢) ابن أبي الدنيا (٤٤٨) في الصمت.



(و) واحذر- رحمك الله- من هذه الأمور:

- خاصة إن علمت أن سن التقليد عند الصغار يبدأ من السنة الثانية كما يقول علماء النفس، احذر من هذه الأمور:
- (١) أن يراك الصغير مدخناً.
- (٢) أو ترى البنت أمها وهي تتزين.
- (٣) أو يراك الصغير تلعب (بالتردشير)- الطاولة أو الدومينو أو الكوتشينة- وسوف يأتي تفصيل ذلك.
- (٤) أو يسمعك تغني أغنية من الأغاني المليئة بالكلمات الهابطة وغيرها، والأفضل أن يسمعك تتلو القرآن وتذكر الله تعالى.
- (٥) أن يراك الصغير عارياً أو يرى أمه فيعتاد المشهد.
- (٦) والمصيبة كل المصيبة أن يُقَبَّل الرجل زوجته أمام الصغير مما سيثير غيخته على أمه إن كان ولدًا، وعلى أبيه إن كانت بنتًا.
- (٧) والمصيبة الأكبر إذا كان الصغير يرى أبواه وهما يتعاشران.
- (٨) أو أن يسمع الألفاظ البذيئة فيحفظها وتنتشر في قلبه.
- (٩) أو أن تضرب أمه أمامه، أو تضرب أحداً من إخوته أمامه.
- (١٠) ولا تمازحه بالضرب على الوجه فإنه حرام- كما سيأتي- وضرب الوجه يورث الذل.
- (١١) ولا تلقه إلى جيران السوء أو أصدقاء السوء فيتعلم منهم ما كنت تخشاه عليه.
- (١٢) ولا تهمله وإلاّ قسا قلبه عليك.
- (١٣) ولا تكشر في وجهه حتى لا تحتقر في ذاكرته صورة سيئة عنه.
- (١٤) وصلّ أمامه كثيراً ليتعود ذلك منذ الصغر.
- يقول ابن الجوزي رحمه الله تعالى في هذا: أقوم التقويم ما كان في الصغر، فأما إذا ترك الولد وطبعه فنشأ عليه ومرن كان رده صعباً. قال الشاعر:

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولا يلين إذا قومته الخشب
 قد ينفع الأدب الأحداث في مهل وليس ينفع في ذي الشيبة الأدب^(١)
 ويرى البعض أن توجيه الطفل يبدأ منذ نعومة أظفاره منذ الفطام^(٢) ، فلا مجال
 للأب أن يسوف أو يؤخر مسألة التعليم إلى أن يكبر الولد. فبادر إلى الخير وسابق
 قبل فوات الأوان.



حالة خاصة: وجود طفل يتيم بالمنزل^(٣)

* اليتيم، والمجتمع، والإسلام:

يأتي الطفل كثمرة طبيعية للقاء بين الرجل وامرأته، فيدخل إلى الحياة يعيش فيها
 بين أبوين، فيتقلب في نعيم أبيه، وبين أحضان أمه، فهو كالطائر جناحه الأب
 والأم، يحلق بهما في سماء الحياة. إلا أن بعضهم قد حُرِم هذه النعمة، فكثير من
 الأطفال يرحل أبوه عن الدنيا قبل ولادته، أو بعد ولادته ونشأته بوقت قصير، وهذا
 هو اليتيم، وهو من فقد عائلته الذي يقوم على تربيته ورعايته، وهذا العائل في معظم
 الأحوال هو الأب، ولذلك اعتبر الفقهاء اليتيم هو فاقد الأب لا فاقد الأم، لأن
 الأب ينفق ويؤدب ويرحم ويعطف، أما الأم فإنها تعطف وتربي دون النفقة في
 معظم الأحوال، ومن هنا تبدأ رحلة البحث عن عائل جديد، وكافل آخر لليتيم بعد
 أن فقد كافله وعائلته.

أما حياة اليتيم الاجتماعية، فإنها حياة يغلب عليها طابع الميل إلى العزلة
 والوحدة، رغم شعوره بالحاجة الماسة إلى العطف عليه لتعويضه ما افتقده من حنان
 والده وعطفه.

(١) ابن الجوزي (ص ٦٠). في الطب الروحاني.

(٢) محمد، نور سويد منهج التربية النبوية للطفل (ص ٧١) نقلاً عن مسؤولية الأب المسلم.

(٣) اعتمدت كثيراً هنا على كتاب: «منهج الإسلام في تربية الشباب»، «سلسلة قضايا إسلامية»

العدد (٢٦) ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، للمستشار/ حسن حسن منصور. والبحث أيضاً في

كتابي: الوصايا النبوية من (ص ٥٢٠ - ٥٢٦).

وكثيراً ما يشعر اليتامى بالانكسار، والضيق النفسي حين يرون غيرهم من الصغار ينعمون بأب وأم بينما هم قد فقدوا هذه النعمة، ولأنهم صغار لا يدري أحدهم أن ما خبأه الله له من خير أبقى وأفضل مما أعطاه لغيرهم.

ويبقى أن اليتيم يعتمد في معيشته على غيره، وخاصة قبل أن يبلغ أشده فتدفع إليه أمواله ليستصرف فيها كما يشاء. واليتامي بهذا يمثلون قطاعاً لا يستهان به من المجتمع، وقد فرضت عليهم الأقدار هذه الظروف فكان لزاماً على الجميع أن يمد يد العون إليهم، ولذلك فإن كفالة اليتيم قبل أن تكون عملاً يثاب عليه المرء فلإنها واجب تفرض العلاقات الإنسانية الرفيعة التي تأبى وجود طفل صغير غير قادر على إدارة شئونه أو غير قادر على العمل وكسب قوته، فيبقى نهبة للجوع والانحراف والسرقة وأكل ماله، ولذا كان العرب في الجاهلية قد عرفوا كفالة اليتيم نظراً لكثرة الحروب الناتج عنها فقدان العائل وهو الوالد فيبقى الصغار بدون عائل يعولهم إلا بقية من أهل المتوفى أو قتل هذه الحروب، لكن هذه النزعة الإنسانية لم تكن راشدة في كثير من الأحوال فليس بعد الكفر ذنب، فتعرض الكثير من الصغار لنهب أهوالهم وأكلها ظلماً في بطون لطلما أدمنت أكل النار حتى كأنها الأتون المشتعل، فجاء الإسلام رافعاً من قدر اليتامى، وراحماً لهم يوم أن جعل خير المرسلين ﷺ يتيماً من اليتامى.

كفأك بالعلم في الأمي معجزة في الجاهلية والتأديب في اليتيم
ومع ذلك فعين الله ترعاه، وهو سبحانه الركن الشديد الذي كان يأوي إليه حتى قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى﴾ (الضحى: ٦). ثم كان العطاء الجزيل لليتامى حين أمر سبحانه بالعطف عليهم وإتيانهم حقوقهم، والعطف عليهم وإكرامهم، ورفع درجة من أكرم اليتيم، واتهام أكل ماله بالظلم ومجافاة الحق وتوعده بالعذاب الأليم، فهي مكارم الأخلاق التي دعا إليها الإسلام.

فمن المنح التي كرم الله بها اليتيم ورفع بها درجته ما نذكره كالتالي:

(١) الإنفاق على اليتيم شعبة من شعب الإيمان والبر:

فقد قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ ﴿البقرة: ١٧٧﴾. فهي شعبة من الإيمان تعادل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وإنما جعل ذلك حتى يضمن اليتيم مصدر الرزق مع عدم وجود العائل.

(٢) الحض على كفالة اليتيم، والترغيب في الإحسان إليه، وإجزال العطاء لمن فعل ذلك:

* ففي الحديث المشهور عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وقال بإصبعيه السبابة والوسطى - (١).

* ومن حديث صفوان بن سليم يرفعه إلى رسول الله ﷺ قال: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل» (٢).

* وجعل الإسلام كفالة اليتيم للقريب والبعيد على حد السواء، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «كافل اليتيم - له أو لغيره - أنا وهو كهاتين في الجنة». وأشار مالك - أحد رواة الحديث - بالسبابة والوسطى (يعني من أصابعه) (٣).

ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ في الفردوس الأعلى، فكافل اليتيم معه إن أصلح النية وابتغى وجه الله تعالى في هذا العمل. وفي حديث عمرو بن مالك القشيري أنه ﷺ قال: «من ضمَّ يتيماً من أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه وجبت له الجنة» (٤).

وإذا عزَّ على أقارب اليتيم أو أهل بلدته كفالاته فإن الله تعالى بيده العطاء والمنع، فيفيض على من يشاء من عباده برحمته، فيقيض لليتيم من يدير شئونته ويحفظ له حقه، فلليتيم المسلم أكرم على الله من أن يضيعه، فهذا هو الكليم موسى عليه السلام يوم خرج مع نبي الله وعبد الصالح الخضر في رحلتهم العلمية، أمرهما الله تعالى

(١) صحيح: البخاري (٦٠٠٥) في الأدب.

(٢) صحيح: البخاري (٦٠٠٦) في الأدب، مسلم (٤١/٢٩٨٢) في الزهد والرفائق عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح: البخاري، مسلم (٤٢/٢٩٨٣) في الزهد والرفائق.

(٤) حسن: حسنه العلامة شاکر (١٨٩٢٧) في المسند.

بناء الجدار فوق الكثر المملوك ليتيمين حتى يبلغا أشدهما ويتمكنا من استخراج كثرهما، لأن أهل القرية بخلاء أشحاء رفضوا ضيافة العبدین الصالحین، ویبدو أنه من لؤمهم تركوا الصغیرین بلا كفالة، یتضح ذلك فی قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَى أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوا فَوْجَدًا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (الكهف: ٧٧).

ثم قال: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ (الكهف: ٨٢).

(٣) ودعا الإسلام إلى إصلاح اليتامى ومخالطتهم:

فقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٢٠).

فقد روى أحمد في مسنده وغيره بسند صحيح عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الإسراء: ٣٤). ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى﴾ (النساء: ١٠). انطلق من كان عنده يتيم، فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى...﴾ الآية (١).

فإذا كانت المخالطة تجوز في الأكل والمال فإنها تعني مبادلة اليتيم مشاعر الحب والعطف حتى يخرج من عزلته ويمزق أثواب العزلة، ويتفاعل مع الآخرين، ويتناسى ألم اليتيم حتى يزول فلا يشعر به بعد.

(٤) مراعاة الحالة النفسية لليتيم:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَغَوَّيْ﴾ (الضحى: ٦). وجعل العنف مع اليتيم من صفات المكذب بالدين كقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ فذلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿(الماعون: ١، ٢). وكل هذا كي لا يشعر اليتيم بالضعف والاستكانة.

(٥) ثم حذر الإسلام من هضم حق اليتيم، وتوعد من ضيعه بالعذاب الأليم:

فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الإسراء: ٣٤). وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء: ١٠).

ثم جعل النبي ﷺ أكل مال اليتيم من الموبقات - أي: المهلكات - ومن أكبر الكبائر كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف الحصنات المؤمنات الغافلات»^(١).

(٦) حماية أموال اليتامى وحفظها:

وهذا الحق متفرع من الحق السابق، فقد وضع الإسلام نظاماً فريداً لحماية أموال اليتامى وكيفية إدارتها والتصرف فيها، ثم ردها إليهم عند بلوغهم سن الرشد، وألزم القائمين على كفالة اليتيم بهذا لنظام.

* فقد نزل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾

(النساء: ٦).

فقالت أم المؤمنين عائشة: «أنزلت هذه الآية في والي اليتيم أن يصيب من ماله إذا كان محتاجاً بقدر ماله بالمعروف»^(٢). ومعنى الأكل: أي: ما يشبه الراتب ولكن بقدر الحاجة وبدون إسراف كمقابل (إدارة) بلغة العصر، هذا في حق الولي الفقير، أما الولي الغني فعليه الاستعفاف، فإذا دعت الحاجة إلى الأخذ أخذ على سبيل القرض ثم يرده تارة أخرى إن تيسر، وإلا فهو في حل، وفي كل الأحوال لا بد من شرط (المعروف) أي: على الوجه الأمثل بلا سرقة أو نهب أو إسراف^(٣).

وكان عمر بن الخطاب يقول: «إنني أنزلت نفسي من هذا المال بمنزلة ولي اليتيم فإن احتجت أكلت، وإن اغتنيت استعفت».

(١) صحيح: البخاري (٢٧٦٦) في الوصايا، مسلم (١٤٥/٨٩) في الإيمان.

(٢) صحيح: البخاري (٢٧٦٥) في الوصايا، مسلم (٣٠١٩، ١٠، ١١، ١١) في التفسير.

(٣) مجموع آراء ذكرها الحافظ ابن حجر (٣٩٢/٥، ٣٩٣) في فتح الباري.

* وأما بالنسبة للإناث، فإذا كانت الفتاة المكفولة قد أعجبت كفيلها فأراد الزواج بها، وجب عليه أن يعطيها مهر المثل، من مثلها من البنات، فإن خاف ألا يعطيها المهر عدل عن هذا الزواج وتزوج بأخرى، وما أكثر النساء، وهو قوله تعالى: ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسُطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَىٰ وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ (النساء: ١١).

* وحذر سبحانه من أن يختص الولي والكفيل بأفضل المال وأحسنه لنفسه، وأن يعطي اليتيم الرديء منه، فقال تعالى: ﴿وَعَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْدَلُوا الْخَيْثَ بِالْطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (النساء: ٢). ويرحم الله طائوس ذلك التابعي الذي كان إذا سئل عن اليتيم قال: ﴿وَاللَّهِ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ (البقرة: ٢٢٠).

(٧) ومن أروع الحقوق التي منحها الله تعالى لليتيم أن قرر له رزقاً من التركة التي تقسم على الورثة وهو ليس منهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (النساء: ٨). قال الإمام مالك رحمه الله في تفسير هذه الآية: «إن هذا الرزق هو حق واجب ما طابت به الأنفس»، إنها إذن الرعاية الإلهية لليتيم جعلها الله تعالى له في الدنيا مرغبا في العمل بها قبل أن تدك الأرض دكاً دكاً، ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ (الفجر: ١٧).

• هؤلاء أكرموا اليتيم فأكرمهم الله، وهؤلاء أهانوه فأهانهم الله:

(١) قال بعض السلف: «كنت في بدء أمري سكيراً مكباً على المعاصي فرأيت يوماً يتيماً فأكرمته كما يكرم الولد بل أكثر، ثم نمت فرأيت الزبانية أخذوني أخذاً مزعجاً إلى جهنم وإذا باليتيم قد اعترضني فقال: دعوه حتى أراجع ربي فيه. فأبوا فإذا النداء: خلوا عنه فقد وهبنا له ما كان منه بإحسانه إليه. فاستيقظت وبالغت في إكرام اليتامى من يومئذ».

(٢) وكان لبعض مياسير العلويين بنات من علوية فمات واشتد بهن الفقر إلى أن رحلن عن وطنهن خوف الشماتة فدخلت مسجد بلد مجهوراً، فتركهن أمهن فيه وخرجت تحتال لهن في القوت فمرت بكبير البلد وهو مسلم فشرحت له حالها فلم

(١) راجع حديث (٢٧٦٣) عند البخاري في الوصايا، مسلم (١٨/٣٠٦) في التفسير عن عائشة رضي الله عنها.

يصدقها وقال: لا بد أن تقيمي عندي البينة بذلك. فقالت: أنا غريبة فأعرض عنها ثم مرت بمجوسي فشرحت له ذلك فصدق وأرسل نساؤه فأتت بها وبناتها إلى داره فبالغ في إكرامهن، فلما مضى نصف الليل رأى ذلك المسلم القيامة قد قامت والنبي ﷺ معقوداً على رأسه لواء الحمد وعنده قصر عظيم، فقال النبي ﷺ: «أقم عندي البينة بذلك». فتحير فقصر له ﷺ خبر العلوية، فانتبه الرجل في غاية الحزن والكآبة إذ ردها ثم بالغ في الفحص عنها حتى دل عليها بدار المجوسي فطلبها منه فأبى، وقال: لقد لحقني من بركاتهن. فقال: خذ ألف دينار وسلمهن إليّ. فأبى، فأراد أن يكرهه فقال: الذي تريده أنا أحق به والقصر الذي رأيته في النوم خلق لي، أتفخر علي بإسلامك، فوالله ما نمت أنا وأهل داري حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية ورأيت مثل منامك، وقال لي رسول الله ﷺ: «العلوية وبناتها عندك؟». قلت: نعم يا رسول الله. قال: «القصر لك ولأهل دارك». فانصرف المسلم وبه من الكآبة والحزن ما لا يعلمه إلا الله تعالى.

إن في بعض المجتمعات الإسلامية من يحاسب اليتيم كأنه أتى بنفسه إلى الدنيا، فيعامله معاملة غليظة جافة تجعل اليتيم يناجي نفسه: ألا موتٌ يُباع فأشتره!!

إن قطاعاً عريضاً نزع الرحمة من قلبه يذيق اليتيم ويلات فقد الأب، حتى يربي فيه كراهية وحقداً يصعب التخلص منهما مدى الحياة، فالسنوات الأولى دائماً تحمل بذوراً يستوي عليها ساق التربية ويصلب عليها العود، فتظل هي الأساس رغم مرور السنوات واكتساب الخبرات.

فكثير من البيوت تجعل اليتيم كمواطني الدرجة الثالثة: يسخر في أعمال مُهينة شاقة، وتوكل إليه أمور تنظيف الدار كالكنس، والمسح، وحمل المتاع، والذهاب إلى الأسواق، والالتحام بأشخاص يرفض كافل اليتيم أن يحتك أبناؤه بهم تكريماً لهم.

وآخرون يعملون على إظهار أبنائهم في أفضل صورة، وأحسن هيئة غير مبالين بالمرارة والألم اللذين يعتصران كبد اليتيم وقلبه.

وآخرون يعاملون اليتيم كسقط المتاع كأنه لا وجود له، وهذا قهراً للصغير الذي أمر الله تعالى بعدم قهره، وإغراق له في بحر العزلة، وإشعار له بمرارة فقدته الأحبة،

خاصة إن كان قاهره (زوجة الأب- أو زوج الأم- أو أحد أقربائه).

وكثيراً ما سمعنا عن قصص تتمزق لها نياط القلب حتى تبكي العيون دماً، تعرض هذه القصص لما يفعله الكبار الراشدون من أصحاب العقول بصغار أيتام كل ما جنوه في هذه الحياة أنهم صاروا عبثاً وثقلاً على أقربائهم، والنتيجة معلومة في النهاية: ينتقم الله من ظالم اليتيم!! أما اليتيم فلا يعلم بمصيره إلا الله تعالى، فحذار حذار من ظلمه وقهره.

وقد كفل النبي ﷺ أبناء أبي سلمة، وأبناء جعفر بن أبي طالب، وكفل أسامة بن زيد رضي الله عنه، فكانت كفالاته ﷺ هي الصورة المثلى لكفالة اليتيم، فليس المعنى: إطعام اليتيم وسقيه وكسوته، بل الأمر أعظم من ذلك، فالكفالة كفالة مَنْ لا يعقل دينه؛ بل ولا دنياه، ويرشده ويعلمه، ويحسن أدبه^(١)، ولذا كان جزاء الكافل لليتيم أن يكون في منزلة النبي ﷺ الذي كفل أبناء أبي سلمة كما سيأتي في حديث عمر بن أبي سلمة وزينب أخته، فلم يكتف بإطعامهم وإنما علمهم أمور دينهم أيضاً.

صورة صادقة لكفالة اليتيم:

وهذه صورة من إكرام اليتيم نقلها من حياة النبي ﷺ، فقد كان أسامة بن زيد رضي الله عنه أسود الوجه فيه دمامة، وكان رسول الله ﷺ يكفله، ولم تكن أم المؤمنين عائشة تحبه بنفس القدر الذي كان رسول الله ﷺ يحب أسامة إياه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن أسامة عثر بعثة الباب فدمي فجعل النبي ﷺ يمسه ويقول: «لو كان أسامة جارية خليتها ولكسوتها حتى أنفقها»^(٢). فأحبه أم المؤمنين عائشة لحب رسول الله ﷺ إياه، وهذه ثورة صادقة لما ينبغي أن يكون عليه كافل اليتيم، فإذا ما شبَّ اليتيم في هذه الأجواء لم يكن في نفسه ضغينة أو حقد تجاه مجتمعه.

(١) ابن حجر (٤٣٧/١٠) في فتح الباري.

(٢) صحيح: وقد سبق.

صورة شبيهة باليتامي:

وهي صورة الطفل الذي تركه أبواه أو أحدهما، والصورة متكررة كثيرة في مجتمعاتنا، خاصة في ظل انتشار المخدرات، والمعاصي، وحالات الزنا التي يكون أكثر أصحابها من أهل الإحصان، ومع انتشار حالات الطلاق، وهجران الأزواج، ومع طمع الكثير في المال، وبالجمل في غياب الدين، يحدث أن يصبح الطفل في كفالة غير والديه وهم أحياء دون ذنب له، وهؤلاء الصغار لهم الله، خاصة في ظل قسوة القلوب التي طغت على كثير من الناس، وهذا مقال نشره الأستاذ/ عبد الوهاب مطاوع- نسأل الله له الرحمة الواسعة- في بريد الأهرام نشرها تحت عنوان (الضوء الأخير) وقد أرسلتها امرأة إليه تقول فيها:

دفعني للكتابة إليك بيتا الشعر اللذان قرأتها في ردك على إحدى الرسائل ويقولان:

إنما الدنيا هبات وعوارٍ مستردة
شدة بعد رخاء ورخاء بعد شدة

فأردت أن أروي لك قصتي عسى أن تكون عبرة لغيري، فأنا زوجة وأم لفتاة بالسنة النهائية بإحدى الكليات النظرية ولابن شاب متزوج ولديه طفلان، وزوجي ضابط عسكري بالمعاش، ونعيش في أحد أحياء القاهرة، ومنذ أن بدأت حياتي مع زوجي ونحن نعيش حياة رغدة، وقد استعنت طوال حياتي الزوجية على تربية أولادي بمربيات عديدة، لا أتذكر عددهن من كثرتهن، ولا عجب في ذلك، فقد كانت كل واحدة منهن لا تمكث عندي أكثر من شهرين، ثم تفر من قسوة زوجي العدواني بطبعه، والذي لا أعرف هل اكتسب عدوانيته هذه خلال رحلة حياته أم أنها وراثية فيه، فقد كان يتفنن في تعذيب أي مربية تعمل عندنا، ولا أنكر أنني شاركته في بعض الأحيان جريمته، ومنذ خمسة عشر عامًا، وابنتي في السابعة من عمرها، وابني في المرحلة الإعدادية جاءنا مزارع من معارف زوجي ومن أبناء بلده، يصطحب معه ابنته الطفلة ذات الأعوام التسعة، فاستقبله زوجي بكبرياء وترفع، وقال المزارع البسيط: إنه أتى بابنته لتعمل عندنا مقابل عشرين جنيهًا في الشهر،

ووافقنا، وترك المزارع المكافح طفله الشقراء، فانخرطت الطفلة في البكاء، وهي تمسك بجلباب أبيها، وتستحلفه ألا يتأخر عن زيارتها، وألا ينسى أن يسلم لها على أمها وإخوتها، وانصرف الرجل دافع العينين، وهو يعدّها بما طلبت، وبدأت الطفلة حياتها الجديدة معنا، فكانت تستيقظ في الصباح الباكر قبل أن يستيقظ طفلاي لتساعدني في إعداد طعام الإفطار لهما، ثم تحمل الحقائب المدرسية وتنزل بها إلى الشارع، وتظل واقفة مع ابنتي وابني حتى يحملهما أئوييس المدرسة، وتعود للشفقة فتناول طعام إفطارها وكان غالباً من الفول بدون زيت، وخبز على وشك التعفن، وفي بعض الأحيان قد نجد عليها بقليل من العسل الأسود أو الجبن، ثم تبدأ في ممارسة أعمال البيت من تنظيف وشراء الخضّر والمسح، وتلبية النداءات حتى منتصف الليل، فتسقط على الأرض كالقتيلة وتستغرق في النوم، وعند أي هفوة أو نسيان أو تأجيل أداء عمل مطلوب ينهال عليها زوجها ضرباً بقسوة شديدة، فتتحمل الضرب باكية صابرة، ورغم ذلك فقد كانت طفلة في منتهى الأمانة والنظافة والإخلاص لمخدوميها، تفرح بأبسط الأشياء، وتغني غناءً حزيناً خافئاً يعبر عن شوقها لبلدتها وأمها وإخوتها وهي تغسل الأطباق، ورغم اعترافي بأنني كنت شريكة لزوجي في قسوته على الخادّات، وتفتنه في تعذيبهن، حتى إنه كان أحياناً يخلق الأسباب لضرب أي خادمة تعمل عندنا، إلا أنه كانت تأخذني الشفقة في بعض الأحيان بهذه الفتاة، لطبيعتها وانكسارها وإخلاصها، فأناشد زوجي ألا يضربها، وأقول له: إنها قد كبرت وتعودت على طباعنا، وتحملتنا كثيراً فلا داعي للاستمرار في ضربها، فكان يقول لي مقهقهاً: إنه لو لم يضربها فلإنها ستطلب منه أن يضربها، لأنها قد تعودت عليه، وأن هذا «الصف» من الناس لا تجدي معه المعاملة الطيبة، واستمرت الفتاة تحمّل العذاب في صمت وصبر، وأتذكر الآن بأنني حين كان العيد يأتي ويخرج طفلاي مبتهجين مهللين، بينما تبقى هذه الطفلة التي تمائلهما في العمر تنظف وتغسل دون شفقة، وبعد أن تنتهي من أعمالها الشاقة ترتدي فستاناً قديماً لكنه نظيف، لأنها كانت تحرص على نظافة ملابسها البسيطة، أما أبوها فلم تره تلك الطفلة إلا مرات معدودة بعد عملها عندنا، فقد انقطع عن زيارتها بعد شهور، وبدأ

يرسل أحد أقاربه لاستلام أجرتها الشهرية، كما لم تر أمها وإخوتها إلا في ثلاث مناسبات محددة، الأولى حين مات شقيقها الأكبر في حادث عند عودته من الأردن، وكانت الفتاة المحرومة تعلق أملاً كبيراً على عودته، وتحلم بأن ينتشلها من العذاب الذي تعانيه عندنا، فإذا به يلقي مصرعه، وتفقد آخر أمل لها فبكته بحرقه وسراً حتى لا يراها زوجي، فتلقى عقاباً على يديه.

والمرة الثانية لم تكن تعطفاً منا عليها، وإنما كانت تخلصاً منها في الحقيقة فقد كانت مريضة بمرضٍ معدٍ، وخشينا على طفلينا من انتقال العدوى إليهما، فأبعدناها إلى بلدتها بحجة أن ترى أمها وإخوتها. وكانت المرة الثالثة عند وفاة أبيها بعد أن دخلت مرحلة الصبا، واستقر الحزن والانكسار في قلبها.

وأرجو أن تصدقني يا سيدي، إذ ليس لدي ما يبرر أن أدعي شيئاً غير صادق، وأنا كتبت لك بإرادتي، إذا قلت أنني أبكي الآن كلما تذكرت قسوة عقابنا لها إذا أخطأت أي خطأ، وكان لابد أن تخطئ كأي طفلة وكأي إنسان، فقد كان زوجي يصعقها بسلك الكهرباء! وكثيراً ما حرمنها من وجبة العشاء في ليالي البرد القاسية، فباتت على الطوى جائعة، ولا أتذكر أنها نامت ليلة لمدة سنوات طويلة دون أن تبكي!

وسوف تتساءل: ولماذا تحملت كل هذا العذاب ولم تهرب بجلدها من جحيمكم؟ وأجيبك بأن الفتاة حين قاربت سن الشباب خرجت ذات يوم لشراء الخضراوات ولم تعد، فسأل زوجي البواب عنها، وعرف أنها كانت تتحدث لفترات طويلة مع شاب يعمل لدى جزار بنفس الشارع، وأنه من المحتمل أن تكون قد اتفقت معه على أن يتزوجها وينتشلها من هذه الحياة، فلم يمض أسبوع حتى كان نفوذ زوجي قد تكفل بإحضارها من مخبئها، واستقبلناها عند عودتها استقبالا حافلاً بكل أنواع العذاب، فقام زوجي بصعقها بالكهرباء، وتطوع ابني بركلها بعنف، بينما بكت ابنتي وهي تقول لأبيها: حرام يا بابا حرام حرام. ففقد سيطرته على نفسه واستدار إليها وضربها هي أيضاً، وكانت المرة الأولى في حياته التي يضربها فيها أبوها!

وعادت الفتاة لحياتها الشقية معنا، واستسلمت لمصيرها، واستمر الوضع كما كان

عليه، تخطئ أو تؤجل عمل شيء بعض الوقت، فيضربها زوجي ضرباً مبرحاً، ونخرج في الإجازات إلى منطقة الأهرامات لنستمتع بشيء من اللحم، ونترك لها بقايا طعام الأسبوع لتأكله... إلخ ثم شيئاً فشيئاً بدأنا نلاحظ عليها أن الأكواب والأطباق تسقط من يديها، وأنها تتعثر كثيراً في مشيتها، فعرضناها على الطبيب فأكد لنا أن نظرها قد ضعف جداً، وأنه ينسحب تدريجياً، وأنها لا ترى حالياً ما تحت قدميها، أي أنها أصبحت شبه كفيفة، ورغم ذلك فلم نرحمها، وظلت تقوم بكل أعمال نظافة المسكن، وتخرج لشراء الخضار كما كانت تفعل، بل وكثيراً ما صفعتها إذا عادت من السوق بخضراوات ليست طازجة وكثيراً ما كانت تفعل لضعف بصرها الشديد، فأشفقت عليها زوجة البواب، فكانت تجلسها في مدخل العمارة وتذهب هي لشراء الخضراوات لها، حتى تنقذها من الإهانة والضرب، واستمر الحال هكذا فترة من الزمن، ثم خرجت الفتاة ذات يوم من البيت بعد أن أصبحت كفيفة تقريباً، ولم تعد إليه مرة أخرى، ولم نهتم بالبحث عنها هذه المرة.

ومضت السنوات فأحيل زوجي للتقاعد، واستقبل حياة الفراغ، وفقد المنصب والنفوذ، أسوأ استقبال، فضاغت عصبيته وثوراته وانفلاتاته إلى حد غير محتمل، ومع ذلك فقد تحملته بسبب عشرة السنين. وتخرج ابني في الجامعة وعمل، ثم أراد أن يخاطب إحدى زميلاته، فخطبناها له، وهي فتاة رائعة الجمال، وتزوجها وسعدنا بها واكتملت سعادتنا حين عرفنا أنها حامل، ثم جاءت اللحظة السعيدة، ووضعت مولودها فإذا بنا نكتشف لصدمتنا القاسية أنه كفيف لا يبصر، وتحولت الفرحة إلى سحابة كثيفة من الحزن القاتم، وبدأنا الرحلة الطويلة مع الأطباء بلا فائدة، واستسلم ابني وزوجته للأمر الواقع، وانطفأ الأمل في قلبيهما، وأدخلنا حفيدنا الموعود بالعناء حضنة للمكفوفين، وقررت زوجة ابني ألا تحمل مرة أخرى خوفاً من تكرار الكارثة، لكن الأطباء طمأنوها إلى أن هذا مستحيل، لأنه لا توجد صلة قرابة بينها وبين زوجها تؤكد العوامل الوراثية، وشجعوها على الحمل وإنجاب طفل آخر يعيد البسمة إلى حياتها وزوجها، وشجعناها نحن أيضاً على ذلك على أمل أن يرزق ابنتا بطفل طبيعي يخفف من حزنه وصدمته في طفله الأول، وحملت زوجة ابني،

وأنجبت طفلة جميلة شقراء نزلت إلى الحياة، فتوقفت قلوبنا حين زف الطبيب البشرى بأنها ترى وتبصر كالأطفال العاديين، وسعدنا بها سعادة مضاعفة، وانهالت عليها وعلى شقيقها اللعب والملابس والهدايا، وبعد سبعة شهور لاحظنا عليها أن نظرها مركز في اتجاه واحد لا تحيد عنه، فعرضناها على أخصائي عيون للاطمئنان على سلامة عينيها، فإذا به يصدنا بحقيقة أشد هولاً، وهي أنها لا ترى إلا مجرد بصيص من الضوء، وأنها معرضة أيضاً لفقد بصرها، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ورأى زوجي ذلك، فأصيب بحالة نفسية فسدت معها أيامه، وكره كل شيء، ثم تطورت حالته حتى نصحنها الطبيب بإدخاله مصحة نفسية لعلاجها من الاكتئاب، وانقبض قلبي، وأحسست بهموم الدنيا تطأ صدري بقسوة، وفي ضيقي وأحزاني تذكرت فجأة الفتاة الكسيرة التي هربت من جحيماً كفيفة بعد أن أمضت معنا عشر سنوات ذاقت خلالها أهوال الصعق بالكهرباء والضرب والهوان والحرمان، وسألت نفسي في جزع: هل هذا عقاب السماء لنا على ما فعلنا بها؟

وأصبحت صورة هذه الفتاة اليتيمة التي أهملنا علاجها وتسببنا في كف بصرها تطاردني في وحدتي، وتعلق أمني في عفو ربي عما جئنا في أن أجده هذه الفتاة، وأكفر عما فعلنا بها، ورحت أسأل الجميع حتى دلنا أحد الجيران إلى مكانها، وعلمنا أنها تعمل خادمة بأحد المساجد، فذهبت إليها وأحضرتها لتعيش معي ما بقي لي من أيامي، ورغم كل قسوة الذكريات فقد فرحت بسؤالها عنها وسعيي إليها لإعادتها، وحفظت العشرة التي لم نحفظها، وعادت معي لتحسن الطريق وأنا أمسك بيدها، وفرحت بسماع صوت ابنتي الشابة التي طالما أحببتها هذه الفتاة الطيبة في طفولتها وصباها، وبسماع صوت ابني الذي عرف الهم طريقه إلى قلبه، واستقرت الفتاة معنا، وأصبحت أرفعها بل وأخدمها هي وحفيدي الكفيفين، وأمني ودعائي لربي أن يغفر لي ما كان، وأن أقول لمن نضبت الرحمة من قلوبهم: إن الله حي لا ينام، فلا تقسو على أحد فسوف يجيء يوم تطلبون فيه الرحمة من أرحم الراحمين، وتندمون على ما فعلتم في قوتكم وجبروتكم.

هذه هي قصتي يا سيدي التي دفعني بيتا الشعر اللذان قرأتها في ردك لأن أرويها

لك، وأرجو أن يقرأها الجميع ويعتبروا بما فيها، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لهذه إذن هي القصة التي تتكرر أحداثها ومفرداتها كثيراً بيننا، ولعل فيها العبرة والعظة، ونذكرُ بصور إهانة اليتيم لثلاث يقع فيها المسلمون:

(١) تركه مهملاً بلا شفقة أو حنان وتجاهله.

(٢) عدم إطعامه وسقيه وكسوته بما يطعم به الأولاد ويكسون ويسقون.

(٣) أكل ماله وحقه وتبديده، أو استبدال الطيب منه بالخيث.

(٤) القسوة عليه وضربه.

(٥) تفضيل أولاد الصُّلب عليه.

(٦) معايرته باليتيم والمن عليه.

(٧) إهمال تعليمه أمور دينه وعقيدته.

(٨) تسخيريه في الأعمال المهيئة الشاقة.

(٩) إراحة الأولاد وإتاعابه بحيث يترفع الرجل والمرأة عن تشغيل أولادهم في أعمال المنزل كالكنس والمسح بينما يعمل اليتامى في ذلك.

(١٠) إلقاء فُتات الطعام لهم، وعدم مشاركتهم ومخالطتهم.

(١١) تزويجهم رغماً عنهم بمن لا يرضونهم إجباراً لهم لفقدانهم العائل الأول.

فاتقوا الله في اليتامى وأكرمواهم، وامسحوا دمعاتهم، وخففوا عنهم ويلات فقد من كان يحنو عليهم: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (النساء: ٩).

ماذا يحدث في حالة فقدان الابن؟

والموت خلق من خلق الله، وقدر من أقداره التي كتبها على بني آدم، ولا يعرف الموت التفرقة بين الصغار والكبار، فلطالما حَزَّ الموت بسكينه رقاباً صغيرة، وأزهِق أرواحاً لم تتلبس بالأجساد إلا قليلاً، ولعل هذا المشهد- مشهد وفاة الصغار- من أشق المشاهد وأثقلها على النفس، حين يرى إنسان ولده يموت، فلا هو يستطيع صدِّ

جحافل الموت، ولا أن يجود بنفسه ليقى ولده، ولا أن يلحق به حتى لا يذوق مرارة الفقد، ومن هنا وجب الصبر، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة.

فهو ﷺ الذي فقد أولاده الذكور: القاسم، وعبد الله، وإبراهيم عليهم السلام جميعاً، وفقد بناته فلم يبقَ منهن بعده إلا فاطمة رضي الله عنها، وهذه هي المشاهد في حياته ﷺ، نراه كيف تغلب عليها بالصبر، وكيف كان يعزي المسلمين في وفاة أولادهم.

عن أنس قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ فأخذ إبراهيم ابنه فقبله وشمه ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان (تدمعان) فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ (أي تبكي) فقال: «يا ابن عوف». ثم أتبعها بأخرى (أي بكى ثانية) فقال ﷺ: «إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم نحزونون»^(١).

وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: لما توفي ابن رسول الله ﷺ إبراهيم بكى رسول الله ﷺ، فقال له المعزّي إمّا أبو بكر وإمّا عمر: أنت أحق من عظم الله حقه. قال رسول الله ﷺ: «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسطط الرب، لولا أنه وعد صادق، وموعود جامع، وأن الآخر تابع للأول، لوجدنا»^(٢) عليك يا إبراهيم أفضل مما وجدنا، وإنا بك نحزونون»^(٣).

عن أسامة بن زيد قال: أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه أن ابناً لي قد قبض (مات) فأنتا. فأرسل يقرئ السلام ويقول: «إن الله ما أخذ وله ما أعطى وكلّ عنده بأجل مسمى، فلتصب ولتحتسب». فأرسلت إليه تُقسم عليه ليأتينها فقام ومعه سعد بن عبادة ورجال من أصحابه، فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تقعقع (صوت الحشرة) كأنها شنة (القربة القديمة)، ففاضت عيناه ﷺ، فقال سعد: يا رسول الله، ما هذا؟ فقال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»^(٤).

(١) صحيح: متفق عليه رواه البخاري ومسلم كل في كتاب الجنائز.

(٢) لوجدنا: حَزَنًا.

(٣) صحيح: ابن ماجه (١٥٧٨) في الجنائز وصححه الالباني هناك.

(٤) صحيح: متفق عليه رواه البخاري ومسلم كل في كتاب الجنائز.

دعاء النبي ﷺ للصغار وهو يصلي عليهم:

قال سعيد بن المسيب رحمه الله: «صليت وراء أبي هريرة على صبي لم يعمل خطيئة قط، فسمعتة يقول: اللهم أعذه من عذاب القبر»^(١). وكان الحسن يقرأ على الطفل بفاتحة الكتاب ويقول: «اللهم اجعله لنا فرطاً»^(٢) وسلفاً وأجرأ»^(٣).

وإن قال: «اللهم اجعله فرطاً وذخراً لوالديه، وشفيعاً مجاباً، اللهم ثقل به موازينهما، وأعظم به أجورهما، وألحقه بصالح المؤمنين، واجعله في كفالة إبراهيم، وقه برحمتك عذاب الجحيم، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، اللهم اغفر لأسلافنا وأفراطنا، ومن سبقونا بالإيمان» فحسن»^(٤).

البشرى لمن فقد ولداً أو اثنين أو ثلاثة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن امرأة أتت النبي ﷺ بصبي فقالت: ادع الله له فقد دفنت ثلاثة. فقال: «احتظرت بحظار شديد من النار»^(٥).

وبيّن ﷺ ثقل ميزان من مات له ولد فاحتسبه، فيقول: «بَخْ بَخْ لخمس ما أثقلهن في الميزان: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، والولد الصالح يتوفى للمرء المسلم فيحتسبه»^(٦). و«بَخْ بَخْ» كلمة تقال للمدح والرضا، وتكرر للمبالغة، فإن وصلت جُرَّت ونونت.

وفي موت الصغار فوائد لأهلهم كما ذكر المناوي رحمه الله في فيض القدير:

(١) فهم حجاب عن النار كما في عدة أخبار.

(٢) وهم يثقلون الميزان.

(٣) ويشفعون لأبائهم ليدخلوا الجنة.

(١) رواه مالك (٤٨٠) في الجنائز، وعذاب القبر هنا قال الزرقاني (٨٥/٢) في شرح الموطأ: الالم بالغم والهم والحسرة والوحشة، والضغطة وذلك يعم الأطفال وغيرهم.

(٢) أي مقدماً ومؤخراً.

(٤) المغني (٤١٦/٣) لأبن قدامة.

(٥) انظر صحيح الأدب المفرد (١٠٧).

(٦) صحيح: صحيح الجامع (٢٨١٧) عن ثوبان رضي الله عنه.



(٤) ويسقون أصولهم (آباءهم وأمهاتهم) يوم العطش الأكبر من شراب الجنة.

(٥) يخففون الموت عن الوالدين لتذكر أفراطهم - الفرط هو من سبق إلى الجنة أو إلى الموت - الماضين الذين كانوا لهم قرة عين وغير ذلك. اهـ.

والأخبار من السنة تصدق ذلك: فعن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة: إنه قد مات لي ابنان، فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم، «صغارهم دعاميص الجنة (صغار أهل الجنة) يتلقى أحدهم أباه، أو قال: أبويه، فيأخذ بثوبه، أو قال: بيده، كما أخذ أنا بصنفة (طرف) ثوبك هذا، فلا يتناهى، أو قال: فلا ينتهي (فلا يتركه) حتى يدخله الله وإياه الجنة»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث»^(٢) إلا أدخلهما الله وإياهم بفضل رحمته الجنة، يقال لهم: ادخلوا الجنة. فيقولون: حتى يجيء أبوانا. قال: ثلاث مرات فيقولون مثل ذلك، فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وأبواكم»^(٣).

بل يخبر ﷺ بتلقيهم لأهلهم على أبواب الجنة يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل»^(٤).

قال العلماء: «الإخبار بمن بلغ الحنث أي سن التكليف الذي يكتب فيه الإثم، لأن حب الصغير أشد والشفقة عليه أعظم، وهو يلائمه بلا شك قوله ﷺ في رواية: «بفضل رحمته إياهم»، إذن الرحمة للصغير أكثر».

البشرى بالجنة للصغار:

وقال ﷺ: «رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة... إلى أن قال: «انطلق، فانطلقت فإذا روضة خضراء، وإذا فيها شجرة عظيمة، وإذا شيخ في

(١) رواه مسلم في البر والصلة.

(٢) الحنث: سن البلوغ.

(٣) صحيح: رواه البخاري في الجناز.

(٤) حسنه الألباني (٥٧٧٢) عن عتبة عن عبد وعزاه لأحمد في المسند.

أصلها حوله صبيان...» إلى أن قال: «إنكما طوفتما نبي منذ الليلة، فأخبراني عما رأيتم». قالوا: نعم... قالوا: «وأما الشيخ الذي رأيتم في أصل الشجرة فذاك إبراهيم عليه السلام، وأما الصبيان الذين رأيتم فأولاد الناس»^(١).

ويؤكد ﷺ على هذا المعنى: كون الصغار من المسلمين في كفالة إبراهيم وسارة عليهما السلام في حديث آخر عن أبي هريرة وفيه قال: قال رسول الله ﷺ: «أطفال المؤمنين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يردوهم إلى آبائهم يوم القيامة»^(٢). لذلك كان من الدعاء في صلاة الجنائز على الطفل أن يقال: «... وألحقه بصالح المؤمنين، واجعله في كفالة إبراهيم، وقه برحمتك عذاب الجحيم...».

أما أطفال المشركين:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أطفال المشركين خدم أهل الجنة»^(٣). قال النووي في شرح صحيح مسلم: «وأما أطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب: الأكثرون قالوا: هم في النار تبعاً لأبائهم. وتوقفت طائفة فيهم، والثالث وهو الصحيح الذي ذهب إليه المحققون: أنهم من أهل الجنة، ويستدل له بأشياء منها حديث إبراهيم الخليل ﷺ حين رآه النبي ﷺ في الجنة وحوله أولاد الناس، قالوا: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ قال: «وأولاد المشركين». رواه البخاري في صحيحه.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء: ١٥). ولا على المولود التكليف حتى يبلغ، وهذا متفق عليه والله أعلم. اهـ.

هذا، وقد نهى النبي ﷺ عن قتل الصبيان الأعداء في الحروب، فعن عبد الله رضي الله عنه أن امرأة وجدت في بعض مغازي رسول الله ﷺ مقتولة، فأنكر ﷺ قتل النساء والصبيان^(٤).

فلا عويل ولا لطم خدود، أو خرق أو شق جيوب، بل صبر على ما كان من

(١) رواه البخاري في التعبير.

(٢) صحيح الإسناد: أحمد والحاكم وانظر صحيح الجامع (١٠٢٣).

(٣) صحيح: الطبراني في الأوسط عن أنس، وانظر صحيح الجامع (١٠٢٤).

(٤) شرح النووي على مسلم (٩/١).

قدر الله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٥ - ١٥٧). وكان عمر يقول عند تلاوة هذه الآية: «نعم العدلان - أي: الصلاة والرحمة - ونعمت العلاوة - أي: الهداية». فقل كما علمنا ﷺ: «اللهم أجرني في مصيبي واخلف لي خيراً منها»^(١).

وكم من صغير عاش كان سبباً في فساد الحياة والبلاد والعباد، وتنغيص المعاش، وارجع في ذلك إلى قصة موسى والخضر وقتل الصبي وتفسير ذلك، فالله تعالى لا يقضي للعبد قضاءً إلا بما فيه الخير له ولمن حوله.



حكايات للصغار حتى سن ٣ سنوات

طفولة النبي ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

في شبه الجزيرة العربية، وفي مكة المكرمة حيث تعيش قريش حول الكعبة ولد محمد ﷺ من أسرة كريمة المعدن، نبيلة النسب، جمعت ما في العرب من فضائل، قال رسول الله ﷺ عن نفسه: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»^(١).

وعاش محمد ﷺ طفولته يتيمًا، لا يشارك الأطفال الذين هم في مثل سنه لهوهم ولعبهم، بل حفظه الله عز وجل ورعاه، وكان ﷺ منذ طفولته يتمتع بنقاء الفطرة، ومكارم العادات، ومحاسن الأخلاق، فكان في طفولته نعم القدوة لكل الأطفال ﷺ.



العرب قبل الإسلام

كان العرب في شبه الجزيرة العربية قبل بعثة الرسول ﷺ يعبدون الأصنام من دون الله، ويقدمون لها القرابين، ويسجدون لها، ويتوسلون بها، وهي أحجار لا تضر ولا تنفع، وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً.

وكان الناس يطوفون عرايا حول الكعبة، وقد تجردوا من ملابسهم بلا حياء، يصفقون ويصفرون ويصيحون بلا نظام، وقد وصف الله عز وجل صلاتهم فقال: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءٌ وَتَصْدِيدَةٌ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٥).

وكانت الحروب تقوم بينهم لأتفه الأسباب، وتستمر مشتتة أعوامًا طويلة، فهذان

رجلان يقتتلان، فيجتمع الناس حولهما، وتناصر كل قبيلة صاحبها، وتقوم الحرب في لمح البصر، ولا تنتهي حتى يموت الرجال، وانتشرت بينهم العادات السيئة مثل: شرب الخمر، وقطع الطرق، والزنا، وكانت بعض القبائل تهين المرأة، وينظرون إليها باحتقار، فهي في اعتقادهم عارٌ كبير، عليهم أن يتخلصوا منها، فكان الرجل منهم إذا ولدت له أنثى حزن حزناً شديداً، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوِداً وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (النحل: ٥٨، ٥٩).

وقد يصل به الأمر إلى أن يدفنها وهي حية، وهي العادة التي عرفت عندهم بواد البنات، وكان الظلم ينتشر في المجتمع، فالقوي لا يرحم الضعيف، والغني لا يعطف على الفقير بل يُسخره لخدمته، وإن أقرضه مالا فإنه يقرضه بالربا، فإذا اقترض الفقير ديناراً يرده دينارين، فيزداد فقراً ويزداد الغني ثراءً، وكانت القبائل متفرقة، لكل قبيلة رئيس، وهم لا يخضعون لقانون منظم.



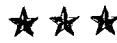
صفات حميدة

ومع كل هذا الجهل والظلام في ذلك العصر المسمى بالعصر الجاهلي، كانت هناك بعض الصفات الطيبة والنبيلة، كإكرام الضيف، فإذا جاء ضيف على أحدهم بذل له كل ما عنده، ولم ييخل عليه بشيء، فهذا هو ذا حاتم الطائي لم يجد ما يطعم به ضيوفه، فذبح فرسه - وقد كانوا يأكلون لحم الخيل - وأطعمهم قبل أن يأكل هو، وكانوا ينصرون المستغيث فإذا نادى إنسان وقال: إني مظلوم، اجتمعوا حوله وردوا إليه حقه.

وقد حدث ذات مرة أن جاء رجل يستغيث، وينادي بأعلى صوته في زعماء قريش أن ينصروه على العاص بن وائل الذي اشترى منه بضاعة ورفض أن يعطيه ثمنها، فتجمع زعماء قريش في دار عبد الله بن جدعان، وتحالفوا على أن ينصروا المظلوم ويأخذوا حقه من الظالم، وسموا ذلك الاتفاق حلف الفضول، وذهبوا إلى العاص بن وائل، وأخذوا منه ثمن البضاعة، وأعطوه لصاحبه.

نسب النبي ﷺ

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الذي يصل نسبه إلى إسماعيل ابن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام.



حكاية الثريد

كان عمرو بن عبد مناف الجد الأكبر للرسول ﷺ رجلاً كريماً، فقد حدث في عصره أن نزل القحط بالناس، فلم يجدوا ما يأكلون، وكادوا يموتون جوعاً، وبدأ كل إنسان يفكر في نجاة نفسه فقط، فالذي عنده طعام يحرص عليه ويحجبه عن الناس، فذهب عمرو إلى بيته وأخرج ما عنده من الطعام، وأخذ يهشم الثريد (أي: يكسر الخبز في المرق) لقومه ويطعمهم، فسموه (هاشماً) لأنه كريم يهشم ثريده للناس جميعاً.

وعندما ضاق الرزق في مكة أراد هاشم أن يخفف عن أهلها، فسافر إلى الشام صيقاً، وإلى اليمن شتاءً، من أجل التجارة، فكان أول من علم الناس هاتين الرحلتين، وفي إحدى الرحلات، وبينما هاشم في طريقه للشام مر يشرب، فتزوج سلمى بنت عمرو إحدى نساء بني النجار، وتركها وهي حامل بابنه عبد المطلب لتلد بين أهلها الذين اشترطوا عليه ذلك عند زواجه منها.



حكاية الكنز

كان عبد المطلب جد الرسول الكريم ﷺ يسقي الحجاج الذين يأتون للطواف حول الكعبة، ويقوم على رعاية بيت الله الحرام، فالتف الناس حوله، فكان زعيمهم وأشرفهم.

وكان عبد المطلب يتمنى لو عرف مكان بئر زمزم ليحفرها، لأنها كانت قد ردمت بمرور السنين، ولم يعد أحد يعرف مكانها، فرأى في منامه ذات ليلة مكان بئر زمزم، فأخبر قومه بذلك ولكنهم لم يصدقوه، فبدأ عبد المطلب في حفر البئر هو وابنه الحارث، والناس يسخرون منهما، وبينما هما يحفران تفجر الماء من تحت أقدامهما، والتف الناس حول البئر مسرورين، وظن عبد المطلب أنهم سيشكرونه، لكنه فوجئ بهم ينازعونه امتلاك البئر، ف شعر بالظلم والضعف لأنه ليس له أبناء إلا الحارث، فإذا به يرفع يديه إلى السماء، ويدعو الله أن يرزقه عشرة أبناء من الذكور، ونذر أن يذبح أحدهم تقرباً لله.



الأبناء العشرة

استجاب الله دعوة عبد المطلب، فرزقه عشرة أولاد، وشعر عبد المطلب بالفرحة، فقد تحقق رجاؤه، ورزق بأولاد سيكونون له سنداً ووعوتاً، لكن فرحته لم تستمر طويلاً، فقد تذكر النذر الذي قطعه على نفسه، فعليه أن يذبح واحداً من أولاده. فكر عبد المطلب طويلاً، ثم ترك الاختيار لله تعالى، فأجرى قرعة بين أولاده، فخرجت القرعة على عبد الله أصغر أولاده وأحبهم إلى قلبه، فأصبح عبد المطلب في حيرة: أيدبح ولده الحبيب أم يعصي الله ولا يفي بنذره؟ فاستشار قومه، فأشاروا عليه بأن يعيد القرعة، فأعادها مراراً، لكن القدر كان يختار عبد الله في كل مرة، فازداد قلق عبد المطلب.

فأشارت عليه كاهنة بأن يفتدي ولده بالإبل، فيجري قرعة بين عبد الله وعشرة من الإبل، ويظل يضاعف عددها حتى تستقر القرعة على الإبل بدلاً من ولده، فعمل عبد المطلب بنصيحة الكاهنة، واستمر في مضاعفة عدد الإبل حتى بلغت مائة بعير، وعندئذ وقعت القرعة عليها، فذبحها فداء لعبد الله، وفرحت مكة كلها بنجاة عبد الله.



زواج عبد الله

كان عبد الله أكرم شباب قريش أخلاقاً، وأجملهم منظرًا، وأراد عبد المطلب أن يزوجه، فاختر له زوجة صالحة، هي السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة أطهر نساء بني زهرة، وسيدة نسايتهم، وتمر الأيام ويخرج عبد الله في تجارة إلى الشام، بعد أن ترك زوجته آمنة حاملاً، ولحكمة يعلمها الله مات عبد الله قبل أن يرى وليده.



حكاية الفيل

وذات يوم استيقظ أهل مكة على خبر أصابهم بالفرع والرعب، فقد جاء ملك اليمن أبرهة الأشرم الحبشي بجيش كبير، يتقدمه فيل ضخمة، يريد هدم الكعبة، حتى يتحول الحجيج إلى كنيسة التي بناها في اليمن، وأنفق عليها أموالاً كثيرة. واقترب الجيش من بيت الله الحرام، وظهر الخوف والهلع على وجوه أهل مكة، والتف الناس حول عبد المطلب الذي قال لأبرهة بلسان الوائق من نصر الله تعالى: «للبيت رب يحميه». فازداد أبرهة عناداً، وأصر على هدم الكعبة، فوجه الفيل الضخم نحوها، فلما اقترب منها أدار الفيل ظهره ولم يتحرك، وأرسل الله طيوراً من السماء تحمل حجارة صغيرة، لكنها شديدة صلابة، ألقت بها فوق رؤوس جنود أبرهة فقتلتهم وأهلكتهم. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۚ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۚ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ (سورة: الفيل).

في يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من هذا العام ولد الرسول ﷺ، حيث ولدت السيدة آمنة بنت وهب زوجة عبد الله بن عبد المطلب غلاماً جميلاً مشرق الوجه، وخرجت ثوية الأسلمية خادمة أبي لهب عم النبي ﷺ تهوول إلى سيدها أبي لهب ووجهها ينطق بالسعادة، وما كادت تصل إليه حتى همست له

بالشرى، فتهلل وجهه، وقال لها من فرط سروره: اذهبي فأنت حرة! وأسرع عبد المطلب إلى بيت ابنه عبد الله ثم خرج حاملاً الوليد الجديد، ودخل به الكعبة مسروراً، يشكر الله ويدعوه، وألهمه الله أن يطلق على حفيده اسم محمد.



حكاية المرضعة

جاءت المرضعات من قبيلة بني سعد إلى مكة، ليأخذن الأطفال الرضع إلى البادية، وكانت كل مرضعة تبحث عن رضيع من أسرة غنية ووالده حي، ليعطيها مالا كثيراً، لذلك رفضت كل المرضعات أن يأخذن محمداً ﷺ لأنه يتيم، وأخذته السيدة حليلة السعدية لأنها لم تجد رضيعاً غيره، وعاش محمد ﷺ في قبيلة بني سعد، فكان خيراً وبركة على حليلة وأهلها، حيث اخضرت أرضهم بعد الجذب والجفاف، وجرى اللبن في ضروع الإبل.



حكاية شق الصدر

وفي بادية بني سعد وقعت حادثة غريبة، فقد خرج محمد ﷺ ذات يوم ليلعب مع أخيه من الرضاعة ابن حليلة السعدية، وفي أثناء لعبهما ظهر رجلان فجأة، واتجها نحو محمد ﷺ، فأمسكاه وأضجعه على الأرض ثم شقا صدره، وكان أخوه من الرضاعة يشاهد عن قرب ما يحدث له، فأسرع نحو أمه وهو يصرخ، ويحكي لها ما حدث.

فأسرعت حليلة السعدية وهي مذعورة إلى حيث يوجد الغلام القرشي فهو أمانة عندها، وتخشى عليه أن يصاب بسوء، لكنها على عكس ما تصورت، وجدته واقفاً وحده، قد تأثر بما حدث، فاصفر لونه، فضمته في حنان إلى صدرها، وعادت به إلى البيت، فسألته حليلة: ماذا حدث لك يا محمد؟ فأخذ يقص عليها ما حدث، لقد كان هذان الرجلان ملكين من السماء أرسلهما الله تعالى ليظهر قلبه ويغسله، حتى يتهيأ للرسالة العظيمة التي سيكلفه الله بها.

خافت حليلة على محمد، فحملته إلى أمه في مكة، وأخبرتها بما حدث لابنها، فقالت لها السيدة آمنة في ثقة: أتخوف عليهِ الشيطان؟ فأجابتها حليلة: نعم. فقالت السيدة آمنة: كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لابني لثأناً، لقد رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء لي به قصور الشام، وكان حمله يسيراً. فرجعت به حليلة إلى قومها، حتى بلغ عمره خمس سنوات، ثم عاد إلى أمه في مكة.



محمد ﷺ في يثرب

وذات يوم خرجت السيدة آمنة ومعها طفلها محمد وخادمتها أم أيمن من مكة متوجهة إلى يثرب لزيارة قبر زوجها عبد الله، وكان الجو شديد الحر، وأثناء عودتهما مرضت وماتت وهي في الطريق، في مكان يسمى الأبواء، فدفنت فيه، وعادت أم أيمن إلى مكة بالطفل محمد يتيمًا وحيدًا، فعاش مع جده عبد المطلب، وكان عمر محمد آنذاك ست سنوات.



محمد ﷺ مع جده

بعد وفاة السيدة آمنة عاش محمد ﷺ في ظل كفالة جده عبد المطلب الذي امتلأ قلبه بحب محمد، فكان يؤثر أن يصحبه في مجالسه العامة، ويجلسه على فراشه بجوار الكعبة، ولكن عبد المطلب فارق الحياة ومحمد في الثامنة من عمره.



محمد ﷺ مع عمه

وتكفل به بعد وفاة جده عمه أبو طالب، فقام بتربيته ورعايته هو وزوجته فاطمة بنت أسد، وأخذ مع أبنائه، رغم أنه لم يكن أكثر أعمام النبي ﷺ مالاً، لكنه كان أكثرهم نبلاً وشرفاً، فزاد عطفه على محمد ﷺ حتى إنه كان لا يجلس في مجلس إلا وهو معه، ويناديه بابنه من شدة حبه له.



رحلة الشام

خرج محمد ﷺ مع عمه أبي طالب في رحلة إلى الشام مع القوافل التجارية وعمره اثنا عشر عاماً، وتحركت القافلة، ومضت في طريقها، حتى وصلت إلى بلدة اسمها «بصرى» وأثناء سيرها مرت بكوخ يسكنه راهب اسمه «بُحَيْرَى»، فلما رأى القافلة خرج إليها، ودقق النظر في وجه محمد ﷺ طويلاً، ثم قال لأبي طالب: ما قرابة هذا الغلام منك؟ فقال أبو طالب: هو ابني. قال بحيرى: ما هو بابنك، وما ينبغي أن يكون هذا الغلام أبوه حياً. قال أبو طالب: هو ابن أخي. فسأله بحيرى: فما فعل أبوه؟ قال أبو طالب: مات وأمه حبلى به. فقال له بحيرى: صدقت، فارجع به إلى بلده واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه هنا ليقعن به شراً، فإنه سيكون لابن أخيك هذا شأن عظيم. فأسرع أبو طالب بالعودة إلى مكة في صحبته ابن أخيه محمد.



أناشيد تنشد للصغار

حتى سن ثلاث سنوات

هذه الدنيا الجميلة ★ بين قفر وخميلة
وسماوات ظليلة ★ كلها من صنع ربي

★★★

النجوم الزاهرات ★ والبدر النيرات
والضحى والظلمات ★ كلها من صنع ربي

★★★

جمل الكون ببحر ★ وبوادٍ تحت نهـر
وبأشجار وزهر ★ كلها من صنع ربي

★★★

وحبّاهُ بجبال ★ كاسيات بالجلال
مشرقات بالجمال ★ كلها من صنع ربي

★★★

قال للإنسان قلب ★ طبق الأرض ونقّب
تعطيك الحب فتحصد ★ كلها من فضل ربي

★★★

يا خالق الإنسان

يا خالق الإنسان ★ يا مبدع الأكوان
بالجود والإحسان ★ يا رب أكرمنا

الله . . الله . . الله

يحييا بك القلبُ ★ يسـمـو بك الحبُّ
لـولـاك يـارب ★ لـولـاك مـمـا كـنا

الله .. الله .. الله

أنت الذي يهـدي ★ يارب للرشـد
إنـا عـلى العـهد ★ يارب فـاقـبـلـنا

الله .. الله .. الله

رحمـاك يـا رـحـمـن ★ يـا مُنـزل القـرآن
بـالأمـن والإيـمان ★ بالرشـد ألـهـمـنا

الله .. الله .. الله

☆☆☆

إن سألتكم

إن سألتم عن إلهي ★ فهو رحمن رحيم
إن سألتم عن نبـي ★ فهو إنسان كريم
إن سألتم عن كتـابي ★ فهو قرآن كريم
إن سألتم عن عدوي ★ فهو شيطان رجيم

☆☆☆

قواعد، وتحذيرات، ووصايا

قبل أن نُربي الصغار بعد ثلاث سنوات تعالوا نعرف الأخطار التي تحيط بنا:
(اعرف الشر لتتوقاه).

- قواعد هامة.
- التعليم والتأديب.
- عدم إهانة أحد الوالدين أمام الصغار.
- طلاق الزوجين.
- وثن العصر: التلفاز وأجهزة الإعلام.
- نصائح للتخلص من خطر التلفاز.
- الأطفال وهوس كرة القدم.
- الصغار والمدرسة، ودور التعليم.
- حلم واقتراح - الجو الذي يجب أن يسود المدرسة.
- تدليل الصغار كارثة.
- لقمان عليه السلام يربي ولده.



قواعد هامة يجب مراعاتها في التعامل مع الصغار

يخرج الإنسان من بطن أمه جاهلاً بما حوله كما قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ٧٨).

فدلت الآية على أمرين:

الأول: جهل الإنسان واحتياجه إلى التعليم.

الثاني: اكتسابه التعليم بواسطة الحواس التي خلقها الله تعالى له كالسمع والبصر.

ومرحلة الطفولة هي أخطر المراحل على الإطلاق إذ هي المرحلة التي سنصنع فيها البذور الأساسية للتربية، والتي بدورها ستظل ملازمة للطفل حتى شبابه وهرمه.

فالصغير بعد الثالثة أو الرابعة يبدأ في النمو:

- النمو البدني، والعقلي، والنمو العاطفي والقلبي.

- والنمو في العلاقات الاجتماعية مع الآخرين.

- كما سيتحول إلى إنسان ناطق بعد اعتماده في السني الثلاثة الأولى على

الإشارة ومحاولات النطق الأولى.

- كما أن الصغير هنا ستنمو جميع ملكاته، ومن هنا يسيطر عليه التقليد لإشباع

هذه الملكات والرغبات فينظر إلى ما يفعله الكبار لا يريد إلا محاكاتهم وتقليدهم،

لأن القاعدة عند الصغير كما سبق أن كل ما يقوم به الكبار صحيح وإلا لماذا يفعلونه؟

هذا بالتحديد ما يدور في ذهنه، ولأن الصغير كالوعاء الخاوي فإنه يريد الامتلاء،

ونحن بين خيارين: الأول: ملؤه بما ينفعه. والثاني: ملؤه بما يضره. وبين الاختيارين

نرى من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

والطفل خارج نطاق التكليف والمسئولية، فالمسئولية تقع على الراعي الرئيسي

والأساسي وهو ولي الصغير ومربيه، إن كان هو أبوه أو من يليه في حضانه

الصغير، وتشتد خطورة الأمر حين نعلم أن (التعليم في الصغر كالنقش على

الحجر).

هذه واحدة؛ والأخطر منها أننا نواجه حرباً شرسة لبس الشيطان فيها زي

الواعظين، فمما هو جدير بالذكر أن أعداء الإسلام أرادوا تخريب القلوب والعقول،

فلجأوا إلى ما يصعب اقتلاعه من الصغار بعد أن يكبروا، وبذلك يسهل عليهم فعل

ما يريدون.

فالصغير إن شبَّ على مبادئ الغرب وأولها: أن يكون بلا عقيدة، أو صاحب

عقيدة مشوهة كان لعبة في يد أعدائه يشكلونها كيف شاءوا، وينالون منه في أقصر

وقت ممكن.

من أجل هذا لجأ الغرب إلى (وثن الأطفال) وهو الكارتون هذه النسخة المستحدثة من كتاب (كليلة ودمنة) حيث تتكلم الحيوانات وتفكر، وينتصر الفأر على القط، كما ينتصر الحيوان الناطق على الإنسان، بينما صور الصليبان معلقة على الحوائط منتشرة في كل مكان، ولا تكاد تسمع أحد أبطال الشخصيات الكارتونية يدعو الله أو يبتهل إليه لينصره على عدوه، بل يشير إلى عقله ليدبر مؤامرة جديدة في إشارة إلى أن العقل هو السيد وهو الإله، وهذا مفهوم الغرب عن العقل بعيداً عن الدين وقضايا الألوهية.

أضف إلى ذلك أن كثيراً من هذه الأفلام تجسد للصغار في هذه السن المبكرة فكرة الثنائية في الوجود، وهي فكرة (الثنوية) أو (المانوية) أو (المجوسية) وهي فكرة الزندقة التي تقول بالهين، أحدهما للظلمة، والآخر للنور، أحدهما للشر، والآخر للخير وهكذا.

ولطالما حاول أعداء الإسلام نشر هذه الفكرة قنديماً عن طريق إخوان الصفا وغيرهم من الموتورين على الإسلام وأهله الذين عبثوا بالعقول فأفسدوا الكثير منها. وكثيراً ما ترى إله الخير، وإله الشر، أو قوة الخير وقوة الشر، يقودهما مخلوق بشري، أو مخلوق من تصميم غريب كل مواصفاته: البعد عن الألوهية تماماً.

كما أن قصص الكارتون تقوم على السرعة واستخدام الألوان التي تجذب الأنظار مما يصعب مهمة الكبار في منع الصغار من مشاهدتها.

وأقل ضرر هذه الأفلام أنها تربط الصغير بها حتى أنه لا يفارق رؤياها، ولا يبارح مكانه أمام التلفاز، فيصاب بداء الارتباط بهذه (العبثية) التي تمسخ الفطرة وتشوهها، ناهيك عن ضعف البصر الذي يلزم أكثر الصغار لجلوسهم المتواصل أمام التلفاز لساعات عديدة.

ولن أسهب في هذه المسألة إذ سأتوقف مع (التليفزيون) بوجه عام خلال فصل قادم إن شاء الله لبيان خطورة ما يعرض فيه.

ولا حل أمام هذه الكوارث التي تكاد تقلب مجتمعاتنا رأساً على عقب - أو قد فعلت - إلا التمسك بالدين، وغرس مبادئه: عقيدة وشريعة داخل القلوب.

وهنا لا أراني إلا قائلاً: إن المسؤولية تقع على الأبوين في الاختيار منذ البداية!! فلن يخرج الصالح إلا صالحاً مثله، فإن كان المنبت سوءاً كذا كان الغرس، وكذا كان الثمر.

إننا نريد آباءً وأمّهات قد وعوا ما يدور حولهم من مستجدات ليحموا الصغار منها، وليكون هدفهم الأساسي: إخراج نفس مؤمنة موحدة تُهدى إلى المجتمع المسلم ومن ثم إلى الجنة.

من أجل هذا سنعرض هذه البنود التي يجب مراعاتها مع الصغار أثناء التعامل معهم خلال هذه الفترة السنية الممتدة من بعد سن السنوات الثلاث إلى سن عشر سنوات.

(١) تعليم الإيمان قبل القرآن: وسأتوقف معها إن شاء الله بعد قليل.

(٢) توحيد المعاملة: فيجب أن تتوحد معاملة الأبوين للصغير حتى لا يكره أحد والديه ويفضله على الآخر، فلا يتشدد الأب تماماً، ثم تحوّل الأم بجهل على صغيرها، فيتربى في نفسه كراهية أبيه ولو كان أبوه على الصواب، فيرتمي في أحضان أمه تماماً، وإنما يجب توحيد المعاملة.

والمثال: مرض الصغير، فوصف الطبيب له شرباً مراً الطعم، فأمر الأب صغيره بشربه لكنه امتنع، فلا تتدخل الأم وتقول: لا تسقه، وتحوّل إلى جاهلة بمنع صغيرها عن الدواء الذي سيكون سبباً في الشفاء، ومهما غضب الأب وظهرت آثار الغضب على وجهه ساندته الأم برفق، فتقول: اشرب يا حبيبي، فوالدك يريد لك الشفاء السريع بإذن الله. وهنا يجد الصغير أنه لا مفر من الدواء وتعاطيه فيشربه بعد أن رأى توحيد الكلمة. فإذا ما حدث العكس فإن الصغير سيرتمي في أحضان من يوافقه على رأيه الخاطئ مع كراهية الآخر.

وقد يحدث أن يمنع الأب ولده بعض الأشياء كعقاب له، فعلى الأم ألا تعطيه من وراء ظهر أبيه ودون علمه. وقد يفعل الصغير شيئاً خاطئاً فتخفيه الأم على الأب، وهنا تكون الكارثة، فيصبح دأب الصغير ارتكاب الأخطاء تحت مظلة إخفاء أمه للحقيقة على أبيه، ويتعلم الكذب واللؤم والخبث، وربما حلف كذباً، وأمّه السبب!!

وأكثر ما يجب وصوله إلى ذهن الصغير: أننا نريدك رجلاً مهما فعلنا معك، وعلى هذا اتفقنا.

(٣) الرفق واللين بعيداً عن التدليل: فالرفق واللين شيء، والتدليل شيء آخر، إذ التدليل من أكبر المفسدات التي تطيح برجولة الذكور، وتمنح الأنثى خلقاً سيئاً، والمدللون لا يصلحون لقيادة دراجة، فكيف ينون المجتمعات، ويجاهدون في سبيل رفعة هذا الدين؟! رفعه

إنما الرفق واللين مع الصغار بعدم التعجل في ضربهم، بالابتسام الرقيقة، بالمداغة، بالحديث الطيب، بالملاطفة والإحسان، برحمته، لكن أن يفعل الخطأ ثم يُسكت عليه، ولا يُوبَّخ أو يُلفت انتباهه إلى الخطأ؛ بل والضحك والفرح به، هذه هي المصيبة المعروفة باسم (التدليل)، وقد سبق الحديث عن الرحمة واللين مع الصغار في مواجهة قسوة بعض الآباء والأمهات.

إن أسوأ ما يحدث للطفل المدلل هو: تكوين شخصية ضعيفة لديه، فلا يستطيع الاعتماد على نفسه، ويحتاج دائماً إلى من يساعده ويساعده، فيسهل على عدوه النيل منه، ولا يقدم هو الجديده لنفسه أو لغيره فالتدليل ضرر واسع المدى لا يفارق الإنسان مدى حياته.

(٤) التدرج في معالجة أخطاء الصغار: بإبداء النصيح أولاً، ثم عتاب ولوم، ثم هجر، ثم تهديد ووعيد، ثم ضرب، والضرب لا يكون إلا عند سن العاشرة، وحذار من الضرب قبل هذا السن، مصداقاً لقوله عليه السلام - وسيأتي مفصلاً -: «واضربوهم لعشر»، ولا مانع من التهديد بالعصا، وضربها في الهواء، وتعليق العصا في مكان ظاهر ليخشى الصغير نزولها عليه، فإذا ما وقعت الواقعة وصمم على الخطأ كان الضرب في سن العاشرة جزاءً له مع الابتعاد عن الوجه والبشرة.

(٥) المكافأة عند العمل الصالح: مع استخدام أسلوب التشجيع، والمكافأة لها أشكال كثيرة:

- هدية مادية.
- ابتسامه وقبلة.
- نزهة.
- مجرد كلمة.

ولكن لا تتعود على الهدية المادية، فالיום عندك المال وغداً ليس عندك، فماذا تفعل؟

يقول الغزالي في الإحياء: «مهما ظهر من الصبي خلقٌ جميل، وفعل محمود فينبغي أن يُكْرَم عليه، ويُجَازَى عليه بما يَفْرَح به ويُمدح بين أظهر الناس، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ولا يكشفه، ولا سيما إذا ستره الصبي، واجتهد في إخفائه، فإن إظهار ذلك عليه ربما يفيد جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة» (١).

لكن ماذا إذا أخطأ الصغير؟

كما يبدو لنا من كلام الغزالي رحمه الله أنه لابد من الابتعاد عن تأديبه أمام الناس حتى لا يتجراً بعد ذلك على الخطأ بعد أن كُشف أول مرة، ولكن يوبخ ويلام، أو يعاقب بعيداً عن الناس.

والخطأ الذي درج عليه الكثير أنهم يقولون: «ربنا هيدخلك النار»، وكأن الله تعالى لم يخلق إلا النار!! فيقر في نفس الصغير هذا الذي ذكرته، ويبدأ في النفور من الدين، لا تفعل إذن، ولكن قل له: الله يرانا ويحبنا إذا فعلنا العمل الصالح، ولن يحبنا إذا ارتكبنا العمل غير الصالح.

وإذا كان الخطأ أمام الناس- يعني في محل مثلاً- فلا تقل له: سامشي وأتركك، ولكن قل: سنمشي جميعاً، فيستحي الصغير ويعتذر فوراً.

وتأكد من أنه: سيبقى تشجيعك له حافزاً على ممارسة العمل الصالح، وسيبقى توبيخك له على العمل غير الصالح سبباً في ابتعاده عنه لكن مع توخي الحذر في الحالتين، وسلوك الطريق الصحيح.

(٦) غرس مبادئ احترام الآخرين فيه: فلا ضرب للأم، ولا بصق على الأب، ولا سب للجدّة، بل احترام كامل.

(٧) استخدام أسلوب الحكايات: والحكايات- كما سنعرض لها- لابد أن تكون

مفيدة مستلهمه من الكتاب والسنة، لا مجرد حكايات فقط، مع ملاحظة أن الصغار يحبون السماع من سن الرابعة، وبعد ذلك قابلني إن سمع لك، فلا تضيع الفرصة وانتزها لتغرس في صغيرك ما تريده من محاسن الأخلاق.

(٨) ملاعبة الصغار: بالألعاب النافعة، كالسباحة، والرمي، والجري وغيرها.

(٩) تخليصه من العادات السيئة: فالصغير لا يدري معنى الاحترام ولا يفرق بين العادات الحسنة والسيئة، فلا حرج عنده من البصاق أو الضراط أو التمشط، أو الشره في الطعام، وعدم التأدب بالآداب العامة في كل المجالات، ومن هنا يجب المسارعة بتعليمه هذه الآداب.

وبالجملة يعود الاحترام لنفسه وللآخرين، يقول الغزالي رحمه الله^(١): «أول ما يغلب على الصبي من الصفات: شره الطعام، فينبغي أن يؤدب فيه مثل: ألا يأخذ الطعام إلا بيمينه، وأن يقول عليه: بسم الله عند أخذه، وأن يأكل مما يليه، وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره... وينبغي أن يمنع عن النوم نهاراً فإنه يورث الكسل، ولا يمنع منه ليلاً، ويعود الخشونة في الفرش والملبس والمطعم... ويعود التواضع والإكرام لكل من عاشره، والتلطف في الكلام معهم، ويعود ألا يبصق في مجلسه ولا يتمخط، ولا يتشاءب بحضرة غيره، ويمنع كثرة الكلام لأن ذلك يدل على الوقاحة، ويمنع من اليمين صادقاً كان أو كاذباً حتى لا يعتاد ذلك في الصغر» اهـ.

وعلى هذا يعود الصغير هذه الأمور:

- الاستئذان لقضاء الحاجة.

- أو الاستئذان لفعل ما يستقبحه القوم في مجالسهم كالتمخط وغيره، مع إعطائه منديلاً ليتعود النظافة.

- تعليمه آداب النوم، والطعام، وتلاوة القرآن وغيرها. وسيأتي هذا كله.

- تقبيل يد الجد والجدة، والوالد والوالدة.

- مناداة أبيه وأمه ب (أبي وأمي) لا باسمهما مجرداً.

(١٠) اعلم أنهم يريدون معرفة كل شيء: وذلك لأن الصغار قد يسألون أسئلة مخرجة- سنفرد لها باباً خاصاً إن شاء الله تعالى-، فقد يسأل أمه الحامل: كيف دخل الصغير إلى بطنك؟! وهنا تعرق الأم، ويصاب الجميع بما يشبه الصدمة العصبية، وهذا لأن السؤال فعلاً مخرج، ولكن الإجابة عليه بلطف وتأن، فنقول: إن الصغير ينمو داخل البطن كما تنمو الحبة تحت الأرض، وهذا خلق الله تعالى، وأنت كنت مثله وأنت صغير، ثم نحول الحديث نحو قدرة الله تعالى، وهذا كافٍ جداً إن شاء الله.

(١١) تعويد الصغير على اتخاذ القرارات من صغره: فنشركه في الاختيارات لنعلم ميوله، ولنعلمه اتخاذ القرار، فمثلاً نصطحبه إلى محل للعب ونسأله عن اختياراته ونحاول أيضاً تحفيزه نحو ما نريد بمجدح لعبة معينة. أو أخذ رأيه في ملابسه التي نشتريها له حتى يتعود على تحمل المسئولية منذ الصغر، وإلا احتاج طيلة عمره إلى من يعينه ويساعده.

(١٢) التحدث في أحيان كثيرة بالفصحى ليتعودها: ف (أبي) بدلاً من (بابا)، و (أمي) بدلاً من (ماما)، والثلاجة بدلاً من التلاجة، ومحاولة الاتزان بين العامية والفصحى.

(١٣) عدم ارتكاب الأخطاء أمامه كما نبهنا وإلا كانت المصيبة بالتقليد.

(١٤) غلق الأبواب على ما يخشى عليه غلقاً محكماً كالأموال وأدوات تحمل المرأة لزوجها.

(٥) الاستتار وعدم التحدث صراحة بالجنس أمامهم: ف «الجنس في مأمن ما دام في مكن»، وإلا فالمصيبة كل المصيبة في إطلاق العنان للحرية الجنسية.

(١٦) تعويده على أسماء الأنبياء والصحابة والصالحين من خلال القصص من السيرة النبوية وغيرها.

(١٧) تنمية روح الوحدة بين الإخوة وبعضهم البعض بعدم تفضيل أحدهم على الآخر، وتجميعهم في نزاهات ومسابقات.



(١٨) التدخل في شغل أوقات الفراغ باختيارات صائبة للآباء والأمهات.

(١٩) عدم مخالطة سفلة الناس وأوباشهم.

(٢٠) ربط الصغير بدينه لا بدنيته، وعدم أمره بالكذب على الناس، وعدم أخذ ما يدخره من مال.

(٢١) تنمية المواهب مبكراً بما لا يتعارض مع الشرع الحنيف.



التعليم والتأديب فريضة شرعية وفرصة يجب اغتنامها

يقول ابن الجوزي رحمه الله:

لا تنه عن أدب الصغير ★ وإن شكا ألم التعب
ودع الكبير وشأنه ★ كبر الكبير على الأدب
والأغصان في أول بدوها يسهل معالجتها، فإذا ما قوبت ويست ضاع ما كان المرء
يرجوه من إصلاحها، ومن هنا قال العلماء: التعليم في الصغر غنيمة، إذ الصغير لا
يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً كأنه صفحة بيضاء تحتاج إلى من يملؤها ويكتب على
سطورها؛ بل ينقش نقشاً إذ التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، حتى إن بعضهم
ليقول: يبدأ التعليم والتأديب من بعد الفطام مباشرة. ويساعد على ذلك الاستعداد
الفطري الذي خلقه الله في الصغار فهم على استعداد للتعليم والتأديب، ويجزم علماء
النفس أن نسبة ما يتعلمه الصغير في سني عمره الأولى تزيد على تسعين بالمائة (٩٠٪)
ويسهل التعليم كلما صغر السن لسببين:

الأول: ميل الصغير في هذه الفترة إلى إرضاء والديه.

الثاني: حب سماع عبارات الثناء والإعجاب ممن حوله^(١).

ونضيف نحن سبباً ثالثاً وهو: أن الصغير على الفطرة القويمية التي فطره الله
عليها، ومن هنا فهو مطواع يريد من يعلمه الحق، وهذه فطرة مركوزة في الطباع
ومن هنا كان كلامه ﷺ: «أبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه»^(٢).

وكلما كان الأب عاقلاً، صالحاً، ديناً، كلما كانت النتيجة مبشرة للغاية، فإن لم
يكن صاحب خبرة في مجال التربية فليقرأ وليسال، فإن دواء العي وشفافه السؤال.

على كل الأحوال: الطفل غنيمة في هذه الفترة ووجب على المسلم استغلالها
لصالح دينه وعقيدته.

(١) مسئولية الأب المسلم (ص ٨١).

(٢) صحيح: وسأني تخريجه كاملاً.

ومن غرائب ما قرأت ما قاله الأستاذ محمد الصباح: «سمعت من الأستاذ مالك ابن نبي رحمه الله أن رجلاً جاء يسترشد لتربية ابن له، أو بنت ولدت حديثاً، فسأله: كم عمرها؟ قال: شهر. قال الأستاذ مالك: فاتك القطار!! ثم قال الأستاذ مالك: كنت أظن في بادئ الأمر أنني مبالغ، ثم عندما نظرت وجدت أن ما قلته الحق، وذلك أن الولد يبكي فتعطيه أمه الثدي فينطبع في نفسه أن الصراخ هو الوسيلة إلى الوصول إلى ما يريد، ويكبر على هذا، فإذا ضربه اليهود بكى في مجلس الأمن، يظن أن البكاء والصراخ يوصله إلى حقه» (١).

ورحم الله من قال:

ويتشأ ناشئ الفتيان فينا ★ على ما كان عودُه أبوه
وما دان الفتى حجي ولكن ★ يُعوده التدين أقربوه
ويقول ابن خلدون رحمه الله: «التعليم في الصغر أشد رسوخاً، وهو أصل لما بعده» (٢).

وكان الشاشي الفقيه الشافعي يقول:

تعلّم يا فتى والعُود رطب ★ وطنك لين والطبع قابِلُ
وبعث المنصور - خليفة بني العباس - إلى بني أمية ممن كانوا في حبسه، يقول لهم: «ما أشد ما مرّ بكم في هذا المحبس؟ فقالوا: ما فقدنا من تربية أولادنا» (٣).

التعليم والتأديب واجبان شرعيان:

إن الطفل أمانة عند والديه كما سبق من قول الغزالي وصيانة الأمانة وحفظها إنما تكون بالتأديب والتعليم الذي حث عليه الشرع الحنيف، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: ٦).

(١) نقلاً عن علو الهمة للدكتور/ محمد بن إسماعيل المقدم حفظه الله تعالى.

(٢) مقدمة ابن خلدون (ص ٢٧٤) بتحقيقي.

(٣) علو الهمة (ص ٣٦٧).

وهذا هو الأمر بوقاية الإنسان نفسه وأهله من النار^(١)، ولن تكون ثمة وقاية إلا بالتعليم والتأديب، فعلى الرجل أن يصلح نفسه بالطاعة، ويصلح أهله إصلاح الراعي للرعية^(٢)، وفي حديث ابن عمر: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته... والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم»^(٣).

وقال الحسن في تفسير هذه الآية: «يأمر أهله وينهاهم». وقال العلماء: «قُوا أَنْفُسَكُمْ» دخل فيه الأولاد؛ لأن الولد بعض منه، فيعلمه الحلال والحرام، ويجنبه المعاصي والآثام إلى غير ذلك من الأحكام^(٤).

إن تبعة المؤمن في نفسه وفي أهله تبعة ثقيلة رهيبة، فالنار هناك وهو متعرض لها هو وأهله، وعليه أن يحول دون نفسه وأهله ودون هذه النار التي تنتظر هناك، إنها نارٌ فظيعة مستعرة «وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ» الناس فيها كالخجارة سواء في مهانة الحجارة، وفي رخص الحجارة، وفي قذف الحجارة، دون اعتبار ولا عناية، وما أظفعتها ناراً هذه التي توقد بالحجارة، وما أشده عذاباً هذا الذي يجمع إلى شدة اللذع المهانة والحقارة، وكل ما بها وما يلبسها فظيع رهيب... وعلى المؤمن أن يقي نفسه وأن يقي أهله من هذه النار، وعليه أن يحول بينها وبينهم قبل أن تضعيف الفرصة ولا ينفع الاعتذار^(٥).

وفي حديث معقل بن يسار رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعيةً، يموت يوم يموت وهو غاشٍ لرعيته، إلّا حرم الله عليه الجنة»^(٦). وفي رواية: «ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحة إلّا لم يجد رائحة الجنة».

(١)، (٢) تفسير القرطبي (١٨/١٨٥).

(٣) متفق عليه.

(٤) انظر قبل السابق (١٨/١٨٦).

(٥) في ظلال القرآن (٦/٣٦١٨) للأستاذ/ سيد قطب رحمه الله.

(٦) صحيح: البخاري (٧١٥٠)، مسلم (١٤٢) في الإيمان.

وفي الحديث: التحذير من غش المسلمين لمن قلده الله تعالى شيئاً من أمرهم واسترعاه عليهم ونصبه لمصلحتهم في دينهم أو دنياهم^(١).

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ ذلك أم أضاعه»^(٢).

هذا هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرى حلقة جلس أصحابها إلى جانب الكعبة، فلما قضى طوافه جلس إليهم وقد رآهم أبعادوا الفتیان عن المجلس فقال: «لا تفعلوا!! وسعوا لهم، وأذنوهم، وألهموهم، فإنهم اليوم صغار قوم يوشك أن يكونوا كبار قوم آخرين، قد كنا صغار قوم أصبحنا كبار آخرين».

يقول ابن مفلح رحمه الله معقباً على هذه الرواية: «وهذا صحيح لا شك فيه، والعلم في الصغر أثبت، فينبغي الاعتناء بصغار الطلبة لاسيما الأذكياء المتيقظين الحريصين على أخذ العلم، فلا ينبغي أن يجعل على ذلك صغرهم أو فقرهم وضعفهم مانعاً من مراعاتهم والاعتناء بهم»^(٣).

ها هو سفیان بن عُيَيْنَةَ التابعي الجليل يدخل طفلٌ صغيرٌ إلى حلقة قد تزياً بزِي العلماء وحمل المحبرة والورق، فما أن رآوه حتى ضحكوا فأراد سفیان أن يعلمهم درساً ويعلم من وراءهم درساً غالباً فقال لأحمد بن النضر راوي القصة: «يا نَضْرُ لو رأيتني وطولي خمسة أشبار، وجهي كالدينار، وأنا كشعلة نار، أكمامي قصار، وذيلي بمقدار، ونَعْلِي كَأَذَانِ الفار، أختلف إلى علماء الأمصار- البلاد- كالزُّهري وعمرو بن دينار، أجلس كالسمار، محبرتي كالجوزة، مقلمتي كاللوزة، وقلمي كاللوزة، فإذا دخلت قالوا: أوسعوا للشيخ الصغير»^(٤).

وهنا نلتقط الحيط محذرين: لا تقتلوا استعداد الصغار وجبهم للتعلم بالسخرية والاستهزاء، بل بالتشجيع والإرشاد إلى الأفضل. فالصغير لن يسمع الحديث قبل أن

(١) شرح النووي (١/٤٠٧).

(٢) صحيحه ابن حجر (١٣/١١٣) في الفتح وعزاه لابن عدي.

(٣) نقلاً عن علو الهمة (ص ٣٦٧).

(٤) سير أعلام النبلاء (٨/٤٥٩) للذهبي.

يحفظ القرآن، فإذا رأينا شغفه بالسماع أرشدناه إلى ما يفيدُه دون قتل موهبته وإبداعه.

إن تربية الولد تربية حسنة دليل الإحساس بالمسئولية، وبرهان حسن تأدية الأمانة، وإذا كان الوالد أول من سيجني ثمار هذه التربية في حياته بالبر والصلة وبعد مماته بالدعاء والاستغفار وغيره. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل لترفعُ درجته في الجنة، فيقول: أنى لي هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك»^(١). وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الزمر: ١٥).

ولقد قيل: أول من يتعلق بالرجل: زوجته وأولاده فيوقفونه بين يدي الله فيقولون: يا ربنا خذ لنا حقنا من هذا الرجل فإنه لم يعلمنا أمور ديننا.

(١) التعليم قبل التأديب:

والطفل في صغره لا يعرف ولا يميز بين الصالح والإطالح، والخير والشر، إنما لديه رغبة يحس بها في نفسه تدفعه إلى طاعة من يوجهه ويرشده، فيعيش تحت سلطته وإمارته، فإن لم يجد هذه السلطة الموجهة الضابطة لتصرفاته والموجهة لها، فإنه ينشأ قلقاً حائراً ضعيف الإرادة والشخصية^(٢).

والتعليم لا يقتصر على أمور الدنيا، أو أمور الدين؛ بل يجمعهما سوياً؛ بل ربما وصلت الأمور التي يظن الكبار أن الصغار لا يطبقون رؤيتها- كذبح الشاة مثلاً- وإليك هذا الحديث عن أبي سعيد الخدري حكى: «أن النبي ﷺ رأى مرة غلاماً لا يحسن سلخ الشاة فقال له: «تنح حتى أريك». فأدخل يده بين الجلد واللحم فدرس بها حتى توارت إلى الإبط ثم مضى»^(٣). وهكذا لا يمنعه عليه الصلاة والسلام انشغاله بأمور المسلمين الكبرى عن توجيه غلام صغير إلى سلخ شاة، فقد كان بالإمكان أن يقوم غيره من الصحابة بذلك، ولكن لتتم القدوة والأسوة به في هذا المجال قام عليه

(١) صحيح: ابن ماجه (٣٦٦٠) وفي الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٢) عدنان با صالح (ص ٨٣) مسئولية الأب المسلم.

(٣) صحيح: أبو داود (١٨٥) في الطهارة وصححه الألباني هناك ط - الرياض.

الصلاة والسلام بنفسه بتعليم الغلام^(١).

وقد ذكر الخطيب البغدادي أن كثيراً من علماء السلف كانوا يجمعون الصبيان الصغار فيحدثونهم، ويعلمونهم أمور دينهم، لا يترفعون عن ذلك^(٢).

وعلى الولي: الأب أو الأم أن يختار وسائل تعليمية مناسبة لسن صغاره الذين يتعلمون فتتنوع هذه الوسائل بين: القصص، المحاضرات، والمسابقات، والطريقة النشطة القائمة على طرح السؤال وسماع الجواب، أو شرح على السبورة خاصة بالصغار، مع اغتنام الأوقات التي يرى فيها أن للصغير حباً للسماع والتعلم، مع كثرة ترديد الآيات والأذكار والألفاظ الشرعية أمامه، والصلاة والصيام وإعلامه بما فيها من أركان وفرائض بما يتماشى مع القول المأثور: «خاطبوا الناس على قدر عقولهم». فإذا ما فعل الأب فقد فاز ولده، وإذا ما أهمل تعليم ولده فلا يلومن إلا نفسه.

• عدم تكليف الصغار ما لا يطيقون:

وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦). ودعا النبي ﷺ فقال: «اللهم من ولي من أممي شيئاً فشق عليهم فاشق عليه، ومن ولي من أممي شيئاً فرّق بهم فارّق به»^(٣). وقد عرّض ابن عمر على رسول الله ﷺ للجهاد معه يوم أحد فردّه النبي ﷺ، وعرّض عليه يوم الأحزاب فقبله وأجازه^(٤).

وكان ﷺ لا يبائع الصغار كما روى الهرماس بن زيادة قال: «مددت يدي إلى النبي ﷺ وأنا غلام لبياعني فلم يبايعني»^(٥). ومن حديث عبد الله بن هشام، وكان قد أدرك النبي ﷺ وذهبت به أمه زينب ابنة حميد إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله بايعه. فقال النبي ﷺ: «هو صغير»^(٦). وذلك أن بيعة رسول الله ﷺ

(١) انظر قبل السابق نفسه.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي (٢٠٣/١).

(٣) صحيح: مسلم (١٨٢٨) في الإمارة عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) صحيح: البخاري (٢٦٦٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) حسن: النسائي (١٥٠/٧) في سننه.

(٦) صحيح: البخاري (٧٢١٠).

تبعة عظيمة ترتب عليها أشياء لا يطيقها الصغار، وقد سبق مراعاة أحوال الصغار كما في حديث: «إذا أمَّ أحدُكم الناس فليُخفف فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض، فإذا صلى وحده فليصل كيف شاء» (١).

فدائرة تعليم الصغار تكون لما يطيقونه لا ما يفوق قدراتهم وقوتهم حتى لا يأتي ذلك بالوبال على الصغير نفسه. وأول ما نحتاج تعليمه للصغار: الإيمان كما سيأتي، لأن الإنسان بلا إيمان لا امتداد له ولا جذور، خاب وخسر لا يعرف سر وجوده، ولا يعرف لماذا خلُق؟ ولا لماذا يموت؟ مضطرب خائر، حائر باثر، قلق كأنه ريشة تتقاذفها الريح فتنتفلها من مكان إلى آخر، والحقيقة التي لا تخفى على أحد: أن أمتنا تعيش مأساة حقيقية انحرف فيها الشباب ذكوراً وإناثاً: زواج عرفي، رقص ومجون، مخدرات، زنا؛ بل قتل في وضح النهار، لماذا؟ لأنهم فقدوا سر الوجود، إكسير الحياة: الإيمان، فقدوه إذ فقدوا العقيدة فعاشوا بلا رقيب وبلا حساب.

ماذا قدمنا لأبنائنا؟ ملابس، شراب، طعام!! هذا ما يقدمه الكافر لولده؛ بل ما يقدمه الحيوان لصغيره، كأنما شعارنا:

إذا تغديت وطابت نفسي * فليس فتى في الحي مثلي!!
إن تعليم الصغار مبادئ الإيمان هو الأولى بدلاً من أن يقوم الأب بالتصفيق لابنته، والأم بأمساك الطبله لها لترقص، فإذا ما كبرت كان جلّ أملها: أريد أن أصبح راقصة.

لا شك أننا نريد تحرير القلوب والأرواح من امتلاك الأيدي العابثة، وسيطرة الفاحشة عليها وهذا يتطلب جهداً جهيداً، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم.

• التأديب مع التعليم:

ولا شك أن أنجح السياسات هي: سياسة العقاب والجزاء، التي تعترف بضرورة وجود العقاب كأسلوب تربوي فعال؛ لكن عند الحاجة، وقد سبق أن ألمحنا إلى التدرج في العقاب ضمن قواعد التعامل مع الصغار.

لكن ما نؤكد عليه الآن أن آخر الأسلحة هو الضرب، تسبقه وسائل كثيرة كالتوبيخ، وتقطيب الحاجبين، والمنع من المصروف، والحرمان من التزهات والفسحات، أو الهجر والمقاطعة. فالضرب آخر الدواء حين ندرك أن الوسائل كلها قد فشلت مع الصغير.

لكن ما هي السن التي يباح فيها ضرب الصغير؟

وقد اختلف التربويون في السن الذي يستعمل فيه العقاب البدني مع الطفل، فقد ذهب بعضهم إلى أنه لا يقع إلا بعد العاشرة: استناداً إلى أن ضرب الطفل على الصلاة- والتي هي أهم من غيرها- لا يكون إلا بعد العاشرة، فغيرها من الأمور لا ينبغي الضرب عليها من باب أولى، إلا بعد هذا السن، والبعض يرى أن الطفل لا يدرك مسألة الصواب والخطأ إلا في الثامنة من عمره، وآخرون يرون أنه يدرك قضية الثواب والعقاب والقيم الخلقية، والشعور بها، وتقبل معاييرها ما بين ٣- ٧ سنوات، والعقاب عادة لا يكون إلا بعد أن يدرك الطفل ويفهم سببه؛ ليحصل المقصود من إيقاعه. فالتحقيق في هذه القضية هو محاولة تجنب ضرب الطفل عموماً قدر الإمكان، في جميع سنين عمره، فإن كان ولا بد منه، فيكون في الوقت الذي يدرك فيه الطفل معنى العقوبة وسببها، وأنه مستحق لها، وبعد أن يكون قد هدّد بها، مراعيّاً الأب في ذلك التدرج الذي ذكر سابقاً والتوسط في إيقاعها بأن لا يحس الطفل أنها للتشفي أو الانتقام؛ بل يربط الذنب بالعقاب ليفهم الطفل ويعي سبب عقابه. فإن أوقع الوالد العقوبة بالولد فاستنجد بالله وذكره، فلا ينبغي للوالد أن يسترسل في العقوبة؛ بل يكف عنها تعظيماً لله في نفس الطفل^(١).

وينبغي الابتعاد عن الوجه تماماً عند الضرب، فقد نهى النبي ﷺ عن ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليجنب الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورته»^(٢). يعني على صورة هذا الوجه. وقد علل النووي عدم الضرب على الوجه بالآتي:

(١) لأن فيه كل المحاسن. (٢) وفيه آلات الإدراك- السمع، والبصر.

(٣) لأن فيه تشويهاً، والتشويه فيه ظاهر^(١).

وإياك من تأديب الصغير على فعل خاطئ ارتكبه قبل مدة، فالعقاب لا بد أن يكون مواكباً للخطأ لا يتأخر عنه، وإلا كنت كمن يحرق في الماء، واحفظ: العقاب المناسب في الوقت المناسب. ويتنبه إلى تخفيف العتاب: فإذا ما عاتبنا فليكن عتابنا لطيفاً يراعى فيه عدم انكسار الصغير وإهانة. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (النساء: ٥). قال الضحاك والحسن وابن مسعود: «هم النساء والصبيان».

فالأمر هنا بالقول المعروف، ولين الكلام، واختيار أطيبه، ويدخل فيه تخفيف العتاب على هؤلاء الصغار الذين لا يتعمدون إيذاء أحد أو السخرية منه. وفي حديث أنس رضي الله عنه قال: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي أف قط، ولا قال لي لشيء لم فعلت كذا، وهلاً فعلت كذا»^(٢).

صورة من عتاب النبي ﷺ:

وهذه صورة لعتابه ﷺ لأم المؤمنين عائشة وقد كانت في نفس المرحلة السنية التي نتحدث عنها فتقول رضي الله عنها: «ألا أحدثكم عني وعن رسول الله ﷺ؟ قلنا: بلى. قالت: لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي، انقلب فوضع رداءه، وخلع نعليه فوضعهما عند رجله، وبسط طرف إزاره على فراشه، فاضطجع، فلم يلبث إلا ريثماً^(٣) ظن أن قد رقدت، فأخذ رداءه رويداً^(٤) وانتعل رويداً، وفتح الباب فخرج، ثم أجافه^(٥) رويداً فجعلت درعي على رأسي^(٦) واختمرت^(٧) وتقنعت

(١) هذا بالإضافة إلى أن ضرب الوجه يورث الذل.

(٢) رواه البخاري (٢٧٦٨)، مسلم (٢٣٠٩) في الفضائل.

(٣) إلا ريثماً: معناه إلا قدر ما.

(٤) أخذ رداءه رويداً: أي: قليلاً لطيفاً لئلا ينهاها.

(٥) ثم أجافه: أي أغلقه، وإنما فعل ذلك ﷺ في خفية لئلا يوقظها ويخرج عنها، فربما لحقها وحشة في انفرادها في ظلمة الليل.

(٦) فجعلت درعي في رأسي: درع المرأة قميصها.

(٧) واختمرت: أي: ألقيت على رأسي الخمار، وهو ما تستر به المرأة رأسها.

إزاري^(١) ثم انطلقت على إثره، حتى جاء البقيع فقام فأطال القيام، ثم رفع يديه ثلاث مرات، ثم انحرف فانحرفت، فأسرع فأسرعت، فهرول فهرولت، فأحضر فأحضرت^(٢) فسبقت فدخلت، فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال: «ما لك يا عائش؟ حشياً رابية؟»^(٣). قالت: قلت: لا شيء. قال: «لتُخبريني أو ليُخبرني اللطيف الخبير». قالت: قلت: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي! فأخبرته قال: «فانت السواد»^(٤) الذي رأيت أمامي؟. قلت: نعم. فلهديني^(٥) في صدري لهذه أوجعتني^(٦).

وفي الحديث السابق دليل على جواز الضرب، ينضم إليه حديث: «واضربوهم لعشر». مع الأثر المروي بسند صحيح عن عكرمة قال: كان ابن عباس يجعل في رجلي الكبل - القيد - يعلمني القرآن والسنة. وفي رواية: يعلمني القرآن والفرائض. فهذه صورة من صور العتاب الذي يجب ألا يُهمل، وألا يكون شديداً لئلا يصيب الصغار بالنفور.

والخلاصة ينقلها الماوردي رحمه الله فيقول: «فأما التأديب اللازم للأب، فهو أن أخذ ولده بمبادئ الآداب ليأنس بها وينشأ عليها، فيسهل عليه قبولها عند الكبر، لاستئناسه بمبادئها في الصغر، لأن نشأة الصغير على شيء تجعله متطبعاً به، ومن غفل في الصغر كان تأديبه في الكبر عسيراً»^(٧).

(١) وتقنعت إزاري هكذا هو في الأصول: إزاري بغير باء في أوله، وكأنه بمعنى لبست إزاري، فهذا عدي بنفسه.

(٢) فأحضر فأحضرت: الإحضار العدو: أي: فعدا فعدوت، فهو فوق الهرولة.

(٣) مالك يا عائش حشياً رابية يجوز في عائش فتح الشين وضمها، وهما وجهان جاريان في كل المرحمات، وحشياً معناه قد وقع عليك الحشا، وهو الربو والتهيج الذي يعرض للمسرع في مشيه والمحتد في كلامه، من ارتفاع النفس وتواتره، يقال: امرأة حشياء وحشية، ورجل حشيان وحشش، وقيل: أصله من أصاب الربو حشاه، رابية أي مرتفعة البطن.

(٤) فانت السواد: أي الشخص.

(٥) فلهديني: قال أهل اللغة: لهده ولهده، بتخفيف الهاء، وتشديدها، أي دفعه.

(٦) رواه مسلم (٩٧٤) في الجنائز.

(٧) أدب الدنيا والدين (ص ٢٢٨).

لا تيأس من إصلاح الصغير:

يقول الغزالي رحمه الله: «لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات، ولما قال رسول الله ﷺ: «حسنوا أخلاقكم». وكيف ينكر هذا في حق الآدمي، وتغيير خلق البهيمة ممكن إذ ينقل البازي - النسر - من الاستيحاش إلى الأنس، والكلب من شره الأكل إلى التأدب والإمساك والتخيلة، والفرس من الجماع إلى السلاسة والانقياد، وكل ذلك تغيير للأخلاق»^(١).

إننا نرى كثيراً من الناس يروضون الحيوان فكيف بالإنسان؟! فاصبر ولا تيأس، وقد جاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقاً لا يتمالك»^(٢). و«لا يتمالك»: أي: لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات»^(٣).

فهو - أي: صغيرك - أجوف خالٍ من داخله ينتظر لتملأه بالخير، يحتاج إلى الصبر لأنه لا يتمالك نفسه، فالصبر والمجاهدة، فنحن لا نربي شاة لنذبحها، أو ثوراً ليحرث الأرض، إنما نربي جيلاً نريده أن يقضي على البدع والمناكر والسوء، ونريده كتيبة أمل، وجيل نصر وتمكين، وهذا يلزمه ربٌ فاضل عاقل لييب صبور.

يقول أمير الشعراء أحمد شوقي:

بين الحديقة والنَّهْرُ	☆	وجمال ألوان الزَّهَرِ
سارت مها مسرورة	☆	مع والد حنان أبر
ففرأت هنالك نخلة	☆	معوجة بين الشَّجَرِ
فتناولت حبلاً وقالت	☆	يا أبي هيا انتظر
حتى نقوم عودها	☆	لتكون أجمل في النظر
فأجاب والدها لقد	☆	كبرت وطال بها العُمر

(١) الإحياء (٥٤/٣).

(٢) صحيح: مسلم (٢٦١٠) في البر والصلة.

(٣) شرح النووي على مسلم (١٦٤/١٦).

ومن العسير صلاحها ☆ فات الألوان ولا مَفَرَّ
 قد ينفع الإصلاح والتبـ ☆ ذيب في عهد الصُّفَرِ
 والنشء إن أهملتـه ☆ طفلاً تعثر في الكبر
 ولعل في هذا تلخيص لكل ما نريد أن نقوله، وما قلناه سابقاً.





قاعدة هامة في التربية عدم إهانة أحد الوالدين أمام الصغار

لا يخلو بيت من البيوتات من الخلافات الزوجية التي تنجم عن اختلاف الآراء والأذواق، أو تمسك أحد الزوجين بما لا يقبله الآخر، أو بسبب عامل خارجي كالأقارب والأصدقاء.

وقبل التحدث عن علاقة الصغار بهذه المشكلات يجب التفتن إلى كيفية حل هذه الخلافات قبل التفاقم والاستفحال حتى لا تؤثر على قوام البيت المسلم أو تكون سبباً أساسياً في انهياره^(١)، فيعرف سبب المشكلة حتى يُحلَّ، أو يُمنع سبب المشكلة من دخول البيت أو يكون الكي آخر الدواء وهو تدخل الآخرين بعد استيفاء الطرق التي حددها القرآن وهي: الموعظة، والهجر في المضجع، وأخيراً الضرب.

المشكلات منها الكبير والصغير، ومنها ما يمكن تلافيه والسكوت عنه فليس من المعقول أن يكون الرجل دقيقاً للغاية حتى يحاسب على النقيير والقطمير، وليس مقبولاً أن تكون الزوجة مهملة حتى النخاع، فهذه حالات نادرة الوقوع.

والمشكلات الصغيرة هي التي نقصد الحديث عنها هنا، فلا داعي هنا لترك مساحة للشيطان ليتلاعب فيها بالزوجين، فيهين الأب الأم حتى تسقط هيبتها من عين أبنائها فلا يرفعون بقولها ولا ينزجرون. ويمكن للزوج معالجة المشكلة سرّاً أو الستر على الزوجة -أم أولاده- بدلاً من إهانتها، وفي حديث أبي هريرة مرفوعاً: «من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة»^(٢). فإذا لم يستطع الأب تلافي المشكلة فلا داعي لانفلات أعصابه وجرح الوالدة بألفاظ تخدش الحياء، وتذهب بالهيبة، أو الضرب والصفع أمام الصغار حتى لا يتأثر الطفل بذلك.

(١) انظر تحفة العروس (ص ٣٨٩ - ٣٩٣) من تألّفي -ط- دار الفجر للتراث فقد حققت فيه هذه المسألة وتوسعت في الحديث عنها.

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وتأثر الطفل سيكون:

(١) بإسقاط هيئة الأم فلا يطيعها؛ بل ربما هددها بالتأثير على أبيه وإبلاغه بخطئها لكي يضربها أو يهينها أو يطردها.

(٢) تأثر الحالة النفسية للصغير وزيادة العصبية في أفعاله وأقواله.

(٣) كراهيته لأبيه وانضمامه لأمه الضعيفة التي يراها مظلومة باكية كعادة النساء. وهذه الثلاثة واحدة منهن كفيلة بإذهاب الجهود أدراج الرياح.

فماذا لو أن الابن أخطأ بحضرة الأم، وترك الأم عقابه أو عقابه؟

لا ينتهرها الأب أمام الصغار، وإنما يتلطف لها، فيقول مثلاً: هذا الخطأ يستحق العقاب، لكن سامحي الولد هذه المرة، وإن عاد نعاقبه سيوياً. وليفعل ما شاء: بالزوجة بعد اختلائهما حسبما قرر الشرع وضبط مثل هذه الأمور.

وبالنسبة للأم: فإن قطاعاً عريضاً من الأمهات لا يملك في هذه الدنيا من نعم الله عليه إلا لساناً أطول من نهر النيل، كلما حدثها زوجها بكلمة ردت عليه بألف مثلاً، فتضيع هيئة الزوج حتى لا يبقى من احترامه في نفوس الصغار شيء، وبهذا تفسد البيوت، ولا يكون ثمة حاكم للصغار الذين يعيشون في الأرض فساداً.

ومم هو ملموس في طباع الناس أن البنت تشبه أمها، ثم تشبه بها بعد انتقالها إلى بيت زوجها، فتستخرج الأم- دون وعي منها- نسخة أخرى من ذوات الألسنة الأربع، والأمر قد يختلف فزوج الابنة قد يكون ممن حرموا نصيبهم من الصبر فيعيد الابنة التي شربت (صنعة الرد على الزوج) من أمها، يعيدها مكسورة أو مضروبة أو مطلقة، فيالهناء الأم بابتها عندئذ!!

إن كلام الرجل هو المقدم إن كان صحيحاً موافقاً للشرع، والنقاشات والآراء الكثيرة ليس محلها أمام الصغار؛ بل رهن القاعات والحجرات المغلقة بحيث يظهر الوالدان في النهاية وأنهما متفقان على كل شيء أمام الصغار، وحق القوامة مكفول للرجل كما قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (النساء: ٣٤). وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «لو

كنت أمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها»^(١).

تحذير آخر:

وقد يحدث بين الزوجين خلافات تمتد لبعض الوقت، فيلجأ الأب إلى استمالة الصغار في صفه، ونفس الفعل تُقدم عليه الزوجة، فينقسم البيت إلى حزبين: حزب أنصار الأب، وحزب أنصار الأم. ويبدأ الأب في كشف عوار الأم للصغار، ويشكو منها مصوراً نفسه جبل الصبر الذي تحمل سيول الأذى وزلازل الهموم التي ينوء بحملها جبال الأرض مجتمعة.

وتتصدر الدمعات تسيل على خد الأم المكشوفة وهي تروي كيف أنها صخرة وسط بحر متلاطمة أمواجه، تتابع عليها أمواج البلاء والضرب من قبل الزوج وأقاربه وأصدقائه.

ويا لهذا البيت السعيد!! لعل النار الآن قد توقدت وحدث الآتي:

- امتلك الأبناء ما يعيرون به آباءهم.
- وصار الصغير مُطلعاً على عورات الوالدين عارفاً بها.
- كما دُون في ذهنه الميل ناحية أحدهما أو كراهيتهما سوياً.
- وتسبب ذلك في تعميق الفجوة بينه وبين أحد والديه خاصة أن الضحية في معظم هذه الحالات هو الأب الذي قد يكون محقاً لكنه عصبي بعض الشيء.
- وقد يكون الصغير على قدر من اللؤم بحيث ينتزع حاجياته التي يريدونها من أحد الوالدين بإظهار ميوله نحوه، يتعلم النفاق، وحيهاً به!!
- وفعل الصغير فعلته، فيتجه إلى حزبه ليخفي خطيئته عن الآخر.
- وقد يقشي السر إلى خارج المنزل، فيجد شياطين الإنس طريقهم إلى خراب البيوت العامرة، وإفساد الصغار، وإفساد المرأة على زوجها، أو محاولة الاضطهاد في الماء العكر.

- ويقر في نفسه كراهية المنزل المشحون بالخلافات، فيهرب إلى ما لا يحمد عقباه

من وسائل النسيان مع رفقة السوء إلى المخدرات وغيرها من المحرمات .

- والمبرر له دائماً عند ارتكاب أخطائه: عدم استقرار البيت وكثرة الخلافات .

وبالطبع أهدينا للمجتمع إنساناً يتمناه أعداؤنا من شياطين الإنس والجن!!

إن تربية الصغار ليس أمراً معقداً، لكنه يتطلب بصراً وبصيرة وإدراكاً بما حولنا، وعلماً بأن ما ينقش في قلوب الصغار يصعب محوه، إن لم يكن مستحيلاً في بعض الأوقات، وهذه هي المسئولية الواقعة على الآباء والأمهات .

أعرف شاباً من أترابي عاش طيلة عمره واقعاً في فخ المشاكل والخلافات الزوجية التي كانت تشتعل في داره بين أبوين، الوالد عصبي المزاج، متقلب الأحوال كأنه موج لا يعرف الثبات، ينتقل من حالة الهدوء إلى حالة الفوران التي يصعب أن تمر دون أن تسبب خسائر في جسد الزوجة والأولاد!!

أما الأم فهي سلبية، قلماً تحاول إصلاح الطأغي - زوجها - الذي كان يتفنن في عقاب أولاده كيّاً بالنار، وضرباً بالعصى حتى التعجيز، وربطاً بأسلاك الكهرباء، ولقد كان يأمر الأم بإحضار آلات التعذيب التي كانت تستخدم في إيذاء الصغار، وكان هذا الأب يحاول دائماً إصلاح هذه القسوة بعد هدوء ثورته، لكن بعد أن يرى آثار الأذى الذي لحقه بصغاره، وأشهد بالله أن هذه الآثار البدنية لا تزال مصدر ألم نفسي لصاحبي بينما انشغلت الزوجة وأهلها بشيء واحد: تشويه صورة الأب - وهي تحتاج إلى كلام - بدلاً من محاولة إصلاحه، ومحاولة إرشاد الصغار لتفادي ما يغضب أبيهم .

فكان قرار الأب بمنع الأولاد من الذهاب إلى أهل الزوجة التي بدورها كانت تذهب سراً، أو تبعث أولادها سراً، وخلال فترات القطيعة توغر الصدور بما يجعل الصغار يتمنون موت والدهم أو حتى التفكير في قتله، ونهاية الأحداث دائماً غير سعيدة إلا في لحظات قليلة .

لقد تزوج صاحبي بعيداً عن والده، وقبلت أخته الزواج برجلين غير كفيين لهما، وهربت الأخت الثالثة من جحيم الأب، وبقي أخوان ذكران كلٌّ منهما يتناول على أبيه بعد ضعف قوته، وعلى أمه متهمين إياها بأنها أضاعتهم هي والسيد الوالد الذي

يجني ثمار ما زرع!! ولا زلت أسمعها يرن صداها في أذني: «مَنَ لَهِ أَبُويَا كَانَ سَبَبُ فَشْلِنَا».

وهذه الحالة على خصوصيتها إلا أنني عاشرت حالات عدة تقترب منها، وإن لم تكن في مثل احتدامها وعرامتتها، ولكن يبقى أن الأبوين يجب أن يكونا مصدر قدوة وإلهام للصغار، لا مصدر قسوة وإزعاج لهم، وإلَّا فَلِمَ أوصى الله تعالى الأولاد بالوالدين، ولم يوص الوالدين بالأولاد؟ مهما كان الأب قاسياً فإنه بالإمكان ترويضه، والتماس العذر له بأنه يخاف على أولاده ويريد لهم ما يصلحهم، وإلَّا فَلِمَ يعاقبهم؟!

ومهما كان إهمال الأم أو خطأها فهي أم لا غنى عنها في الدار، لا غنى عن حنانها وعطفها أو إدارتها للبيت: نفقة، وعملاً فيه كالغسيل والطهي، وما يحتاجه المنزل، وفي الصبر على النساء خيرٌ كثير، فإن كرهت منها خُلُقًا قبلت آخر.

وإذا جنى الأب أو الأم - ونحن بشر قد نخطئ - فلننبه الصغير إلى فلان الذي فقد والده أو والدته كيف يعيش بدونهما أو بدون أحدهما؟ وتبقى الكلمة الأخيرة: إن من فقد أبويه يتمنى ولو حتى خيال أبيه بدلاً من وقوعه تحت رحمة كافله الذي قد يقسو عليه أو يهمله.

وهكذا نزرع في الصغار حب الآباء والأمهات واحترامهم وهيتهم بدلاً من انتزاعها من هذه القلوب الصغيرة.

لابد إذن أن نعرف بيوتنا الاستقرار والهدوء لكي ينبت الغرس ويثمر بعيداً عن عواصف الفُرقة والخلافات التي لا تورث صغارنا إلا حقدًا وضغينة، وانكساراً نفسياً.

فما ذنب ولدي الصغير حين يرى ابن الجيران ساكناً هادئاً، بينما بيته كالبركان؟ وما ذنب الصغير أن يمقت أحد والديه، بينما أقرانه يتقبلون في الفراش بين والديهما؟ وما ذنب القلب الصغير لكي يُقسى قلبه على أحد أبويه، ويمتلئ قلبه حقدًا عليه؟

إن الله تعالى يقول: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١). والسكن هنا لا يمكن أن يكون

موجوداً إلا بالآلفة والرحمة ومعرفة كلا الزوجين لحقوقه وواجباته، وأداء الواجبات مع تنازل عن بعض الحقوق، وعلى هذا استقامت الحياة، وبهذا سار الكون، وبه تدار البيوت.

يقول الدكتور عدنان باصالح^(١): «أما إن لم يكثرث الوالدان بوجود الأولاد في مكان الخصام، فأخذ كل واحد منهما يعبر عن آلامه وأحزانه وشكواه أمامهم، فإن نموهم الصحي والعاطفي يتعرض لخطر أكيد؛ إذ لا يمكن أن يتصوروا رؤية أحب شخصين إليهم بصورة مفزعة، وقد احمرت أوداجهما، وظهر عليهما الغضب واضحاً وأخذ كل منهما يشتم الآخر، وتكون المشكلة أكبر على نفس الأولاد وأخطر إذا أخذ الأب يضرب الأم أمامهم، فهذا لا شك يترك في نفوسهم أثراً سيئاً جداً، وربما ساقهم إلى الانسحاب من الأسرة أو المجتمع، والانضمام إلى عصابات الأطفال، أو فقدان الثقة بالنفس والناس، والانغماس في أحلام اليقظة، فإن معظم الأطفال المشكلين يأتون من منازل مفككة، ومنازل يكثر فيها الاحتكاكات بين الزوجين، لهذا فإن على الأب أن يأخذ بالأسباب الكفيلة لحماية أولاده من الوقوع في المشاكل النفسية وأزماتها من جراء الخصام مع الأم».

إن البيت المسلم بيت هادئ تنبعث منه هيمنة العبادة، وتسييح الموحدين، فإذا ما تغير الحال واستحالت الحياة، وصار البيت ساحة لتصفية الحسابات فمن الأفضل أن تغرب شمس الزوجية ليحل محلها الطلاق وهو آخر الدواء.



(١) مسئولية الأب المسلم (ص ٥٤٦، ٥٤٧).

حالة متكررة: طلاق الزوجين

• أضرار الطلاق على الصغار:

تعتمد الحياة الزوجية على ثلاثة أضلاع لا غنى لأحد عن الثلاثة: الأب، الأم، الولد، وأضعف الأضلاع الثلاثة: الولد الذي يحتاج إلى أبويه لا يستغني عنهما. فالأب: مصدر النفقة بما يدره الله تعالى عليه من رزق، وهو أيضاً- أي: الأب- مصدر السلطة والقوة في البيت، وبدونه يفقد الصغير عائلته، ومصدر قدوته الذي يربيه على الرجولة والشدة، فمهما بلغت المرأة من قوة في شخصيتها فهي امرأة حان قلبها شفيق، تخشى على ولدها إذا مرض الإبرة التي تخترق جلده، أو الدواء المر الذي يتجرعه الصغير. وهي التي تحار عند ارتكاب الصغير للخطأ ماذا تفعل؟ فقد جبلت على الاستعانة بالرجال دائماً حتى في أدق خصوصياتها وشئونها.

ومن هنا فإنه لا غنى عن الوالد لولده إلا إذا أراد الله تعالى أمراً بوفاته، ومهما كان فلن تسد الأم عشر ما يستطيع الأب سده والتعامل معه، وكثيراً ما يعبر الصغار الذين ربّتهم النساء بأنهم (تربية نساء) أما الأم فهي التي أعطاه الله تعالى ما حرم منه الرجل: إنها مصدر الحنان والرقّة قبل أي شيء، ثم بنائها ونفسيها تؤهلها لعدم استغناء الولد عنها، فهي الحاضنة والمرضع، وهي الملجأ للصغير، والحضن الذي يرتقي فيه ليشعر بالدفء والاطمئنان، فلا يستطيع مفارقتها حتى يعتمد على نفسه، وربما اشتد احتياجه له حتى بعد الزواج والإنجاب.

وبذلك لا غنى عن هذا الضلع القوي بجنانه وعطفه، ويؤكد علماء النفس أن الطفل الذي يفقد العطف في صغره يصاب بأضرار بالغة يترتب عليها خلل في النمو البدني والذهني، وفي النطق، وفي معاملة الغير داخل مجتمعه (١).

يقول الماوردي رحمه الله: «والأمهات أكثر إشفاقاً، وأوفر حباً لما باشرن من الولادة، وعانين من التربية، فإنهن أرق قلوباً، وألين نفوساً» (٢).

(١) مجلة التربية الإسلامية العدد (٧٣) (ص ١٣٠).

(٢) أدب الدنيا والدين (ص ١٥٢).

وزيد ابن قيم الجوزية رحمه الله الأمر وضوحاً فيقول عن النساء: «إنهن أخبر بأمور الحضانة والتربية من الرجال»، فلا عذر لأحد في إبعاد الصغار عن الأب أو الأم إذن.

لكن قد يقع الطلاق!!

ومهما قيل عن الطلاق كحلٍ يؤدي إلى قتل كثير من المشاكل القائمة بين الرجل والمرأة، إلا أنه حلال بغيبض جُبلت النفوس على التفور منه لا من فعله؛ بل حتى من اسمه وذكره، كأنهم يخشون وباءً يُعدي بمجرد ذكر اسمه!! ومن هنا وجب اتخاذ التدابير اللازمة لعدم وقوع الطلاق. ومن هذه التدابير:

(١) مراعاة الاختيار الحسن من البداية: لثلا بعض الزوج أو الزوجة بنان الندم لتنازله عن شرط أصلي في اختياره وهو في العادة: الدين والتدين.

(٢) كلنا ذور خطأ: فالرجل يخطئ وكذلك المرأة، ولا بد من تحمل هذا لذاك، وليست كل الأخلاق مرضية، ومن لا عيب له من بعد الأنبياء والرسول مستحيل لا وجود له، فيهب الزوج خطأ الزوجة لفضلها فيعرف حقها في إدارة شئون بيته وتفرغ قلبه منها، وتعرف المرأة لزوجها حسن معاملته لها، وإنفاقه عليها، وستره لها، وأبوتها لأبنائها، ويتذكر الاثنان حاجة الصغير إليهما مجتمعين لا متفرقين.

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر - أو قال: غيره» (١). ولا يفرك: لا يبغض، فإن كانت شرسة الخلق لكنها قد تكون دينة أو عفيفة أو رفيقة به (٢).

وهذا الكلام يمكن إسقاطه على الرجل، بحيث لا تفركه زوجته فترضى منه خلقاً إذا أبغضت آخر. لا بد إذن من موازنة بين الأخطاء والصواب حتى تستقيم الحياة.

(٣) الحياة متقلبة لا تسير على نمط واحد: وقلب ابن آدم سُمي قلباً من القلب، وربك سبحانه وتعالى خلق بني آدم من طين الأرض وتراها فجاء منهم السهل

(١) صحيح: مسلم (١٤٦٩ / ٦٣) في الرضاع.

(٢) شرح النووي على مسلم (٣٨٢ / ٥).

والحزن، والأبيض والأحمر والأسود، كما أن الحياة لا تسير على وتيرة واحدة، فيوم صحة وآخر مرض، ويوم غنى ويوم فقر، والرجل قد يتعرض لبعض الضغوط الخارجية، والمرأة تتعرض شهرياً لتغيرات بدنية لما يصيبها من عذر النساء (العادة الشهرية) أو الحمل الذي يجعلها في بعض الأوقات سيئة الأخلاق من فرط ما تعاني من الحمل حتى تتعافى بالوضع وبأن تقر عينها بوليدها، ناهيك عن طبيعة المرأة نفسها، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المرأة خلقت من ضلع، لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها، استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها»^(١). وفي رواية: «... وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، إن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً»^(٢).

فكل النساء خلقت على هذه الحال، فمن أرادهن فليكن رضاه بهن على ما بهن من عوج، ولقد نبه النووي رحمه الله على هذا، فعقب بعد الحديث قائلاً: «وفي هذا الحديث ملاطفة النساء، والإحسان إليهن، والصبر على عوج أخلاقهن، واحتمال ضعف عقولهن، وكراهية طلاقهن بلا سبب، وأنه لا يطمع باستقامتها»^(٣). فلا تطمعن في محال يخالف نوااميس الكون، فإن ذلك ليس خطأ في فهم طبائع النساء وحسب؛ بل في فهم الكون كله، وهذه إرادة الله تعالى.

ولقد ذاق الأنبياء ما يذوقه الرجال مع النساء، فكفرت امرأة نوح وامرأة لوط، وفي بيت رسول الله ﷺ حدث خلاف بينه عليه السلام وبين أزواجه من أمهات المؤمنين، وكانت إحداهن تجده عليه - أي: تغضب - حتى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي تقول: «قال لي رسول الله ﷺ: «إني لأعلم إذا كنت عني راضية، إذا كنت علي غضبي». قالت: فقلت: ومن أين تعرف ذلك؟ قال: «أما إذا كنت عني راضية، فإنك تقولين: لا ورب محمد. وإذا كنت غضبي قلت: لا ورب إبراهيم». فقالت رضي الله

(١) صحيح: مسلم (٦١/١٤٦٨) في الرضاع.

(٢) صحيح: مسلم (٦٢/١٤٦٨) في الرضاع.

(٣) شرح النووي على مسلم (٢٨١/٤).

عنها: أجل، والله ما أهجّر إلا اسمك^(١).

وهذا تحرّ لطيف منه ﷺ لسلوك أزواجه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعاً، وإذا ما فعل الرجال فعله فقد استطاعوا أسر النساء؛ بل تحويلهن إلى عجائن قابلة للتشكيل في أي لحظة.

(٤) الابتعاد عن ذكر الطلاق والحلف به: حتى لا يكون شبحاً مخيماً على البيت، أو لفظاً تعودّ اللسان عليه، فينطلق في ساعة الغضب بلا رضى.

(٥) محاولة حل المشاكل حلاً سلميًّا: وهذا بالسير وفقاً لمنهج القرآن: ﴿وَاللَّائِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ (النساء: ٣٤). وقد تحدثت تفصيلياً عنها في الباب السابق.

(٦) الطلاق آخر الحلول دائماً: فإذا ما يأس الزوجان من استمرار الحياة، وإذا ما فشل الأقارب والأصدقاء في حل هذه المشاكل، فلا مفر من ركوب المضطر للمركب الصعب بالطلاق.

(٧) ويراجع الزوجان نفسيهما خلال فترة العدة: والعدة ثلاثة أشهر هجرية بقول العلماء الأئمة الثقات، فإن أراد التراجع خلال هذه الفترة فحيها، ولذا طالّت المدة، فإن من حكمة إطالة مدة العدة غير التعبد، واستبراء الرحم، إعطاء مدة كافية للرجل والمرأة لكي يراجع كل منهما نفسه، فتصلح النفوس وتُجبر، ويعود الوفاق.

وحتى إذا مرّت العدة في المرة الأولى أو الثانية، ويأت المرأة بينونة صغرى جاز التراجع لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغُنَّ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (البقرة: ٢٣٢).

ومن هنا كانت العدة في بيت الزوجة لا تخرج منه لعلها أن تراجع نفسها، ومحل هذا كتب الفقه.

(٨) ويتدخل أهل التقوى للإصلاح والوعظ: حتى لا يترك المسلم أخاه ظالماً أو مظلوماً، وحتى لا يشمت بنا شياطين الإنس والجن، ويجتهد المسلمون في إعادة

(١) صحيح: مسلم في فضائل الصحابة حديث رقم (٨٠) في الكتاب ذاته.

الوفاق بين الزوجين حتى الرmq الأخير، وعلى حد قول القائل: اقتلها وعظا حتى يصطلحا.

(٩) تذكير الآباء والأمهات بأضرار الطلاق: وإعلامهم بأن هذا القرار هو أصعب القرارات لا عليهما بل على الصغار، ويذكر الأبوين بالآثار السيئة التي ستقع على الأبناء بعد حدوث الفرقة بين الزوجين، وكيف أن المتضرر الوحيد هم فلذات الأكباد، وأكبر الأضرار وأعظم الأخطار: خسارة الصغير، وجرح قلبه، وانكسار نفسه، ومرضه- لا أقول بدنياً- وإنما نفسياً بما يستمر معه طيلة حياته.

إن الآباء يستريحون بقرار الطلاق، ويدفع الأبناء الثمن، كما يقول العلماء: «ولكن الأطفال في العادة يخسرون أكثر من الآباء؛ إذ أن وجودهم بين الأب والأم له أهميته البالغة والعميقة في نفوسهم، إذ لا يمكن أن ينشأ الولد نشأة معتدلة سوية بدون الأب والأم معاً، فلو فقد الابن أباه في سن السادسة أو السابعة مثلاً، أثر ذلك عله تأثيراً سيئاً، وربما ساقه هذا الحرمان إلى مصه أصابعه، وكثرة المشاغبات، والتبول اللاإرادي».

«وتدل الإحصاءات على أن تفكك الأسر- وبخاصة ما كان راجعاً إلى الطلاق- من أهم العوامل التي تؤدي إلى جنوح الأحداث، وهو مظهر متطرف من مظاهر سوء التكيف الاجتماعي، وقد ترسم في ذهن الطفل الذي ينشأ في هذا البيت صورة قبيحة مشوهة عن حياة الأسرة وعن الدور الذي يلعبه كل من الرجل والمرأة في المجتمع، كما أن الطلاق نفسه قد يشعر الطفل بشيء من الحزني والنقص، فهو يحس أنه غريب في مجتمع أغلب أسرهم متماسكة حيث يعيش معظم الأولاد والبنات مع آبائهم وأمهاتهم^(١). فقبل البحث عن راحة أنفسنا، وبدافع الأنانية، يجب البحث عن راحة من كنا سبباً في إتيانهم إلى الحياة.

«الأطفال بعد الطلاق:

(١) الحضانة حق للأم- وقد سبق وفصلت هذا الأمر في باب الحضانة- حتى

يكبر الصغير. وإذا كان الولد صغيراً غير مميز فإن أمه أحق به إذا تنازع الوالدان فيه، وذلك لأن «الأم أصلح له من الأب، لأن النساء أرفق بالصغير، وأخبر بتغذيته وحمله، وأصبر على ذلك، وأرحم به فهي أقدر، وأخبر، وأرحم، وأصبر في هذا الموضع، فعينت الأم في حق الطفل غير المميز بالشرع»^(١).

أما إن كان الولد مميزاً فإنه يُخَيَّر بين أبويه، فإن اختار الأم كان عندها في الليل، أما النهار فيكون عند الأب ليعلمه ويؤدبه، أما إن اختار الأب فإنه يبقى عنده ليلاً ونهاراً ويزور أمه، ولا يُمنع من ذلك، فإن عاد الولد واختار الآخر من الأبوين نُقل إليه^(٢). وهذا تكرار لبعض ما كنت قد ذكرته هناك، فارجع إليه تارة أخرى للاستزادة في مثل هذه المسائل.

(٢) التعامل مع الأمر برفق وتؤدة:

فيحاول الأب مصارحة المميزين من أطفاله بأن الطلاق أفضل الحلول، ولا حياة مع طول الخصام، ويحرص على أن يبين لهم مشروعية الطلاق في الإسلام، وأنه جائز، وينقل لهم بعض قصص الصحابة في ذلك وغيرهم ممن لم يُقدَّر لهم التوفيق في حياتهم الأسرية مع بعض النساء، ويبين لهم النظام الذي سوف يعيشون عليه بعد الانفصال، وكيف سوف يجتمعون به في أوقات معلومة، وبالألم في أوقات معلومة أخرى، ويؤكد لهم حبه وعطفه عليهم وأنه لن يستغني عنهم أو يزهدهم فيهم أو يتخلى عنهم.

وبهذا الأسلوب أن نحوه يمكن للأب أن يخفف أثر الطلاق على أولاده فلا يخرجون بخبرة سيئة فتتعد نفوسهم، وتسود الدنيا في أعينهم.

ويحذر الأب من استنقاص الأم عند الأولاد، ووصفها بأوصاف غير لائقة، حتى ولو كانت أهلاً لهذه الأوصاف، فإنها لا تزال أمهم، ومهما بدر منها مع الأب فإنه لا دخل للأولاد فيه، بل إن شأنهم شأن آخر، كما أنه ليس للأب ولا للأم مصلحة في إفساد علاقة الأولاد بالطرف الآخر، إذ أن هذا السلوك الخاطئ يضر الأولاد أكثر

(١) مجموع الفتاوى (١٢٢/٣٤) لابن تيمية.

(٢) السابق نفسه، والمغني (٩/٣٠٠) لابن قدامة.

من الضرر بالأبوين لمكانتهما عندهم، ولحاجتهم إليهما جميعاً، بل لا يضرهما أن يثني كل واحد منهما على الآخر بما فيه وبما ليس فيه أمام الأولاد، ليعمق علاقتهم به، فتخف بذلك آثار الطلاق والفراق عليهم.

ويحذر الأب كل الحذر من أن يجره حقنه وحقده على المرأة أن ينتقم منها بإيذاء الأولاد، كأن يحرمها من رؤيتهم والاختلاط بهم، فإن هذا من الحرام إلى جانب ما فيه من المضرة بالأولاد، يقول عليه الصلاة والسلام في حق من فرق بين الولد وأمه من السبي: «من فرق بين والدته وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة»^(١). وإن كان الصلح خيراً وأولى من ذلك كله، فالأمر عائد إلى حسن الاختيار منذ البداية. ويراعى اختيار زوج أم رفيق، أو زوجة أب رفيقة:

وهذا في حال عدم التراجع بين الزوجين، وليعلم الأب أنه إن صمم على الطلاق وله بنات، فإن البنت إن كانت اليوم صغيرة فستحتاج غداً لمن تدلها على أمور النساء التي لا تُفْضي بها المرأة إلا إلى امرأة مثلها، وهذا أيضاً في حالة وفاة الزوجة، يجب وجود أم بديلة وإلا انهيار البيت، فالرجل مهما كان ذكاًؤه وشدته، فإنه أعجز الناس عن فهم المرأة، والمرأة أقدر على فهم المرأة والرجل من الرجل على فهم المرأة والرجل. وكذا يجب أن تعلم المرأة التي لديها أبناء ذكور أن عدم وجود الرجل مشكلة لا تظهر آثارها إلا بعد اشتداد عود الذكر وإحساسه بقوته وفتوته، وهناك من الأمور الخاصة بالرجال ما لا يستطيع إيصاله إلى الأولاد إلا ذكر مثلهم.

فيراعى حسن اختيار من سيحل محل الأب أو الأم حتى لا تكون هناك خسائر أخرى في القلوب والنفوس من جراء المعاملة القاسية أو الإهمال، أو التثاقل من وجود ولد ليس من الصُّلب، ولا عذر لأحد في ذلك، لأن باب الاختيار واسع ولا أحد يطارده من يختار أو يجبره على شخص بعينه إلا في أحوال نادرة للغاية. وقد ذكرت الكثير في باب حسن معاملة اليتيم فأرجع إلى هناك فالحالتان متشابهتان.

(١) الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب السير، باب في كراهية التفريق بين السبي، حديث رقم (١٥٦٦)، (ج٤/ص١٣٤)، والحديث حسن غريب. وقال الألباني: حسن، وانظر مسئولية الأب المسلم (ص٥٥).

وثن العصر: التلفاز، وأجهزة الإعلام

ليس رجماً بالغيب أن نتصور فرح الشيطان وسروره بالتلفاز والقنوات الفضائية كما لم يفرح بشيء من قبل، فقد أصبح التلفاز كفيلاً بمسخ الفطرة، وتشويه العقيدة، والسير بالإنسان وهو طائع راضٍ نحو هاوية المعاصي وقاع الرذيلة. وفيما سبق كان التلفاز مجرد أداة تكميلية ترفيهية يتباهى الأغنياء باقتنائها، وبعدُ صار التلفاز أصلاً في كل البيوت لا غنى عنه، فمن ذا الذي لا يملك اليوم هذه الآلة الفتنة الضالة المضلة؟!

وبعد ثورة الاتصال والمعلومات وانتشار الفضائيات زادت خطورة التلفاز الذي تعلقت به قلوب الكبار والصغار في واحدة من المهازل التي تحياها أمة الإسلام التي وافقت على هذه الفتنة طائعة راضية غير مكرهة، رغم علم الجميع بأن التلفاز صناعة غريبة، لا أقول صناعة الآلة؛ بل صناعة وصياغة ما يقدمه التلفاز لمشاهديه، فالواقع المرير يملئ علينا أن سيطرة يهودية صليبية مشتركة على وسائل الإعلام أمرٌ أكيد لا مراء فيه، وقد تحقق فضلاً عن ذلك أن مالكي هذه الأجهزة والفضائيات مرضى بهوس الربح المادي، والكسب المالي السريع الذي يجعلهم ييثون أي شيء مقابل جمع الأموال وحصدها وتكثيرها في بنوك الغرب.

ورغم ما وصل إليه التلفاز من درجات الانحطاط التي ظهرت آثارها في عرض مشاهد الشذوذ الجنسي بين الرجال والنساء إلا أن الجميع الآن يتصارع على دفع اشتراكات الفضائيات التي كلما جاءت بالفساد أكثر كلما كان مشتركوها أوسع نطاقاً وأكثر عدداً رغم غلو الاشتراك الشهري المدفوع مقابل هذه الخدمات.

وقد ظهر في الآونة الأخيرة ما يعرف باسم (وصلات الدُّش المركزي) و(التوصيلات المركزية) في العمارات والأبراج والبنيات وهي خدمة شيطانية جديدة تقدم أكثر من قناة جنسية مقابل أجر مالي زهيد قد لا يتعدى (العشرين جنيهاً مصرياً) في الشهر الواحد!!

إن التليفزيون هو أخطر الوسائل الإعلامية على الإطلاق خاصة بعد المخاطر التي ذكرتها آنفاً ولا شك عندنا أن وسائل الإعلام المختلفة من صحافة، وإذاعة، وتليفزيون، وسينما مسخرة اليوم لإشاعة الفاحشة، والإغراء بالجريمة، والسعي بالفساد في الأرض^(١).

إن أعجب ما أراه في هذه الأمة أن الأمة والحوادث تستهدفها تعشق اللهو والطرب، تساق إلى الذبح خاضعة، ترفع للذباحين الذيل والذنب.

الأمة تتلمس الهداية في مطالع الضلال، تطلب الشفاء بأسباب المرض والداء العضال، وما يريد الأعداء واضح لا مرأى فيه، يريدون منا أن نفرع للأعداء لإرضائهم، ونتمادى بإغوائهم، نتنازل عن عقولنا لعقولهم وإن كانوا مجانين!! وأن نسخر من أصولنا لنعيش على حاضر عدونا.

وتجول ببصرك ترى عجباً: نطق الرؤيضة التافه، وأشار بالرأي البليد، ووُسد الأمر إلى غير أهله، فإذا الحال كما تراه، كل ذلك عبر قنوات وإذاعات وشبكات كاذبة خاطئة، سيطر عليها المفسدون، ونظر لها شياطين الإنس والجن، لو اطلعت عليها لوليت منها فراراً وملكت منها رعباً.

ولا زالوا يلقون عليها زخارف القول غروراً: فإذا الحق باطل، والباطل حق، والإفك أقوم قليلاً!! شعارهم: من ذا يصيب هز البطون، وذاك من روائع الفنون.

دنيا الإعلام قلبت الحقائق، فأبرزت لنا جيلاً مظلم الروح، بليد الذهن، ضعيف الإرادة، يترنح كالذي يتخبطه الشيطان من المس، سقط متاع، جيل كالهبل إذا اجتمعوا نهقوا كالحمير، أو عووا كالذئاب حول السواقي، هم بنو الغي وأسلافهم صدروا الرشد للعالمين.

ولم يكن بلاؤنا نحن المسلمين في هجمة أعدائنا فحسب، بل البلاء من جهة أخرى هي أشد وأنكى، قوم من جلدتنا، يتكلمون بالستنا، دعاة على أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه فيها، قلوبهم قلوب شياطين في جثمان إنسان، أبواق للعدو،

(١) علي جريشة، أساليب الغزو الفكري (ص ٧١).

سوس لا يقع إلا في دقيق الموحدين، طاعون لا يسري إلا في أوصال المسلمين، كم من معقل للإسلام هدموه، وكم من حصن قد خربوه، وكم من لواء مرتفع قد نكسوه ووضعوه، كم من مرة صاحوا: أمراض المجتمع، وهم من أمراض المجتمع!!؟

إنما عجزت مدافع الأعداء وصواريخه ودباباته عن تشويهه في عدة سنوات، قام هؤلاء الأذئاب بتشويهه في أيام معدودات حتى قرَّ في نفوس الأجيال القادمة أن عدوهم أسد، سبع، ضارٍ مفترس، بينما المسلمون كأرنب لا أنياب له ولا أظفار ولا مخالب، ولا قوة له إلا بطاعة جلاده، والدعاء له بأن يحفظه الله له؛ لأنه يتحكم في قُوَّته وقُوَّته ووسائل الترفيه.

وتالله ما هؤلاء إلا خونة مغفلون خانوا أمتهم ودينهم، وقدموا الصغار والكبار لقمة سائغة يلوکها العدو، فلا تلوّموا العدو إنما دُعي إلى فريسة فتقدم.

إن التلفاز لم يعد مجرد أداة أو آلة لنقل المعلومات، أو عرض البرامج؛ بل هو أداة لبناء الفكر وتكوين الرأي، وتحديد علاقة الإنسان بمجتمعه، فهو خطر حقيقي يكاد يجتاح أمتنا ويعصف بكل ممتلكاتها، فما من فكرة يروجها يريد لها الأعادي رواجاً إلا والتلفاز أكبر مروج لها.

ولكن: لماذا سميت التليفزيون وثناً؟ لقد ذكر الراغب الأصفهاني ص ٤٩٣ فقال: «كل ما عُبد من دون الله؛ بل كل ما يشغل عن الله يقال له: صنم». فلعل الأمر قد ظهر ووضح!!

فلا أعلم مسلماً على وجه الأرض إلا وقد شغله التلفاز وصار من مفردات حياته اليومية بقنواته الإخبارية والسياسية والترفيهية الجنسية!!

حكم اقتناء التليفزيون:

وقد أفنى الشيخ عبد الله ناصح علوان رحمه الله بحرمة اقتناء التليفزيون بوضعه الحالي فقال: «إن اقتناء التليفزيون، والنظر إليه، والاستماع إلى برامجه الحالية يعد من أكبر الحرام وأعظم الإثم». وبنى رحمه الله فتواه هذه على الأدلة الشرعية الكثيرة المتعلقة بالنظر إلى المحرمات، وعلى استحالة إمكانية التحكم في عرض البرامج

النافعة دون الضارة منها، وأن هذا لا يمكن تحقيقه في الواقع، وقد صدرت فتاوى مشابهة تفيد حرمة النظر والاستماع إلى المحرمات والمنكرات التي تُعرض في التلفزيون، حيث أفتى بذلك سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، وفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ومجموعة من المشايخ التابعين لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية^(١).

ولقد تعجبت حين قرأت هذه الكلمات، فصممت على نقلها للمسلمين، إنها شهادة شاهد من أهلها، فهو (جيري ماندر) الباحث الغربي في كتابه (أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون) فيقول: «ربما لا نستطيع أن نفعل أي شيء ضد الهندسة الوراثية والقبائل النيوترونية، ولكننا نستطيع أن نقول (لا) للتلفزيون، ونستطيع أن نلقي بأجهزتنا في مقلب الزبالة حيث يجب أن تكون، إن التلفزيون لا يتقبل الإصلاح عادة، إن مشكلة كامنة في التقنية نفسها تمامًا كما أن العنف كامن في البنادق، ولا يستطيع خبراء التلفزيون تغيير ما يمكن أن يخلفه الجهاز من تأثيرات على مشاهديه، هذه التأثيرات الواقعة على الجسد والعقل لا تفصل عن تجربة المشاهدة»^(٢).

هذه شهادتهم وشهادة رجل منهم لم يقل: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين. فكيف بمن أمر باتباع شرع الله وطاعة العلماء الأثبات الثقات!!؟

وهذه الفتوى جمع كلماتها الدكتور محمد بن إسماعيل في كتابه الإجهاز على التلفاز، فقدمها لك: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «لا يجوز اللعب المعروف بالطاب والمنقلة، وكل ما أفضى كثيره إلى حرام إذا لم يكن فيه مصلحة راجحة، لأنه يكون سبباً للشر والفساد، وما ألهى أو شغل عن ما أمر الله به؛ فهو منهى عنه وإن لم يحرم جنسه، كالبيع والتجارة وسائر ما يلهو به الباطلون من أنواع اللهو وسائر ضروب اللعب، مما لا يستعان به على حق شرعي فكله حرام»^(٣) اهـ.

(١) مسئولية الأب المسلم (ص ٤٩٩، ٥٠٠).

(٢) الأستاذ مروان كجك (ص ٢٥٣).

(٣) نقله عنها العلامة عبد الله بن حميد في كتابه «التلفاز وحكمه في الشريعة الإسلامية»، كما في

«الأسرة المسلمة» (ص ٢٦٩، ٢٧٠).

وقال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية رحمه الله: «إذا أشكل حكم شيء هل هو الإباحة أو التحريم فلينظر إلى مفسدته وثمرته وغايته، فإن كان مشتملاً على مفسدة راجحة ظاهرة فإنه يستحيل على الشارع الأمر به أو إباحته، بل العلم بتحريمه من شرعه قطعي، ولا سيما إذا كان طريقاً مفضياً إلى ما يُغضب الله ورسوله موصلاً إليه عن قرب» (١) اهـ.

وقال العلامة الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله بعد نقله كلام الإمامين المذكورين آنفاً: «فانضح من كلام هذين الإمامين أن الشيء إذا أشكل حكمه ينظر في مفسدته وثمرته وغايته، فإن كانت مصلحته أرجح من مفسدته؛ فالشرع لا يحرمه، بل تغتفر المفاصد الجزئية في جانب المصالح الكلية، وإن رجحت مفسدته على مصلحته بأن كانت مفسدته كلية، وإن اشتمل على مصالح جزئية؛ فيستحيل على الشارع إباحته، بل هو محرم قطعاً، وكل ما يلهو به الإنسان من أنواع اللهو فهو باطل وإن لم يحرم جنسه، إذا رجحت مفسدته على مصلحته بأن كانت مفسدته كلية، وإن اشتمل على مصالح جزئية فيستحيل على الشارع إباحته بل هو محرم قطعاً، وكل ما يلهو به الإنسان من أنواع اللهو فهو باطل، وإن لم يحرم جنسه إذا أدى إلى ترك واجب، كالبيع والزراعة ونحوها فهذه وإن كانت أعمالاً مطلوبة ومرغوباً فيها لكنها تكون محرمة إذا أفضت إلى ما يسخط الله ويغضبه كترك الصلاة في جماعة، أو إلى أن يخرج وقتها، وما لم يكن فيه مصلحة راجحة فهو أيضاً ممنوع، لأنه يكون سبباً للشر والفساد، فأين هذا من آلة التليفزيون مع قطع النظر عما يعرض على شاشته من الخلاعة والدعارة وتربية الأطفال على الرقص والمجون، فإنه مشغل للوقت مذهب له بدون فائدة، مؤدٍ إلى ترك الصلاة في جماعة، أو إلى خروج وقتها، فهذا أولى بالتحريم» (٢) اهـ.

ثم حمل فضيلته على الغافلين اللاهين عن خطورة التلفاز على الدين، فقال

(١) نقله عنهما العلامة عبد الله بن حميد في كتابه «التلفاز وحكمه في الشريعة الإسلامية»، كما في «الأسرة المسلمة» (ص ٢٦٩، ٢٧٠).

(٢) السابق.

رحمه الله: «أيها المسلمون ما لي أراكم تتحمسون وتقومون من أجل قليل من حطام الدنيا أو شبر من الأرض يتعدى عليه من بعضكم لبعض، أو من دولة مجاورة، فتزأر الحكومة من أجله، وتقوم وتقعّد وتجنّد كل إمكانياتها حماية لهذا الشبر، ولا أراكم تتحمسون لدينكم ولا تغارون من أجل الشرف والعرض الذي ديست كرامته فأبي الشينين أهم وأقدس، أوامر دينكم والتمسك بتعاليم إسلامكم، أم حطام يسير من الدنيا أو شبر من أرض أحدكم تعدى عليه الآخر؟ نرى منكم في الهين البسيط الحماس والتفاني، ولا نرى منكم نحو الأهم الخطير إلا التهاون والتواني، تستقون وتخشون عدواً من العباد، ولا تخشون عدواً في أنفسكم اسمه الفساد، يقتل النفوس ويستحيي الأجساد، ألا ومنه التليفزيون المعروض على شاشته حفلة خليعة، ومقرص، وتمثيلية، ومسرح، وأغنية غرام التي هي رقية الزنا، وقد شاهد الناس أنه ما عانى الغناء صبي إلا فسد، ولا امرأة إلا وبغت، ولا شاب إلا وإلا...»

ألا فانتبهوا أيها المسلمون وناصحوا بعضكم بعضاً ممن امتهن أوامر الإسلام، ونهوا من خرج على الآداب والاحتشام، وحاربوا هذا الداء الويل الذي يفتك ويهتك بالأعراض والأجسام، فلا تُعتبر نفوسُ ألفت الفاسد فصارت عمياً لا ترى للحق نوراً، ولا تعرف للفضيلة جمالاً، ولا يظهر أمامها الحق جلياً ساطعاً نوره فتراه باطلاً مظلماً، وتتجلى بين يديها الفضائل فتراها رذائل، فهذه النفوس الدنيئة القذرة هي بالخشرات أشبه، وبالديدان أقرب، يتعذر إقناعها، ويستعصي على الدعاة الناصحين علاجها، فمن العناء معالجة الهرم، ومن التعذيب تهذيب الذئب، لأن أمثال هؤلاء لا يميلون إلى رشد ولا إلى طلب الحقائق والفضائل، وقد تستحسن بعض العقول استعمال هذه الآلة المسماة بالتليفزيون ظناً منها أنها أداة تشقيف وتعليم، وأداة لنشر الفضائل، ولم تتبهِ العقول لخطورتها وما يعرض على شاشتها من الخلاعة والدعارة والمناظر الفاتنة والحفلات المفسدة للبيوتات، والمُخرِبة للأسر، ولم تعرف قواعد الشريعة الصحيحة، بل كلما تجلّى أمامها من زيف مآله إلى الظلمة، وكلمات معسولة بها السم الزعاف تلقته بالقبول والاستسلام، ونسيت ما يعرض على تليفزيونات البلاد الأخرى من الشر والبلاء والفتنة، وأضف إلى ذلك ضياع الوقت الذي هو من ذهب.

أيها المسلمون لا تعتبروا عقولكم وما تستحسن في هذا السيل، اعتبروا وقيسوا الأشباه بالنظائر، وترثوا في أموركم حتى تروا الحق واضحاً جلياً فإن العقول البشرية لا تستقل بإدراك المصالح الدنيوية فكيف تستقل بمعرفة المصالح الأخروية!! ولا تتمكن العقول وحدها إلى تمييز الخير من الشر، ولا إلى معرفة المعروف من المنكر، وليس في إمكانها أن تقف على حقائق الأمور، ولا أن تدبر أمورها وحكمها على نظام تام محكم مستقيم لا خلل فيه ولا جور، فإنها وإن وصلت إلى ما وصلت إليه من المعرفة والإدراك فقد تميل إلى الباطل عن الحق، وتنحرف إلى الفساد عن الصالح، ويخفى عليها وجه المصلحة، ولا تصل إلى الاهتداء لمغزى الأعمال، وكثيراً ما يبدو لها الشر في لباس الخير فتظنه خيراً وهو شر محض وبلاء مستطير، فتقع فيه، وكثيراً ما ظهر لها الخير فتظنه شراً لعجزها عن إدراك الحقائق فتقع فيه، ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦).

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم اهـ. ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩١).

وقال الشيخ عبد الله ناصح علوان رحمه الله تعالى: «ما دام التليفزيون اليوم يرمي في أكثر برامجه إلى هدر الشرف، ويوجه نحو الفساد والإباحية، ويشجع على السفور والاختلاط؛ فإن اقتناءه، والاستماع إلى برامجه، والنظر إلى مشاهدته، يعد من أكبر الحرام وأعظم الإثم، وإليك الدليل على ذلك:

١- أجمع الفقهاء والأئمة المجتهدون في كل زمان ومكان على أن مقاصد التشريع الإسلامي خمسة: حفظ الدين، وحفظ العقل، وحفظ النسب، وحفظ النفس، وحفظ المال. وقالوا: إن كل ما جاء في الشريعة من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وقواعد أصولية تهدف إلى حفظ هذه الكليات الخمس، وباعتبار أن أكثر برامج التليفزيون الحالية من أغاني ماجنة، وتمثيلات خليعة، ودعايات مثيرة، وأفلام فاسدة تستهدف هدر الشرف، وضياح العرض، وشيوع الزنا والفاحشة، فإنه يحرم النظر إليها، والاستماع لها للحفاظ على النسب والعرض، وبالتالي: يحرم اقتناء الجهاز باعتبار أنه وسيلة إلى النظر والسماع.

٢- روى مالك وابن ماجه والدارقطني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار». فهذا الحديث الشريف يُعدُّ قاعدة شرعية من أهم القواعد التي قعدها الفقهاء، واستنبطها علماء الأصول، لأن عليها مدار الإسلام في أوامره ونواهيه، ولأنها تهدف إلى تحريم كل ما يضر بالفرد والمجتمع والأخلاق، بلفظ بليغ موجز.

وباعتبار أن التليفزيون في برامجه الحالية يوجه إلى الميوعة والانحلال، ويشير في المجتمع كوامن الغريزة والشهوة، فإنه يحرم على المسلم أن يشتريه ويدخله بيته، حفاظاً على عقيدة الأسرة وأخلاقها، وقطعاً للداير الأضرار التي تنجم عنه، وتطبيقاً لقاعدة: لا ضرر ولا ضرر.

٣- من القواعد المقررة في الشريعة الإسلامية قاعدة «سد الذرائع»، ومعناها: تحريم المباح لكونه يؤدي إلى المحرم. فباعتبار أن النظر إلى برامجه الحالية يؤدي إلى الفساد والتحلل، صار اقتناؤه أو استعماله محرماً لكونه يثول إلى أسوأ المفساد وأحط الأخلاق.

٤- إن أكثر البرامج الترفيهية التي تعرض على شاشة التليفزيون مصحوبة بالمعازف والغناء الخليع والرقص والمجون.

وباعتبار أن الاستماع إلى الموسيقى والمعازف محرم بالنص، لما روى البخاري وأحمد وابن ماجه وغيرهم أنه ﷺ قال: «ليكون في أمتي أقوام يستحلون الحر (الفرج) والحرير والخمر والمعازف». وباعتبار أن الاستماع إلى المغنيات، والنظر إلى الرقصات محرم. وباعتبار أن المجون يترتب على مشاهدته إثارة الغرائز وهياج الشهوات لما يصحبه من مظاهر الفتنة، وتكشف العورات، فهو محرم بالنص الذي يأمر المؤمنين والمؤمنات بغض البصر بشكل عام، ويأمر المرأة بالستر والحجاب وعدم إظهار التبرُّج والزينة بشكل خاص.

قال الله تعالى في سورة النور: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ إلى آخر الآيتين (النور: ٣٠، ٣١).

وقال في سورة الأحزاب: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾
(الأحزاب: ٣٣).

وقال في سورة الأحزاب أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (الأحزاب: ٥٩).

فإذا كان السفور وإبداء التبرج وإظهار الزينة محرماً على المرأة، فلأن تظهر مفاتنها، وتكشف عورتها لتثير غرائز الرجال في رقص أو غناء فهو محرم من باب أولى.

لهذه الاعتبارات كلها كان اقتناء الجهاز التليفزيوني محرماً لما يصاحب هذه البرامج الترفيهية من معازف وموسيقى وغناء ماجن ورقصات فاجرة، وبالتالي كان النظر لهذه البرامج محرماً كذلك لما لها من خطر في تقويض دعائم التربية والأخلاق... (١) اهـ.



(١) حكم الإسلام في وسائل الإعلام (ص ٦ - ١٢) بتصرف.

أضرار التلفاز

وهذه بعض المقتطفات التي تخص الصغار وبعض الكبار من أضرار التلفاز وأخطاره مجموعة من كتاب «الإجهاز على التلفاز»:

(١) مادية الشيطان:

إن التلفاز بحالته الراهنة هو مادية الشيطان، وينبوع المعاصي، إنه مقبرة الفضائل، ومزرعة الرذائل، ومائدة إبليس، التي يُتَحَف بها ضحاياها، فيعرض عليهم ألواناً من الفساد والخلاعة والمجون، وأنواعاً من الشبهات والسموم بعد أن يستحوذ منهم على الأسماع بمزاميره وموسيقاه، والأبصار بألوانه الباهرة، والأفئدة فيسحر عقولهم، ويزين لهم ما يضرهم حتى يخيل إليهم أنه أنفع الأشياء لهم ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٠٦) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف: ١٠٣، ١٠٤).

(٢) عدو الصحة الجسمية:

إذ إن التلفاز يضر الصحة البدنية من وجوه:

- فالجلوس الطويل أمامه يسبب ركود الدورة الدموية بسبب فقدان النشاط العضلي، وعدم الحركة، فإذا أضفنا إلى ذلك سهولة ازدياد كمية كبيرة من الطعام أثناء الانهماك في المشاهدة، ينتج الترهل والسمنة التي هي بحق «أم الأمراض».

- ومن أضراره: التعود على السهر، وما يترتب عليه من:

- تضييع صلاة الفجر، إما بالتخلف عن الجماعة، أو بقضائها في غير وقتها، أو بأدائها في جماعة دون خشوع بسبب الإعياء الشديد ومغالبة النعاس.

- التقصير في الواجبات الوظيفية بالحضور إلى العمل منهكاً متأخراً، وإذا كان طالباً فوّت المحاضرات الأولى أو جلس على كرسيه كالكروسي.

- قلب نظام الفطرة حيث ينام بالنهار ويسهر بالليل، مما يترتب عليه تضييع وقت حيوي ثمين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۖ﴾ (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (النبا: ١٠، ١١).

فالذين يسهرون ينامون بعد صلاة الفجر - إن أدوها في وقتها - ويُخَرِّمُونَ بركة

وقت قال فيه النبي ﷺ: «بورك لأمتي في بكورها»^(١) ، ولا يقدرون على المكث في المسجد إلى طلوع الشمس لذكر الله، ولا يخرجون في طلب الرزق مبكرين في وقت البركة، ولا يستطيعون قيام الثلث الأخير من الليل، ولا يطيقون الاستيقاظ للتسحر لصيام التطوع.

هذا إذا كان السهر في شيء مباح، فكيف إذا كان السهر من أجل الاعتكاف في محراب العجل الفضي لمشاهدة الأفلام الخليعة واللهو الباطل؟! لا شك أنه إثم على إثم، ووزر على وزر، وسواد في القلب، وضعف في البدن، ووحشة في النفس، ومحق في الرزق، وظلمة في الوجه.

- ومنها: ما يظهر أثناء القحوص الطبية للأطفال المتقدمين للمدارس إذا كانوا مغرمين بالجلوس الطويل أمام شاشة التلفاز من انحناء ظهورهم، وضعف أبصارهم نتيجة استمرار استعمال العين التي لا تتحرك كثيراً، مع تركيزها على الصورة والحركة في حيزٍ صغير محصور داخل مجال النظر في حجرة مظلمة ومن موضع قريب مما يسبب إرهاقاً وإجهاداً لأعصاب العينين^(٢).

(٣) الشاشة السرطانية:

إن الضوء الذي يوجهه التلفاز إلى عيوننا إنما توجهه من وراء الشاشة مدافع توليد (أشعة كاثود) بقوة ٢٥٠٠٠ فولت في الجهاز الملون، وبقوة ١٥٠٠٠ فولت في الجهاز الأبيض والأسود، وهذه المدافع تطلق تيارات إلكترونية على دقائق فسفورية على الشاشة، مما يجعلها تتوهج لتبعث ضوءاً ينطلق مباشرة إلى عيوننا فإلى أجسامنا^(٣).

إن أي كمية من الأشعة السينية المنبعثة من شاشة التلفاز تعتبر مصدر خطر على

(١) رواه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطبراني في الأوسط، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٠/٣).

(٢) انظر: الأسرة المسلمة (ص ١٢٠)، وبصمات على ولدي (ص ٣٢)، وجسمك والتلفزيون (ص ٢٥).

- (٦٩).

(٣) الأسرة المسلمة (ص ١٢١).

صحة الإنسان، ويكفي أن السرطان وهو مرض العصر الذي حار فيه الأطباء، وجهدوا في الكشف عن أسبابه المحتملة، يكفي أن أصابع الاتهام اليوم تتجه ناحية عائلة «الشاشات» التلفزيونية المضئية^(١)، والتي تشمل أيضاً أجهزة الكمبيوتر، وأجهزة لعب الأطفال التلفزيونية المنزلية.

(٤) السم اللذيذ:

قال الأستاذ محمد علي الضناوي المحامي: «ولقد قرأت أن العالم الشهير في التصوير الإشعاعي الدكتور «إميل كروب» قد أكد بمرارة وهو يُحتَضَر في إحدى مستشفيات شيكاغو بأمريكا أن أجهزة التلفزيون في البيوت هي عبارة عن عدو لدود وأخطبوط سرطاني خطير يمتد إلى أجسام الأطفال، وقد كان الدكتور نفسه أحد ضحايا السرطان الناتج عن إشعاعات التلفزيون، وقد أجريت له قبل وفاته ٩٦ عملية جراحية لاستئصال الدرنات السرطانية دون جدوى إذ إنه وصل إلى النهاية المؤلة بعد أن استؤصل قسم كبير من وجهه، وبُترت ذراعه.

وأضاف الدكتور «كروب» قبل موته: «إن شركات التلفزيون تكذب وتخدع الناس عندما تزعم أن هناك حداً أدنى للطاقة الإشعاعية لا تضر ولا تزود بها أجهزتها، فالعلم يقول بعد التجارب العديدة: إن أية كمية من الإشعاع مضرّة بالجسم على درجات متفاوتة وذلك حسب نسبة التعرض والجلوس أمام التلفزيون».

وأيد كل من د. هاسل، ود. لامب أقوال د. كروب الذي يعاني آلام الاحتضار، ولذا طالبت مجلة «الاقتصاد» التي نقلت هذه المعلومات، والتي تصدر في بيروت في نهاية مقترحاتها أن على كل أب وكل أم أن يتناول مطرقة ضخمة، ويحطموا بها كل ما لديهم من أجهزة تليفزيونية^(٢).

(١) وقد قام د. جون أوت وهو اختصاصي في التصوير البطيء، بدراسة شهيرة حيث وضع إحدى النباتات أمام شاشة تليفزيون ملون، فتمت بشكل مشوه بالغ الصخامة، وفي تجربة ماثلة على الفئران أصيبت هذه الفئران ببؤر سرطانية بسبب تعرضها للأشعة المنبعثة من التلفزيون! اهـ. من السابق (ص ١٢٢).

(٢) نقله الأستاذ مروان كجك (ص ٢٧٢، ٢٧٣) عن التلفاز وحكمه في الشريعة الإسلامية، للعلامة عبد الله بن حميد رحمه الله.

(٥) مشوه الأجنة:

وجّهت صحيفة «الأهرام»^(١) تحذيراً للأمهات الحوامل من الجلوس طويلاً أمام التليفزيون كيلا يصاب الجنين بإشعاعاته فقالت: «أكدت نتائج بحث علمي مصري أن تعرض الأم الحامل لمصادر الإشعاع الشديد الموجودة حولنا في كل مكان ينتج عنه تشوهات في الأجنة قد تتسبب في موت الجنين قبل أو بعد الولادة»^(٢).

ويقول الدكتور محمد منصور رئيس وحدة بحوث المناعة والطفيليات بالمركز القومي لتكنولوجيا الإشعاع: «من المعروف أن التعرض للإشعاع قد يسبب تغيرات في جلد وأعضاء الجسم المختلفة لدى الإنسان والحيوان على حدّ سواء، كما يسبب الإصابة بالأورام السرطانية واحتمالات التقليل من الخصوبة في الذكور والإناث، إلى جانب تغييرات في الصفات الوراثية في الأجيال القادمة، وإحداث تشوهات خلقية في الأجنة أثناء فترات الحمل المختلفة».

وبناءً على هذا ينصح الدكتور محمد منصور السيدات الحوامل وكذلك الأطفال بعدم الجلوس لفترات طويلة أمام أجهزة التليفزيون الملون الموجود حالياً في معظم البيوت المصرية إذ به مصدر للإشعاع القاتل للجنين، كما أنه يؤدي إلى ضعف الإبصار عند الأطفال إضافة إلى تأثيره على عدسة زجاجة النظارة الطبية وبالتالي على درجة ملاءمتها لقوة العين»^(٣) اهـ.

(٦) عدو الصحة النفسية:

يتسلم التلفاز «ضحاياء» منذ الطفولة الباكرة، ويأخذ بأيديهم إلى خريف العمر، فهو إذن يؤثر في التكوين النفسي لأهم شريحتين في الأمة: الأطفال: مستقبل الأمة، والشباب: حاضرها وعدّها. وماذا يبقى للأمة إذا تشرب أبناؤها الآفات الفكرية والعاهات النفسية، والقيم الهابطة «من المهد إلى اللحد»؟!

(١) بتاريخ (١٧/٢/١٩٨٤م) كما في الأسرة المسلمة (ص ١٢٦).

(٢) ولهذا أصدرت وزارة العدل في كندا قانوناً بإعفاء النساء الحوامل من العمل في أقسام الكمبيوتر، ونقلهن إلى وظائف أخرى طوال فترة الحمل، انظر: الأسرة المسلمة (ص ١٢٤).

(٣) السابق (ص ١٢٤ - ١٢٦).

وفيما يلي تفصيل آثار التلفاز على الصحة النفسية:

(٧) معلم النيام وأستاذ السلبية:

تكاد الدراسات العلمية التي أجريت لدراسة آثار التلفاز على الصحة النفسية تكاد تجمع على أنه يدرّب مشاهديه على الكسل الذهني الذي يصاحب الاسترخاء الجسدي، وأنه يُشيع فيهم روح السلبية، ويجعل منهم إمّعات يميلون مع الريح حيث مالت، وأنه ينفث في روعهم روح «اللامسؤولية» والاستسلام والانهازمية، ويصرفهم عن معالي الأمور، ويشغلهم عن الأهداف السامية، ويزيد رقعة الخواء الفكري في نفوسهم.

بيان ذلك: أن عملية المشاهدة نفسها سلوك سلبي استقبالي تلقيني، فالناس يجتمعون حوله ساكتين بلا حراك، في جو من الدفء والثبات واليسر، أبصارهم وأسماعهم موقوفة عليه متعلقة به، مستسلمون لكل ما يُصبّ في عقولهم، ويتقبلون ما يُلقّنونه بلا نقاش، وبلا أي تفاعل إيجابي من طرفهم، فهي عملية عطاء ثابت دائم من طرف، يقابلها في الطرف الآخر استقبال سلبي كامل، وفي غياب النقاش الفوري، تتخمر الأفكار في الأذهان، وينشأ الأثر التراكمي، أضف إلى ذلك دور الخيال الذي قد يعود بالكبار إلى الحنين إلى الطفولة، ليصيروا أطفالاً راقدين في حجور أمهاتهم، وهم أشبه شيء بالطفل الصغير الذي يُطعم بالملعقة، وهو المسيطر عليه مستغرق فيما يشاهد، منغمساً فيه، مستغرباً منه^(١).

أما الأطفال «الحقيقيون» فمع صغر سنهم، والطاقة العظيمة الكامنة فيهم، فإنهم أيضاً يتعودون على السلبية والتلقي دونما مشاركة حقيقية في الأحداث.

ومن أخطاره النفسية أنه قد يولد الغلظة في المشاعر، والبلادة في الحس، عن طريق متابعة المسلسلات البوليسية، ومشاهد العنف والمغامرات بما فيها من قتل وتمزيق ودماء، وحرائق وهلاك، مما ينعكس على نفسية الأطفال خصوصاً بآثاره السيئة^(٢).

(١) انظر: الأسرة المسلمة (ص ١١٣، ١١٤).

(٢) انظر: بصمات على ولدي (ص ٢٣، ٢٤).

(٨) غول القرن العشرين:

إن الصغار يؤمنون بما يرونه، ويتأثرون بقصص الخيال والخرافات ومشاهد الرعب والعنف، مما ينعكس على أترانهم النفسي.

وإذا كان الأطفال قديمًا يُخَوِّفون «بالغولة» وما شاكلها ويقعون أسرى الخوف والهلع، فإن في التلفزيون من البرامج والأفلام ما يفوق حديث الغولة، لأن الغولة التي كانت تعيش في خيال الأجيال الماضية، صارت في هذا الجيل المنكوب بالتلفاز متحركة أمامه على الشاشة صائحة مائجة، تقتحم صورتها عزلتهم، وترافقهم إذا أوا إلى فراشهم، وتقض مضاجعهم بالرعب والخوف والظلام، مما يظهر في القلق، والنوم المتقطع، والأحلام المخيفة، والكوابيس المفزعة، والتبول اللاإرادي.

إن الطفل - وإن بدا بعد انقضاء المشاهدة ساكنًا هادئًا - إلا أن المشاهد المرعبة ترسب في أعماق نفسه، وتستقر في «اللاوعي»، وتبقى مستعدة لأن تطفو على السطح عند أول أمر بالاستدعاء، ولا شك أن هذا يترك بصماته في تكوين شخصيته.

تحدثت طفلة عن مسلكها إزاء مشاهد العنف والذعر، وكيف تتصرف ساعتها، فقالت: «إنني أغمض عيني، وأترك فتحة صغيرة»^(١).

(٩) غاسل المخ:

ما أشبه تلك الغرف المظلمة التي يحبس المشاهدون فيها أنفسهم لیسلموا عقولهم، ويَقِفُوا قلوبهم على شاشة العجل الفضي المتلألئة، ما أشبهها بمعسكرات الاعتقال التي يجري فيها أخطر عمليات «غسيل المخ»!

وقد يبدو للمشاهد بادي الرأي - من خلال التناقض الظاهر بين برامج التلفاز - أن الجهاز يمضي إلى غير هدف، أو ربما كان هدفه مقصوراً على التسلية والتشويق، ولكن الحقيقة أن الجهاز يمضي - طبقاً لخطط مرسومة ومدرسة مسبقاً - في اتجاه هدف نهائي هو توجيه المشاهد وجهة معينة، وانتزاع قناعات وأفكار معينة، وزرع

(١) انظر: الأسرة المسلمة (ص ١٨٧، ١٨٨)، وبصمات على ولدي (ص ٢٤).

مبادئ جديدة يعتنقها الأشخاص المستهدفون، والحقيقة أيضاً أن كل برامجه - على الرغم من تنوعها وتفرعها وتناقضها الظاهري - تصب في مجرى واحد، وتتلاحم في جهد مشترك لتحقيق هذا الهدف.

إن «غسيل المخ» أو «إعادة تعليم الشخص» أو «تنظيف العقل» أو «الإصلاح الفكري» أو «التربية الفكرية» كلها مسميات لعملية واحدة، تهدف إلى إحداث تغييرات جذرية في عقائد الناس ومواقفهم من خلال صياغة التوجهات الروحية أو العقلية أو الاجتماعية.

لقد شاع إجراء عملية «غسيل المخ» في معسكرات الاعتقال مع أسرى الحرب، والجواسيس، والمتهمين، بقصد انتزاع اعترافات منهم، وتمتاز هذه الوسيلة بأنها لا تعتمد على العنف أو الإيذاء البدني، وإنما على أساليب إقناع معينة كقلب الحقائق، والإلحاح عليها وتكرارها، والتماس من يشهد زوراً وبهتاناً على صدقها، أو تزيف سند من التاريخ باستنطاقه ما لم يقله أو يُحدث به، كل هذه الأساليب وغيرها تستخدم لتغيير اتجاهات الأفراد وقيمهم وعقائدهم وآرائهم وسلوكهم»^(١) اهـ.

ويمتلك التلفاز خصائص متميزة تؤهله لأن يكون «معسكر اعتقال» مثاليًا، يتم خلاله غسل مخ العاكفين أمامه بصورة جماعية مذهلة:

- فالمعلومات التي تبث يصحبها أسلوب منمق، وصورة جذابة، وطريقة عرض شيقة ومبسطة، مع قدرته على تحريك المشاعر، واستثارة العواطف، الأمر الذي يجعل المشاهد مندمجاً بالكلية مع ما يراه.

- كما أن تسخير التقنية الحديثة في عملية التصوير، بالحركة الانتقالية المستمرة التي لا تدع فرصة للملل، مع تتابع الأحداث، وسرعة المشاهد، والإيحاءات السمعية والبصرية الضاغطة بإلحاح على نفس المشاهد وعقله... كل ذلك يصيبه بالارتباك حيالها، ويشل عقله النافذ، ولا يترك له فرصة لالتقاط نفسه أو إعمال فكره فيما يلقنه، ويصبح بذلك كالحاضع للتنويم المغناطيسي^(٢).

(١) الأسرة المسلمة (ص ٤٤، ٤٥) بتصرف.

(٢) انظر: أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون (ص ٢٠٣).

قال جيري ماندر: «لقد أخذ التليفزيون- وبطرق عديدة- يجعل من الانقلابات العسكرية، والاعتقالات الجماعية في مخيلتي أمراً لا يستحق الاهتمام»^(١).

إن التلفاز جهاز «ديكتاتوري مستبد» يعتمد سياسة «مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ» (غافر: ٢٩). فأعماله الفنية المصنوعة لا تحاور، ولا تناقش، بل تحكم، وتصدر، خاصة حين تعزف على وتر المشاعر، وتعتمد على عنصر العاطفة.

(١٠) الوالد الثالث:

أمر الله تعالى الآباء بتربية الأبناء، وجعلها أمانة في أعناقهم، فقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحریم: ٦).

وقال رسول الله ﷺ: «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته: فالأمير الذي على الناس راع عليهم، وهو مسئول عنهم، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولدها، وهي مسئولة عنهم...»^(٢) الحديث.

وقال ﷺ^(٣): «إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيعه؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته». وقال ﷺ^(٤): «ما من عبد يسترعيه الله رعية، فلم يحطها بنصحه، إلا لم يجد رائحة الجنة»^(٥).

والتربية عملية متواصلة السير بدءاً من الطفولة وحتى اللحظات السابقة للموت، فما دام الإنسان متمتعاً بالوعي فإنه يظل قادراً على التفاعل مع الوسط المحيط به مما يشاهد أو يسمع أو يقرأ أو يحس^(٥).

(١) السابق (ص ٢٩).

(٢) رواه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما البخاري (١٣/ ١٠٠)، ومسلم رقم (١٨٢٩)، والبخاري في شرح السنة رقم (٢٤٦٩).

(٣) رواه من حديث أنس رضي الله عنه ابن حبان رقم (١٥٦٢)، وابن عدي في الكامل (١/ ٣٠٧)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٨١)، وصححه الحافظ في الفتح (١٣/ ١١٣).

(٤) رواه من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه البخاري (١٣/ ١١٢)، ومسلم (١٤٢)، والإمام أحمد (٢٥/ ٢٧ - ٢٧).

(٥) الأسرة المسلمة (ص ٨٨، ٨٩).



ويذكر الباحثون في التربية أن «تسعين بالمائة من العملية التربوية تتم في السنوات الخمس الأولى»^(١) اهـ.

إذا علمنا هذا بان لنا خطر التهاون في تربية الأطفال، وضرر إخضاعهم للتربية التلفيزيونية المدمرة، وتأكد لدينا أن الدفع أسهل من الرفع، وأن الوقاية خير من العلاج، لأن فيها حماية للأجيال الناشئة التي نمسك بزمامها اليوم، وسوف يمسون بزمامنا غداً، ويحسنون إلينا بقدر ما نحسن إليهم.

وينشأ ناشئ الفتيان فينا ★ على ما كان عوْده أبوه
وما دان الفتى بحجى ولكن ★ يُعوْده التدين أقربوه
ونظرة إلى واقعنا تبرز لنا أن معظم أبناء المسلمين قد أثر التلفاز في تكوينهم الشخصي والنفسي، حتى ظهرت عليهم ملامح «التربية التلفيزيونية» وصارت جزءاً من كيانهم.

إن الطفل عاجز عن أن يقوم بدور الرقابة على نفسه، وحماية هذا الطفل مما يضره في دينه ودنياه هي مسئولية الراعي الذي يراعه.

كما أن الأطفال ليسوا هم الذين يجلبون الجهاز إلى البيت لعدم استطاعتهم المادية، كما أنهم بالضرورة ليسوا هم الذين ينتجون البرامج والأفلام.

وكل هذه الحقائق تجسد مسئولية الآباء والمربين الذين يسيطون ما لا يمكن تبسيطه حين لا يكتثرون بخطر «الوالد الثالث» الذي ينتزع منهم قسراً زمام التربية والتوجيه، ولا يتدبرون قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ...﴾ الآية (التحريم: ٦).



الجيل التلفزيوني المنكوب

كتب أستاذ التاريخ «شاكر مصطفى» عن «الجيل التلفزيوني المنكوب»: «أبناءؤنا هم أبناء وسائل الإعلام التي افترست الأسرة لدينا افتراساً، ودمرت كل مفاهيمها وآدابها.

الإذاعات: التي تبث مئات الساعات في اليوم.

السينما: التي تفتح الأعين كلما أتى لون من الحياة جديد.

المجلات: بالأطنان، وعلى الأرصفة بما تحدث وتصور.

وفوق هذا وذاك: ذلك الجهاز الشيطاني الذي تصدر كل بيت، ويربي الأسرة كلها على هواه... التلفزيون.

لقد تسلم دون المدرسة والأسرة زمام المجتمع، وشرّد به، ونريد من جيل التلفزيون أن يكون ما نريد؟»^(١) اهـ.

وقال التربويون: «إن الإعلام طبل أجوف، يجمع الأطفال حوله، كما كان يفعل الحواة، والقردراتي، وصندوق الدنيا، ولا يعني رجال الإعلام في شيء أن يستفيد هؤلاء الأطفال، أو لا يستفيدوا، بل ربما عملوا على الانحراف بهم عن جادة الصواب، المهم أن يكوّنوا جمهوراً لأجهزتهم المدمرة»^(٢).

ومع تعقد الحياة، وانشغال الأب بالعمل، وخروج المرأة - إلا من رحم الله - من بيتها، صار الأطفال فريسة للتلفاز، الذي يتسلمهم وهم في طور التكوين عجيبة غضة يشكلها كيف يشاء، ويتحكم في مواصفاتها القابعون خلف الشاشة المضيئة، من خلال التربية الموازية التي يربيههم عليها «الوالد الثالث» في مقابلة تربية الأبوين^(٣).

أما إذا كان الأبوان ممن لا تخطر لهم التربية على بال، فإن التلفزيون يكون

(١) بصمات على ولدي (ص ٢٣).

(٢) ماذا يريد التربويون من الإعلاميين؟ (ص ٣٥١).

(٣) انظر: الأهرام (١٠/١/١٩٨٥م).

«الوالد البديل» الذي يستأثر بزمام التربية والتوجيه . أما إذا كان الأبوان ممن سبق «تلفزُهما» وترويضهما فلا تسل عن الأمانة المضیعة، والفتنة المنتظرة: فهذا أب يُستدعى إلى المدرسة الثانوية ليُبلغ سوءَ مسلك ابنته في مخالطة الشباب، فيجيب الأب: «وما شأنك؟ اتركها كي تتعلم كيف تتعامل مع الرجال!!»

وهذه أم تُهرع إلى المدرسة الابتدائية تشتكي من ظهور بعض أعراض التطرف على ولدها الصغير، ودلت على ذلك بأنه كلما رأى صورة راقصة أو متبرجة في التلفاز أطرق رأسه، وغض طرفه، وراحت ترغي وتزید وتسأل: من أين جاء ابنها بهذا التطرف؟ فأجابها أحد المسؤولين في المدرسة: «لا يمكن أن يكون أي مدرس في المدرسة وراء هذا المسلك، فنحن ملتزمون بمنهج الوزارة!!»



آثار التلفاز الاجتماعية والسلوكية والنفسية على الأطفال

تقدم ذكر شيء منها، وهاك المزيد:

- يبدأ نفوذ التلفاز على الطفل من سن ثلاث سنوات، ويتزايد بمرور الوقت، وقد يحرم الطفل بذلك في هذا السن المبكر من التجربة الحياتية الفعلية التي تتطور من خلالها قدراته إذا شغل بمتابعة التلفاز، كما «يحرمه من ممارسة اللعب الذي يعتبر ضرورياً لنموه الجسمي والنفسي، كما يحرم من ممارسة نشاطاته الخاصة الضرورية للمطالعة، والحوار مع والديه»^(١).

- والتلفاز يعطل خيال الطفل، لأنه يستسلم للمناظر والأفكار التي تقدم له، دون أن يشارك فيها، وعليه يغيب حسُّ النقد، وتكون قدراته العقلية وحدها هي التي تعمل دون المشاركة بالتفكير، وهو لا يبذل أي جهد في تشكيل ما يراه، فالجهاز هو الفاعل، وهو الناقد، ويقتصر دور الطفل على رؤية ما يُعرض - أو بالأحرى يُفرض - عليه.

إن الثقافة المبعثرة التي يقدمها جهاز التلفاز تقدم الفكر دون أن تدخل إلى النفس،

(١) طفلك ليس أنت (ص ٦٢)، وانظر: ولدك والتلفزيون (ص ٥٧ - ١٠٢).

ويصبح الطفل قادراً على وصف ما يراه من مناظر وصور، ويتذكر بسهولة الأشكال العامة للمدن والمناظر الطبيعية، وبذلك يخدم التلفاز الذاكرة أكثر من التفكير^(١).

- وبجانب إشغاله النشء عما يفيدهم من القراءة والاستذكار، فإنه يستفرغ طاقتهم المتدفقة، ويستهلك قدرتهم الفائقة على الحفظ في حفظ أغاني الإعلانات وترديد شعاراتها، وبالتالي يُحسّى ذهنهم بما يزاحم حفظ القرآن الكريم الذي يَسَّره الله عز وجل للذكر، قال تعالى: ﴿لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (القم: ١٧)^(٢).

- يُشبع التلفاز في النشء حب المغامرة، كما ينمي المشاغبة والعدوانية عن طريق محاكاة الممثلين، ويزرع في نفوسهم التمرد على الكبار، والتحرر من القيود الأخلاقية، والسخرية من المدرسين، ويجعل الثقافة والتعليم مادة تثير الضحك والهزء والاستخفاف، فبعد أن توالى عرض مسرحية «مدرسة المشاغبين»^(٣)، صار التلفاز نفسه «مدرسة المشاغبين».

و«التلفاز يكشف عن السلوك المنحرف عند الأطفال، ويعززه بالأسلوب الذي يستعين به في تنفيذ السلوك السيء، فتتفاقم المشكلات النفسية الموجودة عنده وتصير أسوأ»^(٤) اهـ.

- يتسبب التلفاز أو بالأحرى «نوادي الفيديو» في شيوع ظاهرة تسرب تلاميذ المدارس، حتى صارت الفصول أحياناً شبه خاوية نتيجة غياب التلاميذ، وهذا ناظر إحدى المدارس ذهب إلى صاحب مقهى يرجوه ألا يقدم أفلام الفيديو في الصباح لأن المدرسة خلت تماماً من التلاميذ!! ولما لم يستجب له صاحب المقهى طلب معاونة البوليس^(٥).

- يعمل التلفاز وتوأمه الخبيث «الفيديو»، ومن بعدهما نافذة الضياع والمجون

(١) طفلك ليس أنت (ص ٦٢).

(٢) انظر: بصمات على ولدي (ص ٣٩).

(٣) انظر: التلفزيون بين الهدم والبناء (ص ٤٥).

(٤) طفلك ليس أنت (ص ٦٢، ٦٣).

(٥) حقائق عن الفيديو، لحسن علي، مقال نشرته الأهرام بتاريخ (١٣/٩/١٩٨٤م).

«البث المباشر» على تنبيه الغرائز البهيمية مبكراً عند الأطفال، فتستيقظ الدوافع الجنسية فيهم قبل النضج الطبيعي، الأمر الذي قد ينتج زللاً خلقياً، وأضراراً عقلية ونفسية وجسدية.

كما تساهم «العائلة التليفزيونية» أيضاً في إثارة الشهوة عند المراهقين الذين تنضج أجسادهم قبل أن يصلوا إلى مرحلة النضج العقلي والنفسي، فإذا ما استعبدتهم الشهوات أصبحت السيطرة عليهم عند النضج من الصعوبة بمكان. ونكتفي هنا بذكر هذه الشواهد من الواقع الأليم:

قال الدكتور عبد الله ناصح علوان رحمه الله: «حدثني من أثق به أنه دخل فجأة إلى غرفة نوم الأولاد فرأى ابنه وابنته اللذين لم يتجاوزا سن العاشرة بعد في حالة مريبة، رأى الولد يعانق أخته ويقبلها!! فذهل لهذا المنظر الفظيع وحار ماذا يعمل؟ ولكن تذكر أن السبب في هذا هو ما رأوه من جهاز التليفزيون قبل قليل من مظاهر الفساد في عرض سينمائي متحلل، فراح الأولاد يُحاكون ما رأوه في خلوة لا يراهم فيها أحد!! ولما اكتشف الأب هذا أسرع إلى بيع الجهاز حين رأى فساده الظاهر وخطره الكبير، ونعم ما فعل!!

وكم حوادث وقعت بين الإخوة والأخوات، والأقرباء والقريبات من لعنة هذا التليفزيون الآثم الماكن؟^(١)

وهذا أحد الآباء الذين يقتنون جهاز فيديو وقد عاد إلى البيت متأخراً في المساء، فوجد أولاده جميعاً يشاهدون فيلماً إباحياً، فثار وحطم الجهاز^(٢).

- ويغري التلفاز وتوابعه النشء بالتدخين والخمر والإدمان، ويلقنهم فنون الغزل والغرام عن طريق «الأنموذج» الذي يقدم لهم على أنه «بطل» دون أن يقدح في بطولته كونه مدخناً أو سكيراً أو عرييداً.

- فهذا أب يدخل على صبيّيه الصغيرين وقد رفعاً كأسين ملاًهما بالماء،

(١) حكم الإسلام في وسائل الإعلام (ص ١٦)، وفي استحسان المؤلف رحمه الله بيع الجهاز نظر، انظر (ص ١٨٧) من هذا الكتاب.

(٢) الأهرام (١٣/٩/١٩٨٤م) مقالة: حقائق عن الفيديو، لحسن علي.

يخطبانهما ببعضهما وهما يقولان: «في صحتك»!

وهذا مدرس يفاجأ بتلاميذه بالمدرسة الابتدائية، وقد طحنوا الطباشير، ووضعوه في موضع معين في جوانب أكفهم ليشموه، تماماً كما يفعل المدمنون أمامهم على شاشة التلفاز.

وما أكثر الحوادث التي اصطنعها أطفال، لم تبتكرها عقولهم البرئية، ولكنهم استوحوا أفكارها من الفيديو والتلفاز.

وللتلفاز دور خطير في إفساد اللغة العربية لغة القرآن الكريم، وتدعيم العُجْمة، وإشاعة اللحن^(١) والعبارات التافهة والسطحية، والمعاني الغثة، والعامية الركيكة، بل السوقية الهابطة التي يتداولها الممثلون في أبشع صورها، وأحط عباراتها، مما يساهم في تدني الذوق العام للصغار والكبار على حدٍّ سواء.



التلفاز يقلب القيم رأساً على عقب

يقوم التلفاز على إرضاء أهواء الجماهير، والاهتمام بالتفاهات، وتكوين أجيال لا ترى في الحياة إلا هزلاً ورقصاً ومتعة، وانصرافاً عن التبعات الجسام التي تواجه الأمة المسلمة. ومن خلال الشاشة الفضية أو الملونة تنتقل الملاهي الليلية ودور الخيالة والشواطئ وأوكار المخدرات وغيرها من أماكن الفساد إلى داخل البيوت لتجوس خلال ديار المسلمين، وهو في عامة برامجهم «يمجد المشاهير من النجوم في عالم السينما والمسرح والرقص والملاهي الليلية، وهكذا يرسخ في ذهن الأجيال أن الراقصات والفنانات والممثلات ونجوم الكرة أهم بكثير من العلماء والشيوخ والدعاة والمهندسين والمعلمين والأطباء، ويكفي أن مظاهر الحداد في التلفاز على موت فنان أو فنانة أضخم بكثير من مظاهره على وفاة عالم أو إمام أو شيخ أو فاضل!»^(٢).

(١) وقد قالت إحدى المذيعات يوماً: «تلا عليكم... ما تيسر من سورة «البَّارة» مكان «البقرة»، ولا زالت عبارة «أعداء النادي الدولي» التي نطقها إحداهن مكان «أعضاء» مثار سخرة وتهكم.

(٢) انظر: الإعلام الإذاعي والتلفزيوني (ص ٢٣٨).

المثل الأعلى في نظر الجيل التليفزيوني المنكوب:

هذه إحدى الأمهات تشتكي بمرارة قائلة: «تسألني صغيرتي عن الممثلة «الفلانية»: هل سيدخلها الله النار أم الجنة؟ إن قلت: «إلى الجنة»؛ فستصبح قدوة، وإن قلت: «إلى النار»؛ فستقول صغيرتي: «ولكنها جميلة ومحبوبة...»، وإن قلت: «لا أعرف»؛ سأترك صغيرتي في حيرة^(١).

وهذه طفلة تُسأل عن أمها في مستقبلها فتجيب: «أتمنى أن أكون مثل المغنية فلانة». وهذا أب يصرخ من زوجته، وهي متعلمة عاملة، مغرمة بالفرجة على الأفلام التي تروي تاريخ حياة الراقصات والتي تكون بطلتها «معلمة» في قهوة بلدي، وتشجع طفلتها وهي في العاشرة من عمرها على الفرجة، والنتيجة أن الطفلة أصبحت تحاول إجادة الرقص البلدي أمام المرأة، وفي أوقات فراغها لا تلعب «بالعروسة» وإنما تأتي بكوب وخرطوم، وتجعل منه «شيشة» وتطلب من زميلاتها أن يناديها بصوت أجش: «يا معلمة»! وقال صاحب الرسالة أيضاً: إن زوجته مبسطة من الطفلة، وتقول إنها موهوبة في التمثيل!^(٢).

وقال الأستاذ محمد عبد الله السمان مشيراً إلى حلقة تليفزيونية استضيف فيها بعض طلبة مدرسة معروفة للمتفوقين: «وكان المتوقع أن تكون الحلقة إلى آخر دقيقة فيها من الحلقات الجادة التي يتلقى منها سائر الطلبة دروساً في التفوق، ولكن مقدم البرنامج سأل الطلبة واحداً واحداً عن مثله الأعلى في الحياة، وكانت الإجابات مذهلة. فالمثل الأعلى لدى الطلبة المتفوقين هم على الترتيب - ولست أدري أهو ترتيب تصاعدي أم تنازلي - عبد الحليم حافظ، بليغ حمدي، نزار قباني، محمد عبد الوهاب، أنيس منصور!! وقلت تعقيباً على هذه الإجابات: لم أكن أنتظر من هؤلاء الطلبة المتفوقين أن يقولوا: إن مثلنا الأعلى أبو بكر أو عمر أو علي أو خالد ابن الوليد، بل كنت أتوقع أن يقول واحد منهم: إن مثلي الأعلى هو أبي^(٣) اهـ.

(١) بصمات على ولدي (ص ٣٥).

(٢) الأسرة المسلمة (ص ١٦٧).

(٣) التليفزيون بين الهدم والبناء (ص ٥٠، ٥١) نقلاً عن العقيدة والقوة.

ومن خلال التناقضات الصارخة بين برامج التلفاز تنهاوى القيم، وتهتز المثل، وتنهار القدوة؛ فهذا برنامج يحذر من التدخين، ويعقبه مسلسل أو فيلم يفزع «أبطاله» إلى التدخين بين ساعة وأخرى، وهذه حملة على الإدمان، يعقبها فيلم من داخل أوكار الإدمان يعرض بصورة مغرية لمزايا الإدمان، وكيفية تعاطيه.

وهذا برنامج يحث على الصدق، يعقبه إعلان عن طفل يعطيه شقيقه رجاجة مياه غازية ليحتفظ بها، ويحذره من شربها، فما أن يستدير الأخ حتى يشربها الطفل الصغير، وعندما يعدو أخوه ليسأله يجيبه ببساطة: «إنها تبخرت»!!

وهذا برنامج ديني يدعو إلى مكارم الأخلاق ومحاسن السلوك، يعقبه برنامج آخر في المحطة ذاتها، يريك ما يسمونه «فن الباليه»، ويحض عليه، بل لا يتوانى مقدم هذا البرنامج الراقص عن شرح فوائد هذا الرقص وآثاره في النفس والجسم، مما يفوق تلك الفوائد التي أشار إليها مقدم البرنامج الديني! بل لا يتورع هذا الحضيف الرهيف عن استحضار أطفال وطفلات لم يعجز بعد عليهم القلم يبرهنون للمشاهدين أن مدربهم الحاذق الماهر جعل منهم رايات خفاقة لوطن ظل محروماً زمناً طويلاً من البطولة، منذ أن أحرق طارق بن زياد سفائنه على مرأى من تراب الأندلس» اهـ^(١).

(١١) ماسخ الفطرة:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠).

وقال ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء...» الحديث^(٢).

وعن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته مخبراً عن الله تعالى في الحديث القدسي أنه قال عز وجل: «... وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما

(١) الأسرة المسلمة (ص ٤٤)، ومن العجيب قول بعض الصحافيين في حملتهم ضد الحجاب: إن بعض المدرسين يقتالون براءة الطفلات بدعوتهن إلى الحجاب!

(٢) رواه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه البخاري (١٩٦/٣)، ومسلم (٢٦٥٩).

أَحَلَّتْ لَهُمْ، وَأَمَرْتَهُمْ أَنْ يَشْرَكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا...» الحديث (١).

وهذا مصداق قول الله تعالى في شأن إبليس: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٨) وَلَا أَضِلُّهُمْ وَلَا أُضِلُّهُمْ وَلَا أَمْنِيَهُمْ وَلَا أَمُرُّهُمْ فَلْيَتَّبِعْنِ أَذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مِرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرْنَ خَلْقَ اللَّهِ﴾ الآية (النساء: ١١٨، ١١٩).

إن التوحيد الفطري نور أودعه الله في نفس كل طفل من بني آدم، وبذرة مغروسة في قلبه، إذا تعهدناها بالرعاية والسقاء نمت، وترعرعت، وآتت أكلها، وإذا أهملت أو وُضِعَتْ في غير بيئتها ضعفت أو تلفت.

قال الشيخ أبو حامد الغزالي رحمه الله: «الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نُقِشَ، ومائل إلى كل ما يُمال به إليه، فإن عُوِدَ الخير وعُلِّمَ نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة أبواه، وكلُّ معلَّم له ومؤدب، وإن عُوِدَ الشر وأُهْمِلَ إهمال البهائم، شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له» (٢) اهـ.

لقد كان من الواجب أن يتكاتف الإعلام مع الأسرة والمدرسة من أجل تنمية وترسيخ وتدعيم التوحيد الفطري المغروس في قلوب الأطفال، بأن يُسَلِّطَ على هذا النور الفطري نور الوحيين الشريفين في القرآن الكريم والسنة المطهرة فيكون نوراً على نور، وهذا يستتبع تقديم تفسيرات للكون والحياة ولوجود الإنسان ولجميع التغيرات الطبيعية، والأحداث الكونية بإرجاعها جميعاً إلى الفاعلية الإلهية، وخلق الله عز وجل كل شيء، كذلك كان من الواجب العودة بكل النعم والخيرات التي يَنْعَمُ بها الإنسان إلى محض فضل الله عز وجل وعطائه، والتذكير بواجب شكر واهب هذه النعم بالاعتراف بها باطناً، والتحدث بها ظاهراً، وتصريفها في مرضاة مُسْديها ومُعْطِيها والمُتَفَضِّلُ بها سبحانه وتعالى.

لكن التلفاز - مع كونه أقوى جهاز إعلامي - خان هذه الأمانة، وأبى إلا أن يمسخ

(١) رواه مسلم رقم (٢٨٦٥).

(٢) نقلها عنه في منهج التربية النبوية للطفل (ص ٢٥).

الفطرة السوية ويشتهها، وينحرف بها بعيداً عن نور الفطرة ونور الوحي، فما أكثر البرامج التي تعرض تصوراً وثنياً للالوهية شكلاً ومضموناً، بصورة تجرح التوحيد الفطري^(١) عند البراعم الغافلة عما يراد بها، فالأفلام تتحدث عن كون كبير غير محكوم بالقدرة الإلهية، أو محكوم بقوى شريرة وأخرى خيرة، يتصارعان، مع تجاهل القدرة الإلهية المدبرة لكل شيء في هذا الكون^(٢).

ومن أمثلة ذلك: فيلم عُرض عن الفضاء يتحدث عن عقل في مركز الكون يُعزى إليه تنظيم الكون^(٣).

وما أسرع ما ينعكس أثر هذه البرامج بالتشويش على عقيدة الطفل وفطرته، وقد روى أحد التربويين أن أحد الأطفال سأل والده هذا السؤال: الله أكبر أم جرانديزر؟^(٤).

وسئل بعض الأطفال يوماً عن شخصية تاريخية مثلاً للبطولة والشجاعة، فأجاب أحدهم: إنه جرانديزر!^(٥)، ويشيع في البرامج محاولة تفسير الكوارث الطبيعية

(١) «عُرض أكثر من مرة مسلسل كرتوني بعنوان (God Zella) أي (الإله زيل) يدور مضمون القصة حول أسرة تجوب البحار والمحيطات، ثم تعترضها وحوش خرافية تهدد هذه الأسرة، فلا ينقذها إلا (الإله زيل) المزعوم، الذي تستدعيه الأسرة البشرية بجهاز إلكتروني فيجيب في الحال، وينقذ الجماعة البشرية من الوحوش المعترضة بالصراع معها، ثم بهزيمتها، ولهذا الإله المزعوم ابن يصاحب الجماعة البشرية يدعوه فيجيب، وهي صورة مصغرة لاعتقاد النصاري في الأب والابن، ولاشك أن هذا تصور وثني للالوهية عنواناً وشكلاً وموضوعاً...» اهـ. من «سموم على الهواء» (ص ٢٣). وفي حلقة رسوم متحركة تُدعى «مغامرات نوال» تكرر ظهور أحد القساوسة وقد لجأ إلى الاحتماء بالصليب عندما داهمته مجموعة من القتلة واللصوص، وتكرر أيضاً مشهد حصول الأمن وتحقيق الفرج وزوال الخوف بسبب اللجوء إلى الصليب - في زعمهم عياداً بالله من الشرك- انظر: السابق (ص ٣٤، ٣٥).

(٢) وهذه انتكاسة إلى مذهب الديصانية التي اعتقدت بالهين «النور والظلمة»، وتبعهم المانوية والمزدكية والثنوية.

(٣) وهذا كفر صراح، وانتكاسة إلى مذهب الرواقية اليوناني الذي يفسر تدبير كل شيء في الكون بالـ «Logos» أو «العقلي الكلي».

(٤) ماذا يريد التربويون من الإعلاميين؟ (ص ٤٠٣).

(٥) بصمات على ولدي (ص ٣٠).

تفسيراً مادياً دون ربطها بقدر الله عز وجل الذي ينزلها بعباده جزاءً وفاقاً على أعمالهم.

تعريب .. أم تغريب؟!

ومن مثالب «ماسخ الفطرة» أنه يستورد برامج أجنبية للأطفال، يتم تعريبها وتقديمها، مع أن تعريبها إنما يمثل تغيير اللغة فحسب، فتصبح عربية اللسان، غريبة القلب، فالمحتوى المصادم لديننا وقيمنا ومفاهيمنا ثابت يتسرب إلى عقول الأطفال الأغرار، ويفسد نقاء فطرتهم^(١).

ويقوم عنصر التشويق في برامج الأطفال على الصراع بين الحيوانات، أو الكائنات الخرافية، أو بين بني آدم، وفي الحالة الأخيرة قد يدور الصراع حول أي هدف، ولو كان دنيئاً أو تافهاً كالصراع على المحبوبة، لكن لا يمكن أن يدور حول إعزاز دين الحق أو الجهاد في سبيل الله عز وجل، فهذا يعرض فقط من خلال منظور ذكريات التاريخ القديم المنقطعة تماماً عن الحاضر مع نوع تشويه لها كذلك.

ومن مثالب «ماسخ الفطرة» أنه قد يعرض على شاشته أعمالاً مقززة وشاذة تزعج الفطرة السوية يقف من ورائها الجرحى نفسياً والمشوهون خلقياً وسلوكياً، مثل ذلك الفيلم السينمائي الذي يحكي قصة رجل يحب امرأة، ولشدة حبه إياها يقوم بقتلها، وتقطيع جثتها، والاحتفاظ بها في ثلاجة المنزل، ثم يتناول أجزاءها في طعامه على فترات...!!!

ومع كل هذه المخاطر على عقيدة أبنائنا، فلا يزال فينا من يتعامل معها بعفوية وسذاجة زاعماً أنها مجرد «برامج أطفال»!

وهذه بعض الأضرار - كما في مسئولية الأب المسلم -:

- ١- مغايرة معظم برامج التلفزيون لروح الإسلام وعقيدته.
- ٢- إثارة الشهوة الجنسية عند الأطفال، والإغراء بالفاحشة والجريمة.
- ٣- يفسد التلفزيون والسينما التربية التي تقدمها الأسرة الصالحة والمدرسة الجادة

للأطفال، وذلك لأن للسقذوات التليفزيونية نفس الفاعلية والتأثير في نقل السلوك المنحرف وأنماطه.

٤- بث الغناء الخليل الماكن، والموسيقى المحرمة في جميع ما يعرض تقريباً.
 إعطاء الأطفال صورة خاطئة عن حياة البالغين، وتسهيل تنفيذ عمليات القتل والسطو والاغتصاب.

خلو معظم برامج التليفزيون المنتشرة من الأهداف التربوية الإسلامية.
 تُغفل أفلام الكرتون الأجنبية قدرة الله في الكون، وحقيقة الصراع بين الحق والباطل، مع صرف انتباه الطفل عن عدوه الحقيقي وهو الشيطان إلى أعداء وهميين.
 معظم أفلام الكرتون والمتعلقة منها بالفضاء- بصفة خاصة- تتحدث عن معتقدات وعقائد وثنية.

٥- يتأثر الأطفال بما يقدمه التليفزيون من مسلسلات وأفلام تبرز جانب العنف، وقد وُجد أن أكثر البرامج عنفاً هي أفلام الكرتون.

١- تُظهر روايات وقصص أفلام الكرتون احتقار الملونين من الناس، مع التركيز على إبراز الرجل الأبيض وتمجيده.

١١- أثبتت نتائج أحد البحوث أن وجود التليفزيون في البيت يثير الاهتمام بوسائل الإعلام الأخرى كالمرح والسينما.

١٢- يتأثر الأطفال بما يسمعون من عبارات وكلمات نابية، وشتائم، ولغة عامية، عن طريق المسلسلات والبرامج التليفزيونية، حيث يقومون بترديد هذه الكلمات والعبارات.

١٣- يُسبب وجود التليفزيون في البيت تأخير موعد نوم الأطفال في المساء.

١٤- يزيد التليفزيون من النزعة السلبية عند المشاهد؛ إذ يتقبل ما يعرضه هذا الجهاز دون أن يكون له نشاط مردود تجاه ما يشاهده ويسمعه.

١٥- تسبب بعض المسلسلات والروايات التليفزيونية أحلاماً مفزعة للطفل.

١٦- يعطل التليفزيون أفراد الأسرة عن التسامر وتبادل الحديث، إلى جانب



استغلاله لمعظم وقت الفراغ، فلا تُمارس الهوايات، ولا يُهتم بالقراءة والاطلاع.
 ١٧- يمكن أن يكون التليفزيون سبباً في تشجيع الأولاد على تعاطي المخدرات، وذلك بسبب ما تبثه بعض المسلسلات والأفلام من تمجيد لتعاطي المخدرات.

ويضاف إلى ما تقدم من الأضرار ما تتضمنه بعض المواد الإعلامية من أفكار منحرفة، فإن كثيراً من البرامج التليفزيونية تتضمن أفكاراً وآراء مخالفة لمفاهيم الدين الإسلامي، حيث تُستغل بعض المسلسلات والأفلام والمسرحيات في نشر وبث هذه الأفكار وترويجها باسم الفن، خاصة إن كان كُتّاب هذه الروايات والبرامج التمثيلية من النصاري، أو من بعض المسلمين المأجورين، ومن هذه الأفكار التي يروج لها الإعلام قضية فصل الدين عن حياة الناس وعن الدولة، وجعله قضية شخصية، أو الدعوة إلى التآخي بين المسلمين والنصاري، أو المناداة بتحرير المرأة ومساواتها بالرجل في جميع الشئون، أو مقت مشروعية تعدد الزوجات، وقذف المعتقدات بالجريمة والظلم، وغير ذلك من الآراء والاتجاهات المخالفة لروح الإسلام ومعتقدات المسلمين.

التليفزيون وبرامج الأطفال:

وكما سبق يقدم التلفاز (وجبة وثنية) أو (علمانية) للصغار تعتمد على مؤثرات الصوت والصورة سوياً، فتخرج لنا ما يعرف باسم (أفلام الكارتون) التي تجذب الكبار قبل الصغار فيدمنون عليها.

ولأننا نعني بالصغار وتربيتهم هنا فلنأنا نركز على ما يقدم لهم من أفلام الكارتون التي تتراوح الأفكار فيها بين الأنماط التالية من الأفلام والمسلسلات:

(١) الصراع بين الخير والشر ممثلاً في الحيوانات كالقط والفأر (Tom and Jeery)

توم وجيري، وهي أفلام من إنتاج شركات يهودية تجسد المعنى الحقيقي للزندقة وثنائية الكون، كما تجسد معنى الخير النسبي، فما هو شر لك قد يكون خيراً لي، وإن لم أسبقك إلى السرقة فستفعل أنت، ناهيك عن حبكة الإخراج والكوميديا بعيداً عن الدين، كأنما لا دين يضبط الناس ليعرفهم الخير أو الشر.

إننا نلمح في أفلام الكارتون أن أحداً لا يدعو الله لينصره، أو يستنجد بقوة

السماء، مع تناثر صور الأيقونات النصرانية والصليب على ما يشبه الجدران في هذه الأفلام، مما يعطي انطباعاً بالإلحاد وترك الدين أو فصله عن الحياة على أبسط التقديرات وهي الطمأنينة بعينها.

(٢) وهناك غمط آخر من الأفلام التي تعرض دائماً ويلج عليها متجرو أفلام الكارتون وهي: أفلام حرب الفضاء، أو وجود مخلوقات وكائنات فضائية في كواكب أخرى لها هيئات عجيبية، وهذا الوهم لطالما سيطر على العقل الأمريكي تحديداً، إذ إن المجتمع الأمريكي لا يعترف بدين إلا قليلاً حتى إنه من الطبيعي أن يسأل أحدهم الآخر: هل أنت مؤمن بالله؟! فإذا بالخيال الوثني الجامح يصور كائنات المريخ، وفاتنات الزهرة، وفرسان زحل، تلك الكائنات التي تمتلك القدرة على غزو الأرض، وفي العادة لا يقوم لحربها ولا يقوى على نزالها إلا الأمريكي وحده!!

وهنا يتسلل إلى عقول الصغار دون أن ندري أن الكون لا إله يحكمه، ولا عدالة فيه، والغلبة فيه لمن يملك القوة، وأن الأمريكي شهيم شجاع بطل قوي مغوار فارس لا يقوم له أحد!!

(٣) وقد يحدث أن تكون هناك نوعية أخرى تتحدث عن الحب والغرام الذي يتيقظ مبكراً أمام الصغار عن طريق الغراميات الساخنة - بالنسبة للصغار - كتقبيل الذكر للأنثى ولو كانوا على شكل حيوانات أو أسماك، كما لا يتورع الغرب عن اللمز والتصريح - دون التلميح - بالفاحشة.

(٤) وخلال هذا كله لا إله، ولا حجاب؛ بل شقراء فاتنة متموجة في مشيتها، قد وضعت كامل زينتها، والموسيقى تعمل عملها، فلا يأنف الصغير سماعها بعد؛ بل يحارب من أجلها!!

(٥) والبعض الآخر من هذه الكراتين الأجنبية تظهر فيه علامات العنصرية والتحيز واضحة جلية، فلا حق، ولا خير، ولا بطولة، ولا انتصار، إلا لأصحاب الألوان الفاتحة والشعور الشقراء، بغض النظر عما إذا كانوا من الإنسان أو الحيوان، أما الأشقياء المعاندون أصحاب الباطل، يظهرون دائماً من الملونين أصحاب البشرة السمراء، فعلى سبيل المثال قصة «بوبي» البحار الأبيض الخيّر، الموحى شكله ولونه

بالرجل الغربي، وصراعه المستمر مع خصمه الأسمر الشرير ذي الشعر الأسود واللحية السوداء، الموحى شكله ولونه بالرجل العربي، ثم الانتصار المؤزر في نهاية الصراع للأبيض صاحب الحق على الأسمر صاحب الباطل، فهذه البطولات الخيالية لا تمت إلى أبناء المنطقة العربية بأي صلة؛ بل هي تمجيد واضح للشعوب البيضاء، إلى جانب ما فيها من العنف والإثارة الصاخبة، والغراميات والصراع على النساء^(١).

(٦) وحتى الأفلام الكرتونية «المبدلجة» التي تعرض بأصوات عربية لا تغادرها هذه الأخطار بل هي هي دون حذف أو إضافة، وإنما تقتصر على تغيير اللغة فقط.

وأدل دليل على ذلك مسلسل «عالم سمس» الذي يعرض بلسان عربي؛ بل بلهجة محلية عامية، لكن تبقى العيوب: لا ألوهية، وموسيقى وألحان غربية صاخبة، واختلاط وميوعة.

(٧) وتبقى نسخة كارتونية وهي أفلام الرعب التي تعتمد على الأشباح والشياطين، وتركز قوى الشر في شخص واحد، مع وجود قوة خير أخرى، كأنما الكون ثنائي لا مخلوق بيد القدرة الإلهية، وهذه هي «الثنوية» بعينها وهي الزندقة القائمة على وجود إلهين: واحد للخير، وثن للشر. وقسم على وزن هذا كل الأضداد.

ويبقى أنه بعد أفلام الرعب هذه أن الصغير تتكون لديه المخاوف لا يستطيع التخلص منها، فيخرج جباناً رعديداً لا قوة له على مواجهة الأعداء.

هذا بالنسبة لأفلام الصغار، فكيف بمن يشاهد أفلام الكبار؟!

وهذه مقالة كنت قد كتبتها في جريدة «الأحرار» للحديث عن أحد أشهر أفلام الغرب:

أساطير وسموم الإعلام الغربي

مع التقدم المذهل في وسائل المعلومات والاتصال لم ينس الغرب أبداً أن رسالته الأولى بعد التقديم هو تشويه الصورة الطيبة للإسلام وأهله اعتماداً على تقديم

(١) مسئولية الأب المسلم (٤٩٠).

المسلمين داخل الأفلام والإعلانات على هيئة مضحكة أو بصورة الإرهابي الذي لا يكف عن القتل بل يجد اللذة العظمى.

ولا شك في أن التاريخ الإسلامي للغرب في هذه النقطة أسود للغاية لا يكاد ينصف المسلمين في شيء لكنه عادة ما يحول بين الأوروبيين والأمريكان وبين إظهار الصورة الحقيقية للإسلام والمسلمين بل هو حرص شديد على تتبع الشائعات وتثبيت صحتها داخل أذهان مواطني الغرب للحيلولة دون التعاطف مع قضايا الإسلام كما أن الحقد القديم وعقدة سور القسطنطينية وانتزاع السيادة قديماً من الغرب ما زال كل هذا يحرك أوروبا وأمريكا نحو تشويه معالم الجمال في أوطاننا والإلحاح على فكرة الإرهاب وفقدان الأمان إبان التعامل مع أي عربي أو مسلم حتى إن (العقال العربي) صار رمزاً للتخلف والسعي وراء المتعة والشهوة الجنسية وما لا يخفى على خاف أن اليهود هم أصحاب السيطرة على الأجهزة الإعلامية في العالم كله وأنهم يتحكمون في وسائل الإعلام ووكالات الأنباء وهوليوود وجميع المواطن الحساسة التي يبت للعالم صوراً مشوهة عن العرب والإسلام.

ليس غريباً إذن أن نلاحظ أن معظم الأفلام لا بد لها من تلميح لقذارة العربي أو تصريح بإرهابه المتناهي لو تتبعنا القضية لوجدنا أبعادها كثيرة ولو ضربنا أمثالا لما استطعنا أن نقف عن مثل واحد ولكن سأحاول ضرب مثل صغير بفيلم رآه الجميع أكثر من مرة على شاشة التلفزيون المصري وهو فيلم «دراكولا» هذا الفيلم الذي يعرض بصورة ساخرة لا تحتاج إلى لف ودوران لتبيان ما فيها من تحامل واضح على صورة الإسلام والمسلمين فالفيلم تقع أحداثه في زمن كان الأتراك المسلمون هم أصحاب السطوة على قصر «دراكولا» وأنه أصيب بداء «مص الدماء» نتيجة رؤيته للماسي التي جعلته يفقد زوجته فكان المسلمون بقسوتهم هم الذين جعلوه يصب بمثل هذا الداء اللعين.

أضف إلى ذلك تلك الصورة العظيمة للنساء الشبقيات اللاتي يردن الفتى صديق «دراكولا» فترسم العيون الواسعة والشعور المسدلة والملابس الشفافة والشفاه المستعدة لاستقبال القبلات دائماً وهي تلك الصورة التي رسمها الغرب لنساء المسلمين والغرب.

ثم يرسم المخرج والمؤلف في النهاية أن النجاة تكون عن طريق الدائرة التي يحرسها الصليب فكان الدين الإسلامي كفر بواح من وجهة نظر أوروبا لا يهزمه إلا المسيحية وعبارات الكتاب المقدس وهي نفس الحروب الصليبية التي أرادت أن تفني الشرق المسلم العربي.

ولا أحسب أن المخرج لم يرد هذا ولكنه كان كغيره حريصاً على إظهار الكفرة من المسلمين- حسب ما يرى- تغليب عقيدته على عقيدة الإسلام.

وفيلم آخر يعرض لنفس القضية هو فيلم «الجسر» وآخر بعنوان «أكاذيب حقيقية» وكلاهما يقضي على كل مواطن الحمال عند المسلمين فنرى في لقطات الفيلمين المسلمين يتوضأون قبل القيام بعملية إرهابية يقتل فيها الأبرياء ثم بعد العملية يتوضأ المسلمون مرة أخرى وهكذا أصبحت فرائض الإسلام مشوهة ووسيلة للتقرب إلى الله مع مزيد من الدماء التي تقدم كقرايين لإله المسلمين وبذلك «يفقد» المسلم كل مساندة غربية ولو كانت على سبيل المساندة المعنوية فقط هذه هي الصورة التي يحرص اليهود على وجودها دائماً في أذهان مواطني أوروبا بأن التشويه لا يقف عند هذا الحد ولكن تمتد يد اليهود لشوه التاريخ وتزيفه نحو ما تصنع الآن شركة «والت ديزني» صاحب التاريخ الأسود في التزوير التاريخي فلقد عرضت أفلاماً تقدم اليهود على أنهم صنّاع الحضارة فالعبرية هي اللغة الأم والقدس عبرانية وهذا مما لا شك من صنع أولئك المزورين وما هو السر في إطلاق أحد أبطال أفلام «والت ديزني» على كلبه اسم «محمد» أو تقديم إعلانات عن العرب الذين لا تجدي معهم أية أنواع من الصابون أو الشامبو المصنوع بيد اليهود مع إظهار العربي في الأفلام القديمة كخادم للغربي يجر له دابته أو يتنعم في نعمة الغربي صاحب الحضارة والتقدم.

وكالات الأنباء الأجنبية تستغل كل ما عندها لتستجدي عطف العالم على اليهود وغير المسلمين في أزمة الخليج عرضت CNN لصورة طائر ملطخ بالبترول في الخليج نتيجة أفعال صدام بينما غضت الطرف عن آلاف المسلمين من الأطفال والعجائز الذين قتلوا في العراق بيد أمريكا وأذناها معهم بينما يغض الطرف عما يحدث للمسلمين في كمبوديا والفلبين وحركات الإبادة التي لا تهدأ رغم تغيير

الحكومات تباعاً في هذه البلدان وكأنما تفرق شملهم إلا على عداوة المسلمين ولا عزاء للمسلمين الذين يسامون سوء العذاب على مسمع ومرأى من العالم كله. وكالات الأنباء والصحف الغربية لم تهتم بقضية إسلامية إلا في أفغانستان حينما حارب المسلمون الاتحاد السوفيتي ولكن الآن تشوه صورة الأفغان ولا عجب فإنه ميزان الغرب الذي يكيل بمكيالين مكيال الرضا عن اليهود وأفعالهم ومكيال الحقد على المسلمين في كل مكان وحتى أكون موضوعياً فلن ننكر أن بعض الأصوات في الغرب هي أصوات شريفة لكن الغالبية تضمحل حقداً دفيناً للمسلمين جميعاً.

قابلت أحد المسلمين الذين زاروا باريس وأبدى إعجابه الشديد بها وافتتانه بكل ما رآه هناك إلا أنه عاد بعد رحلة لجمهورية تشاد يقول لي: إن كل ما رآه في فرنسا احتقره بعدما رأى المسلمين يسخرون كالعبيد بيد فرنسية لا تريد إلا الجهل الشديد فكأنما الاستعمار لم يمت بعد لكنه حي في تلك البلاد ولا يخفى علينا جميعاً أن هذه السياسة بغیضة مقيتة والغريب أن العامة من المسلمين صدقوا أنهم متخلفون ونسي المسلمون والعرب أن عقولاً مفكرة مسلمة هي التي ساهمت وما زالت تساهم في بناء حضارة الغرب ولا أعتقد بأي حال من الأحوال أن شركات الكمبيوتر التي تصنع أخطر أجهزة المعلومات الآن تخلو من مسلم في أي مكان إننا بحاجة شديدة لعقول تفكر للرد على مثل هذه المخططات التي تدبر في جنح الظلام وما زلت أكرر الدعوة بشأن إنشاء شركات إعلان ووكالات أنباء إسلامية لبيان الصورة الحقيقية للإسلام ويبقى أن مكمن الحل الحقيقي في أنفسنا فلماذا لا نتحرك لنصنع واقعنا بأيدينا بدلاً من الاستسلام لمثل هذه الادعاءات رحم الله الشيخ الجليل محمد عبده عندما قال: إنما يصحو الباطل في غفلة الحق.

إن الأمر هنا قد وضح تماماً، ويبقى أن أشير إلى أن هناك أفلاماً أخرى تعتمد على العنف والضرب والجذب، وهوس الكرة وهذه كلها أخطار يجب أن نواجهها ولكن كيف؟

قصة واقعية

أورد الشيخ محمد بن عبد العزيز المسند القصة الواقعية التالية، وقال: هذه القصة ذكرها الواعظ المشهور «صالح المالك» في موعظة له في المسجد، نقلًا عن رجل كان من الحاضرين أشار إليه في بداية روايته لهذه القصة: «شيخ كبير في السن كان سببًا في هداية أسرة كاملة، كانت غافلة لاهية تقضي معظم وقتها أمام شاشة التلفاز لمشاهدة الصور المحرمة ومسلسلات الحب والغرام والهيام، فما هي تفاصيل القصة؟ لنترك المجال لهذا الشيخ الكبير، ليحدثنا عن التفاصيل، يقول: في يوم من أيام شهر رمضان المبارك كنت نائمًا في المسجد بعد صلاة الظهر، فرأيت فيما يرى النائم رجلًا أعرفه من أقاربي قد مات- ولم أكن أعلم أن في بيته تلفازًا- جاءني فضرمني بقدمه ضربة كدت أصرع من ضربته، وقال لي: يا فلان اذهب إلى أهلي، وقل لهم: يخرجون التلفاز من بيتي. قال الشيخ: وكنت أرى هذا التلفاز في بيته وكأنه كلب أسود، والعياذ بالله. قال: فاستيقظت من نومي مذعورًا، واستعذت بالله من الشيطان الرجيم، وعدت إلى نومي، فجاءني في المنام مرة ثانية، وضرمني ضربة أقوى من الأولى وقال لي: قم واذهب إلى أهلي، وقل لهم: يخرجون التلفاز من بيتي، لا يعذبوني به. قال: فاستيقظت مرة ثانية، وهممت أن أقوم ولكنني ثاقلت، وعدت إلى نومي، فجاءني في المرة الثالثة، وضرمني في هذه المرة ضربة أعظم من الضربتين الأولىين، وقال لي: يا فلان قم اذهب إلى أهلي، وقل لهم يخلصوني عما أنا فيه خلّصك الله. قال: فاستيقظت من نومي، وعلمت أن الأمر حقيقة، فلما صليت التراويح من ذلك اليوم؛ ذهبت إلى بيت صاحبي- وهو قريب لي- فلما دخلت إذا بأهله وأولاده قد اجتمعوا عليه ينظرون إليه، وكأن على رؤوسهم الطير، فجلست، فلما رأوني قالوا مستغربين: ما الذي جاء بك يا فلان في هذا الوقت فليس هذا من عادتك؟ قال: فقلت لهم: جئت أسألكم سؤالاً فأجيبوني عليه.. لو جاءكم مخبر وأخبركم أن أباكم في نار جهنم، أو يعذب في قبره، هل ترضون

بذلك؟ قالوا: لا.. ندفع كل ما نملك مقابل نجاة أبنائنا من العذاب. قال: فأخبرتهم بما رأيته في المنام من حال أبيهم، فانفجروا جميعاً بالبكاء، وقام كبيرهم إلى ذلك الجهاز «التلفاز»، وكسره تكسيراً أمام الجميع معلناً التوبة. ولكن القصة لم تنته بعد، قال الشيخ: فرأيت بعد ذلك في النوم، فقال لي: خلّصك الله كما خلّصتني^(١).



نصائح للتخلص من التلفاز

(أ) الوقاية خيرٌ من العلاج:

فأفضل شيء هو التخلص من التلفاز، وقبله عدم اعتبار التلفاز ضمن متاع بيت الزوجية، وقد تكون هذه الخطوة في هذا الزمان (خيالية) لكن اختيار الصالحين للصالحات، ورضى الصالحات بالصالحين يجعل الأمر هيناً سهلاً، والأمر بأيدينا منذ البداية.

ويرحم الله أهل مصر فمن أمثالهم: ما أحله بيدي لم أحله بأسناني؟ وهو موافق للقول الشهير: الوقاية خير من العلاج.

وفتنة التلفاز نحن الذين نأتي بها لا غيرنا، فلم نشترى بأموالنا ما يجعلنا نردّ جهنم ونصطلي بلهبها، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (التحريم: ٦).

(ب) لا تقم وزناً للناس، وليكن خوفك من الله:

كتب معاوية رضي الله عنه إلى عائشة رضي الله عنها أن اكتبني إليّ كتاباً توصيني فيه، ولا تكثري عليّ. فكتبت عائشة إلى معاوية: سلام عليك، أما بعد: فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من التمس رضا الله بسخط الناس؛ كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله؛ وكلّه الله إلى الناس، والسلام عليك»^(٢).

فمن العجائب الآن أن يكون فلان لا يملك تلفازاً في داره، فيوصف بالرجعية

(١) العائدون إلى الله (ص ٨١ - ٨٣).

(٢) صحيح الترمذي (٢٥٤٠) في الوصايا وصححه الألباني هناك.

والتخلف، وبدعم درايته بما يحدث من حوله، وتظل السنة شياطين الجن والإنس من حوله تغريه بشراء هذه الآلة الشيطانية.

ولا نعلم عن المسلم إلا أنه قدر الله الغالب، فمهما كان من تصميم الصغار على وجود التلفاز، أو نقد الناس له، فليعلم أن ما عند الله تعالى خير وأبقى، وهو القائل سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ (التغابن: ١٤).

قال الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى: «باب عظيم من أبواب العقل والراحة، وهو طرح المبالاة بكلام الناس، واستعمال المبالاة بكلام الخالق عز وجل؛ بل هذا باب العقل كله والراحة كلها، ومن قدر أنه يَسْلَم من طعن الناس وعيبتهم فهو مجنون»^(١) اهـ.

(ج) عدم استبدال الشر بالشر مثله:

فالأب لا يستغني عن التلفاز ليشتري فيديو أو كمبيوتر لأولاده بنفس إمكانيات التلفاز، وليكن التحكم منه هو، أو من الأم المؤمنة.

(د) واحذر من الآتي^(٢):

١- أن تستخدم الجهاز كوسيلة لتهدئة الطفل، وشراء سكوتة مع غض النظر عما يراه من البرامج.

٢- أن تستخدم التلفاز كوسيلة لعقاب الطفل بمنعه منه إن قصر في شيء، أو كوسيلة لمكافاته إن أنجز شيئاً، حتى لا يتكون عنده الرغبة في المشاهدة لفترة أطول، ولكي لا يصبح الجهاز أو المشاهدة ذا قيمة في حد ذاته، بل القيمة للبرامج المختارة.

٣- أن تظهر إعجابك بمحاكاة ابنك لفنان أو ممثل أو مطرب لظرافته وطرافته، لأن ذلك سوف يعزز تعلقه بهؤلاء، ويغرس في قلبه محبة الاقتداء بهم والتشبه بسمتهم.

٤- أن تغض الطرف عن أي مشهد فيه مخالفة لحكم الإسلام؛ كالموسيقى، والاختلاط، والتبرج، وشرب الخمر، والتدخين ونحو ذلك، بل عليك ألا تفوت أي

(١) مداواة النفوس (ص ١٢).

(٢) من كلام الدكتور/ محمد بن إسماعيل في الإجهار على التلفاز.



فرصة دون التعليق المدعم بالأدلة الشرعية والعقلية إن كان الابن يطيق ذلك، ليتدرب الابن بعد ذلك على الاستقلال بتمييز ما يُعرض أمامه، ويحكم عليه طبقاً لقناعاته الشخصية في حالة غياب الرقيب البشري.

(هـ) احرص على:

١- أن تغرس تعظيم قيمة الوقت في نفوسهم، وأن تضرب المثل العملي في ذلك، كي لا يهون عليهم إهدار الساعات أمام الشاشة الصغيرة بلا إحساس بهذه الخسارة الفادحة.

٢- أن تعودهم على النوم مبكر ليلاً.

٣- أن ترسخ في قلوبهم أن أداء الفرائض الدينية لاسيما الصلاة، هو أقدس ما يحرصون عليه تحت أي ظرف.

٤- أن تغرس في قلوبهم محبة الله عز وجل، ومحبة رسوله ﷺ، وأن تعدد لهم نعم الله عليك وعليهم، وأن من شكرها تصريفها في طاعة المُنعم بها سبحانه وتعالى.

٥- أن تغرس مفهوم تحري الحلال الطيب، وتجنب الحرام الخبيث في نفوسهم، وتحثهم على تقوى الله، والاستحياء منه في الخلوة والجلوة.

٦- أن تغرس في قلوبهم تحري رضا الله عز وجل وحده، وبيان أن رضا الناس غاية لا تدرك، وتعويدهم على ألا يخافوا في الحق لومة لائم، وعلى عدم الاغترار بواقع أكثر الناس، خاصة في زمن غربة الإسلام.

٧- تعويدهم على نبذ الأغاني واللهو المحرم منذ الصغر، بأن تشجعهم على التسابق لإسكات جهاز الراديو مثلاً إن عرض شيء من ذلك، لينمو فيهم الحس المرهف تجاه هذه المنكرات القبيحة التي تسمى (فنوناً جميلة)، بحيث تكره آذانهم سماعها، فيتسابقون لإخماد صوتها إذا انبعث، فإذا تعود الأطفال هذا فإنهم سيتصرفون- إن شاء الله- بنفس هذا الأسلوب حتى في حال غياب الأبوين، وإذا انصرفت همم الأنباء إلى تتبع الأخطاء بل الأخطار فإن هذا سينحي عن نفوسهم الإعجاب بالبرامج الفاسدة، والإعراض عن تصديقها وقبولها لكثرة أخطائها.

٨- أن تغرس في نفوسهم احترام الذات، والاعتزاز بالانتماء إلى دين الإسلام، وإلى خير أمة أخرجت للناس، والفخر بأنه من أتباع سيد الأنام ﷺ.

ومما زادني شرفاً وتيهاً * وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك «يا عبادي» * وأن صيّرت أحمد لي نبياً

٩- كرّر أمامه في كل موقف تبحث عن حكم الشرع فيه عبارة: «ها ننظر كيف كان رسول الله ﷺ سيتصرف في هذا الموقف لو عرض له؟»، وذلك كي تربطه بالافتداء بالمثل الأعلى للبشرية رسول الله ﷺ.

١٠- أن تجعله يتأفف من مشابهة الكفار والفساق وتقليدهم، ويستعلي عليهم، رابطاً ذلك بأنه من الموحدين الحنفاء، ولا يليق به أن يقلد الكفار الأشقياء، ولا أن يهبط إلى مستوى من غضب الله عليهم ولعنهم وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت.

١١- توعيتهم بأن مصدر الأفلام والمسلسلات المستوردة الدول الكافرة المعادية للإسلام والمسلمين، التي لا تألو جهداً في سبيل إضعافهم وإفساد أخلاقهم، وصددهم عن دينهم ليقوا تحت سيطرتها.

وأزيد على هذا: إن مشاهد الدمار وقتل الأطفال الصغار، والمذابح التي يعرضها أصحاب القنوات الإخبارية إنما هدفها الأساسي إدخال الرعب في قلوب الجيل القادم ليشب جباناً خائفاً، يخشى من سكن اليهود والأمريكان أن يحزه، أو من مدافعه أن تهدم دياره وأن ترديه قتيلاً كإخوته في العراق وفلسطين ولبنان، فيجب الانتباه إلى هذه القضايا.

(و) ماذا إذا كان قرار التخلص من التلفاز متأخراً؟

وهذه أزمة قد تسبب كثيراً من الخلافات داخل الديار والبيوتات المسلمة، وعليه يتبع الأب أو ولي الأمر الآتي:

(١) الاستعانة بالله تعالى والدعاء.

(٢) التدرج في التخلص من التلفاز فلا نستطيع الانتقال من الجليد إلى ماء



حرارته في درجة المائة، والتدرج يكون بتقليص ساعات المشاهدة، وتحديد البرامج التي يسمح الأب بمشاهدتها عن طريق تحكمه في التلفاز بآلات التحكم الحديثة التي تعطيه قدرة على التحكم وهو على بعد مسافة طويلة.

(٣) الخروج المتكرر في ساعات البرامج التي كان الصغار يحرسون على رؤيتها.

(٤) إظهار الأب لغضبه أمام صغاره إذا رأى من يشاهد التلفاز من أولاده في غير الوقت المحدد.

(٥) شغل الوقت بالمحاضرات، وتلاوة القرآن، والأعمال التعبدية.

(٦) عدم السماح للصغار بزيارة الأقارب الذين يمتلكون تلفازاً لا يعرف الغلق.

(٧) إحضار أجهزة أخرى يمكن التحكم فيها كالكمبيوتر كبديل يمكن للأب التحكم فيه.

(٨) الحديث الدائم عن الكفر ومكره وكيد أهله بالمسلمين.

(٩) التأكد من عدم تلصص الصغار على تلفاز الجيران أو الأصدقاء أو بعض الأهل.

(١٠) مكافأة من يقلع عن مشاهدة التلفاز.

(١١) وضع التلفاز في مكان يمكن التحكم فيه كحجرة نوم الوالدين.

(١٢) الصبر على هذا كله، وعدم اليأس والتملل في منتصف الطريق.

ولعل الله عز وجل يحقق حلمنا بوجود إعلام إسلامي سلفي، لا كما يفعل بعض أصحاب القنوات الفضائية الذين يحتكرون الرياضة، ويشنون قنوات الأفلام الغربية الماجنة المليئة بالعري والفساد، ثم ييث قناة فضائية إسلامية - بزعمه - يتحدث فيها كل من هبّ ودبّ من الدعاة الزائفين الذين لا يجزّو أحدهم على الحديث في قضايا الحجاب، وحرمة النظر إلى الأجنبية، أو حرمة مشاهدة الأفلام، أو حرمة سماع الموسيقى.

إنه أمل، ووقائع اليوم هي أحلام وآمال الأمس، وما ذلك على الله بعزيز.

الأطفال وهوس كرة القدم

وهكذا انتهت البطولة بعد تعب وكد، كفاح وعرق، واستطاع الأبطال إنهاء المعركة لصالحهم والعودة إلى بلادهم فائزين منتصرين، فهنئًا للفرسان.

هذا وقد بعث السيد رئيس الجمهورية ببرقية تهنته، كما خرج الملايين إلى الشوارع يعلنون عن فرحتهم العارمة لهذا النصر الذي تحقق على يد الأبطال بعد شوق دام مدة طويلة، ونشكر كل من صلى، ودعا لنا بالنصر والفوز وهزيمة الخصم، نشكر كل من ساهم بماله، نشكر الملايين أمام التلفاز!!

هذا ليس خبراً يعلن فيه المذيع عن انتصار المسلمين على اليهود؛ بل هو خبر فوز فريق كرة القدم ببطولة عادية، فإذا باللقاب: الأبطال، المنتصرين، الفائزين وغيرها تنهال عليهم، ثم تفتح الخزائن ليغترف من نهرها اللاعبون والمدربون والإداريون بعد أن أعلنت الدولة عجزها عن الإنفاق على مشاريع كانت معدة خصيصاً لمحدودي الدخل.

وتقام الاحتفاليات، وتُمنح الأتواط، وتُخلد الذكرى، ويطوف الشعب أرجاء الوطن معلناً فوز الفريق... على خصمه.

وفي أحد أركان الحجرة، وأمام التلفاز جلس الصغير أمام المباراة قبل انتهائها، يرتفع صوته مع كل هجمة لفريقه، فإذا ما ضاعت طرق سمعه صوت الأب وهو يقول: ضيعها ابن...، ياه لو كانت دي جات!! وإذا بالصغير يهتف: أهلي أهلي!! ويدعو: يا رب انصرهم على الأعداء الزملاكاوية.

ثم تأتي الأم، سائلة بقلق شديد، وحرص أشد: من الفائز؟ ما هي النتيجة؟ لعلمها أن اليوم إن لم يفز فيه الفريق الذي يشجعه زوجها سيكون يوماً قاتماً الألوان، فتدعو الله بفوز الفريق، فإذا بالزوج يعاجلها: امشي، اغربي عن وجهي، وجهك نحس على الفريق.

فتخرج مسرعة وقد ارتكب الكبار كبائر أخلاقية لا يدرون أنها سوف تحطم

الصغير، وتجعله ينحى منحى يخالف شرعه ودينه.

- فقد قرَّ في نفس الصغير أن البطولة كرة وميداليات.

- وحفظ اسم الأبطال الكرويين ولم يكن قد حفظ مفردات الأذان، أو أسماء الأنبياء.

- وهو على علم بموعد المباريات دون أن يدري موعد الصلاة.

- وبالطبع لم يقدِّم أبوه ليصلي، وكيف يترك الكرة ليصلي؟

- ولم يعد في نفسه أملٌ إلا أن يصبح لاعب كرة تشير إليه السبابات وتعتقد عليه الخناصر.

- أو أن يكون أحد المشاهدين للمباراة في الإستاد.

- أو معلقاً مرموقاً.

- كما ابتلع حبوب السَّب واللَّعن التي يصب أباه جَمَّها على اللاعبين.

- وقرَّ في نفسه أن هناك نحساً وتشاؤماً وطيرة.

- بالإضافة إلى التعصب البغيض لمسلم دون الآخر.

- وربما كانت المباراة دولية بين فريقين عربيين، والمباريات العربية مليئة

بـ(الحساسية)، فيكره المشاهد المصري اللاعب التونسي، ويضرب لاعبو الجزائر حافلة

الفريق المصري بالحجارة، بينما اشتبك لاعبو الفريق السعودي مع لاعبي الفريق

البحريني لخلاف على الكرة: هل تجاوزت الخط أم لا؟ وبذلك زُرعت بذور الكراهية

والأحقاد.

- أضف إلى تلك الكوارث السابقة أن البطولة قد تكون عالمية كـ(كأس العالم) أو

(كأس أمم أوروبا) وغيرها، فينحاز المسلمون لفريق صليبي ضد آخر صليبي، أو

لاعب ملحد متهم في عرضه ودينه تجاه الآخر.

- وتباع قمصان اللاعبين الأجانب عليها أسماؤهم الكفرية.

- وتلبس قمصان باللون المخنثين لأنها ألوان الفريق الذي يهواه الطفل.

- وينطلق على الصغير اسم (رونالدو) أو (بيكهام) أو (مارادونا) الكفرة الصليبيين.

- ثم يرى الصغير هؤلاء وهم يرسمون علامات الصليب على أجسادهم فيقلدهم دون وعي.

- وتنفق الأموال والأوقات في غير موضعها، وفي غير حلها.

- وقبل هذا وذاك عطلت المصالح والأوقات، ودبت البغضاء بين الجميع بسبب (الساحرة المستديرة) التي تركل بالأقدام!!

يقول الشيخ مصطفى العدوي حفظه الله: «وإنه لعجب عجاب أن يصل الأمر بالأبناء بل وبكثير من الآباء إلى هذا الوضع المخزي والتردي المزري في شأن الكرة وتشجيع الأندية! وماذا عسانا أن نجني من وراء انتصار فريق على آخر؟ وماذا عسانا أن نربح من جراء فوز بلجيكا على فرنسا أم هزيمة إيطاليا أمام رومانيا؟ وماذا سنخسر إذا هزم الفريق المصري من تونس أو إذا انتصرت مصر على الكويت؟ وما هو العائد علينا في ديننا أو دنيانا إذا انتصر الأهلي على الزمالك أو إذا فازت الزمالك على الأهلي؟!»

أليس من العار والخزي علينا في ديننا ودنيانا أن نغرم ونولع بلاعب كرة تارك للصلاة وهاجر للذكر وغافل عن كتاب الله، ونضيع أوقاتنا في الثناء عليه والذب عنه؟ أليس من الانتكاس أن نسمي أبناءنا بأسماء كفار لكونهم مهرة في لعب الكرة؟! إنه لقيح أن يسمي رجلٌ ولده بمارادونا ذلك اللاعب الكافر المتهم في عرضه والمتهم بترويج المخدرات، ففكر أيها المسلم في شأنك وفكر في نفسك فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

إن ديننا يعلم ولا يعلم عليه، وإن الساعة آتية لا ريب فيها وإن الله يبعث من في القبور وإن من أحب قومًا حشر معهم!! ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه^(١)!!

لقد رأيت ذات مرة عجباً!! رأيت صديقي (ع.ح) المفلس دائماً قد ذهب فاشترى كرة من مال اقترضه، ولم يشتر أي كرة؛ بل كرة من نوع شهير يعرف بالجودة وغلو

الثمن، ثم رأيته يقول لولده ذي التسعة أعوام: هيا صوب. فصوب الصغير يميناه، فلم أدر إلا وصفعة كأنها صاعقة قد نزلت على خد الصغير، (ع.ح) يقول له: قلت لك: صوب باليسرى يا ابن ال... ففعل الصغير، فلما سألت (ع.ح) قال لي: كما تراني فأنا مفلس وأردت أن أعد مشروعاً مستقبلياً عن طريق هذا الولد، بتدريبه وتعليمه التصويب باليسرى؛ لأن اللاعب الأعسر لاعب موهوب وعملة نادرة، وربما اشتراه نادي كبير بمئتين الألوف من الجنيهات. وساعتها قلت في نفسي: سامح الله أبي الذي وجهني إلى طريق العلم، ولم يوجهني إلى طريق كرة، على الرغم من كوني أعسر في القدم!!

هذه هي الحال المزرية التي تحياها المجتمعات الإسلامية، الكرة شغلنا الشاغل، حتى انتقل هذا الهوس بدوره إلى الصغار، فلم يعد لهم أمل في تحرير قدس وقتال كفر؛ بل مقاتلة وسط ميدان الكرة، وهذا نجاح آخر يضاف إلى بقية نجاحات أعدائنا.

والحماقة التي أعيت من يداويها أنه الآن: لا غنى لأحد عن مشاهدة الكرة أبداً. هذا هو الشعار المرفوع بحجة: أنني لو منعت الصغار من مشاهدة الكرة سيتسرب إليهم المرض بعيداً عني.

ولابد أن يُعلم أولاً: أننا لسنا ضد الرياضة؛ بل معها وبقوة، لكن أي رياضة؟ إنها الرياضة التي تنفعه في دينه ودنياه؛ كالسباحة، كالرماية، كركوب الخيل، كالمبارزة وغيرها من رياضات الدفاع عن النفس المشروعة- التي يستثنى منها الملاكمة- لما تحدثه من أضرار بالغة، وسوف نتوقف مع هذه الأمور في فصل الرياضة في الجزء الثاني إن شاء الله.

والنبي ﷺ - كما سيأتي - كان يجري سباقات العدو بين صغار الصحابة، ويأمر الصغار بالرمي، ويرمي معهم، ولنا فيه أسوة وقدوة.

وما نرفضه - لأن الشرع يرفضه - هو ضياع الأموال والأوقات، وإفساد الصغار المترتب على تعصبهم الكروي، وهوسهم بمشاهدة المباريات الكروية.

أما من يقول بأن الكرة حتماً ستسرب إلينا، فنقول له: إنك بتشجيعك تُلَفِّت انتباه

الصغار نحو هذه الأمور، فإذا منعت نفسك منذ البداية عنها كان معرفة الصغير بالكرة متأخرًا مما سيتيح لك وله مساحة واسعة لاستغلالها فيما يفيد، فيشُب بعيدًا عن مرض الهوس الكروي.

ماذا يفعل الأب أو الولي لتفادي هذا الهوس الكروي؟

- (١) ارجع إلى ما ذكرناه عن التلفاز، فالكرة لن يشاهدها الصغار إلا هناك.
- (٢) لا تتحدث عن الكرة والبطولات أمام صغارك.
- (٣) تعمّد منذ الصغر انتقاد هذا المرض تعاونك الزوجة في ذلك.
- (٤) علّم صغارك معنى البطولة الحقيقي، وما هو الفارق بين بطل حقيقي كخالد ابن الوليد رضي الله عنه وأحد لاعبي الكرة.
- (٥) اشغله برياضة أخرى غير الكرة حتى يحبها كالسباحة أو الرماية.
- (٦) تحدث عن مقدار ما يهدر على الكرة من أموال، وخيبة الأمل التي تجنيها المنتخبات الإسلامية والعربية التي لا تذهب إلى البطولات إلا لتكون (حصالة) الفرق الأخرى وأن الكرة ما هي إلا وسيلة لزرع بذور التعصب والكراهية وجني الأموال على حساب المغفلين.

(٧) اشغل وقته بالقرآن وتلاوته، والحديث وحفظه.

(٨) امنعه من زيارة الأقارب وقت المباريات.

(٩) ولا تجلسه مع صحبة لك فيهم تعصب كروي.

(١٠) الدعاء المتواصل والاستعانة بالله تعالى؛ فلا يرد القدر إلا الدعاء كما في

الحدث الصحيح.

ماذا لو كان الأب متعصبًا كرويًا؟

وهذه حالة صعبة بعض الشيء، إلا أن استعانتك بالله تعالى، وقوة شكيمنتك ستجعلك تتجاوزها إن شاء الله.

- لا تكن متعصبًا أمام الصغار؛ بل يستحسن مشاهدة المباريات خارج المنزل وبعيدًا عن الصغار.

- افطم نفسك تدريجيًا عن الكرة بما ذكرناه لك في الخطوات العشرة السابقة .
- حاول قدر الإمكان شغل الوقت بما يفيد .
- تذكر أنك راع وأنك مسئول عن رعيته .
- لا تبد اهتمامًا كفرح أو حزن أو انشغال بنتيجة مباراة .
- بل امنع الحديث عن الكرة تمامًا معهم .
- واجعل من زوجتك طيبة لك هي الأخرى .
- استعن بالله ولا تعجز، واعلم أن النصر مع الصبر، واحتسب ما تجده من ألم لفراق الكرة عند الله، واعلم أنك إن لم تنزع بذرتها من نفسك حملت من أوزارك، وأوزار أولادك إذ إنك أضللتهم بغير علم، والله المستعان .



الصغار، والمدرسة، ودور التعليم

وقد انضمت دور التعليم في الآونة الأخيرة إلى مجموعة الأخطار والمعوقات التي تواجه الوالدين خلال تربيتهم للصغار، وتكمن خطورة دور التعليم في هذه النقاط:

(١) اتساع نطاق التعليم العلماني في الدول الإسلامية التي صارت تُفاخر بهذه العلمانية القبيحة القائمة على فصل الدين عن بقية مناحي الحياة، فمادة التربية الإسلامية هي آخر المواد التي يمكن للصغير أن يفكر فيها، حتى إنها لا تحتسب ضمن المجموع، كما يعمل القائمون على أمر التعليم جاهدين على إنقاص كمية ما يحفظ من القرآن الكريم أو الحديث النبوي، مع تجميع القضايا الأصولية وثوابت العقيدة بما يخدم السلطات في معظم الأوقات؛ لأن التعليم في البلدان الإسلامية في قبضة النخبة الحاكمة دائماً؛ بما يعني أنه لا فكاك عن سير المؤسسات التعليمية خلف النظام وتحولها إلى طبول وأبواق له، فالصحيح ما صححه، والباطل ما أبطله ولو خالف التشريع.

والمدارس الخاصة في معظم البلاد الإسلامية لا تعرف الاستقلال التام في مناهجها، وإنما هي خاصة من ناحية الإدارة والتملك فقط، وإنما يحق لأصحابها إضافة بعض المواد البسيطة كالأناشيد واللغات الأجنبية.

وتحرص أجهزة الإعلام على إضعاف التعليم الديني في بلاد المسلمين بشكل يفوق الغرب، فلا زال الموروث التقليدي في بلادنا: السخرية من مدرس اللغة العربية، لغة القرآن والحديث وعلوم الشريعة، وإظهار العالم في صورة ساخرة مضحكة، تبعث على النفور منه، حتى إنك تسأل الصغير: ما تتمنى أن تكون في المستقبل؟ فيقول: ضابط، مهندس، طبيب. ومحال أن تراه يقول: عالم في أصول الدين، أو فروع الشريعة!! إلا من رحم ربي من الأهل الصالحين الذين يواجهون عواصف السخرية بثبات الجبال الراسيات.

(١) وقد تزايد في هذه الآونة الدعوة إلى إلغاء التربية الإسلامية واستبدالها بمادة الأخلاق وهي خليط بين الإنجيل والقرآن وكتب الفلسفة!

(٢) بقاء الطفل مع أقرانه في اليوم الدراسي لمدة أطول من بقائه في داره، وقد يكون هناك بعض الصغار الذين لم ينعموا بحظٍّ وافرٍ من التربية الصحيحة، ودرج الناس على أن الأجرب يعدي الصحيح، وكذا الصغار يُعدي بعضهم بعضاً. وأرى أن هذا خطر قد يكون خارجاً عن السيطرة في بعض الأحوال، ولذا وجب تنبيه الصغار إلى اختيار أقرانهم بعناية كما سيأتي.

(٣) أن بعض المعلمين يعانون من أحد الأمرين، أو منهما سوياً:

(أ) من الضعف المهني، وقلة التمكن من مادته إن لم يكن منعماً؛ لأن المعلم إفراز طبيعي لأعراض المجتمع.

(ب) أو يعاني من أمراض أخلاقية واجتماعية كبذاء اللسان، والفحش، أو التدخين، أو بالعموم: قلة الدين.

ولأن المدرسين يعينون بلا اختيار أو اختبار، فالخطر قائم داهم، خاصة إن علمنا أن شريحة غير قليلة من المعلمات متبرجات!! تجردن من المسؤولية ونسبن أن الصغيرات ينظرن إليهن، وأن الأطفال يبصرون بما لا يجب أن تقع عيونهم عليه.

وأذكر ذات مرة أن أحد (المفتشين) في مادة الكيمياء دخل على مدرسة وهي تشرح إحدى المعادلات ونحن في المرحلة الإعدادية، وقد تبرجت تماماً ولبست القصير، فقال لها: إلى أي المعادلتين سيتبته هؤلاء، معادلة السبورة أم المعادلة اللي تحت؟! قصد ساقها، أراد بذلك توبيخها ولومها، فقامت بشكوى هذا الموجه حتى نُقل إلى مكان بعيد، ذلك لأنها لم تكن مسلمة.

ولا زلت أذكر يوم درّست لنا هذه المعلمة (الجهاز التناسلي) ونحن في الصف الثالث الإعدادي، وكانت كارثة بحق حتى أن أحد الطلبة آنذاك خرج من الفصل الدراسي دون إذن بعد أن فقد صبره، ولم يستطع كتم غيظه.

وقد كنت في المرحلة الابتدائية أرى مدرسة تحاول نزع حجاب زميلة صغيرة آنذاك، بينما الصغيرة تبكي حتى تُصرع، وأحمد لها أنها الآن من أشهر الداعيات في منطقتها.

أي الموجه، يعني من ينظر في أمر المدرسين، ويعلمهم رتبة حسب الدرجة الوظيفية.

وهذه الأخطار التي تكتنف الصغير خلال وجوده في المدرسة تجعلنا في حذر تام من وقوع الصغير تحت نيرها، ومن هنا ينبغي الآتي:

(١) اختيار مدرسة مناسبة للصغير، من المدارس التي اشتهر عنها الحزم، وحسن اختيار المعلمين.

(٢) المتابعة الدائمة للصغير في دراسته، وزيارته أثناء اليوم الدراسي.

(٣) تعليم الصغار كيفية اختيار أصدقائهم - وسيأتي هذا تفصيلاً -.

(٤) المراجعة الدائمة لأصول عقيدتنا، وأصول شريعتنا بدلاً من ترك الصغير لا يدرى عنهما شيئاً.

(٥) ربط الصغير بالشرع دائماً، وزرع حب الدين في قلبه.

(٦) وإذا كنا لا نملك السيطرة على المدرسة، فنحن نملك السيطرة على الصغار بحسن التربية.

(٧) إقامة علاقات متميزة مع المعلمين ومحاولة اجتذابهم إلى الالتزام بطريق الهداية، وتوصيتهم بالعمل الصالح، وإشعارهم بأنهم رعاة ومسئول كل منهم عن رعيته.

(٨) تزويد الصغار بما يردون به على من يشككهم في أمور دينهم، خاصة أمور الحجاب والعقيدة، من خلال تحفيظ الصغار آيات الحجاب من سورة الأحزاب والنور، والأحاديث التي تحث على ذلك.

(٩) سؤال الصغير الدائم عما دار في المدرسة من حوارات وحوادث، وعدم التملل منه أو إغفال نقطة مما قال، فلكل عبارة أهميتها.

(١٠) الاستعانة بالدعاء لإصلاح الصغار، ليكونوا قرة عين ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤).

وبهذا نكون قد قلصنا دائرة الخطر إن لم تكن قد قضينا عليها.



حَلْمٌ واقتراح الجو الذي يجب أن يسود المدرسة

مستخلص من التقرير الذي أعدته إحدى اللجان التي شكلها الدكتور/ محمد حلمي مراد أثناء توليه مسئولية وزارة التربية والتعليم بمصر، ومن كتاب قذائف الحق للشيخ محمد الغزالي رحمه الله:

١- يبدأ اليوم الدراسي بتلاوة من آيات الذكر الحكيم مجودة أو مرتلة لتشيع في الجو المدرسي أنسام الطهر الروحي.

٢- تدور كلمة الصباح بالإذاعة بين ثلاث دقائق وخمس دقائق حول ما سمعه التلاميذ من الآيات المقروءة وما تفرضه المناسبات الدينية وما ترشد إليه من فضائل سامية في كلمات موجزة موحية.

٣- أن تكون دروس التربية الدينية في الحصص الثلاث الأولى، ليشعر الطلاب بما للدين من قيمة عليا بين المواد الدراسية، وليكون التلميذ في ذروة النشاط الفكري فيعي ما يسمع ويقر في نفسه.

٤- أن تذاع الأناشيد الدينية أو قصة دينية قصيرة في الفسحة الأولى من اليوم الدراسي.

٥- أن ينظم الجدول المدرسي فيتلاقى ابتداء فسحة الظهر مع حلول وقت الظهر وينادى للصلاة ثم يدعى إليها بكلمات تحمس الطلاب لأداء الفريضة.

٦- أن يخرج مدرسو اللغة العربية والتربية الدينية ومعهم إدارة المدرسة ومن شاء من المدرسين الآخرين أمام التلاميذ ثم يتوجهوا إلى المصلى ليكون هذا العمل الجماعي إشعاراً ملموساً بالاهتمام بإقامة الشعبة في وقتها.

٧- أن يكون لكل مدرسة مجموعة من الرواد الدينيين يتناسب مع عدد الفصول والطلاب، وهم الراعون لتلاميذهم يوجهونهم إلى مرشدتهم ويؤمنونهم في صلاتهم وينظمون إقامة الشعيرة بجدول مخطط له حتى يؤدي الصلاة أكبر عدد من الطلاب،

وعليهم أيضاً أن يعدوا تقريراً شهرياً عن سلوك كل تلميذ من تلاميذهم ويرسل التقرير إلى ولي أمره ليحس البيت برعاية المدرسة للدين فيعينها عليها.

أن يخصص يومان في الأسبوع من فسحة الظهر تدور فيها مناقشات دينية مطبوعة متصلة بحياة التلاميذ ولا تستغرق من وقت الفسحة زمناً طويلاً حتى لا يضيق التلاميذ بها.

٩- أن تتجدد جماعات النشاط الديني فتكون هناك جماعة للصحافة الإسلامية وأخرى للتاريخ الإسلامي بجانب الجماعات التقليدية كجماعة البر والإمامة وغيرهما.

١٠- أن يكون العاملون في الميدان المدرسي قدوة حسنة تتسم بالإيمان والسلوك الحميد الذي ينعكس على تلاميذهم إيماناً وإخلاصاً وسلوكاً قوياً.

١١- أن نجعل من بعض أيام الجمعة فرصة لالتقاء التلاميذ بأساتذتهم وأولياء أمورهم في مصلى المدرسة حيث تلقى عليهم دروس دينية حية تناقش أفكارهم على سعة لتتيح اشتراك أولياء الأمور في هذه المناقشة مما يساعد على نقاء الجو المنزلي ويوثق الروابط بين البيت والمدرسة.

١٢- أن تدور أسئلة التطبيق الديني الأسبوعي والاختبارات الشهرية والفترية حول الموضوعات التي تثار في الندوات واللقاءات الدينية لتشد انتباه التلاميذ إليها.

١٣- محاسبة المدرسين الذين يستهينون بدورس التربية الدينية فيستبدلون بها حصص المواد الأخرى.

١٤- تقسيم طلاب المدرسة إلى أسر إسلامية وتسمى كل أسرة باسم شخصية إسلامية كبرى على أن يكون تلاميذ كل أسرة على علم وثيق بمن انتمت إليه أسرته على أن تتبادل هذه الأسر المناشط الدينية وتثار بينهم المنافسات الكريمة في الجهاد الديني على أن يدعى أولياء الأمور لاجتماعات شهرية لهذه الأسر ليسهموا بجهودهم في هذا المجال.

١٥- استخدام القيادات المؤمنة من الطلاب في جذب زملائهم إلى الإطار الذي



ترسمه المدرسة ليتحرك بنوها في حدوده فلإن تأثير الطالب على زملائه أعمق من تأثير الأساتذة عليهم.

١٦ وضع صندوق في فناء المدرسة تجمع فيه التساؤلات الحرة للطلاب للرد عليها من جماعة الفتوى بالمدرسة.

١٧ أن يعنى بالاحتفال^(١) بالمناسبات الدينية احتفالاً مخططاً له لتكون صورة متكاملة تطبع في نفوس الطلاب الإجلال لهذه المناسبة ويجعل الهدف من إحيائها: ربط الطلاب بشعائر الإسلام ومبادئه فينبني الاحتفال على أن تعرض مكتبة المدرسة في ركن خاص كل ما لديها من تواليف دينية أعدت لهذه المناسبة الإسلامية كما تقوم بندوات وأناشيد دينية ومسرحيات وأشرطة إسلامية.

١٨ أن تزين جدران المصلى والمدرسة بلافتات تجذب الأنظار بجمال إخراجها وحسن اختيار ما يسطر عليها من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والحكم البالغة والعظات الدينية الموجهة.

١٩ الاهتمام باختيار شعار للمدرسة من الآيات والأحاديث ويدرس الطلاب والطوالب بشتى الوسائل على الالتزام بما في هذه الشعارات من قيم ومفاهيم ويمكن أن يختار المدارس البنات الشعار الذي يدعو إلى البعد عن التبرج والتمسك بأهداف الفضيلة والاحتشام في الملبس والمظهر.

٢٠ أن يكون للتربية الدينية ركن في المكتبة العامة وفي مكاتب الفصول ويزود هذا الركن بخير ما تخرجه المطابع من الكتب الدينية الحديثة التي تربط بين الدين والحياة وبين الدين والعلم وتناسب كل مرحلة من المراحل الدراسية.

٢١- أن يكون للمصحف الشريف مكان الصدارة في المكتبة العامة ومكاتب الفصول ومكتبة المصلى.

(١) الاحتفالات البدعية هنا كالاحتفال بمولد النبي لا نقرأها ولا نعترف بها وإنما الاحتفال نقصد به هنا الاحتفال بيوم عاشوراء كصيامه ومعرفة فضله، أو التحدث عن الهجرة وآثارها لا إقامة الحفلات وتوزيع الحلوى وغيرها من الأمور البدعية.

- ٢٢- العناية بالوسائل المعينة التي تساعد التلاميذ على فهم أبواب المنهج الديني وتشوقهم إليه وتؤكد مفاهيمه في نفوسهم على أن يشترك الطلاب في إعدادها.
- ٢٣- أن يكون بيد الطلاب فيما يقرر لهم من الكتب كتاب ذو موضوع واحد يصور بعض البطولات الإسلامية والمعارك الإسلامية وأمجاد الإسلام العسكرية والعلمية لتكون مثلاً علياً أمام الطلاب.
- ٢٤- ينتفع بمجلس الآباء في دراسة وإنقاذ كل ما يجد من مشكلات في سلوك الطلاب وعلاقتهم بالمدرسة وتصرفاتهم الخارجية.
- ٢٥- أن يحرص الزائرون الرسميون للمدرسة على الصلاة أمام التلاميذ ومعهم ليرجموا عن العناية والاهتمام بأمر الدين فتتنصرف هذه العناية إلى التلاميذ.
- ٢٦- أن نستعين ببعض أولياء الأمور وغيرهم من المثقفين ثقافة دينية واعية في إلقاء بعض المحاضرات أو الدروس الدينية ليكونوا من أدوات التأثير وعوامل الاستجابة من الطلاب مع الاهتمام بما يدور بين الطلبة من تيارات ونزعات قد تنحرف بالعقيدة والوجدان الديني.
- ٢٧- التزام الحشمة والوقار في الزي بمدارس البنات بين المدرسات والطالبات.
- ٢٨- أن تعد المدرسة معرضاً دينياً ينظم كل ما أنتجه الطلاب من وسائل تعليمية دينية كصور المصلحين الإسلاميين ومناسك الحج والمعارك والغزوات مع بعض البحوث الدينية التي أعدها الطلاب بإشراف رائدهم وفي هذا تجسيد للقيم الروحية التي ننشدها لإعداد الجيل الجديد.
- ٢٩- إذا أمكن وصل النشاط الطلابي بالجماعات الإسلامية القائمة في البلاد كان ذلك حسناً على أن يتم تحت إشراف المدرسة.
- ٣٠- يوضع اليوم الدراسي في إطار يحدد أوله ونهايته تحديداً متصلاً بالدين فلا يدخل التلاميذ فصولهم فرادى ولا ينصرفون منها فرادى ولكن يجمعون في صفوف قبل الدراسة والانصراف ليرددوا أناشيد دينية وقومية ذات معنى روحي وخلقى.
- ٣١- أن تقوم المدرسة ببعض الرحلات الدينية التي يزور فيها الطلاب المساجد

الكبرى والمتاحف الإسلامية والآثار والمعالم الدينية والتاريخية والمناطق السياحية الدينية مما يوحى إليهم بأصالة ماضيهم الإسلامي وحضاراتهم المجيدة التي كانت مصدر إشعاع للعالم.

٣٢- أن يكون في كل مركز صيفي للخدمة الاجتماعية بالمدارس وكذلك بالمصايف والمعسكرات مثقف ديني يشرف على سلوك الطلاب ويزودهم بما يقوم سلوكهم ويهذب أخلاقهم كما نرجو أن يعنى المركز أو المصيف أو المعسكر بعرض المناشط الدينية المحيية كالأناشيد والقصص والأنشطة الإسلامية.

٣٣- تفتح أبواب بعض المدارس في كل حي من الأحياء في جميع المدن بجمهورية مصر العربية تحت إشراف مسئولين وذلك لتحفيظ القرآن الكريم في مدة العطلة الصيفية وأن تخصص مكافآت مغرية لمن يحفظ جزءاً من القرآن وكلما زاد عدد الأجزاء من القرآن زادت المكافآت.

الحوافز:

٣٤- خلق الحوافز بين الطلاب المتميزين دينياً من مثل إعفائهم من بعض الرسوم المدرسية أو رسوم الرحلات أو غير ذلك.

٣٥- أن ترصد نسبة مجزية من حصيلة مجلس الآباء لتأثيث المصلى وإثابة المجيدين والمسابقات الدينية وإعانة المحتاجين من الطلاب.

٣٦- أن ترصد المناطق التعليمية مكافآت مالية سخية للطلاب المثالي في السلوك الديني القويم ليحفز ذلك غيرهم إلى أن ينهجوا نهجهم ويسلكوا سلوكهم.

٣٧- إعداد لوحات شرف للممتازين في تحصيلهم الديني وسلوكهم المستقيم ولمن يقوم بأعمال في البر تستلزم التنويه بها والإشادة بمن قاموا عليها.

٣٨- إعداد شهادات تقديرية للطلبة أو الطالب الذي يمتاز بالتحصيل الديني ويسهم في أنشطته ويتمسك بحبل الفضائل على أن ترسل هذه الشهادات إلى ذويهم لتبعث فيهم الحماسة للتربية الدينية في المنزل وليحرص البيت على النماء الروحي لهؤلاء الأبناء.

وبعد:

٣٩- كل ما قدمناه إنما يدعم بالأجهزة الإعلامية الطاهرة النقية أما إذا بقي الحال على ما هو عليه في الصحافة والإذاعة والتلفزيون وغيرها من وسائل الإعلام فالجهد ضائع لأن ما يبنى هنا تهدمه هذه الوسائل هناك. والله ولي الوفيق... .
قلت: وهذا وإن كان حُلماً فما تحقيقه على الله بعزير.

☆☆☆

تدليل الصغار كارثة، ومخالطة المدللين كارثة أكبر

عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الولد مبخل، مجبن، مجهله، محزنة»^(١). قال المناوي: «مبخله بالمال عن إنفاقه في وجهه القرب، مجبنه عن الهجرة والجهاد، مجهله لكونه يحمل على ترك الرحلة في طلب العلم والجد في تحصيله لاهتمامه بتحصيل المال له، محزنة يحمل أبويه على كثرة الحزن لكونه إن مرض حزناً، وإن طلب شيئاً لا قدرة لهما عليه حزناً، فأكثر ما يفوت أبويه من الفلاح والصلاح بسببه، فإن شب وعق، فذلك الحزن الدائم والهـم السرمدي اللازم»^(٢) اهـ.

☆☆☆

التفرقة بين التدليل والرفق

وما سبق مما يحصل للوالدين بسبب الولد فإنما مصدره الحنان على الطفل والرافة به، لكن فكما أمر الإسلام بالحنان مع الطفل والرافة؛ فقد نهى عن الإفراط والغلو في هذا الحنان، فلا مفر في بعض الأوقات من الحزم والتخويف لترتد نفس الطفل عن التماذي في الغي أو الانحراف، وكثير من الأطفال يردعهم مجرد رؤية العصا أو السوط، ويلزمهم ظهور أداة العقوبة، فيسارعون إلى تجنب التعرض لها، فتستوي

(١) صحيح الجامع (ص ١٩٩٠).

(٢) فيض القدير (ج ٢/ ص ٤٠٣).

تصرفاتهم ويتصحح مسارهم، لذلك أوصى النبي ﷺ الرجل أن يعلّق العصا في البيت.

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «علّقوا السوط حيث يراه أهل البيت»^(١). وعنه أيضاً أن النبي ﷺ أمر بتعليق السوط في البيت^(٢). فالنبي صلوات الله وسلامه عليه لا يريد أن يكون من وراء حب الطفل والحنان عليه تدلُّ وتفريطٌ ومجارةٌ للطفل في جميع أهوائه، فيفعل الطفل ما يشاء ويقضي ما هو قاض، فإن ذلك جناية كبرى على الولد، والنبي ﷺ يقول: «ألا لا يجني جانٍ إلا على نفسه، ولا يجني والد على ولده، ولا يجني مولود على والده»^(٣).

والجناية: الذنب والجرم، وما يفعله الإنسان مما يوجب عليه العذاب أو القصاص في الدنيا والآخرة^(٤)، فإذا فعل الإنسان ما يوجب العذاب على غيره؛ فهذه الجناية على الغير، كما يتسبب بعض الآباء في عذاب الله لأبنائهم بسبب تدليلهم وحبهم المفرط؛ الذي ينتج عنه عدم الأخذ على أيديهم لتعويدهم طاعة الله والوقوف عند حدوده، والله تعالى أمر مثل هؤلاء الآباء وأمثالهم؛ بل وسائر الذين آمنوا بقوله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحریم: ٦).

ما هي أضرار مخالطة الطفل لأهل الميوعة والدلال؟

قال الغزالي رحمه الله: «ينبغي أن يُحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة، وألاً يُسمح له بمخالطتهم، فإن الصبي إذا أهمل في بدء حياته خرج في الأغلب رديء الأخلاق، كذاباً، حسوداً، سروقاً، ذا فضول

(١) صحيح الجامع (٤٠٢١) وهو في الأدب المفرد عند البخاري.

(٢) السلسلة الصحيحة (ج ١٤٤٧).

(٣) صحيح: الترمذي كتاب تفسير القرآن (٣٠١٢)، وصحيح سنن ابن ماجه للألباني، كتاب المناسك (٣٠٤٦)، وأحمد والهيثمى بلفظ: «ألا لا تجني نفس على أخرى»، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. اهـ. (ج ٦/ص ٢٨٣)، وابن حبان في صحيحه (ج ١٣/ص ٣٣٧/ح ٥٩٩٥)، وانظر السلسلة الصحيحة (ج ١٩٧٤).

(٤) ابن الأثير في النهاية.

وكيد ومجانة، وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب وكمال التربية^(١).

فينبغي ألا يسمح للطفل بمخالطة المدللين من الأطفال؛ لأنهم لا يصلحون للحياة التي تنتظرهم، فقد وجدوا الحياة سهلة ميسرة لهم، كلها نعيم ورخاء، واعتمدوا على ثروة آبائهم وأمهاتهم، فناموا واستعذبوا النوم، وصارت حياتهم كلها حياة خمول وكسل، وجعلوا ليلهم نهاراً، ونهارهم ليلاً، وأصبحوا جرثومة من الفساد، وإن المربين يرون أن أهم مرحلة في الحياة هي مرحلة الطفولة المبكرة في الخمس سنوات الأولى من حياة الطفل، فإذا أهمل في بدء حياته صار غالباً فاسد الخلق، كثير الكذب، كثير الحقد والحسد، كثير السرقة والنميمة والإلحاح، فضولياً يتدخل فيما لا يعنيه، ويكيد لغيره من زملائه، ذا مجون، لا يبالي بما يصنع، ولا يكثرث لما يفعل، ومن الممكن أن يحفظ من فساد الخلق، ومن هذه الرذائل كلها إذا عينا بتربيته كل العناية في طفولته وأطوار حياته، ولا يستطيع أحد أن ينكر أثر البيئة في تربية الطفل^(٢).

إن منعنا للصغير من مخالطة المدللين يجب أن يكون قراراً حاسماً لا يقبل المناقشة، ولو كان الممنوع من مخالطته ابن الأخ، أو ابن الأخت، فالعدوى إلى الصغار أسرع منها إلى الكبار، والبناء الذي يهدمه طفل صغير بناء يُعاب بانيه الذي تركه نهبة لنسمة هواء صغيرة لتجعله ركاماً أو قاعاً صفصفاً.

وما قيل هنا في التدليل يقال في منع الصغيرات من زيارة القريبات والجارات المتبرجات اللاتي يجهرن بذلك، وإلا وقعنا في حيص بيص حين يسأل الصغار: لماذا هي متبرجة، وأمي صاحبة حجاب؟ ومن منهما على الحقيقة؟

ويا لصراحة الصغار حين يجهرون أمام الصديقة المتبرجة: سوف يغضب الله عليك لأنك لا تلبسين الحجاب.



(١) إحياء علوم الدين (ج ٣ / ٧٠).

(٢) محمد عطية الإبراشي (ص ٢٥٨، ٢٥٩) في التربية الإسلامية.

لقمان عليه السلام يربي ولده

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ حَمِيدٌ (١٢)﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿ (لقمان: ١٢ - ١٩) .

من هو لقمان؟

اختلفت الأقوال الواردة في شخصية لقمان عليه السلام، وهل كان نبياً أم عبداً صالحاً آتاه الله الحكمة؟ ولكن الأسانيد التي بين أيدينا تُجزم بمعاصرته لنبي الله داود، كما قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «إن لقمان كان عند داود وهو يسرد الدرّع، فجعل يفتله هكذا بيده، فجعل لقمان يتعجب ويريد أن يسأله عن فائدته، ويمنعه حكمته أن يسأله، فلما فرغ منها صَبَّها على نفسه، فقال- أي: نبي الله داود-: نعم درع الحرب هذه. فقال لقمان: الصمت من الحكمة، وقليل فاعله، كنت أردت أن أسألك فسكتُ حتى كفيتني» (١).

ويخلص الإمام ابن كثير رحمه الله إلى أن لقمان: كان رجلاً ذا عبادة وعبرة وحكمة عظيمة، والمشهور أنه كان حكيماً ولياً، ولم يكن نبياً. وعلى كل الأحوال فإنه قد ذكره الله تعالى في القرآن فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾

(١) صحيح: الحاكم (٤٥٨/٢)، وصححه الحافظ ابن حجر (٤٦٦/٦) في الفتح.

(لقمان: ١٢). وللحكمة فضل عظيم كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: ٢٦٩).

وقد فسر مجاهد الحكمة كما في تفسير الطبري (٢٨٠٩٢) بسند صحيح أنها الأمانة، لكن الحكمة أوسع من ذلك بكثير ومفهومها أكبر من أن يختزل في كلمة الأمانة، لذا فإن القرطبي رحمه الله في تفسيره (٦١/١٤) يقول: «كان لقمان رجلاً حكيماً بحكمة الله تعالى، وهي الصواب في المعتقدات، والفقه في الدين، والعقل وهذا هو المفهوم الذي نرتضيه للحكمة التي تجمع بين الصلاح وبين الرأي الصائب في الدين، وأمور الدنيا، وهذا مضمونه ومقتضاه الشكر لله تعالى، فكان لقمان يعرف لربه هذه النعمة عليه، ومن ثمَّ كان من الشاكرين إذ تقيد النعم لا يكون إلا بالشكر، وأحق الحمقى هو من يخالف عن الحكمة ولا يدخر لنفسه عند ربه رصيذاً من الشكر، فيضيع إنعام ربه عليه وهو لا يدري».

التوحيد أولاً:

ثم بدأ القرآن يعرض لحكمة لقمان في شكل نصحه ووعظه لولده وهو أشفق الناس عليه، فكان أول ما وعظه به التوحيد واجتناب الشرك فقال: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، فنهاه عن الشرك وحذره من فقد الإيمان، وعند البخاري (٤٧٧٦) ومسلم (١٩٧/١٢٤) بالسند عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام: ٨٢). شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أينما لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنه ليس بذلك، ألم تسمع إلى قول لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾». فالشرك ظلم عظيم يحبط به عمل الإنسان مهما فعل ومهما قدَّم من خير كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ٨٨).

إن الشرك ظلم عظيم لأنه ظلم للنفس، وما أقسى ظلم النفس وأشدّه، فحكم العقل والمنطق - بعد الشرع - يحتم عدم الشرك بالله أملاً في مغفرته سبحانه وهو صاحب المغفرة، فالمشرك حرم نفسه منها، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٤٨).

وهذا عين العدل الإلهي، كيف ينال مغفرة الله من لم يقر بتوحيده سبحانه وأشرك معه غيره؟ وكان من الأولى عليه أن يلتمس المغفرة من هؤلاء الأغيار، ولكن هيهات.

إن معنى حرمان الإنسان من مغفرة الله إنزال الظلم البالغ بنفسه، فلا يلومن امرؤ ساعته إلا نفسه، فالله عن عبادة العباد غني حميد، وهم إليه فقراء، وليس العجب من عبد فقير يحب رباً قديراً؛ بل العجب من رب قدير يحب عبداً فقيراً.

لكن لماذا لقمان يوصي ولده باتقاء الشرك؟

أولاً: لعظم أمر التوحيد، فمن حقق التوحيد نجاً، ولذا خاف الأنبياء من فقدته، حتى إن أبا الموحدين إبراهيم عليه السلام ليقول: ﴿وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (إبراهيم: ٣٥). ومن يأمن البلاء بعد الخليل؟!

ثانياً: هي وصية من مؤمن لمؤمن، ينصحه ويبذل له الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويذكره بالله.

ثالثاً: أن الإيمان بالله مرحلة سابقة على الشرك به، فقد يكون الإنسان مؤمناً بالله، لكن يشرك معه من المخلوقات من يقسم به، أو ينذر له، أو يخشاه، أو يحبه حباً شديداً وهو توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون حتى قالوا عن أصنامهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (الزمر: ٣). وابن لقمان مؤمن بالله كما يبدو من سياق القرآن، فخشي الرجل على ولده بعد رحيله أن يضل عن عقيدة التوحيد، ويشرك بالله غيره، فنهأه عن الشرك وأمره بالتوحيد، وبيّن قبح الإشراك بالله ووصفه بأنه (ظلمٌ عظيم).

رابعاً: إن الإشراك بالله يسهل إلباسه على الإنسان من الغير بعكس الكفر بالله، الذي يحتاج إلى تدخل واضح من إرادة الإنسان نفسه، أو بمعنى آخر: أبواب الشرك أسهل ولوجاً من أبواب الكفر، لأن الذين يزينون الشرك كثير، وإقناع العوام به أسهل من إقناعهم بالكفر بالله، ولذا جاء التحذير من الشرك بالله أقوى لأن فيه تحذيراً من جلساء السوء وغيرهم ممن يسولون للآخرين الشرك بالله وخاصة في مرحلة الشباب المليئة بالتغيرات، وفيه أيضاً تحذير من أشياء قد يراها الإنسان لا غبار

عليها إذا فعلت مع أنها تمثل نوعاً من الشرك كالرياء، وهو أخوف ما كان يخافه النبي على أمته، والله أغنى الأغنياء عن الشرك.

الوصية بالوالدين:

وانطلق لقمان عليه السلام يعب من بحر الحكمة، فوصى ولده بالديه، ليكون باراً بهما وهو أبوه، والقرآن يلتقط الخيط من لقمان لثلاث تكون هذه مجرد موعظة أو نصيحة؛ بل أمراً شرعياً يجب إطاعته، وإلا بقاء عاصيه بالخسران المبين.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّالَهُ فِي سَامٍ أَيْنَ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (لقمان: ١٤، ١٥).

وعجيب أمر القرآن حقاً في هذه الوصية، فقد أبى إلا أن تكون أمراً شرعياً واجب التنفيذ حتى لا يظن الناس أنها وصية من أب يذكرها من قبيل الاعتزاز بالنفس طالباً من ولده البر مجبراً إياه عليه، لا ولكن الأمر مصدره الإرادة الإلهية العليا التي لا يعصى لها أمرٌ مهما كانت الظروف والملاسات.

ويا للتواضع! فللقمان الذي آتاه الله الحكمة وفضله بها لا يقدم نفسه في الوصية؛ بل يقدم الأم التي تحملت المشاق في الحمل والوضع والولادة والرضاع، وتألّت في الفطام أكثر من تألم الطفل الصغير ذاته.

ولقمان يتابع المنهج القرآني في جعل البر بالوالدين عقب النهي عن الشرك كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء: ٢٣). وهذا أكبر تعظيم للوالدين خاصة إذا قرن بقوله تعالى هنا: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ (لقمان: ١٤).

فالله تعالى المنعم الأول فالشكر إليه أولاً، ثم للوالدين بعد وهذه قمة التكريم لهما، وقرن شكرهما بشكر الله تعالى، ومن عظم هذه الوصية أنها شملت كل أب وأم حتى ولو كانا مشركين أو كان أحدهما مشركاً، لكن البر هنا سيأخذ طابعاً آخر حين يتحول إلى صبر على المشرك أحدهما أو كلاهما بالقول بالمعروف، والمصاحبة بالمعروف، وعدم طاعتهم في هذا الأمر إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وخير تصوير لما يحدث من بر أو عقوق من الأبناء للأباء جمعته هذه الآيات حين

قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوْعَدُونَ (١٦) وَالَّذِي قَالَ لُؤْلُقُ لَوَالِدَيْهِ أَفْ لَكُمْ أَنْتُمَا أَعِدَانِي أَنْ أَخْرُجَ وَقَدْ خَلْتُ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهَمَا يَسْتَفْشِيَانِ اللَّهَ وَيَلِكُ ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٧) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (١٨) وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ (الاحقاف: ١٥ - ١٩).

رقابة الله تعالى:

ويعود لقمان ثانية لتعميق روح الإيمان والتوحيد في قلب ولده، فيقول منادياً إياه بما يحبه الأبناء من الآباء: يا بني، فإسمع الابن وينصت فيقول لقمان: ﴿إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ١٦).

فقد أثبت الله العلم المطلق والقدرة المطلقة في كلماته الحكيمة، وهي وصية إذا قربت في عقل الإنسان ووجدانه سيخشى أن يفسد في الأرض، لأنه سيفكر جيداً قبل الإقدام على أي عمل ليسأل: هل يغضب الله أم يرضيه؟ فإذا رآه يرضي الله أقدم عليه، لأن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض بعلمه، إذ هو العليم الخبير، وهو اللطيف الذي يعلم دقائق الأمور ولو كانت حبة خردل في صخرة، أو في السماوات أو في الأرض، أو ساقطة في ظلمة من الظلمات في جو السماء أو باطن الأرض، لأنه الذي يسمع ويرى دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (النمل: ٧٥). ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (الأنعام: ٥٩). ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (يونس: ٦١). وفي النهاية: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

شَرًّا يَرَهُ ﴿ (الزلزلة: ٧، ٨). وهو ما يدفع الجميع إلى اتباع الطريق القويم في كل الحركات والسكنات، ومن ثم يصل إلى درجة الإحسان لعلمه أن الله يراه ويطلع عليه.

الوصية بالعبادة:

وبعد استقرار العقيدة في القلب والنفس، واستشعار رقابة الله، ها هو لقمان يوصي ولده بالعبادة موجهًا إياه إلى أم العبادات، وهي الصلاة، يأمره ليؤديها محافظًا عليها، فهي أعظم العبادات مكانة عند الله، وبها يصلح العمل أو يفسد، وهي أكثر العبادات اتساعًا، فتشمل الدعاء، والذكر، والقراءة، والخشية، والقنوت، والامتناع عن الشهوات، وهي زكاة الجسد، وفيها التوجه إلى الكعبة، وفيها شكر الله، وأداء الأمانة، وهي أيسر العبادات لا تسقط عن الإنسان إلا بسقوط عقله، أو بانقطاع حياته.

ثم يأمره: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (لقمان: ١٧). وهذا طريق العقيدة والتوحيد، توحيد الله والإيمان به، الشعور برقابته، التطلع إلى ما عنده، الصلاة، ثم دعوة الناس إلى الإيمان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قدر الاستطاعة، باليد إن توفرت القدرة، وإلا فاللسان، فإن لم يكن فالقلب آخر الدواء، وليس بعد ذلك من الإيمان حبة خردل، ويكفي أن الله تعالى جمع هذا في آية واحدة ليكون أساس الخيرية لهذه الأمة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

لكن النفوس تهفو إلى المعصية، وهي أمانة بالسوء، وبعضها منحرف لا يريد الخير، فسيحدث الأذى للداعية العالم لا محالة، سيصيبه منهم أذى القول والفعل، ولذا قال لقمان لابنه: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان: ١٧). التي لا بد منها، ولا محيد عنها.

وليعلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن من أصول وبديهيات هذا الأمر:

- ١- ألا ينصب نفسه حاكمًا على العباد، مخبرًا بمصائرهم، فالله سبحانه من يحكم بين العباد، هذا في الجنة، وذلك في النار.

٢- أن الهداية بيد الله يعطيها من يشاء، وما هو إلا مجرد مبلغ عليه الاجتهاد في التبليغ.

٣- ليصحب البلاغ قولاً لينا ونصحاً رقيقاً رقيقاً.

٤- مع قدوة سلوكية يوافق فيها فعل المرء قوله، فأصلح نفسك وادع غيرك.

آخر الوصايا:

ولأنه يريد ابنه عالماً حكيماً مثله داعياً إلى الحق والخير، رجلاً لله على أرضه، أراد حسن السلوك قدوة للناس بخلقه الحسن الرفيع، وسلوكه الطيب الذي لا يفارقه، فقال: ﴿وَلَا تَصْغِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان: ١٨، ١٩).

وصاه بالصبر أولاً ثم بـ(التواضع) فنهاه عن تصغير خده وليه وإمالته، وهو ما يفعله المتكبرون عادة إذا كلموا الناس؛ إذ يظن أحدهم أنه أكبر من الإصغاء لبشري مهما كانت كلماته ومهما كان سنه ومقامه، وهذا شأن السفهاء، والتواضع شيمة الكبار الذين يدركون عظمة أنفسهم الحقيقية، فأراد لقمان ابنه كبيراً فنصحته بالتواضع مبيناً صورته.

* فمنها عدم تصغير الخد، والإعراض عن الناس احتقاراً لهم واستكباراً عليهم، بل يسمع بلين جانب ووجه منبسط ينم عن احترام إنسانية من أمامه مهما كان، فـ«رب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره»^(١).

* ومنها القصد في المشي دون فرح وكبر، وتبخر أو اختيال ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان: ١٨). إنه فعل قبيح، وحركة كريهة يمتقتها الله قبل الناس ألا وهي: المشي متبخرًا متميلاً مدعيًا العظمة والكبرياء، كأن الأرض خلقت لتحمله وحده فقط، وهو مغضبة لله لا محالة: «بينما رجل يمشي في برديه يتبخر فيهما، إذ خسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»^(٢).

(١) صحيح: سبق تخريجه.

(٢) صحيح: البخاري (٣٤٨٥)، مسلم (١٤/٢٠٨٨).

وفي الحديث: «إياك وإسبال الإزار فإنها من الخيلة ولا يحبها الله» (١).

إن تصنع العظمة، والتكلف في المشية والحديث والملبس لم تخلق إلا ليتقمصها السفهاء رداءً لهم، وأعجب ما في الأمر أن المختال لا يملك مقومات الخيلاء والكبر، فجسده ليس من خلقه، والأرض لله، والبشر الذين حوله والكائنات من خلق الله، أفلا يعلم أنه عما قليل ليصبحن تراباً؟!

إن أثر الاختيال: لا شيء، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (الإسراء: ٣٧). وقارون المثال على ذلك فارجع إليه.

لقد طلب لقمان من ابنه أن يقصد في مشيه إذ القصد في المشي من سمات عباد الرحمن، فلا هو يميت على الناس دينهم، ولا هو يمشي بسرعة عادة، فعلماء النفس يرون أن أسلوب الإنسان في المشي يعبر عن شخصيته وحالته النفسية في كثير من الأحوال، فالمسرع دائماً في مشيته قلق متوتر الأعصاب، لا يستطيع علاج الأمور في هدوء، على العكس من ذلك الشخص المعتدل في مشيته غالباً ما يكون عاقلاً متزناً يحترم الناس تفكيره ويلجأون إليه طالبين المشورة في حل شئونهم.

ويبقى أنه قال: ﴿وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ ففي غض الصوت فضلاً عن الأدب ثقة وطمأنينة، وصدق وقوة في الحديث خاصة إذا خاطب الإنسان من يكبره أو من يحاجه، والكلمة الطيبة زينة الصوت، وقد أمر الله المؤمنين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات: ٢). وجعل غض الصوت سبباً في المغفرة والهداية إلى التقوى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (الحجرات: ٣). والكل يعلم أن خروج الكلمة من بين الفكين ربما كانت سبباً في مقتل صاحبها.

وحتى يتبين إلى أي حد يكون علو الصوت من الأفعال المقبوحة، فقد وضعه لقمان في صورة تشبيهية قبيحة يستنكرها الناس جميعاً فقال: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ

(١) صحيح: أحمد (٦٣/٥، ٦٤)، أبو داود (٤٨٤) عن العباس بن جابر بن سليم في الدية.

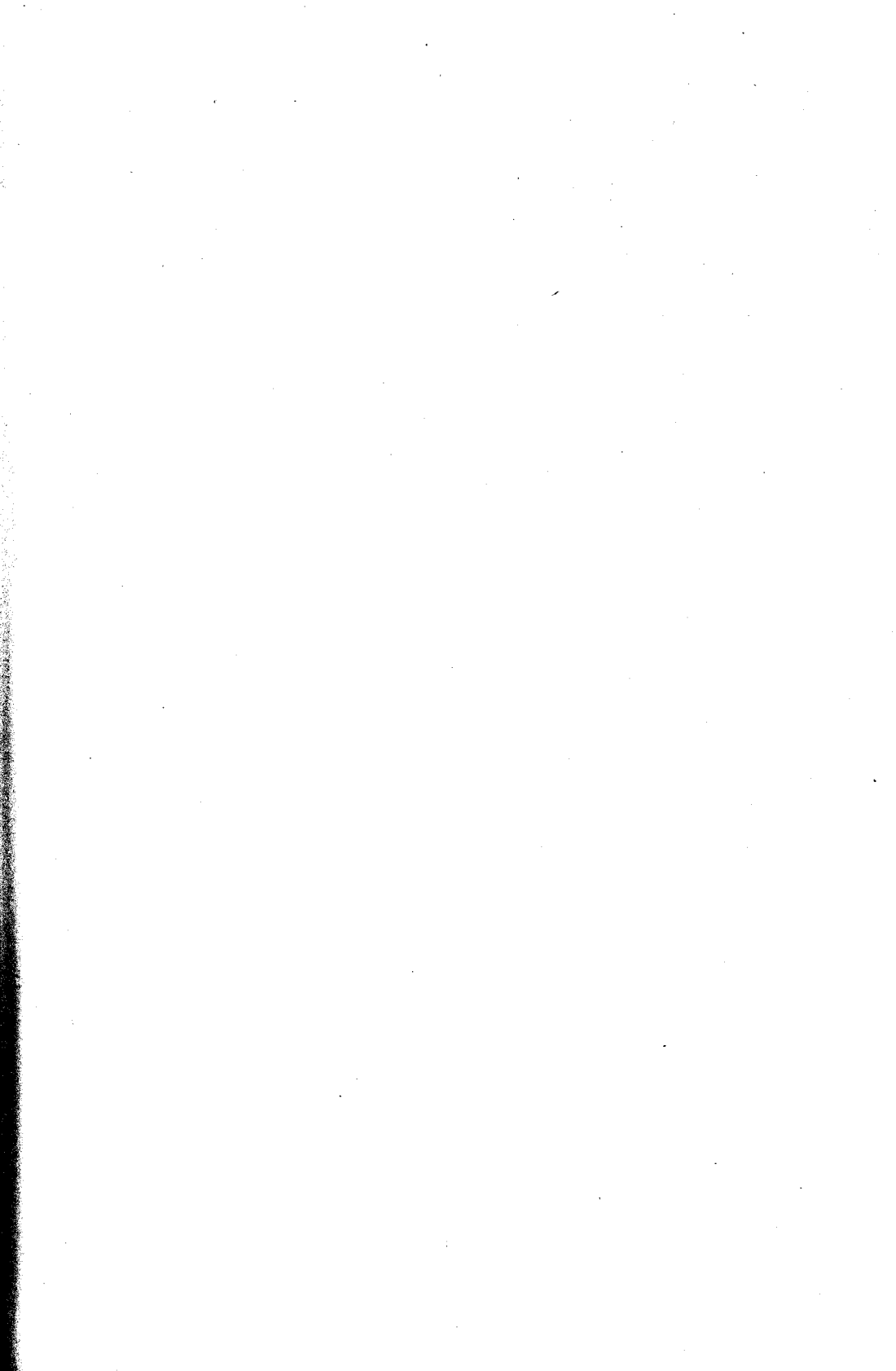
لَصَوْتُ الْحَمِيرِ» وهو تشبيه يلفت أنظار الذين يرفعون أصواتهم بغير فائدة حتى لا يكونوا كالحمير في ارتفاع الصوت بلا فهم، ولعمري تلك الحكمة بعينها^(١).

هذا إذن هو منهج الأنبياء في تربية أولادهم: التوحيد فيه أولاً، ثم بر الوالدين، ثم العبادات، ومن ورائها الأخلاق، وهذا ما سنبدأ في عرضه في الفصل القادم إن شاء الله تعالى، وهو بداية الجزء الثاني.



تم بحمد الله الجزء الأول

(١) هذا مستل من كتابي «صحيح قصص القرآن» ط - دار الحديث.



فكرس الجزء الأول

الصفحة

3 - تقديم.

7 - الثرى والثريا - أسرار نفوق جيل الصحابة رضي الله عنهم.

25 - مرحلة ما قبل الولادة - تدابير اتخاذها الإسلام لحماية الولد قبل ولادته.

47 - أمور تضبط الحياة الزوجية قبل الزواج.

52 - حُسن اختيار الأم.

65 - اختيار الأب.

68 - لحظة الدخول، وآداب الجماع، وما قبل الحمل.

78 - أثر صلاح أو فساد الوالدين على الأولاد.

82 - أمور ينبغي على الأب تعلمها ليكون أبًا صالحًا.

95 - رعاية الصغير وهو في بطن أمه.

90 - حقوق الصغير على الآباء عند الولادة.

109 - التسمية وأحكامها.

120 - أسماء تبدأ بحرف الألف والهمزة.

131 - أسماء تبدأ بحرف الباء.

136 - أسماء تبدأ بحرف التاء.

138 - أسماء تبدأ بحرف الثاء.

- 240 سنوات - حقوق الصغير على أبويه بعد ولادته.
- 242 الرضاعة والتغذية والحضانة.
- 246 تغذية الطفل - متى تبدأ؟ وما هو شكلها الأمثل؟.
- 254 تجنب قتل الصغير.
- 256 الإنفاق على الصغير.
- 258 مداواة الصغير إذا مرض.
- 259 وقاية الصغار من الأذى.
- 264 حضانة الصغير.
- 268 ملاعبة الصغار والإحسان إليهم ورحمتهم.
- 276 العدل بين الأولاد دون تفرقة بينهم.
- 282 آداب يجب مراعاتها مع الصغار.
- 288 بأي حق يغنينا هذا الرجل و«خالته»!!.
- 296 حالة خاصة: وجود طفل يتيم بالمنزل.
- 315 حكايات للصغار حتى سن ٣ سنوات - طفولة النبي ﷺ.
- 315 العرب قبل الإسلام.
- 316 صفات حميدة.
- 317 نسب النبي ﷺ.
- 317 حكاية الثريد.
- 317 حكاية الكنز.
- 318 الأبناء العشرة.
- 319 زواج عبد الله.
- 319 حكاية الفيل.
- 320 حكاية المرضعة.
- 320 حكاية شق الصدر.
- 321 محمد ﷺ في يثرب.

- 140 أسماء تبدأ بحرف الجيم .
- 145 أسماء تبدأ بحرف الحاء .
- 150 أسماء تبدأ بحرف الخاء .
- 153 أسماء تبدأ بحرف الدال .
- 155 أسماء تبدأ بحرف الذال .
- 157 أسماء تبدأ بحرف الراء .
- 162 أسماء تبدأ بحرف الزاي .
- 166 أسماء تبدأ بحرف السين .
- 171 أسماء تبدأ بحرف الشين .
- 175 أسماء تبدأ بحرف الصاد .
- 178 أسماء تبدأ بحرف الضاد .
- 179 أسماء تبدأ بحرف الطاء .
- 181 أسماء تبدأ بحرف الظاء .
- 182 أسماء تبدأ بحرف العين .
- 197 أسماء تبدأ بحرف الغين .
- 199 أسماء تبدأ بحرف الفاء .
- 203 أسماء تبدأ بحرف القاف .
- 205 أسماء تبدأ بحرف الكاف .
- 207 أسماء تبدأ بحرف اللام .
- 209 أسماء تبدأ بحرف الميم .
- 217 أسماء تبدأ بحرف النون .
- 223 أسماء تبدأ بحرف الهاء .
- 226 أسماء تبدأ بحرف الواو .
- 229 أسماء تبدأ بحرف الياء .

- آداب، وحقوق، ووصايا - مرحلة ما بعد الولادة إلى سن ثلاث

- 321 محمد ﷺ مع جده.
- 321 محمد ﷺ مع عمه.
- 322 رحلة الشام.
- 323 أناشيد تنشد للصغار حتى سن ثلاث سنوات.
- 325 قواعد، وتحذيرات، ووصايا.
- 325 قواعد هامة يجب مراعاتها في التعامل مع الصغار.
- 334 التعلم والتأديب فريضة شرعية وفرصة يجب اغتنامها.
- 346 قاعدة هامة في التربية - عدم إهانة أحد الوالدين أمام الصغار.
- 352 حالة متكررة: طلاق الزوجين.
- 359 وثن العصر: التلفاز، وأجهزة الإعلام.
- 368 أضرار التلفاز.
- 377 الجيل التليفزيوني المنكوب.
- 378 آثار التلفاز الاجتماعية والسلوكية والنفسية على الأطفال.
- 381 التلفاز يقلب القيم رأساً على عقب.
- 390 أساطير وسموم الإعلام الغربي.
- 394 قصة واقعية.
- 395 نصائح للتخلص من التلفاز.
- 400 الأطفال وهوس كرة القدم.
- 406 الصغار، والمدرسة، ودور التعليم.
- 409 حُلْمٌ واقتراح - الجو الذي يجب أن يسود المدرسة.
- 414 تدليل الصغار كارثة، ومخالطة المدللين كارثة أكبر.
- 414 التفرقة بين التدليل والرفق.
- 417 لقمان عليه السلام يربي ولده.

"جذور التربية مريرة ولكن ثمارها حلوة"

كيف يختار الأب الأم الصالحة؟

كيف تختار الأم الأب الصالح؟

كيف يُستقبل المولود؟

ما هي الخطوات الواجب إتخاذها نحوه؟

ما هي حقوق الصغار علينا؟

كيف نتعامل مع الصغار؟

كيف تجيب على أسئلة الطفل المخرجة؟

كيف نعلم أولادنا عقيدتهم وشريعتهم؟

الطريق إلى تنمية المواهب.

نصائح طبية تشتمل على كافة أنواع الوقاية من الأمراض.

نصائح طبية تشتمل على كيفية علاج الأمراض.

برامج غذئية متكاملة لكل المراحل السنية؟

التربية في شكل سؤال وجواب.

العلاج النفسي لأمراض الطفولة.

خلف الجامع الأزهر - بجوار بيت الهراوى

القاهرة - تليفون وفاكس: ٥١٤٧٢٤٨

ت: ٥١٤٧١٧٩ محمول: ٠١٢/٧٤١٨٣٤٨

